موسوعة

المصطفى والعترة

(٣)

علي المرتضى عليه السلام

القسم الثاني

تأليف

حسين الشاكري

نشر الهادي . قم

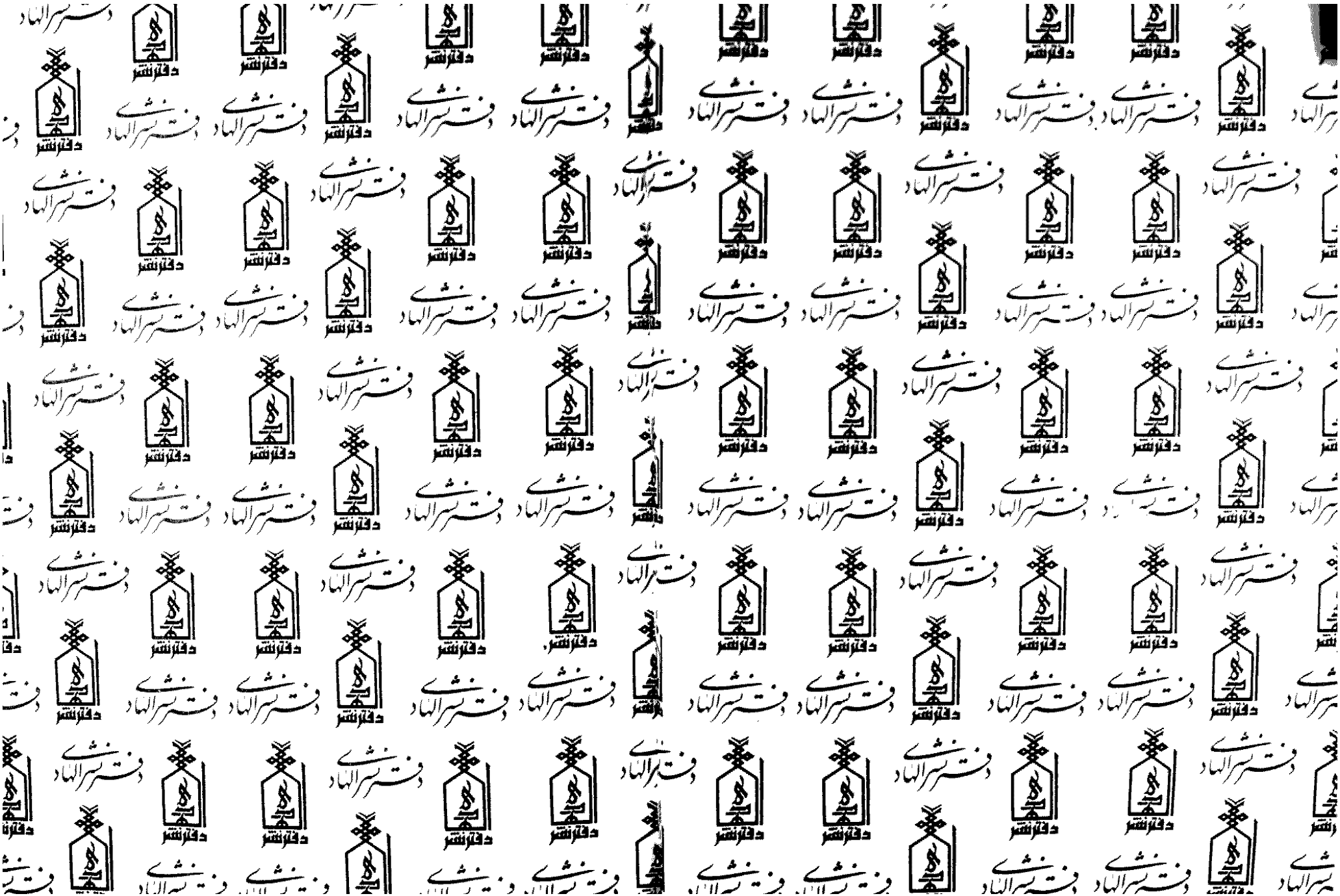
دفتر نشر الهاد

مكتبة الروضة الحيدرية
النجف الاشرف

موسوعة

المصطفى والعترة

(٣)

علي المرتضى عليه السلام

كتاب علمي، أدبي، تاريخي

يبحث في حياة النبي والعترة الطاهرة

تأليف

حسين الشاكري

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

موسوعة
المصطفى والعترة

الكتاب:	علي المرتضى ج٢ (ع)
تأليف:	حسين الشاكري
الناشر:	نشر الهادي
الطبعة:	الأولىٰ ١٤١٥ هـ ق
المطبعة:	الهادي
العدد:	٢٠٠٠ نسخة
الفيلم و الزنك:	ليتوگرافي النور

نشر الهادي ـ قم ـ خيابان صفائيه ـ مقابل كوچه ورزشگاه.

جميع حقوق الطبع
محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الرسول صلى الله عليه وآله

علي مع الحق والحق مع علي

ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة

الإهـداء

أتقدم بهذا الجهد اليسير وأُهدي ثوابه.

إلىٰ روح شيخي وأُستـاذي الـذي أمسـك بيدي القلم وحنّني علىٰ الكتـابـة والتأليف بطريقتهِ المعهودة الهادئة.

إلىٰ من شجعني ومنحني ثقتـه الغـالية وذلـك بمنحي وسـام الشرف، «إجازة الرواية» الخاصة بالطرق والأسانيد إلىٰ مرويات أهل البيت صلوات الله عليهم.

إلىٰ سماحة آية الله العظمىٰ شيخ المحدثين والمحققين أبي المعالي السيّد شهاب الدين المرعشي النجفي (قدس سره).

كما لا يسعني إلّا أنّ أُهدي ثواب هذا المجهود اليسير إلىٰ مشايخي وأساتذتي الأول في حوزة النجف الأشرف.

سماحة العلاّمة المحقق شيخ الحفاظ آية الله الشيخ عبد الحسين الأميني النجفي، صاحب كتاب «الغدير» (قدس سره).

وسماحة المربي الأول آية الله الشيخ محمد رضا المظفر صاحب كتاب «المنطق» (قدس سره).

وإلىٰ أُستـاذي الحجـة الفقيه الورع سماحة آية الله السيّد محمّد تقي الحكيم صاحب كتاب «الفقه المقارن» عافاه الله برحمته من كل مكروه.

كما أُهدي ثوابه إلىٰ روح وَالديَّاللذين هُما أساس طهارة مولدي،واللّذين رَبياني علىٰ الإيمان، وغذّياني روح المحبة والولاء.

وإلىٰ شريكة حياتي وأُمّ أولادي العلوية الوفية التي تحمّلت عني العبء الأكبر في تربية الأولاد.

وأخيراً وليس آخراً ان شاء الله أُهدي ثوابه إلىٰ كلّ من شَجّعني، وآزرني، ويسّر لي المصادر من العلماء والأفاضل من أساتذة وطلبة الحوزة العلمية بقم المقدسة، أتقدّم إليهم جميعاً بالشكر الجزيل والثناء العطر الجميل.

سائلاً المولىٰ القدير واللّطيف الرحيم أن يتقبل مني هذا اليسير ويعفوا عنّي الكثير، وان يجعلنا ممّن يأخذ بحجزة محمّد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

لننال شفاعتهم عند تطاير الكتب وهول المطلع فإنّه أرحم الراحمين، وصلىٰ الله علىٰ محمّد وآله الطيبين الطاهرين.

وآخر دعوانا إنّ الحمد لله ربّ العالمين.

الراجي عفو ربّه الذي يلهج، بسم الله الّذي عَلَّمَ بِالْقَلَم، عَلَّمَ الإنسان مَا لَمْ يَعْلم.

حسين الشاكري

دار الهجرة بقم المقدّسة آخر ذي الحجة الحرام

من سنة ١٤١٢ هـ ١/ ٧/ ١٩٩٢م

تفضل سماحة العلامة المحقق السيد احمد الحسيني الإشكوري مشكوراً بتقريض كتابنا «علي في الكتاب والسنة».

في الوقت الذي نكبّر فيه الروح العلمية والمتابعة ننشر ذلك اتماماً للفائدة.

سائلين المولي القدير ان يديم بقاءه، للاستنارة من علمه، وأدبه.

المؤلف

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ

الأخ الكريم الأستاذ الحاج حسين الشاكري دمت بخير وعافية

تحية وأشواقاً وسلاماً متواصلاً، وبعد:

عشت ساعات طويلة ممتعة في رحاب علي عليه السلام من خلال كتابك القيم «علي في الكتاب والسنة»، وتراني كلما فتحت الكتاب نسيت نفسي واستغرقت في تصفحه وقراءته بامعان ولم أصحو من نشوتي الا بعد مضي وقت طويل وطويل جداً.

لماذا كل هذا الولع؟ ومن أين جاءت النشوة؟

ألأني لم اقرأ قبل هذا الكتاب شيئاً عن علي وتعرفت عليه لأول مرة في مجموعتك؟ أم لأني وجدت فيه قصصاً رائعة كتبت بأسلوب أدبي رفيع؟ أم لأن قلمك يفوق قلم من كتب عنه قبلك وقبلك؟

كل هذا لم يكن.. فانني قد قرأت كثيراً مما كتب عن أمير البيان والسيف بقلم ألمع الكتاب المعاصرين المجيدين في العرض والتحليل، قرأتها من بائها الى تائها، ولم تسحرني بشيء من مظاهرها الخلابة وعباراتها المعسولة وتحاليلها وأفكارها الجديدة.

اذن.. ماهو الذي استهواني كتابك؟

«وجدت فيه أن الله عز شأنه يشيد بسيد الأوصياء بما أنزل فيه من الآيات والسور، كما رأيت فيه النبي ﷺ يرفع سيد الأصفياء الى أرفع مقام بما يعلن من فضائله ومناقبه في مواقف خاصة وعامة من يوم الدار الى حين وفاته».

لم تأت فيه بالعبارات الرائعة في مظاهرها، الفارغة في معانيها كما نراه عند كثير من كتابنا المعاصرين، ولم تحلل الأحداث بما تشتهيه نفسك ويجري بها قلمك كما يصنعه المتشدقون بالبحث الجديد والتحليل التاريخي.. بل هيأت جواً نستمع فيه الى كلام الله تعالى وحديث النبي الكريم ونعايشهما ونستضيء بنورهما بلا شوبهما بما يكدر صفوهما مما لاطائل تحته.

لقد جنّد معاوية ومن لف لفه طاقاتهم لطمس فضائل علي عليه السلام، وجدّوا كل الجد لاخفاء ماروي فيه من المناقب عن الرسول ﷺ، بل سعوا في أحاديث في الاشارة بأعدائه ومناوئيه ومن وقف في وجهه أيام خلافته الظاهرية وغيرها، وقلبوا حقائق ناصعة عرفها الصحابة والتابعون واعترفوا بها في مناسبات

عديدة.. وأل أمر الأمة المحمدية أن يسمعوا سب هذا العملاق العظيم كل صباح ومساء من على منابر المسلمين وفي مساجدهم ومنتدياتهم.

انها مأساة عظيمة خسر المسلمون من جرائها كثيراً من العطاءات الخيرة التي كان بامكانهم أن يكسبوها لو لا هذا العنف السياسي الجاري في البيئة الاسلامية آنذاك باسم الدين.. خسارة كبيرة ليس على المسلمين في ذلك العصر فقط بل امتد الى العصور اللاحقة حتى عصرنا الحاضر.

لقد ظلم علي عليه السلام في حياته وبعد موته، وحاولوا اخفاء معالم شخصيته بالانكار والوضع الدس، وقالوا فيه ما قالوا وكتبوا عنه ما كتبوا.. ولكن قديماً قيل «الحق يعلو ولا يعلى عليه»، وهكذا كان بما وصل الينا من فيض الآيات الألٰهية والسنة النبوية من طريق أعداء ابي الحسنين وأحبائه، وهو المعين الذي يرده كل مؤمن بالاسلام معتقد بالله تعالى ورسوله ﷺ.

والورود الى هذا المعين الصافي هو الذي يشدني الى كتابك ويجعلني أطيل قراءته بالرغم من ضيق الوقت وتزاحم الأعمال.

فحيا الله جهدك المبارك وكان في عونك وأخذ بيدك ووفقك لما فيه الخير والصلاح.

وتقبل فائق تحيات

الداعي

السيد احمد الحسيني

١٥ شوال ١٤١٣هـ

تفضل سماحة العلامة المجاهد الشيخ «محمدباقر الناصري» مشكوراً بتقريض كتابنا «علي فيالكتاب والسنة» وتطرق الى بعض الجوانب الحيوية في الحياة.

ونحن اذ ننشر نص الكتاب روماً لإتمام الفائدة.

حيَّ الله العلم والعلماء وادامهم الله لنا سراجاً نستضيئ بنورهم.

المؤلف

بسمهِ تعالىٰ

حضرة المهذب الكامل الحاج حسين الشاكري سلمه الله تعالىٰ.

تسلمت بيد الاعتزاز والامتنان الجزء الاول من كتابكم الكريم «علي في الكتاب والسنة» وأجتهدت أن أتفرغ لقرائتهِ والعيش في رحابهِ فكانت ساعات مباركة سعيدة عشتها متنقلاً بين رياضهِ في أعذب رياض التفسير والحديث والعلم.

و(علي) هو ذلك الصرح الايماني الشامخ الذي أمتحن الله بهِ قلوب عبادهِ فكان حبه وولاؤه مقياساً للقلوب السليمة والفطرة المستقيمة (فمن أُعجب بهِ «ووالاه» كان أعجابهُ موثقاً للفطرة ومن خاصمه كان من أبناء الجاهلية) كما يقول الاديب المسيحي جبران خليل جبران.

وكيف لايكون كذلك والدرة النبوية تزين جيد عليٍ بالعقد الخالد: (يا علي

لايحبك الا مؤمن ولايبغضك الاّ منافق).

وجاء الكتاب والسنة ليعززا الفطرة ويشيدا صرح الخير والهُدىٰ والفضيلة، وقد شاء الله بحكمته وعدلهِ ولطفهِ أن يشيدَ للإنسان الكامل نماذج رسالية تجسد الحق والعدل والتسامي فكان علي عليه السلام من أبرز هذهِ النماذج وأكثرها وضوحاً وصفاءاً ومصداقيةً لكل مثل الله وشرائعهِ وأحكامهِ من الأولين والآخرين فأمير المؤمنين علي عليه السلام: شريعةٌ متحركة وقرآن ناطق ودستور خالد وأسلام متكامل... الخ.

شد اليه ألسنةَ وأقلام العلماء والأدباء والمتفكرين ولوىٰ نحوهُ عنق الاجيال مشرئبة لعليائهِ متطلعةً ومكبرة... وجثت أمام عظمتهِ وسموه وكمالهِ متخطية كل الحواجز ومتجاوزة كل العقبات السياسية والدينية والعرفية. التي حاولت وتحاول جاهدة محاصرة شخصية الإمام عليّ عليه السلام وسد النوافذ عليها والحؤول دون تسرب أنوارها لمتاهات الحياة وظلمات الاجيال ومعاناة البشرية وعذابات الأنسان المتطلع لمصادر النور الأسلامي والمتنسم في «علي» عبير الحرية الذي خرق كل الحجب وعبر كلَّ السدود ليطل على المجتمع البشري بعدلهِ وعلمهِ وكمالهِ فكان حقاً (صوت العدالة الإنسانية) ورصيدها الضخم ونشيدها الخالد ترددهُ الأجيال عِبَرَ خطبها وكتبها وأبحاثها وادبها منظومهِ ومنثوره بأسم علي عليه السلام وفضائله ومدائحهِ وتهتبل الفرص للغوص في بحرِ لئآلئهِ والمَثول في ساحاتهِ المترامية والتشبث بذيل عليائهِ.

وكأنها لكثرةِ ما أُلف وكتب ونظم قد استوعبت (علياً) عليه السلام بكل فضائلهِ وخصائصه وحتىٰ خُيل للناظر أنها ألمَّت بكل شاردةٍ وواردة في حياةِ هذا القديس العظيم والرسالي الفريد ولكن ـ وكما تقول الحكمة المشهورة ـ (كم ترك الأولُ للآخر) تتجلىٰ واضحة في حياة أمير العدل والبلاغة ومايستجد كل يوم وما تفرزه المطابع والمنابر والأقلام من خيرة ما تفرزه البحور من غرر المنظوم

والمنثور... الخ.

وكان من عيون هذهِ الغرر سِفْركم الخالد الذي تجسد فيه الحق الصراح والولاء الخالص والتربية التاريخية العالية.

وقليلون أولئك الذين يدركون عظيم لطف الله في الهجرةِ والمعاناة للمهاجرين الصابرين الواعين من نضجٍ ورسوخٍ وتكامل.

وقليلون أيضاً أولئك الذين ينتفعون من مدرسة الهجرة ومن سياط التعذيب والمعاناة.

فكنت بحمدِ الله وتوفيقه من مفاخر المهاجرين الواعين ممن أغتنموا الفرصة وتلقوا الألطاف الأهية بوعي ومسؤولية ـ فكان توجهك المبارك نحو الكتابةِ والتأليف وخاصة في كتابك الميمون هذا مؤشراً علىٰ رسوخٍ في الولاء وحكمةٍ في الاختيار وقوةٍ في الصبر والمثابرة... الخ.

أضفتَ بهِ تاجاً لمفاخر أعمالك وهي بحمد الله كثيرة.

فهنأك الله بما أعطاك، ووفقك لمزيدٍ مما حباك، ونفع الله بك الأمة وجعلك نبراساً ومقتداً للمؤمنين وكثر الله فينا أمثالك من المؤمنين العاملين المثابرين.

كما أسأله سبحانه أن يزيد في توفيقك ويمد في عمرك لانجاز ما تصبو اليه من إكمال هذهِ الموسوعة وغيرها من المواضيع والمشاريع الخيرية النافعة ويجعلها في ميزان أعمالك وينفعك وأيانا بها ﴿يومَ لاينفع مالٌ ولابنون إلاّ مَن أتىٰ الله بقلبٍ سليم﴾ ﴿وقل أعملوا فسيرىٰ الله عملكم ورسولهُ والمؤمنون﴾

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمد باقر الناصري

في الخامس من شهر صفر الخير ١٤١٣ هـ

الف وأربعمائة وثلاثة عشر للهجرة الشريفة

في دار الهجرة، بقم المقدسة.

الفصل الاول

كلام حول أزواج الإمام وأولاده (ع)

إضطر الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد وفاة سيدة نساء العالمين أن يبادر إلىٰ إختيار زوجة تقوم بشؤون أيتام الامام الذين فقدوا أُمَّهم في عنفوان شبابها، فقدوها وهم براعم صغار لم تتفتح بعد، إذ كان عمر الإمام الحسن ـ وهو أكبر أولاد الإمام ـ يومذاك سبع سنوات وشهوراً، وكان الإمام الحسين أصغر منه بعشرةأشهر وأيام[1]، وكذلك السيدة زينب وأختها أم كلثوم هذا من ناحية، ومن ناحية أُخرىٰ كانت الزهراءُ قد أوصت يوم وفاتها أن يتزوج علي بالسيدة امامة، وهي حفيدة رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، إذ أنها كانت بنت زينب بنت رسول الله، وتنفيذاً لهذه الوصية بادر الإمام إلىٰ الزواج بامامة بعد تسعة أيام من وفاة الزهراء كما ذكر الشيخ المفيد، وروىٰ عنه المجلسي في الجزء التاسع من البحار.

وبالمناسبة لا بأْس أن نذكر شيئاً مما يتعلق بعدد زوجات الإمام وأولاده فنقول: كان له (عليه السلام) سبعة وعشرون من الأولاد ذكوراً وإناثاً.

١ ـ ٤ الإمام الحسن، والإمام الحسين، وزينب الكبرىٰ، وزينب الصغرىٰ المكناة بام كلثوم، وأُمهم فاطمة الزهراء بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

---

(١) بين الحسن والحسين (عليهما السلام) عشرة أشهر وأثنا عشر يوماً ـ حسب ما ثبت من تاريخ ولادتهما ـ حيث ولد الإمام الحسن (عليه السلام) في ١٥ من شهر رمضان السنة الثالثة من الهجرة وولد الإمام الحسين (عليه السلام) في الرابعة من شهر شعبان التي بعدها، وهي أصح روايات أهل البيت (عليهم السلام) إلاّ إذا كان الحمل قد تأخر عندها (عليها السلام) فهذا لا ينافي الرواية.

٥ ـ محمد بن الحنفية وأُمه خولة بنت جعفر.

٦ ـ ٧ عمر ورقية، وكانا توأمين، وأُمهما الصهباء، ويقال ام حبيب التغلبية.

٨ ـ ١٢ أبو الفضل العباس، وجعفر، وعثمان، وعبد الله، وأُمهم فاطمة أم البنين بنت حزام بن خالد الكلابية، استشهدوا يوم الطف في نصرة الحسين (عليه السلام).

١٣ ـ ١٤ يحيىٰ، وعون، وأُمهما أسماء بنت عميس الخثعمية.

١٥ ـ ١٦ محمد الأصغر المكنّىٰ أبا بكر، وعبد الله وأُمهما: ليلىٰ بنت مسعود الدارمية وقتلا يوم الطف.

١٧ ـ ٢٠ خديجة، وأُم هاني، وميمونة، وفاطمة، وأُمهن: أُم ولد جارية.

٢١ ـ ٢٢ أُم الحسن، ورملة، وأُمهما: أم شعيب الدارمية. وقيل: أُم سعيد وقيل: أُم مسعود المخزومية.

٢٣ ـ ٢٧ نفيسة، وزينب الصغرىٰ، وأُم سلمة، وأُم الكرام، وجمانة، لأُمهات شتىٰ.

وأما أولاده الذين أعقبوا فهم خمسة: الحسن، والحسين (عليهما السلام)، ومحمد بن الحنفية، والعباس، وعمر، ومات عدد من الأولاد والبنات في أيام حياة الامام (عليه السلام).

ولم يتزوج علي (عليه السلام) ما دامت الزهراءُ علىٰ قيد الحياة كرامة لها، كما أن رسول الله لم يتزوج ما دامت خديجة علىٰ قيد الحياة.

هذا والمعروف: أن علياً تزوج بعد وفاة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بأربع حرائر، وملك عشر إماء، وقد روي في المناقب عن الشيخ المفيد (عليه الرحمة) أن أولاده خمسة وعشرون، وربما يزيدون علىٰ ذلك إلىٰ خمسة وثلاثين.

في بحار الانوار[1]، نقلاً عن ابن الجوزية في تذكرة الخواص، ما نصه:

النسل من ولد مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) لخمسة، الحسن والحسين، ومحمد بن الحنفية، وعمر الاكبر، والعباس.

وأما عمر الأكبر فعاش خمساً وثمانين سنة حتى حاز نصف ميراث أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكان فاضلاً، تزوج اسماء بنت عمه عقيل بن أبي طالب (عليه السلام)، فاولدها محمداً وام موسىٰ وام حبيبة.

أمّا العباس فأوّل من استشهد مع أخيه الحسين (عليه السلام).

قال الزبير ابن بكّار: كان للعباس ولد إسمهُ عبيدالله، وكان من العلماء، فمن ولده عبيدالله بن علي بن إبراهيم بن الحسن بن عبيدالله بن العباس بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وكان عالماً فاضلاً جواداً، طاف الدنيا وجمع كتباً تسمّى الجعفرية، فيها فقه أهل البيت (عليهم السلام)، قدم بغداد فأقام بها وحدّث، ثم سافر إلى مصر فتوفىٰ بها سنة إثنى عشر وثلثمائة.

ومن نسل العباس بن أمير المؤمنين (عليه السلام) العباس بن الحسن بن عبيدالله بن العباس ذكره الخطيب البغدادي في تاريخه، فقال: قدم إليها في أيام الرشيد وصَحِبَهُ، وكان يُكرِمُه، ثم صَحِبَ المأمون بعده، وكان فاضلاً شاعراً فصيحاً، وتزعم العلوية أنّه أشعر ولد أبي طالب.

---

(١) بحار الانوار ج ٤٢ ص ٧٥، طبع دار احياء التراث العربي بيروت.

علي جليس الدار

كان الإمـــام في الفـترة التي قضـاهـا جليس الـدار، مسلوب الإرادة والإمكانات، يرىٰ بكل بصره وبصيرته ويسمع بكل اذنه ووعيه، الإنحرافات التي تجري علىٰ السـاحة، والتلاعب في مقدرات الأُمور، والهيمنة علىٰ الناس بالقوة والإرهاب بإسم الدين، وتحوير المبادئ والاحكام، وتغيير شريعة السماء التي أمر الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ نبيه الكريم أن يبلّغ بها الأُمة، وتحمّل ما تحمّل وجاهد في تثبيتها ـ جاء بعده من ينسف تلكم القيم، ويهدم كل ما بناه الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله) ليقلعه من أساسه باسم الدين، وعلىٰ الطريقة التي تضمن مصالحهم وهيمنتهم.

فمنهم من إغتصب الخلافة، وصادر النحلة، ومنع الإرث وزوّر الحديث علىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ليبرر به عمله.

ومنهم من شرّع في مقابل شريعة السماء وحوّر وبدّل في أحكام الإسلام، وقال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وأنا أقول، وأُحرِّمُ وأُعاقب، وغيّر وبدّل كثيراً من فرائض الإسلام وسنن الدين.

ومنهم من قتل وعذب، وهتك حرماتٍ كان الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآلـه) يصـونها ويحترمها ويوصي بها خيراً، وقد قرّب الأبعدين من أهله وعشريته الذين طرَدهم الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله) ونفاهم، لثبوت شركهم وكفرهم ومعاداتهم للإسلام ورسوله الكريم، ومكّنهم وسَلّطهم علىٰ رقاب المسلمين، واعراضهم، وأموالهم، وعقائدهم، وَبعّد الأقربين من أصحاب النبي (صلّى الله عليه وآله) من المؤمنين المجاهدين الذين كانت لهم اليد الطولىٰ في تثبيت دعائم الإسلام وشريعة السماء وكان النبي الكريم (صلّى الله عليه وآله)

يجلهم ويعتز بهم ويوصي بهم خيراً، أمثال أبوذر الغفاري، وعمار بن ياسر، وعبد الله بن مسعود، وغيرهم.

والأدهىٰ من ذلـك والأنكىٰ للقلب، ما مُنِيَ به وزوجته الطاهرة فاطمة الـزهـراء (عليها السلام)، حين هجم القوم علىٰ دارهما حاملين معهم رزمات الحطب، يقودهم عمر بن الخطاب، مهددين علياً بالخروج من الدار والبيعة لأبي بكر،وإلّا سوف يضـرمـون النـار ويحـرقـون الـدارعلىٰ من فيهـا، وان كانت فاطمة وأبنائها، حتّىٰ دخلوا الدار وأخرجوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلىٰ المسجد ملبّداً ومقيداً بحمائل سيفه، حاسر الرأس، والسيف مسلط عليه، مهددين بقتله أن لم يبايع الخليفة الجديد بزعمهم.

ومن جهة أُخرىٰ يرَى (عليه السلام) زوجته الطاهرة لائذة خلف الباب عند هجوم القوم علىٰ الدار حينما خرجت لتمنعهم من الدخول، وهي حاسرة الرأس بدون حجاب، وعندما شعروا بوجودها عصروها بين الباب والجدار عصراً كادت تزهق روحها وقوت من شدّة العصرة، وقد إنكسر ضلعٌ مِن أَضلاعها، وسقط جنينها من جراء تلك العصرة، ونبت المسمار في صدرها ـ روحي فداها ـ، فسقطت علىٰ الأرض مغشياً عليها، والدماء تنزف من جسمها، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

كل تلك المصـائب شاهدها الإمام بأم عينه، وعاشها بكل كيانه وهو صابر محتسب ـ مَنَفِّذاً وصايا أخيه وابن عمه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وبقىٰ يعيش هذه الفجائع، ويحمل همومها ومآسيها طيلة خمس وعشرين سنة قضاها وهو حبيس بيته، وجليس داره، وهو مسلوب الإرادة، حتىٰ امتلأ غيضاً، وطفح الكيل، ولما سنحت له الفرصة انفجر كالبركان الهائج قائلاً في خطبته الشقشقية من علىٰ منبر الكوفة، معبّراً عمّا كان يختزن في صدره من الفواجع والمآسي، قال:

«أمـا والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة وإنّه يعلم أن محلي[1] منها محل القُطب مِن الرحىٰ ينحدر عني السيل ولا يرقىٰ إليّ الطير، فسدلت دونها ثوباً، وَطويت عنها كشَحاً، وطَفِقتُ أرتئي بين أن أصول بيدٍ جذّاء، أو أصبر علىٰ طِخْيَة عمياء يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتىٰ يلقىٰ ربه، فرأيت إنّ الصَبر علىٰ هاتا أحجىٰ. فصبرت وفي العين قذىٰ. وفي الحلق شجا. أرىٰ تراثي نهباً، حتىٰ مضىٰ الأول لسبيله فأدلىٰ بها إلىٰ ابن الخطاب..... إلىٰ آخر خطبتة التي أوردناها في فصل بلاغته وفصاحته (عليه السلام).

وعـلىٰ هذا المنـوال كان (عليه السلام) يعيش هذه المحنة والأحداث والإنحرافات التي جاءت بعدها مدّة خمس وعشرين سنة، إبتداءً من أوّل يومٍ فارق فيـه الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله) والتحاقه بالرفيق الأعلىٰ، واجتماع القوم في سقيفة بني ساعدة، وصعود أبي بكر علىٰ منصة الخلافة وسـدّة الحكم، إلىٰ يوم قيام المسلمين بالثورة علىٰ عثمان بن عفان نتيجة أعماله، وقتله سنة ٣٥ من الهجرة، بعد أن طفح الكيل وبلغ السيل الزبىٰ.

وقد حكم أبو بكر بن أبي قحافة[2] من أوّل سنة ١١ إلىٰ ١٣ هـ، وحكم عمر بن الخطاب من سنة ١٣ ـ ٢٣ هـ، وحكم عثمان بن عفان من سنة ٢٣ ـ ٣٥ هـ.

فلما انقضت أيام أبي بكر بعد حكم سنتين في منصب الخلافة، أوصىٰ بها إلىٰ عمر بن الخطاب بعهدٍ معهود بينهما، فكانت أيام حكمه في الخلافة عشر سنوات وشهوراً.

ولما طُعن عمر وأحس بدنوّ أجله جعل الخلافة شورىٰ، ورشّح ستة من

(١) أي الخلافة.

(١) أسم أبي بكر في الجاهلية عتيق ـ وفي الاسلام ـ عبد الله وكنيته أبو بكر.

قريش زعم أن رسول الله مات وهو راضٍ عنهم، وأمرهم أن ينتخبوا واحداً من أنفسهم بنظام لم يسبقه إليه أحد وما أنزل الله به من سلطان، وإليكم تفصيل ذلك.

لمّا عَلِمَ عمـر بن الخطاب وتأكد من وفاته استشار من كان حوله من أصحـابـه حول تعيين الخليفة من بعده، وكان ذلك تمويهاً ليرىٰ رأي أصحابه ويختـبرهم في حين كان الخليفـة المرشح في ذهنه معينـاً باتفاق مسبق بين أصحابه في يوم السقيفة قبل التحاق النبي بالرفيق الأعلىٰ، والذي دبر بليل بعد البيعة لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) أميراً للمؤمنين في يوم غدير خم. فأشير عليه بإبنه عبد الله بن عمر، فقال: لا ها الله، لا يليها رجلان من ولد الخطاب، حسب عمر ما احتقب: لأها الله! لا أتحملها حياً وميتاً.

وهـذا الكلام يدل دلالة قاطعة علىٰ جسامة الأعمال التي قام بها عمر واقـترفها، والأعباء التي يشعر بثقلها من جراء زحزحة الخلافة والإمامة عن رواسي الرسالة.

ثم قال: ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مات وهو راض عن هؤلاء الستـة من قريش وهم: علي، وعثـمان، وطلحـة، والـزبـير، وسعـد بن أبي وقـاص، وعبـد الرحمن بن عوف، وقد رأيت أن أجعلها شورىٰ بينهم ليختاروا لأنفسهم إماماً.

ثم إلتفت عمر إلىٰ هؤلاء الستة وقال: أكلُّكم يطمع في الخلافة؟ فسكتوا، فقال لهم ثانية فقالوا: وما الذي يَبعدنا منها؟ ولّيتها أنت فقمت بها، ولسنا دونك في قريش، ولا في السابقة ولا في القرابة.

فقال عمر: أفلا أُخبركم عن أنفسكم؟ قالوا: قل، فانا لو استعفيناك لم تعفنا، فالتفت عمر إلىٰ الزبير وذكر عيوبه، ثم ألتفت إلىٰ طلحة وذكر سوابقه السيئة، ثم إلتفت إلىٰ سعد بن أبي وقاص وذكّره بنقائصه، وخاطب عبد الرحمن ابن عوف قائلاً: إنك رجل عاجز تحب قومك!! ثم التفت إلىٰ علي وقال: وأما أنت

يا علي فلو وُزن إيمانك بإيمان أهل الأرض لرجحهم، فقام علي وخرج فقال عمـر: والله أني لأعلم مكان الرجل، ولو ولّيتموه أمركم لحملكم علىٰ المحجة البيضاء. فقالوا: من هو؟ قال: هذا المولّي من بينكم. فقالوا: فما يمنعك من ذلك؟ قال: ليس إلىٰ ذلك من سبيل.

وفي رواية ابن أبي الحديد: ثم أقبل علىٰ علي (عليه السلام) فقال: لله أنت!! لولا دعابة فيك، أما والله لئن ولّيتهم لتحملنّهم علىٰ الحق الواضح والمحجة البيضاء.

ثم أقبل عمر علىٰ عثمان وقال: أما أنت يا عثمان ـ فوالله ـ لروثة خير منك!!

هؤلاء الذين مات رسول الله وهو راض عنهم بزعم عمر!!

ثم إلتفت عمر وقال: ادعوا لي أبا طلحة الانصاري. فدعوه فقال له: أُنظر يا أبا طلحة إذا عُدتم من حفرتي (دفني)، فكن في خمسين رجلاً من الأنصار حاملي سيوفكم، فخذ هؤلاء النفر ـ الستة ـ بإمضاء هذا الأمر وتعجيله، واجمعهم في بيت واحد، فان إتفق خمسة وأبىٰ واحد فاضرب عنقه! وإن إتفق أربعة وأبىٰ إثنان فاضرب اعناقهما! وإن إتفق ثلاثة وخالف ثلاثة فانظر الثلاثة التي فيها عبد الرحمن بن عوف فارجع إلىٰ ما اتفقت عليه!!! فان أصرّت الثلاثة الأُخرىٰ علىٰ خلافها فاضرب أعناقها، وان مضت ثلاثة أيام ولم يتفقوا فاضرب اعناق الستة ودع المسلمين يختاروا لانفسهم!!!

كان هذا هو القرار الصادر من عمر بحق الستة الذين مات رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وهو راض عنهم!!. وما أدري بأي ميزان حكم الخليفة بحكم السماء؟ أو بحكم الجاهلية؟، أو بحكم الاستبداد والتسلط؟ وبأي مسوغ شرعي يحكم بقتل من يخالفه في رأيه ويزعم أن رسول الله مات وهو راض عنهم، وهل يجوز قتل من رضي رسول الله عنهم؟ مجرد سؤال.

ومات عمر، ولمّا دُفن، جمع أبو طلحة المرشَّحين للخلافة في بيت عائشة، ووقف هو علىٰ باب البيت في خمسين رجلاً حاملي سيوفهم.

ولما إستقر المجلس بهؤلاء الستة وقبل الشروع في الكلام نادىٰ عمار بن ياسر ـ من وراء الباب ـ: إن ولّيتموها علياً سمعنا وأطعنا، وإن وليتموها عثمان سمعنا وعصينا. فقام الوليد بن عقبة وقال: يا معشر الناس: أهل الشورىٰ إن وليتموها عثمان سمعنا وأطعنا، وإن وليتموها علياً سمعنا وعصينا. فانتهره عمار وقال له: متىٰ كان مثلك يا فاسق يعترض أُمور المسلمين وشتات جمعها؟؟. وتسابّا جميعاً وتناوشا حتّىٰ حيل بينهما.

فقال المقداد ـ من وراء الباب ـ: يا معشر المسلمين إن وليتموها أحداً من القوم فلا تولّوها من لم يحضر بدراً، وإنهزم يوم أُحد، ولم يحضر بيعة الرضوان، وولّىٰ الدبر يوم التقىٰ الجمعان، فقال عثمان!! أما والله لئن ولّيتُها لأردنّك إلىٰ ربك الأول!!!!

أما طلحة فانه كان يعلم أن الخلافة لا تصل إليه مع وجود علي أمير المؤمنين (عليه السلام) وعثمان، فلهذا أشهد القوم علىٰ نفسه: أنه وهب حقه من الشورىٰ لعثمان، وإنما فعل ذلك تقوية لجانب عثمان.

وأما الزبير فكان إبن عمة أمير المؤمنين، ولما رأىٰ ما صنعه طلحة لعثمان وهب هو حقـه من الشـورىٰ إلىٰ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فقال: أنا أُشهدكم أني قد وهبت حقي من الشورىٰ لعلي.

فتساوىٰ الجانبان ولكل منهما صوت واحد، فبقي عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، فوهب سعد حقه لعبد الرحمن بن عوف، لأن سعداً كان يعلم أن الخلافة لا تتم له.

فقال عبد الرحمن لأمير المؤمنين وعثمان: أيكما يخرج نفسه من الخلافة

ويكن إليه الاختيار في الاثنين الباقيين؟؟ فلم يتكلم منهم أحد، فقال عبد الرحمن: أُشهدكم أنني قد أخرجت نفسي من الخلافة علىٰ أن أختار أحدهما.

فبدأ بعلي (عليه السلام) وقال له: أُبايعك علىٰ كتاب الله وسنة النبي وسيرة الشيخين: أبي بكر وعمر. فقال علي: «بل علىٰ كتاب الله وسنة النبي واجتهاد رأيي».

فعدل عبد الرحمن عنه، فعرض ذلك علىٰ عثمان فقال: نعم. فعاد عبد الرحمن إلىٰ عليّ فأعاد عليٌ قوله. فعل ذلك عبد الرحمن ثلاث مرات، فلمّا رأىٰ أن علياً غير راجع عمّا قاله وأن عثمان ينعم له بالاجابة[1] صفق علىٰ يد عثمان وقال له: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقال علي (عليه السلام) لعبد الرحمن: والله ما فعلتها إلاّ لأنك رجوت منه ما رجىٰ صاحبكما من صاحبه. ثم دعىٰ عليه وقال: «دقّ الله بينكما عطر منشم».

أشار (عليه السلام) إلىٰ سبب تقديم عبد الرحمن عثمان علىٰ علي (عليه السلام)، وذكر أن السبب في بيعة عبد الرحمن لعثمان كالسبب في بيعة عمر لأبي بكر، أي كما أن عمر بايع أبا بكر يوم السقيفة ليرد أبو بكر الخلافة إلىٰ عمر وقد فعل، كذلك كان يرجو عبد الرحمن من عثمان أن يرد الخلافة إليه عند موته، فدعىٰ عليهما أن يفسد ما بينهما، لان مِنشم ـ بكسر الميم ـ اسم امرأة عطّارة بمكة، وكانت خزاعة وجرهم إذا أرادوا القتال تطيّبوا من طيبها، وكانوا إذا فعلوا

(١) ولكنه ما وفى بشرط واحد من الشروط التي فرضت عليه وتعهد بتنفيذها نعم قرّب كل طريد ومنبوذ من قبل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من بني أُمية وبني أبي معيط الذين ما آمنوا بالله طرفة عين ولا برسوله ولكنهم اظهروا الاسلام نفاقاً وأبطنوا الكفر حقيقةً ـ مثلهم كمثل جدهم أبي سفيان الذي قال لما ولِيَ عثمان الخلافة ـ قال في جمعهم الخاص تلاقفوها يا بني أُمية تلاقف الكرة بيد صبيانكم والذي يحلف به أبو سفيان، لا جنّة ولا نار وإنما هو الملك والسلطان.

ذلك كثرت القتلىٰ فيما بينهم حتىٰ صار يُضرب به المثل فيقال اشأم من عطر مِنشم.

واستجاب الله دعاء الإمام (عليه السلام) ففسد بعد ذلك بين عبد الرحمن وعثمان فلم يكلِّم أحدهما صاحبه حتّىٰ مات عبد الرحمن. وذلك لأن عثمان بنىٰ قصره (طمار) والزوراءَ، وصنع طعاماً كثيراً ودعا الناس إليه فكان فيهم عبد الرحمن، فلمّا نظر إلىٰ البناءِ والطعام قال: يا ابن عفان لقد صدقنا عليك ما كنا نكذب فيك، وإني أستعيذ بالله من بيعتك، فغضب عثمان وقال: أخرجه عني يا غلام، فأخرجوه، فأمر عثمان الناس أن لا يجالسوه.....

ولـلإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) احتجاج مفصل في يوم الشورىٰ مذكور في (كتاب الاحتجاج للطبرسي) يذكر فيه فضائله وفواضله ومناقبه وخصائصه وينشد الناس ذلك، فيحلف له الناس علىٰ صدق كلامه، وقد إشتهر بحديث المناشدة. ورعاية للاختصار لم نذكره.

هذه خلاصة يوم الشورىٰ وقد ذكرناها كما هي وكانت النتيجة أن جلس الإمام علي (عليه السلام) في داره مبعداً عن مقامه ودوره فإنا لله وإنا إليه راجعون.

* * *

بعض عوامل الثورة علىٰ عثمان

من طريق ابن المبارك عن الحسن: إنّ أبا سفيان دَخل علىٰ عثمان حين صارت الخلافة إليه فقال: صارت إليك بعد تَيم، وَعْدي، فأدرها كالكرة، واَجعل أوتادها بني أُميّة فإنّما هو الملك ولا اَدري ما جنّة ولا نار، «هذا منطق أبي سفيان ومذهبه» (الاستيعاب ج٢ ص٦٩٠).

وفي تاريخ الطبري ج١١ ص٣٥٧: [قال أبو سفيان] يا بني عبد مناف؟ تَلَقّفُوها تلقف الكرة، فما هناك جنة ولا نار.

وفي لفظ المسعودي: يا بني أُميَّة: تلقفوها تلقف الكرة، فوالذي يَحْلِفُ به أبو سفيان ما زِلتْ أرجوها لكم ولتصيرنَّ إلىٰ صبيانكم وراثة ـ (مروج الذهب ج١ ص٤٤٠).

علىٰ هذا المنهـاج وبهذا التفكير إفتتح عثمان سياسته في مملكته وجَعل شُذّاذ الأرض والمطرودين من الإسلام ممن أُهدِرَت دمائهم بأمر الرسول الأعظم من آل أُمية وبني معيط، مثل معاوية، وعبد الله بن أبي سرح، والوليد بن عقبة، وعبد الله بن عامر، وجعل مروان بن الحكم الوزغ بن الوزغ طريد رسول الله، وزيره الأول ومستشاره الأوحـد في إدارة دفـة الحكم، وتسيير شؤون الـدولة وسلّطه علىٰ رقاب المسلمين، وعلىٰ أموالهم، وعلىٰ أعراضهم.

ومن جهـة أُخـرىٰ نكّـل بأجلّاء الصحابة المؤمنين والمخلصين لمبدئهم وعقيدتهم، والحريصين علىٰ تطبيق ما جاء به الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله)، فأبدوا النصح والتوجيه والارشاد والموعظة له في بادئ الأمر إلىٰ الخليفة الجـديد عثـمان والذي عاهد الله اولاً، وأعضاء الشورىٰ علىٰ العمل بالقرآن، وتطبيق شريعة السماء، والسير علىٰ ما سار عليه السلف الصالح، سواءً في حياة

الرسول (صلّى الله عليه وآله)أو بعده،ولما لم يجدِه ذلك نفعاً، واستمر في سياسته المخـطط لها أشتـدت النقمة عليه وتوسعت حتىٰ شملت الأقطار الاسلامية: الكوفة والبصرة ومصر، من جراء استبداد حكامها العاملين الذين عينهم الخليفة عثمان، واستهتارهم بكل القيم والنواميس، وتجاهرهم بالفسق والفجور، وشرب الخمر، واشاعة الفاحشة والزنا علانيةً. بالإضافة إلىٰ إهانة الصالحين من رجالات الأُمة وفضلائهم من أجلّاء الصحابة والتابعين المجاهدين وضربهم وطردهم وقطع العطاء عنهم، ونهب أموالهم، وتسيرهم ونفيهم إلىٰ خارج البلاد، كل ذلك جعل الأُمة تنقم وتنهض، وتثور ثورة رجل واحد من شمالها إلىٰ جنوبها، ومن شرقها إلىٰ غربها، وإليك بعض تلكم الأعمال:

اقتنىٰ جماعـة من رجـال السياسـة في ذلـك الوقت، وأصحاب الفتن والثورات من جراء الفوضىٰ والتصرف بأموال المسلمين، ضياعاً عامرة، ودوراً فخمـة، وقصـوراً شاهقـة، وثـروات طائلة، من جراء تلك السيرة الأموية في الاموال، الشاذة عن الكتاب والسنة الشريفة وسيرة السلف، فجمعوا من أموال المسلمين مالاً جماً، وأكلوه اكلاً لمّاً، منهم علىٰ سبيل المثال لا الحِصر:

١ ـ الزبير بن العوام.
٢ ـ طلحة بن عبيد الله.
٣ ـ عبد الرحمن بن عوف.
٤ ـ سعد بن أبي وقاص.
٥ ـ يعلىٰ بن امية.
٦ ـ عبد الله بن أبي سرح.
٧ ـ الحكم وآل الحكم.
٨ ـ آل أبي معيط.
٩ ـ زيد بن ثابت.

١٠ ـ أبو سفيان صخر بن حرب.

وأما مروان بن الحكم طريد رسول الله، والوزغ بن الوزغ، فحدّث عنه ولا حرج حيث مَكّنهُ عثمان من بيت مال المسلمين، فسيطر عليه، وأخذ يتلاعب به حيثما شاء، ويوزع الاموال على هذا وذاك، ومنهم هؤلاء العشرة الذين ذكرناهم آنفاً ـ طبعاً، كان بأمر الخليفة عثمان ـ، وهو الذي استولى على فدك وهي ملك ونحلة الزهراء (عليها السلام) من أبيها (صلّى الله عليه وآله)، كما كانت تجبى إلى مروان واردات خمس افريقيا، ولم يكتفِ بذلك، بل أخذ من بيت مال المسلمين ٥٠٠,٠٠٠ خمسمائة إلف دينار ذهباً وغيرها، وكل ذلك بأمر أو موافقة عثمان والادْهى من ذلك صار هو الذي يسير دَفّةِ الحكم ويتحكم في سياسة الدولة الأموية ـ ولا أقول الخلافة ـ.

أما عثمان نفسه فقد تملك وتصرف في بيت مال المسلمين تصرف المالك المطلق حيث أخذ لنفسه ما شاء، ووهب لمن يشاء ـ حتى أصبحت حياته تساوي حياة الملوك في البذخ والترف والإسراف ـ وبنى القصور الشاهقة، وامتلك المزارع والاطيان، وادّخر الذهب والفضة، والخيل والابل والغنم وغيرها.

وقد بلغ ما وزع من الأموال على أقربائه، واصحابه، وحواشيه الذين يدورون في فلكه زمن حكمه ٤,٣١٠,٠٠٠ أربعة ملايين وثلثمائة وعشرة آلاف دينار ذهب، بالإضافة إلى ١٢٦,٦٧٠,٠٠٠ مائة وستة وعشرين مليون درهماً، وستمائة وسبعين ألف درهم فضة ـ وإليك تفصيل ذلك حسب ما وصل إلينا:

دينار ذهب		درهم فضة	
٥٠٠٠٠٠	مروان بن الحكم	٣٠٠٠٠٠٠٠	طلحة بن عبيد الله
١٠٠٠٠٠	عبد الله بن أبي سرح	٢٢٠٠٠٠٠	= = =

٢٠٠٠٠٠	طلحة بن عبيد الله	٥٩٨٠٠٠٠٠	الزبير بن العوام
٢٥٦٠٠٠٠	عبد الرحمن بن عوف	٣٠٥٠٠٠٠٠	عثمان بن عفان نفسه
٥٠٠٠٠٠	يعلى بن أمية	٢٠٢٠٠٠٠	آل الحكم
١٠٠٠٠٠	زيد بن ثابت	٢٠٠٠٠٠	الحكم نفسه
١٥٠٠٠٠	عثمان بن عفان	٦٠٠٠٠٠	عبد الله بن أبي سرح
٢٠٠٠٠٠	= = =	٣٠٠٠٠٠	= = =
		٢٠٠٠٠٠	أبو سفيان
		١٠٠٠٠٠	مروان بن الحكم
		٣٠٠٠٠٠	الحارث
		١٠٠٠٠٠	سعيد
		١٠٠٠٠٠	الوليد
		٢٥٠٠٠٠	سعد بن أبي وقاص

٤٣١٠٠٠٠ أربعة ملايين وثلثمائة وعشرة الآف ديناراً ذهب.

١٢٦٦٧٠٠٠٠ مائة وستة وعشرون مليوناً وستمائة وسبعين درهماً.

وكانت تركة كل واحد من هؤلاء أموالاً طائلة من الذهب والفضة، وعقاراً وأملاكاً من بساتين وغيرها، كما ترك من الخيل، والابل، والغنم الشيء الكثير الكثير تجد تفاصيل ذلك في الجزء الثاني والثالث من كتابنا (علي في الكتاب والسنّة) في فصل ـ العوامل التي أدت إلى الثورة على عثمان ومقتله ـ.

تأمل بإمعان ولاتنس قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) يصف فيها عثمان في خطبته الشقشقية حيث قال (عليه السلام):

«إلىٰ أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيهِ بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع إلىٰ أن إنتكث فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته».

وقوله بعد أن رجَعت إليه الخلافة:

«ألا إنّ كل قطعةٍ أقطعها عثمان، وكل مالٍ أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال...» إلىٰ آخر كلامه.

هنا يطرح هذا السؤال نفسه من عثمان عن عِلّة حصر هذه الأثرة بأقربائه وحاشيته المقربين، ومن جرىٰ مجراهم من أهل النفوذ وزبانيته، هل جعلت وخصّصت هذه الأموال لهم فقط؟ أو إن شريعة السماء خصتهم بها ومنعت العطاء والصدقات عن الصلحاء الابرار من صحابة الرسول (صلّى الله عليه وآله) الذين بذلوا كل غالٍ ونفيس لتثبيت قواعد الإسلام، كأبي ذر، وعمار، وابن مسعود وغيرهم؟ وهل كتب عليهم أن يعيشوا الحرمان، ويقاسوا الشدّة، ويعانوا من البلاء الذي حصل لهم في زمن حكم الخلفاء وخاصة عثمان؟ بالإضافة إلىٰ ذلك المنع فقد تعرضوا لانواع العنت وهتك الحرمات، والإهانات، والضرب والتشريد، والنفي؟. وهذا سيدهم شاهد علىٰ ذلك وهو القائل: «إن بني أُمية ليفوقونني تراث محمد (صلّى الله عليه وآله) تفويقاً»[1] أي يعطوني من مال الله النزر اليسير أو أقل من القليل كفواق الناقة.

من أجل ما تقدم من سوء أعمال عثمان وتصرف ولاته غَضِبَتْ الأمة وثارت لتأخذ ثأرها لإجلاء الصحابة الذي ظُلِمُوا أمثال أبي ذر وعبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر، وغيرهم من أتقياء الأمة وصلحائها، ممن انتقدوه ونصحوه بالعدول عن سوء أعماله، وعزل ولاة السوء من أقربائه من بني أُمية مثل معاوية

(١) نهج البلاغة ج١ ص١٢٦.

عن الشام، وعبد الله بن أبي سرح أخاه من الرضاعة عن مصر، والوليد بن عقبة بن أبي معيط عن الكوفة الذي جاهر بالفسق والفجور وصلّىٰ بالناس صلاة الفجر أربع ركعات وهو سكران بل والتفت إلىٰ المصلين وقال لهم: هل أزيدكم؟، وعبد الله بن عامر ابن خاله الفاسق الفاجر الذي أمسِك وهو مُتلبس بالزنا في امرأة ذات بعل بالبصرة وغيرهم ممن يدور في فلكهم، مما ضاقت الأمة الإسلامية وضجت من تصرفاته وتصرفات ولاته فهبت ثائرة بوجهه عن بَكرة أبيها، وزحفت علىٰ المدينة غاضبة بوجه الخليفة عثمان وأعماله المنحرفة.

ومما نقموا عليه ضربه عمار بن ياسر ضرباً شديداً برجليه وهما في الخف علىٰ بطنه حتّىٰ أحدث لعمار فتقاً في بطنه وأُغمي عليه وما زال مغمىً عليه حتّىٰ فاتته صلاة الظهر والعصر والمغرب، كما أمر بتسفير أبي ذر الغفاري إلىٰ الشام، ولمّا انتقد معاوية وأعماله وخاف الثورة عليه أمره بإرجاعه إلىٰ المدينة علىٰ أخشن مركب، فساروا به سيراً حثيثاً، ليلاً ونهاراً، بلا نزول ولا راحة. ولا نوم، وهو شيخ طاعن بالسن وضعيف البدن، فلمّا وصل المدينة تناثر لحم فخذيه ورجليه، وبعد الإهانة والكلام الخشن البذيء أمر بتسفيره إلىٰ الربذة المنطقة الجافة الرديئة، من غير زرع ولا كلاء ولا ماء، بين الجبال الصخرية السوداء حتىٰ مات فيها وحيداً غريباً عطشاً وجوعاً، وما كان معه أحد أو أنيس سوىٰ ابنته ذرة، ولم يكتفِ بذلك، بل منع أي أحدٍ من توديعه وتشيعه وتوعدهم بالعقاب. وقد شيعه الإمام أمير المؤمنين والحسن والحسين وعمّار وعقيل وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) له:

«يا أبا ذر إنّك غَضِبت لله فأرج من غضبت له، أن القوم خافوك علىٰ دنياهم وخفتهم علىٰ دينك، فاترك في أيديهم ما خافوك عليه، وأهرب منهم بما خفتهم عليه، فما أحوجهم إلىٰ ما منعتهم، وما أغناك عما منعوك، وستعلم من الرابح غداً، والأكثر حسداً، ولو أنّ السماوات والأرضين كانتا علىٰ عبدٍ رتقاً ثم

إتقىٰ الله لجعل الله له من أمره مخرجاً. [يا أبا ذر] لا يؤنسنّك إلاّ الحق، ولا يوحشنّك إلاّ الباطل، فلو قَبِلتَ دنياهم لأحبوك، ولو قرضت منها لآمنوك».

وشيعه الإمامان الحسن والحسين (عليهما السلام) وعمار بما يقارب من كلام أمير المؤمنين، فبكىٰ أبو ذر (رحمه الله)، وكان شيخاً كبيراً وقال:

رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة، إذا رأيتكم ذكرت بكم رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، مالي بالمدينة سكن ولا شجن غيركم، أني ثقلت علىٰ عثمان بالحجاز كما ثقلت علىٰ معاوية بالشام، فسيّرني إلىٰ بلد ليس لي به ناصر ولا دافع إلاّ الله، والله ما أُريد إلاّ الله صاحباً ولا أخشىٰ مع الله وحشةً.

ومنها:إحراقه المصاحف.

ومنها: ضربه الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود حتّىٰ أصبح جليس بيته، وقطعه عطاءه مدة سنتين إلىٰ أن مات، كما تقدم ذكره.

فخرج مالك الأشتر النخعي مع أهل الكوفة إلىٰ المدينة في مائتي ثائر. وقال ابن قتيبة: أقبل الأشتر مع أهل الكوفة في ألف رجل في أربع رفاق وكان امراؤهم: زيد بن صوحان العبدي، وزياد بن النضر الحارثي، وعبد الله بن الأصم العامري، وعلىٰ الجميع عمرو بن الأهثم.

وخرج حكيم بن جبلة العبدي في مائة من أهل البصرة، ولحق به بعد ذلك خمسون، فكان في مائة وخمسين وفيهم: ذريح بن عبّاد العبدي، وبشر بن شريح القيسي، وابن المحرّش ـ ابن المحترش ـ وقال ابن خلدون: وكلّهم في مثل عدد أهل مصر في أربع رايات.

وجاء أهل مصر إلىٰ المدينة، وهم أربعمائة، ويقال: خمسمائة، ويقال: سبعمائة، ويقال: ألف ثائر، وفي شرح ابن أبي الحديد: كانوا ألفين وكان فيهم: محمد بن أبي بكر، وسودان بن حمران السكوني، وميسرة ـ ويقال قتيرة ـ السكوني، وعمرو ابن حمق الخزاعي، وكان من رؤوسهم وعليهم أمراء أربعة

وهم:

ـ عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي ـ علىٰ ربع.
ـ عبد الرّحمن بن عديس أبو محمّد البلوي ـ علىٰ ربع.
ـ عروة بن شبيم بن البياع الكناني الليثي ـ علىٰ ربع.
ـ كنانة بن بشر السكوني التجيبي ـ علىٰ ربع.

وعليهم جميعاً: الغافقي بن حرب العَكّي، وكان يصلي بالناس في أيام الحصار.

وقال الطبري: كان جماع أمرهم جميعاً إلىٰ عمرو بن بديل الخزاعي، وكان من أصحاب النبي (صلّى الله عليه وآله) وإلىٰ عبد الرحمن بن عديس البلوي.

ولمّا وصلت وفود الثائرين وتم اجتماعهم في المدينة أتوا دار عثمان، ووثب معهم رجال من أهل المدينة من المهاجرين والانصار، منهم: عمار بن ياسر وكان بدرياً، ورفاعة بن رافع الانصاري، وكان بدرياً، والحجاج بن غزية، وكانت له صحبة، وعامر بن بكير، وكان بدرياً، وهو أحد بني كنانة، وغيرهم، وكانت في قلوبهم هنات من عثمان بسبب ما وقع علىٰ عبد الله بن مسعود وأبي ذر الغفاري وعمار بن ياسر. وهم قبائل هذيل، وبني زهرة، وبني غفار، وأحلافها ممن غضبت لأبي ذر، وحنقت بنو مخزوم لحال عمار بن ياسر.

وفي لفظ المسعودي: وفي الناس بنو زهرة لأجل عبد الله بن مسعود، لأنه كان من أحلاف هذيل، وبنو مخزوم، وغفار لأجل أبي ذر وأحلافهم، وثارت تيم ابن مرة مع محمد بن أبي بكر وغير هؤلاء[1].

---

(١) راجع المصادر التالية: طبقات ابن سعد طبع ليدن ج٣ ص٤٩، والانساب للبلاذري ج٥ ص٢٦ ـ ٥٩، والامامة والسياسة ج١ ص٣٤، والمعارف لابن قتيبة ص٨٤، وتاريخ الطبري ج٥ ص١١٦، ومروج الذهب ج١ ص٤٤١، والعقد الفريد ج٢ ص٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٩، والرياض النضرة ج٢ ص١٢٣ ـ ١٢٤، والكامل لابن الأثير ج٣ ص٦٦، وتاريخ ابن خلدون

ولمّا اجتمع هؤلاء جميعاً أتوا دار عثمان محتجين مطالبين بالشروط التالية لاصلاح نفسه وحاشيته:

١ ـ الأخذ بمبدأ العطاء المتساوي الذي سار عليه النبي (صلّى الله عليه وآله) دون سياسة التفضيل التي سنّها عمر والتي لا تزال.

٢ ـ تطهير الجهاز الحاكم ولا سيّما من مروان بن الحكم وبطانته المتنفذة في استغلال وتسيير دفة الحكم.

٣ ـ الوقوف بحزم تجاه أطماع قريش [وبني أُمية خاصة] واستئثارهم بالثروات والمناصب ووضع حد لها.

٤ ـ الحيلولة دون استذلال الأمراء للأهلين وامتهان كرامتهم، كما فعلوا مع أبي ذر عندما تحدّاهم وناقشهم بسلوكهم المنحرف.

٥ ـ الحد من صلاحية الولاة والأمراء في إطلاق أيديهم في التصرف بالخراج والاموال العامة.

وصلت هذا المطالب إلىٰ عثمان، ولكنه لم يفعل شيئاً تجاهها، بل تجاهلها كلياً، وترك الأحداث تتأزم وتتفاقم، وتشتعل كالنار في الهشيم.

ولمّا لم يجد الثوار أي رد فعل أو إيجابية لمطالبهم العادلة، التجأوا إلىٰ أمير المؤمنين مستنجدين به وطالبين منه التدخل لإنقاذ الموقف قبل أن يستفحل ويفلت زمام الأُمور.

وتخوف الإمام (عليه السلام) من سوء العاقبة وقبل الوساطة بعد أن استنجد عثمان به أيضاً لرد الثوار، فبادر الإمام (عليه السلام) علىٰ الفور إلىٰ

→

ج٢ ص٣٩٣ وشرح ابن أبي الحديد ج١ ص١٠٢، وتاريخ ابن كثير ج٧ ص١٧٠، ١٧٣، ١٧٤، وحياة الحيوان للدميري ج١ ص٥٣، والاصابة ج٢ ص٤١١، والصواعق المحرقة للخوارزمي ص٦٩، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٠٦ وتاريخ الخميس ج٢ ص٢٥٩، وفي كثير من المصادر التي لم نعثر عليها.

الإجتماع بعثمان فقال له:

«الناس ورائي وقد كلموني فيك ووَاللهِ ما أدري ما أقول لك وما أعرف شيئاً تجهَله، ولا أدلّك علىٰ أمرٍ لا تعرفه، إنك لتعلم ما نعلم، ما سبقناك إلىٰ شيء فنجدك عنه، ولا خلونا بشيء فنبلغكه، وما خصصنا بأمر دونك، .... فالله الله في نفسك فانك والله ما تبصر من عمىً، وما تعلم من جهل، وان الطريق لواضح بيّن».

ومما قاله (عليه السلام) لعثمان: «إن معاوية يقتطع الأُمور دونك وتعلمها فيقول للناس هذا أمر عثمان فيبلغك ولا تغير علىٰ معاوية».

ولم يسمع الإمام (عليه السلام) أي جواب شافٍ من عثمان حتّىٰ يستمر في الوساطة فتركه وخرج من داره وكان عثمان أحياناً يذعن لنصائح الإمام (عليه السلام)، ويعزم علىٰ الإصلاح ولكن سرعان ما يتعلل بمختلف الأعذار، ولا يستقر علىٰ رأي.

وحيال تردد عثمان قال له الإمام (عليه السلام):

«ما يريد عثمان أن ينصحه أحد، أتخذ بطانة غش ليس منهم أحد إلاّ وقد تسيب بطائفةٍ من الأرض يأكل خراجها ويستذل أهلها»[1].

ومن جهة أُخرىٰ كان عمر بن العاص يحرض الناس علانية علىٰ سياسة عثمان، حتّىٰ قال يصف نفسه: أنا أبو عبد الله إذا حككت قرحة[2] نكأتها، ان كنت لألقىٰ الراعي فاحرّضه علىٰ عثمان.

وهذه عائشة أول من إجترأ علىٰ عثمان وهي تخطب، وقد نشرت قميص النبي (صلّى الله عليه وآله) قائلة: هذا قميص رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لم يبل وقد أبليت سنتة.

(١) دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ج٢ ص٨٧.

(٢) وفي رواية: قرصة.

وأما طلحة والزبير فقد وصلت بهما الحالة إلىٰ إعانة الثائرين بالمال للإطاحة بعثمان، والجموع الوافدة من كل مكان، تفتحت ثائرتها ومضت في اندفاعها متنمرة غاضبة، وكان موقف الإمام (عليه السلام) من هؤلاء الثائرين، كإطفائي للحريق يبذل كل جهده لتخفيف ثائرتهم وإطفاء حريقها الملتهب.

ولمّا أشتدّ الحصار علىٰ عثمان وأيقن أن لا مفر من الثوار، أرسل بعض حواشيه ومن كان علىٰ شاكلته منهم المغيرة بن شعبة، وعمرو بن العاص، وأمثالهم، ولكن ردهم الثوار شر رد، عند ذلك إستشار مَن كان عنده في الدار، وكان منهم عبد الله بن عمر وغيره، فأشاروا عليه أن يستنجد بالإمام علي بن أبي طالب، وقالوا له ليس لهم غيره، فلما أتاه قال: يا أبا الحسن أنت هؤلاء القوم فادعهم الىٰ كتاب الله وسنة نبيه (صلّى الله عليه وآله).

قال: «نعم إن أعطيتني عهدَ الله وميثاقه علىٰ أنك تفي لهم بكل ما أضمنه عنك».

قالَ: نعم.

فأخذ عليٌّ (عليه السلام) عهدَ الله وميثاقه علىٰ أوكد ما يكون وأغلظ، وخرج إلىٰ القوم (الثوار) فقالوا: ما وراءك. قال: «لا، بل أمامي؛ تعطون كتابَ الله، وتُعتَبون من كلِّ ما سخطتم». فعرض عليهم ما بذل عثمان، فقالوا: أتضمن ذلك عنه؟ قال: «نعم» قالو: رضينا.

وأقبل وجوههم واشرافهم مع عليّ حتّىٰ دخلوا علىٰ عثمان وعاتبوه فأعتبهم من كلِّ شيء صدر منه، فقالوا: أكتب بهذا كتاباً فكتب (وهذا فحواه):

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتابٌ من عبد الله عثمان أمير المؤمنين لمن نَقِمَ عَليه من المؤمنين والمسلمين أنَّ لكم أن أعمل فيكم بكتاب الله وسنّة نبيه، (صلّى الله عليه وآله)

يعطى المحروم، ويؤمن الخائف، ويُرَدُّ المنفيّ، ولا تجمر[1] البعوث، وتوفر الفئ، وعلي بن أبي طالب ضمين المؤمنين والمسلمين علىٰ عثمان بالوفاء في هذاالكتاب.

شَهِدَ علىٰ الكتاب ووَقع عليه كلٌ من: الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن مالك بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، وزيد بن ثابت، وسهل ابن حنيف، وأبو أيوب الأنصاري وخالد بن زيد. وكتب في ذي القعدة سنة خمس وثلاثين.

فأخذ كلُّ قوم كتاباً فانصرفوا. وبعد ذلك قال علي بن أبي طالب لعثمان: «اخرج فتكلم كلاماً يسمعه الناس ويحملونه عنك واشهد الله [علىٰ] ما في قلبك، فإنَّ البلاد قد تمخضت عليك، ولا تأمن أن يأتي ركبٌ آخر من الكوفة، أو من البصرة، أو من مصر فتقول: يا علي إركب إليهم، فإن لَم أفعل قلت: قطع رحمي، واستخف بحقي».

فخرج عثمان فخطب الناس فاقرَّ بما فعل واستغفر الله منه، وقال: سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول: من زلَّ فليتب. فأنا أوَّل من اتعظ، فاذا نزلت فليأتي أشرافكم فليردوني برأيهم، فوالله لو ردَّني إلىٰ الحق عبدٌ لا تَّبعته وما عن الله مذهب إلاّ إليه.

فسرّ الناس بخطبته واجتمعوا إلىٰ بابه مبتهجين بما كان منه.

فخرج إليهم مروان فزبرهم وقال: شاهت وجوهكم ما اجتماعكم؟ أمير المؤمنين مشغول عنكم، كل إنسان آخذ باذن صاحبه، فان احتاج إلىٰ أحدٍ منكم فسيدعوه فانصرفوا.

وبلغ علياً الخبر فأتىٰ عثمان وهو مغضب فقال: «أما رضيت من مروان ولا رضىٰ منك إلاّ بفساد دينك، وخديعتك عن عقلك، مثل جمل الضعينة يقاد حيث يسار به؟ والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا في نفسه، وأيم الله إني لأراه سيوردك

(١) تجمر الجيش: تحبس في أرض العدو ولم يقفل.

ثم لا يُصدِرُك، وما أنا بعائدٍ بعد مقامي هذا لمعاتبتك».

وقبل هذا كان عليٌّ (عليه السلام)؛ قد تكلم مع المصريّين ورجّعهم إلىٰ بلادهم ورجع هو إلىٰ المدينة، فدخل مروان علىٰ عثمان وأخبره برجوع المصريين، فمكث عثمان ذلك اليوم حتّىٰ إذا كان الغد جاءه مروان فقال له: أُخرج إلىٰ المسجد وتكلّم وأعلم الناس إنّ أهل مصر قد رجعوا، وأن ما بلغهم عن إمامهم كان باطلاً، فإن خطبتك تسير في البلاد قبل أن يتحلّب الناس عليك من أمصارهم فيأتيك من لا تستطيع دفعه. فأبىٰ عثمان أن يخرج. فلم يزل به مروان حتّىٰ خرج إلىٰ المسجد فجلس علىٰ المنبر، فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال:

أما بعد: إنّ هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمرٌ فلمّا تيقنوا أنه باطل ما بلغهم عنه رجعوا إلىٰ بلادهم فناداه الناس من كل ناحية: إتّق الله يا عثمان؟ وتب إلىٰ الله. وكان أوّلهم عمرو بن العاص، قال: إتّق الله يا عثمان؟ فإنك قد ركبت نهابير وركبناها معك، فتب إلىٰ الله نتب... إلىٰ آخر ما مرّ في الجزء التاسع من كتاب الغدير ص١٣٧.

* * *

قصّة الحصار الثاني[1]

أخرج البلاذري من طريق أبي مخنف قال: لمّا شخص المصريّون بعد استلامهم صورة من الكتاب الذي كتبه عثمان [علىٰ نفسه] فصاروا بأيلة[2] أو بمنزل قبلها، رأوا راكباً خلفهم يريد مصر فقالوا له: من أنت؟ فقال: رسول أمير المؤمنين إلىٰ عبد الله بن سعد، وأنا غلام أمير المؤمنين، وكان أسود اللّون، فقال بعضهم لبعض: لو أنزلناه وفتشناه ألّا يكون صاحبه قد كتب فينا شيئاً. ففعلوا فلم يجدوا معه شيئاً، فقال بعضهم لبعض: خلّوا سبيله، فقال كنانة بن بشير: أما والله دون أن أنظر في أدواته فلا. فقالوا: سبحان الله أيكون كتاب في ماء؟ فقال: إنّ للناس حيلاً. ثم حَلّ الأداوة فإذا فيها قارورةٌ مختومةٌ (أو قال: مضمومة) في جوف القارورة كتاب في أنبوب من رصاص فأخرجه فقرئ فإذا فيه:

أما بعد: فإذا قدم عليك عمرو بن بديل فأضرب عنقه، وأقطع يدي ابن عُديس، وكنانة، وعروة، ثم دعهم يتشحطون في دمائهم حتّىٰ يموتوا، ثم أوثقهم علىٰ جذوع النخل.

ويقال: إنّ مروان كتب الكتاب بغير علم عثمان كما علموا أن الخط كان

---

(١) مصادر قصة الحصار الثاني: الانساب للبلاذري ج٥ ص٢٦، ٦٩، ٩٥، الإمامة والسياسة ج١ ص٣٣ ـ ٣٧ ، المعارف لإبن قتيبة ص٨٤، العقد الفريد ج٢ ص٢٦٣، تاريخ الطبري ج٥ ص١١٩ ـ ١٢٠، الرياض النضرة ج٢ ص١٢٣ ـ ١٢٥، الكامل لابن الأثير ج٣ ص٧٠ ـ ٧١، شرح ابن أبي الحديد ج١ص١٦٥ ـ ١٦٦، تاريخ ابن خلدون ج٢ ص٣٩٧، تاريخ ابن كثير ج٧ ص ١٧٢ و١٧٤ و١٨٦ ـ ١٨٩ حياة الحيوان للدميري ج١ ص٢٥٣، الصواعق المحرقة ص٦٩، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٠٦/ ١٠٧، السيرة الحلبية ج٢ ص٨٤، ٨٦، ٨٧، تاريخ الخميس ج٢ ص٢٥٩، واللفظ للبلاذري والطبري فراجع.

(٢) أيلة بالفتح: مدينة علىٰ ساحل بحر القلزم ممّا يلي الشام. وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام.

خط مروان، فلما عرفوا ما في الكتاب، قالوا: عُثمان محلٌّ، ثم رجعوا عودهم علىٰ بدئهم حتىٰ دخلوا المدينة فلقوا علياً (عليه السلام) بالكتاب، وكان خاتمه من رصاص، فدخل به عليٌّ علىٰ عثمان فحلفَ بالله ما هو كتابه ولا يعرفهُ، وقال: أمّا الخطّ فخطُّ كاتبي، وأما الخاتم فعلىٰ خاتمي، قال عليّ: «فمن تتهَّم»؟ قال: أتهَّمك وأتهّم كاتبي، فخرج عليٌّ مغضباً وهو يقول: «بل هو أمرك».

قال أبو مخنف: وكان خاتم عثمان بدءاً عند حمران بن أبان، ثم أخذه مروان حين شخص حمران إلىٰ البصرة فكان معه:

وجاء المصريّون إلىٰ دار عثمان فاحدقوا بها وقالوا لعثمان وقد اشرف عليهم يا عثمان؟ أهذا كتابك؟ فجحد وحلف. فقالوا: هذا شرّ، يكتب عنك بما لا تعلم، ما مثلك يلي أُمور المسلمين، فاختلع من الخلافة. فقال: ما كنت لِأنزع قميصاً قمصنيه الله، أو قال: سربلنيه الله.

أخرج الطبري من طريق عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: كتب أهل المدينة إلىٰ عثمان يدعونه إلىٰ التوبة، بعد أن واجههم مروان بتلك الخشونة، والمصريون لا يزالون في طريق عودتهم إلىٰ المدينة بعد عثورهم علىٰ الكتاب الموجه إلىٰ والي عثمان في مصر، يحتجون ويقسمون له بالله لا يمسكون عنه أبداً حتىٰ يقتلوه، أو يعطيهم ما يلزمهم من حق الله، فلمّا خاف القتل شاور نصحاءه وأهل بيته، فأشاروا عليه أن يرسل إلىٰ عليّ بن أبي طالب، فيطلب منه أن يردهم عنه ويعطيهم ما يرضيهم، ليطاولهم حتّىٰ يأتيه الإمداد، فأخذ عليٌّ عليه في الكتاب أعظم المواثيق ما أخذ الله علىٰ أحدٍ من خلقه من عهدٍ وميثاق، وأشهد عليه ناساً من وجوه المهاجرين والأنصار، فأمهله ثلاثة أيام ليفي بما عاهد الله عليه، فكفَّ المسلمون عنه ورجعوا لأجله فلم يفِ لهم بما أعطاهم من نفسه، بل العكس فعل فجعل يتأهب للقتال ويستعدّ بالسلاح، وقد كان إتخذ جنداً عظيماً من رقيق الخمس.

فلمّا مضت الأيام الثلاثة وهو علىٰ حاله لم يغيِّر شيئاً مما كرهوه، ولم يعزل

عاملاً، ثار به الناس، وخرج عمرو بن حزم الأنصاري حتىٰ أتىٰ المصريين وهم بذي خشب ـ قرب المدينة ـ فأخبرهم الخبر وسار معهم حتىٰ قدموا المدينة، فحاصروا دار عثمان، ومنعوه الماء فأشرف عثمان علىٰ الناس فقال: أفيكم علي؟ فقالوا: لا. فقال: أفيكم سعد؟ فقالوا: لا. فسكت، ثم قال ألا أحد يبلِّغ علياً فيسقينا ماء؟ فلبغ ذلك علياً فبعث إليه بثلاث قرب مملوَّة ماء، فما كادت تصل إليه وجرح بسببها عدَّة من موالي بني هاشم وبني أُميَّة حتّىٰ وصلت القرب إلىٰ داره.

وأخرج الطبري من طريق عثمان بن محمد الأخنسي قال: كان حصر عثمان قبل (رجوع) قدوم أهل مصر، فقدم أهل مصر يوم الجمعة وقتلوه في الجمعة الأخرىٰ[1].

وفي رواية الطبري من طريق أبي حفصة مولىٰ مروان، قال: لمّا حُصِرَ عثمان شمّرت معه بنو أُمية، ودخل معه مروان بن الحكم الدار، فكنت معه في الدار، فأنا والله أنشبت القتال بين الناس، رمَيت من فوق الدار رجلاً من أسلم فقتلته، وهو نيار الأسلمي، فنشب القتال، ثم نزلت فاقتتل الناس علىٰ الباب، فأرسلوا إلىٰ عثمان أن مكنا من قاتله قال: والله ما أعرف له قاتلاً. فباتوا ينحرفون علينا ليلة الجمعة بمثل النيران، فلمّا أصبحوا غدوا فأوّل من طلع علينا كنانة بن عتاب في يده شعلة من نار علىٰ ظهر سطوحنا قد فتح له من دار آل حزم، ثم دخلت الشعل علىٰ أثره تنضح بالنفط، فقاتلناهم ساعة علىٰ الخشب وقد اضطرم الخشب، فأسمع عثمان يقول لأصحابه: ما بعد الحريق شيء قد احترق الخشب واحترقت الأبواب ومن كانت لي عليه طاعة فليمسك داره، ثم خرج مروان وخرجت معه اذبُّ عنه ونحن قليل.

وقال أبو بكر بن الحارث: كأنّي انظر إلىٰ عبد الرحمن بن عديس البلوي

---

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص١٣٢.

وهـو مسند ظهره إلىٰ جدار المسجد، وعثمان محصور فخرج مروان فقال: من يبارز؟ فقال بن عديس لفلان بن عروة: قم إلىٰ هذا الرجل. فقام إليه غلام شابٌّ طوال فأخذ رفيف الدرع ففرزه في منطقته فأعور له عن ساقه فأهوا له مروان وضربه عروة علىٰ عاتقه، فكأني أنظر إليه حين استدار مروان وقام إليه عبيد بن رفاعة الزرقي ليدفف[1]، فقامت إليه أمه التي أرضعته، وهي فاطمة الثقفية، وهي جدة إبراهيم ابن العربي صاحب اليمامة، فقالت: إن كنت تريد قتله؟ فقد قتلته، فما تصنع بلحمه أن تبضعه؟ فأستحىٰ عبيدة بن رفاعة منها فتركه، فأخذته إلىٰ دار قريبة فعالجته.

ومن طريق حسين بن عيسىٰ عن أبيه ملخصاً قال: لما مضت الأيام طافوا بدار عثمان، وأبىٰ إلا الإقامة علىٰ أمره فأرسل إلىٰ حشمه وخاصته فجمعهم ـ للدفاع عنه ـ، فقام رجل من الثوار وكان صحابياً يقال له: نيار بن عياض، وكان شيخاً كبيراً فنادىٰ: يا عثمان؟ فأشرف عليه من أعلىٰ داره فناشده الله وذكره الله لما أعتزلهم، فبينا هو يراجعه الكلام إذ رماه رجل من أصحاب عثمان فقتله بسهم، وزعموا أنّ الذي رماه كثير بن الصلت الكندي فقالوا لعثمان عند ذلك: إدفع إلينا قاتل نيار بن عياض فلنقتله به. فقال: لم أكن لأقتل رجلاً نصرني وأنتم تريدون قتلي، فلمّا رأوا ذلك ثاروا إلىٰ بابه فاحرقوه، وخرج عليهم مروان بن الحكم من دار عثمان في عصابة، وخرج سعيد بن العاص في عصابة، وخرج المغيرة بن الأخنس الثقفي في عصابة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكان الذي حداهم علىٰ القتال أنه بلغهم أن مدداً من أهل البصرة قد نزلوا صراراً وهي من المدينة علىٰ ليلة، وأن أهل الشام قد توجّهوا مقبلين [لنصرة عثمان] [فخرجوا من الدار] وقاتلوهم قتالاً شديداً علىٰ باب الدار، فحمل المغيرة بن الأخنس الثقفي علىٰ القوم ـ الثائرين ـ وهو يرتجز:

(١) ليدفف: يجهز عليه بالسيف.

قد علمـت جارية عطبـول
لها وشـاح ولهـا حجـول
أني بنـصـل السـيف خنـشـليلُ

فحمل عليه عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي وهو يرتجز ويقول:

إن تكُ بالسـيف كما تقـولُ
فاثـبـت لقـرنٍ ماجـدٍ يصـولُ
بمـشـرفي حدُّهُ مصـقـولُ

فضربه عبد الله وقتله، وحمل رفاعة بن رافع الانصاري ثم الزرقىٰ ـ وهم من الثوار ـ علىٰ مروان بن الحكم فضربه فصرعه، فنزع عنه وهو يرىٰ أنّه قد قتله، وجرح عروة بن شييم البياع الليثي[1] وانهزم القوم حتّىٰ لجأوا إلىٰ القصر فاعتصموا ببابه، فاقتتلوا عليه قتالاً شديداً فقتل في المعركة علىٰ الباب زياد بن نعيم الفهري في ناس من أصحاب عثمان، فلم يزل الناس [الثوار وأصحاب عثمان] يقتتلون حتّىٰ فتح عمرو بن حزم الأنصاري باب داره، وهو إلىٰ جنب دار عثمان بن عفان، ثم نادىٰ الناس، فاقبلوا عليهم من داره فقاتلوهم في جوف الدار حتّىٰ انهزموا، فخلىٰ لهم عن باب الدار فخرجوا هُرّاباً في طريق المدينة، وتركوا عثمان في أُناس من أهل بيته، فَقُتِلوُا مع عثمان[2] وفرَّ خالد بن عقبة بن أبي معيط أخو الوليد يوم الدار.

ومن الدلائل الواضحة كما مر عليك، علىٰ أنه لم يكن مع عثمان من يدافع عنـه غير الأمـويين ومـواليهم وحشـالة ممن كان ينسج علىٰ منوالهم تجاه هياج

(١) في رواية الطبري في تاريخه ج٥ ص١٣٣ ـ ١٩٨، وفي رواية ابن سعد في طبقاته.
(٢) تاريخ الطبري ج٥ ص١٢٢ ـ ١٢٥، والكامل لابن الأثير ج٣ ص٧٣ ـ ٧٤.

المهاجرين والأنصار، فقتل من أولئك من قتل، وتفرق شذاذ منهم هاربين في أزقة المدينة وطرقاتها، فلم يبق إلا عثمان وأهله حتّىٰ انتهت إليه نوبة القتل من دون أيّ مدافعٍ عنه. وقد اشترك في قتله عدد من الثوار منهم كنانة بن بشر ابن عتاب، وسودان بن حمران، وعمرو بن حمق، ومحمد بن أبي بكر وغيرهم.

وأخرج البلاذري من طريق ابن سيرين قال: جاء ابن بديل إلىٰ عثمان ـ وكان معه السيف وهو يقول: لأقتلنه، فدخل علىٰ عثمان فضربه ضربة لا أدري ما أخذت منه[*]

وأخيراً نظرة في أحاديث الحصارين.

أول ما يلفت النظر من الأحاديث التي مرت عليك هو أنّ المُجهِزين علىٰ عثمان هم المهاجرون والأنصار من الصحابة «ولم يشذ عنهم الأربعة». وهم الذين اصفقوا مع أهل مصر والكوفة والبصرة علىٰ مقت الخليفة وقتله بعد أن اعيتهم الحيل، واعوزهم السعي في إستتابته، واكفائه عن الأحداث، ونزوعه عما هو عليه من الجرائم، وإنّ في المقبلين من تلكم البلاد من عظماء الصحابة، ومن رجال الفضيلة والفقه والتقىٰ من التابعين جماعات لا يستهان بعدتهم ولا يغمز في دينهم، وهم رؤساء هاتيك الجماهير والمؤلبين لهم علىٰ عثمان.

(*) راجع المصادر التالية: طبقات ابن سعد ج٣ ص٥١، أنساب البلاذري ج٥ ص٧٢، ٨٢، ٨٣، ٩٢، ٩٧، ٩٨، والامامة والسياسة ج١ ص٣٩، تاريخ الطبري ج٥ ص١٢٥، ١٣١، ١٣٢، العقد الفريد ج٢ ص٢٧٠، مروج الذهب ج١ ص٤٤٢، الاستيعاب ج٢ ص٤٧٧ ـ ٤٧٨، تاريخ ابن عساكر ج٤ ص٣٧٢، الكامل لابن الأثير ج٣ ص٧٢ ـ ٧٥، شرح ابن أبي الحديد ج١ ص١٦٦، ١٦٨، تاريخ ابن خلدون ج٢ ص٤٠١، تاريخ أبي الفداء ج١ ص١٧٠، تاريخ ابن كثير ج٧ ص١٨٤ ـ ١٨٨، حياة الحيوان للدميري ج١ ص٥٤، مجمع الزوائد ج٧ ص٢٣٢، تاريخ الخميس ج٢ ص٢٦٣ السيرة الحلبية ج٢ ص٨٥، الاصابة ج٢ ص٢١٥، ازالة الخفاء ج٢ ص٢٣٩ ـ ٢٤٢.

«فمن الكوفيين».

١ ـ زيد الخير، له ادراكٌ، اثنىٰ عليه النبي الأعظم (صلّى الله عليه وآله)، وإنه من الخيار الأبرار.

٢ ـ مالك بن الحارث الأشتر، له ادراكٌ، وله مواقف إسلامية عظيمة تدّل علىٰ فضله وموقفه من الإيمان، ومبلغه من الثقة والصلاح.

٣ ـ كعب بن عبدة النهدي، وقد سمعت عن البلاذري إنّهُ كان ناسكاً.

٤ ـ زياد بن النظر الحارثي، له ادراكٌ.

٥ ـ عمرو بن الأهتم، صحابيٌ خطيب بليغ شريف في قومه، ترجمه ابن عبد البر في (الإستيعاب) وابن الأثير في (أسد الغابة) وابن حجر في (الاصابة).

«وفي المصريين».

٦ ـ عمرو بن الحمق الخزاعي، صحب النبي وحفظ عنه أحاديث، وحظي بدعائه (صلّى الله عليه وآله) له.

٧ ـ عمرو بن بديل الخزاعي، صحابيٌ عادلٌ مترجم في معاجم الصحابة.

٨ ـ عبد الله بن بديل الخزاعي: قال أبو عمر: كان سيد خزاعة، وخزاعة عيبة رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، شهد حنيناً والطائف وتبوك، وكان له قدر وجلالة، وكان من وجوه الصحابة. راجع الاستيعاب، وأُسد الغابة، والإصابة.

٩ ـ عبد الرحمن بن عديس البلوي، صحب النبي (صلّى الله عليه وآله) وسمع منه، وكان ممن بايع تحت الشجرة من الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه.

١٠ ـ محمد بن أبي بكر، وحسبك فيه ما في الاستيعاب والإصابة من إن علياً (عليه السلام) كان يثني عليه ويفضله، وكانت له عبادة واجتهاد، وكان من أفضل أهل زمانه.

«ورئيس البصريين».

١١ ـ حكيم بن جبلة العبدي، قال أبو عمر في (الاستيعاب): أدرك النبي

(صلّى الله عليه وآله) وكان رجلاً صالحاً له دين، مطاع في قومه، وقال المسعودي في مروج الذهب ج٢ ص٧: كان من سادات عبد قيس وزهادها ونساكها، واثنىٰ عليه أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله كما في الكامل ج٣ ص٩٦.

دعـا حكـيم دعـوة سمـيعـة نال بها المـنـزلـة الـرفـيعـة
يا لهف ما نفـسـي علىٰ ربـيعـة ربـيعـة الـسـامعـة المـطيعـة
قد سبـقـتـني فيهـم الـوقـيعـة

وان ما جرىٰ في غضون تلكم المعامع، وتضاعف ذلكَ الحِوار، من أخذٍ وردّ وهتافٍ وقول، (أيام الثورة علىٰ عثمان) كلّها تنمّ عن صلاح القوم وتقواهم، وانهم لم يغضبوا إلاّ لله، ولا دَعوا إلاّ إلىٰ أمره، ولا نهضوا إلاّ لإقامة الأمت والعِوَج، وتقويم دين الله، وتنزيهه عن المعرّات والأحداث، ولم يجلبهم إلىٰ ذلك الموقف مطمعٌ في إمارة، أو نزع إلىٰ حكم، أو هوىً في مال، ولذلك كان يرضيهم كلّما يبديه الخليفة من النزول علىٰ مطالبهم والنزوع عن أحداثه، والإنابة إلىٰ الله مما نقموا به عليه، غير أنه كان يثيرهم في الآونة بعد الأُخرىٰ ما كانوا يشاهدونه من المقام علىٰ الهنات ونقض العهد مرَّة بعد أُخرىٰ حتىٰ إذا تأكدوا إلىٰ إنّ الرجل غير منكفئ عما كان يقترفه، ولا مطمئن عما يفعله، فاطمأنوا إلىٰ بقاء التكليف عليهم بالوثوب، فوقفوا لإزالة ما رأوه منكراً ذلك الموقف الشديد حتىٰ قضي من الأمر، ما كان مقدوراً، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

* * *

ومما نقـم علىٰ عثمـان

نقم النـاس علىٰ عثمان أشياء كثيرة أحدثها وابتدعها في مدة خلافته البالغة إحدىٰ عشرة سنة وأحد عشر شهراً، فضاقوا بها ذرعاً، وثاروا عليه بعد أحداث ومجادلات كثيرة مرّ ذكرها أدّت إلىٰ مقتله، ولعلَّ من أهم تلك الأسباب سوء تصرفه في إدارة أمور البلاد الإسلامية، وتوليته أعداء الإسلام من المنبوذين والمنفيين من أبنـاء عشيرته وتسليطهم علىٰ دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم بصورة مستهترة مفجعة.

تزوج عثمان بن عفان أُم كلثوم بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله فماتت قبل أن يدخل بها.

فلما ساروا إلىٰ بدر، زوجه صلّى الله عليه وآله مكانها أُختها رقية، فولدت له عبدالله صبياً لم يتجاوز ست سنوات، وكان ديك نقره علىٰ عينه فمات.

روي في البحار عن صاحب كتاب الخرائج عن محمد بن عبد الحميد، عن عاصم بن حميد، عن يزيد بن خليفة قال: كنت عند أبي عبدالله الصادق عليه السلام قاعداً، فسأله رجل من القميين أتصلّي النساء علىٰ الجنائز؟ فقال: إن المغيرة بن أبي العاص ادّعىٰ أنّه رمي رسول الله صلّى الله عليه وآله فكسر رباعيتّه وشقّ شفتيه، وكذب وادّعىٰ أنّه قتل حمزة وكذب، فلمّا كان يوم الخندق ضرب علىٰ أُذنيه فنام فلم يستيقظ حتّىٰ أصبح فخشي أن يؤخذ فتنكّر وتقنّع بثوبه وجاء إلىٰ منزل عثمان يطلبه وتسمىٰ باسم رجل من بني سليم كان يجلب إلىٰ عثـمان الخيل والغنم والسمن، فجـاء عثمان فأدخله منزله وقال: ويحك ما صنعت، ادّعيت أنّك رميت رسول الله، وادّعيت أنّك شققت شفتيه، وكسرت

رباعيته، وادّعيت أنّك قتلت حمزة، وأخبره بما لقي وأنّه ضرب علىٰ أُذنه، فلمّا سمعت ابنة النبي صلّى الله عليه وآله بما صنع بأبيها وعمّها صاحت فأسكتها عثمان ثمّ خرج عثمان إلىٰ رسول الله وهو جالس في المسجد فاستقبله بوجهه وقال: يا رسول الله إنّك آمنت عمّي المغيرة فكذب فصرف عنه رسول الله صلّى الله عليه وآله وجهه ثمّ استقبله من الجانب الآخر فقال: يا رسول الله إنّك آمنت عمّي المغيرة فكذب فصرف رسول الله صلّى الله عليه وآله وجهه عنه ثمّ قال: آمنّاه وأجّلناه ثلاثاً، فلعن الله من أعطاه راحلة أو رحلاً أو قتباً أو سقاء أو قربة أو دلواً أو خفّاً أو نعلاً أو زاداً أو ماء، قال عاصم: هذه عشرة أشياء فأعطاها كلّها إيّاه عثمان، فخرج فسار علىٰ ناقته فنقبت ثمّ مشىٰ في خفيّه فنقبا، ثمّ مشىٰ في نعليه فنقبتا ثمّ مشىٰ علىٰ رجليه فنقبتا ثمّ مشىٰ علىٰ ركبيته فنقبتا، فأتىٰ شجرة فجلس تحتها فجاء الملك فأخبر رسول الله صلّى الله عليه وآله بمكانه فبعث إليه رسول الله صلّى الله عليه وآله زيداً والزبير فقال لهما: أنتياه فهو في مكان كذا وكذا فاقتلاه، فلمّا أتياه قال زيد للزبير: إنّه ادّعىٰ أنّه قتل أخي وقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله آخىٰ بين حمزة وزيداً فاتركني أقتله، فتركه الزبير فقتله، فرجع عثمان من عند النبي صلّى الله عليه وآله فقال لأمرأته: إنّك أرسلت إلىٰ أبيكِ فأعلمته بمكان عمّي فحلفت له بالله ما فعلت فلم يصدّقها فأخذ خشبة القتب فضربها ضرباً مبرحاً، فأرسلت إلىٰ أبيها تشكو ذلك وتخبره بما صنع، فأرسل إليها أنّي لأستحي للمرأة أن لا تزال تجرّ ذيولها تشكو زوجها، فأرسلت إليه أنّه قد قتلني، فقال لعليّ: خذ السيف ثمّ ائت بنت عمّك فخذ بيدها. فمن حال بينك وبينها فاضربه بالسيف، فدخل عليّ فأخذ بيدها، فجاء بها إلىٰ النبي صلّى الله عليه وآله فأرته ظهرها، فقال أبوها: قتلها قتله الله، فمكثت يوماً وماتت في الثاني، واجتمع الناس للصلاة عليها، فخرج رسول الله صلّى الله عليه وآله من بيته وعثمان جالس مع القوم فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: من ألمّ

جاريته الليلة فلا يشهد جنازتها، قالها مرّتين وهو ساكت، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ليقومنّ أو لأُسمّينّه باسمه واسم أبيه، فقام [عثمان] يتوكّأ علىٰ مهين [وخرج]، قال: فخرجت فاطمة في نسائها فصلّت علىٰ أُختها[1].

تجهيز الخليفة ودفنه

هناك روايات مختلفة وطرق متعددة في كيفية تجهيزه ودفنه، ربما استطيع أن أصور لك ملخص ما ذكره أصحاب السير والتاريخ:

أخرج ابن الجوزي، والمحب الطبري، والهيثمي من طريق عبد الله بن فروخ قال: شهدت عثمان بن عفان دفن في ثيابه ولم يُغسّل.

وقال المحب: خرّجه البخاري، والبغوي في معجمه، وذكر ابن الأثير في الكامل،.وابن أبي الحديد في الشرح: إنّه لم يُغسّل وكفن في ثيابه.

وأخرج أبو عمر في الاستيعاب من طريق مالك قال: لمّا قتل عثمان أُلقي علىٰ المزبلة ثلاثة أيام، فلما كان في الليل أتاه اثنا عشر رجلاً ، فيهم حويطب ابن عبد العزىٰ، وحكيم بن حزام، وعبد الله بن الزبير، فاحتملوه فلمّا صاروا به إلىٰ المقبرة ليدفنوا ناداهم قوم من بني مازن: والله لئن دفنتموه هنا لنخبرنّ الناس غداً، فاحتملوه وكان علىٰ باب وإنّ رأسه علىٰ الباب ليقول: (طق طق) حتىٰ صاروا به إلىٰ حِش كوكب فاحتفروا له، وكانت عائشة بنت عثمان معها مصباح في جرّة، فلما أخرجوه ليدفنوه صاحت فقال لها ابن الزبير: والله لئن لم تسكتي لأضربن الذي فيه عيناك، فسكتت فدفن من أهله.

---

(١) بحار الأنوار ج٢٢ ص١٥٨ ـ ١٥٩.

وفي رواية أُخرىٰ: أخرج الطبري من طريق أبي بشير العابدي قال: نُبِّذَ عثمان ثلاثة أيام لا يدفن، ثم إنّ حكيم بن حزام القرشي احد بني أسد بن عبد العزىٰ، وجبير بن مطعم، كلّما علياً في دفنه وطلبا إليه أن يأذن لأهله في ذلك ففعل وأذن لهم علي، فلما سُمِعَ بذلك قعدوا له في الطريق بالحجارة، وخرج به ناس من أهله وهم يريدون به حائطاً بالمدينة يقال له: حُش كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم، فلما خرج به علىٰ الناس رجموا سريره وهموا بطرحه، فبلغ ذلك علياً، فأرسل إليهم يعزم عليهم ليكفنّ عنه، ففعلوا، فأنطلق به حتىٰ دفن في حُش كوكب، فلما ظهر معاوية بن أبي سفيان علىٰ الناس أمر بهدم ذلك الحائط حتىٰ أفضىٰ به إلىٰ البقيع، فأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حول قبره حتىٰ أتصل ذلك بمقابر المسلمين.

راجع المصادر: طبقات ابن سعد ج٥ ص٥٥، أنساب البلاذري ص٨٢، ٨٦، ٩٩، الإستيعاب ج٢ ص٤٧٨، ٤٧٩، صفة الصفوة ج١ ص١١٧، الكامل لابن الأثير ج٢ ص٢٧٦، الرياض النضرة ج٢ ص١٣١ ـ ١٣٢، معجم البلدان ج٣ ص٢٨١، شرح ابن أبي الحديد ج١ ص١٦٨، تاريخ ابن كثير ج٧ ص١٩٠ ـ ١٩١ حياة الحيوان للدميري ج١ ص٥٤، وفاء الوفا للسمهوري ج٢ ص٩٩، السيرة الحلبية ج٢ ص٢٨٥، تاريخ الخميس ج٢ ص٢٦٥.

إلىٰ هنا أكتفي من مأساة الخليفة عثمان بن عفان نتيجة سوء تصرفه وانقياده إلىٰ حاشيته وبطانة السوء من أهله.

الفصل الثاني

موقف الإمام من تولي الحكم

بعد مقتل عثمان، توجهت أنظار الثوار إلىٰ الإمام علي يطلبون منه أن يلي الحكم ـ ولكنه أبىٰ عليهم ذلك، لا لأنه لم يأنس من نفسه القوة علىٰ ولاية الحكم وتحمل تبعاته، خصوصاً بعد أن رأىٰ المجتمع الإسلامي يتردىٰ في هوة عميقة من الفوارق الإجتماعية والاقتصادية، بسبب سياسة ولاة عثمان خلال مدة خلافته، ورأىٰ أن التوجيهات الإسلامية ومفاهيمها العظيمة التي عمل لها النبي (صلّى الله عليه وآله) طيلة حياته فقدت الكثير من فاعليتها في توجيه الناس، وأخذت تتضاءل بعد وفاته (صلّى الله عليه وآله).

وإنما صار الناس إلىٰ واقعهم هذا لأنهم فقدوا الثقة بالقوة الحاكمة التي تهيمن عليهم، فراحوا يسعون إلىٰ إقرار حقوقهم وصيانتها بأنفسهم، وهكذا انقطعت الصلة بينهم وبين الرموز المعنوية التي يجب أن تقود حياتهم.والسبيل إلىٰ تلافي هذا الفساد هو إشعار الناس أن حكماً صحيحاً يهيمن عليهم، لتعود إلىٰ الناس ثقتهم الزائلة بحكامهم، ولكن هذا لم يكن سهلاً قريباً، فثمة طبقات مستغلة منتفعة ناشئة لا تسيغ مثل هذا، ولذلك فهي حَرِية بأن تقف في وجه كل منهج إصلاحي ومحاولة تطهيره .

إذن فقد كان الإمام (عليه السلام) يدرك نتيجة لوعيه العميق للظروف الإجتماعية والنفسية التي كانت تجتاح المجتمع الإسلامي في ذلك الحين، ولأن المدّ الثوري الذي أنتهىٰ بالأمور إلىٰ ما انتهت إليه بالنسبة إلىٰ عثمان يقتضي عملاً ثورياً يتناول دعائم المجتمع الإسلامي من النواحي الإقتصادية والإجتماعية والسياسية .

ومن هنا كان رفض الإمام (عليه السلام) وامتناعه عن الإستجابة الفورية لضغط الجماهير والصحابة عليه بقبوله الخلافة، فقد أراد أن يضعهم أمام اختبار يكتشف به مدى استعدادهم لتحمل أسلوب الثورة في العمل، لئلا يروا فيما بعد أنه أستغفلهم واستغل إندفاعهم الثوري حين يكتشفون صعوبة الشروط التي يجب أن يناضلوا لاستئصال الفساد الذي ثاروا عليه في ظلها[1].

ولهذا أجابهم الإمام (عليه السلام) بقوله: «دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول، وإن الآفاق قد أغامت، والمحجة قد تنكرت، واعلموا إني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل، وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلّي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أمير»[2].

ولكن الناس أصروا عليه أن يلي الحكم، فاستجاب لهم.

وتسلم الإمام الحكم في مجتمع ورث الفساد، وكانت تنتظره مشاكل معقدة كثيرة على مختلف الأصعدة، فعالجهم الإمام (عليه السلام) بسياسته الثورية الجديدة التي قرر أن يتبعها من أجل تحقيق الأهداف التي قبل الحكم لأجلها.

وقد تناولت سياسته الثورية ثلاثة ميادين هي:

١ ـ الميدان الحقوقي.

٢ ـ الميدان المالي.

٣ ـ الميدان الإداري.

(١) راجع للتوسع ثورة الحسين، لمحمد مهدي شمس الدين ص٣٥ ـ ٣٨.

(٢) نهج البلاغة ج١ ص٢١٧.

مبايعة أمير المؤمنين بالخلافة

نعم، إنهال الناس عليه من كل جانب، وهم ينادون: ما نختار غيرك. وترددوا إليه مراراً، وقالوا: والله ما نحن بفاعلين حتّىٰ نبايعك.

فقال (عليه السلام): إذا كان لا بد من ذلك ففي المسجد، فإنَّ بيعتي لا تكون خفية، ولا تكون إلّا في المسجد.

فخرج من بيته إلى المسجد، عليه قيص وعمامة خز، ونعلاه في يده، متوكئاً علىٰ قوسه فصعد المنبر وخطب الناس خُطَبَةً بَلِيغَةً ثم قال: «إعلموا أنّي إن أجبتكم ركبت بكم ما أعْلَم، وَلم اصغِ إلىٰ قولِ القائِل، وعَتَبِ العَاتِبْ» ... إلخ[1].

وسارعت الأُمَّة مُذعِنَةً لشروطهِ، ومَدت إليه يد البيعة عَلىٰ الطاعةِ، ولبّى هو مطلبها ليواجه مسؤولياته القيادية في الأُمَّة الإسلامية على الصعيد الفكري والعملي.

وقد كانت أوَّلَ مَهامهِ (عليه السلام) أن يزيل صور الإنحراف المختلفة التي طرأت على الحياة الإسلامية، وان يعود بالأُمَّةِ إلى إصالة المنهج الإلهي.

وأول يدٍ بايعه من الناس، طلحة ثم الزبير وذلك طمعاً منهما أن ينالاَ الحَضوةَ لدَيهِ (عليه السلام) ويحصلا علىٰ المناصب العليا، ويكسبا الأموالَ الطائلة، كما حصلا علىٰ ذلك من عثمان أبّان حُكمه.

ثم بايعه المهاجرون، والانصار، وسائر المسلمين، حتى أن بعض اصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) تشائموا من تلك الصفقة التي هي أول يدٍ امتدت لتبايعه، لأنها كانت يد مشلولة عضباء، هي يد طلحة المشؤومة.

ولمّا أراد طلحة والزبير أن يبايعا قال لهما أمير المؤمنين: إنْ أحببتما أن

(١) نهج البلاغة نص رقم ٩٢.

تبايعاني ، وإنْ أحببتما بايعتكما ؟ فقالا : بل نبايعك .

وجاؤوا بسعد بن أبي وقاص ، فقال له علي (عليه السلام): بايع . قال : لا ، حتىٰ يبايع الناس ، والله ما عليك مني بأس . فقال الإمام: خلّوا سبيله .

وجاؤوا بعبدالله بن عمر فقالوا : بايع . فقال : لا ، حتىٰ يبايع الناس ، فقال (عليه السلام) : أتتني بكفيل . قال : لا أرىٰ كفيلاً . فقال الأشتر : دعني أضرب عنقه . فقال الإمام : دعوه ، أنا كفيله .

وكان الازدحام علىٰ الإمام بصورة مدهشة ، وكاد الناس أن يركب بعضهم البعض من شدّة الزحام ، فبويع له بالخلافة يوم الجمعة لثمانية عشر من ذي الحجّة سنة ٣٥ من الهجرة في بعض الروايات . ومن ذلك اليوم نهض عليٌّ (عليه السلام) بأعباء الخلافة .

وأول خطوة تقدّم بها الإمام (عليه السلام) إلىٰ العدالة هو تقسيم بيت المال بين المسلمين بالسوية ، وذلك في اليوم الثاني من بيعته ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنىٰ عليه ، وكان ممّا قال :

أمّا بعد ، لمّا قُبِضَ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أستخلف الناس أبا بكر ، ثمّ استخلف أبو بكر عمر ، فعمل بطريقته ، ثمّ جعلها شورىٰ بين ستّة ، فأفضىٰ الأمر إلىٰ عثمان ، فعمل ما أنكرتم وعرفتم ، ثمّ حُصِرَ ، ثمّ قُتِلَ ، ثمّ جئتموني فطلبتم إليَّ ، وإنّما أنا رجل منكم ، لي ما لكم ، وعليَّ ما عليكم .

إلىٰ آخر خطبته المعروفة .

ثم التفت يميناً وشمالاً فقال : ألا لا يقولن رجل منكم قد غمرتهم الدنيا فاتّخذوا العقار ، وفجّروا الأنهار ، وركبوا الخيول الفارهة ، واتخذوا الوصائف الروقة ، فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً إذ منعتهم ما كانوا يخوضون فيه ، وأصرتهم إلىٰ حقوقهم التي يعلمون ، فينقمون ذلك ويستنكرون ، ويقولون :

حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا .

وأيّما رجل استجاب لله ورسوله ، فصدّق ملّتنا ، ودخل في ديننا ، واستقبل قبلتنا ، فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده ، فأنتم عباد الله والمال مال الله ، يقسّم بينكم بالسوية ، لا فضل لأحدٍ على أحد وللمتّقين غداً أحسن الجزاء وأفضل الثواب .

وإذا كان غداً ـ إن شاء الله ـ فاغدوا علينا ، فإنَّ عندنا مالاً نقسّمه فيكم ، ولا يتخلفنَّ أحدٌ منكم ، عربيّ ولا عجمي ، كان من أهل العطاء أو لم يكن ، إذا كان مسلماً حرّاً إلّا حضر ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم .

وعن عمّار وابن عبّاس قالا : إنّه (عليه السلام لمّا صعد المنبر قال لنا : قوموا فتخللوا الصفوف ، ونادوا : هل من كاره ؟

فتصارخ الناس من كل جانب : اللهمّ قد رضينا وسلّمنا وأطعنا رسولك وابن عمّه .

فقال (عليه السلام) : قم يا عمار إلىٰ بيت المال فاعط الناس ، ثلاثة دنانير لكل إنسان ، وادفع لي ثلاث دنانير فمضىٰ عمار وأبو الهيثم وجماعة من المسلمين إلىٰ بيت المال . ومضىٰ أمير المؤمنين إلىٰ مسجد قباء يصلّي فيه ، فوجدوا ثلاثمائة ألف دينار ، ووجدوا الناس مائة ألف ، فقال عمّار : جاء والله الحق من ربكم ، والله ما علم بالمال ولا بالناس ، وإنَّ هذه الآية وجبت عليكم بها طاعة الرجل .

فأخذ الناس ذلك القسم : حتى بلغوا طلحة والزبير ، وعبدالله بن عمر وبنوا امية فامسكوا أيديهم وامتنعوا عن القبول ، وقالوا : هذا منكم ، أو من صاحبكم ؟

فقالوا : هذا أمره ، لا يعمل إلاّ بأمره .

قالوا : استأذنوا لنا عليه . قالوا : ما عليه إذن .

وبعد الأخذ والرد فقال (عليه السلام) وهذا كتاب الله فانظروا ما لكم من

حق فخذوه .

قالوا : فسابقتنا ، قال : انما اسبق مني ؟

قالوا : لا ، فجهادنا ، قال : أعظم من جهادي ؟ قالوا : لا .

قال : فوالله ما أنا في هذا المال واجيري إلاّ منزلةً سواء .

«المتخلفون عن بيعته»

في مروج الذهب : قعد عن بيعته [أي الإمام] جماعة عثمانية [الهوى] وجماعة لم يروا إلى الخروج من الأمر .

وفي أُسد الغابة : تخلَّف عن بيعته جماعة من الصَحَابَة ، فلم يُلزِمْهُم [الإمام] بالبيعة ، وسئل عليّ (عليه السلام) عمن تخلف عن بيعته ، فقال أولئك قعدوا عن الحق ولم ينصروا الباطل .

روى الطبري : بسنده عن عبدالله بن الحسن ، قال : بَايَعَت الأنصار عَلياً إلاّ نفراً يسيراً منهم وعَدَّهُم وقال كانوا عثمانية [الرأي والهوى] ونحن نذكر أسماء المتخلفين ، حسب ما ذكره هَؤلاءِ وَهُم :

حَسَّان بن ثابت[1] ، وكعب بن مالك وكانا شاعرين ، ومسلمة بن مخلَّد أو خالد ، وأبو سعيد الخدري ، ومحمد بن مسلمة حليف بن الأشهل ، والنعمان بن بشير ، وزيد بن ثابت ، ورافع بن خديج ، وفضالة بن عبيد ، وكعب بن عجرة ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبدالله بن عمر ، وصهيب بن سنان ، وسلمة بن وقش ، وأُسامة بن زيد ، وعبدالله بن سلام ، وقدامة بن مظعون ، والمغيرة بن شعبة الثقفي ، وهبان بن صيفي ، وعبدالله بن الحسن فيما رواه عنه الطبري في العشرة الأولىٰ انهم

(١) على رغم القاء قصيدته العصماء يوم غدير خم امام رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عندما أعلن الولاية لعلي (عليه السلام) بقوله :

يناديهم يوم الغدير نَبيهم ألا فأسمِع بالنبي منادياً ... الخ

كانوا عثمانية .

وقال : أما حسّان فكان شاعراً لا يبالي ما صنع .

وأما زيد بن ثابت فوّلاه عثمان الديوان وبيت المال ، فلما حُصِرَ عثمان قال يا معشر الأنصار كونوا انصار الله مرتين فقال أبو أيوب ما تنصره إلاّ لأنه أكثر لك من العبدان .

وأما كعب بن مالك فاستعمله عثمان على صدقة مَزِينَة وترك ما أخذ منهم له .

وقال المسعودي : وبايع إبن عمر يزيد بعد ذلك ، والحجاج لعبد الملك بن مروان .

وقال ابن الأثير : فأما النعمان بن بشير ، فإنَهُ أخذ أصابع نائلة بنت القرافصة إمرأة عثمان التي قُطعت وقميص عثمان الذي قتل فيه وهرب فلحق بالشام ، فكان معاوية يعلق قميص عثمان وفيه الأصابع فإذا رأى ذلك أهل الشام ازدادوا غيضاً وجَدُّوا في أمرهم ، ثم يرفعه اذا احسَّ منهم بفتور ، يقول له عمرو ابن العاص حَرِّك لها حِوارَها تحن ، فيعلقها .

وهرب بنو أُمية فلحقوا بمكة . وخرج طلحة والزبير من المدينة متوجهين إلىٰ مكة بعد ان استجازوا الإمام للعمرة ، فوجدا بني أُمية قد احاطوا بعائشة ولحق بهم جماعة من منافقي قريش ، ولحق بهم عبدالله بن عمر واخوه عبيدالله ، ومروان بن الحكم ، وأولاد عثمان ، وعَبيدهُ وخاصته من بني أُمية ، وكل من يبغض علياً أو يكرهه ، أو يحسده وجعلوا عائشة ملجأ لهم فيما يدبروه من كيد للإمام (عليه السلام) .

وهكذا جهزوا جيشاً بقيادة صاحبة الجمل ، وطلحة والزبير ، وزحفوا إلىٰ البصرة .

حرب الجمل

إنّ أوّل شيء كرهه بعض الناس من علي أمير المؤمنين بعد خلافته تقسيمه العطاء بالسوية، فقد قال سهل بن حنيف: يا أمير المؤمنين، هذا غلامي بالأمس، وقد اعتقته اليوم!

فقال (عليه السلام): «نعطيه كما نعطيك».

وأمر الامام (عليه السلام) أن يبدأوا في العطاء بالمهاجرين، ثم يثنون بالأنصار، ثم من حضر من الناس كلهّم، الأحمر والأسود.

وتخلف عن القسمة يومئذ طلحة، والزبير، وعبد الله بن عمر، وسعيد بن العاص، ومروان بن الحكم، ورجال من قريش، ومن هنا بدأت التفرقة، ونشب الخلاف، وتولّدت الفتنة.

وأقبل هؤلاءُ وجلسوا في ناحية من المسجد ولم يجلسوا عند الإمام (عليه السلام)، ثمَّ قام الوليد بن عقبة فجاء إلى الإمام، فقال:

يا أبا الحسن، إنّك قد وترتنا جميعاً، أمّا أنا، فقتلتَ أبي يوم بدر صبراً، وخذلت أخي يوم الدار بالأمس. وأمّا سعيد فقتلت أباه يوم بدر في الحرب، وكان ثور قريش. وأمّا مروان فَسخّت أباه عند عثمان إذ ضمّه إليه، ونحن إخوانك ونظراؤك من بني عبد مناف، ونحن نبايعك اليوم علىٰ أن تضع عنّا ما أصبناه من المال في يوم عثمان، وأن تقتل قتلة عثمان، وإنّا إنْ خفناك تركناك والتحقنا بالشام.

فقال (عليه السلام): أمّا ما ذكرتم من وتري إيّاكم فالحق وتركم؛ وأما وضعي عنكم ما أصبتم، فليس لي أن أضع حق الله عنكم ولا عن غيركم؛ وأما قتلي عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لقتلتهم أمس، ولكن لكم عليَّ إن خفتموني أن أؤمنكم، وإنْ خفتكم أن أسيّركم.

فقام الوليد إلى أصحابه فحدَّثهم، فافترقوا علىٰ إظهار العداوة وإشاعة الخلاف.

فلمّا أنهىٰ عمّار وعبد الله بن رافع وغيرهما من تقسيم المال بين الناس بالسوية أخذ عليٌّ (عليه السلام) مكتله ومسماته، ثمَّ انطلق إلى بئر الملك فعمل فيها، فأخذ الناس ذلك القسم، حتّى بلغوا الزبير وطلحة وعبد الله بن عمر فأمسكوا أيديهم، وامتنعوا عن القبول وقالوا: هذا منكم، أو من صاحبكم؟

فقالوا: هذا أمره، لا نعمل إلاّ بأمره.

وقالوا: استأذنوا لنا عليه.

قالوا: ما عليه اذن، هو في بئر الملك يعمل.

فركبوا دوابهم حتّىٰ جاؤوا إليه، فوجدوه في الشمس ومعه أجير له، فقالوا: إنّ الشمس حارّة، فارتفع معنا إلىٰ الظل. فارتفع معهم إلىٰ الظل، فقالوا له: لنا قرابة من نبي الله، وسابقة جهاد، وإنّك أعطيتنا بالسوية، ولم يكن عمر ولا عثمان يعطوننا بالسوية، كانوا يفضلوننا علىٰ غيرنا.

فقال (عليه السلام): فهذا قسم أبي بكر، وإلاّ تدعوا أبا بكر وغيره، وهذا كتاب الله فانظروا ما لكم من حق فخذوه.

قالوا: فسابقتنا.

قال: أنتما أسبق منّي؟

قالوا: لا، فقرابتنا من النبي.

قال: أقرب من قرابتي؟

قالوا: لا، فجهادنا.

قال: أعظم من جهادي؟

قالوا: لا.

قال: فوالله ما أنا في هذا المال وأجيري إلاّ منزلةً سواء.

وفي اليوم الثاني جاء طلحة، والزبير، وجلسا في ناحية المسجد، وجاء مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وجلسوا عندهما، وكان هؤلاء قد امتنعوا عن أخذ قسمتهم من بيت المال وجعلوا يطعنون في أمير المؤمنين (عليه السلام)، والتفت عمّار بن ياسر إلى أصحابه وهم جلوس عنده في ناحية أُخرىٰ من المسجد، فقال: هلموا إلى هؤلاء النفر من إخوانكم، فإنّه قد بلغنا عنهم، ورأينا ما نكره من الخلاف والطعن لإمامهم، وقد دخل أهل الجفاءِ بينهم وبين الزبير والأعسر العاق. ـ يعني طلحة ـ.

فقام عمّار ومَن معه حتّىٰ جلسوا عندهم فتكلّم أبو الهيثم وقال: إنْ لكم قدماً في الإسلام وسابقة، وقرابة من أمير المؤمنين، وقد بلغنا عنكم طعن وسخط لأمير المؤمنين، فإنْ يكن أمر لكما خاصة، فعاتبا ابن عمّتكما وإمامكما، وإنْ تكن النصيحة للمسلمين، فلا تؤخراه عنه، ونحن عون لكما، فقد علمنا أنّ بني أُميّة لن تنصحكما أبداً، وقد عرفتما عداوتهم لكما، وقد شركتما في دم عثمان وملْأتما.

فسكت الزبير، وصاح طلحة ـ بصوت عالٍ ـ: افزعوا جميعاً ممّا تقولون، فإنّي قد عرفت أنّ في كل واحدٍ منكم خطبه. فتدخل عمّار وأبدى النصيحة، وتقدّم ابن الزبير وتكلّم بكلام خشن، فأمر عمّار بإخراج ابن الزبير من المسجد، فقام الزبير منزعجاً من هذا العمل، وخرج من المسجد. فقال عمار:

ولو لم يبق أحد إلّا خالف علي بن أبي طالب لماخالفته، ولا زالت يدي مع يده، وذلك أنّ علياً لم يزل مع الحق منذ بعث الله نبيّه محمد (صلّى الله عليه وآله)، فإنّي أشهد أن لا ينبغي لأحد أن يفضّل عليه أحداً.

فقام عمار وجماعته وجاؤوا إلىٰ أمير المؤمنين، وأخبروه بإنشقاق القوم وإنّهم كرهوا الأُسوة والقسمة بالسوية، ـ إلىٰ آخر كلامهم ـ فخرج الإمام من داره ودخل المسجد وصعد المنبر وقال بعد الحمد والثناء علىٰ الله:

«يا معشر المهاجرين والأنصار: أتمنّون علىٰ الله ورسوله بإسلامكم؟ بل

الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إنْ كنتم صادقين؛ أنا أبو الحسن ـ وكان يقولها إذا غضب ـ ألا إنّ هذه الدنيا التي تتمنونها، وترغبون فيها، وأصبحت تغضبكم وترضيكم ليست بداركم ولا منزلكم الذي خلقتم له، فلا تغرنّكم. وأمّا هذا الفيء (المال) فليس لأحدٍ أثرة، فقد فرغ الله من قسمته، وهو مال الله، وأنتم عباد الله المسلمون. وهذا كتاب الله، به أقررنا وله أسلمنا، وعهد نبيّنا بين أظهرنا، فمَن لم يرض فليتول كيف شاء، فإنّ العامل بطاعة الله، الحاكم بحكم الله لا وحشة عليه»

ثمّ نزل الإمام عن المنبر وصلّى ركعتين، ثمّ بعث بعمّار بن ياسر إلىٰ طلحة والزبير وهما في ناحية المسجد، فدعاهما، فجاء طلحة والزبير وجلسا عند أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال الإمام: نشدتكما الله، هل جئتماني طائعين للبيعة ودعوتماني إليها وأنا كاره لها؟

فقال الرجلان: نعم.

فقال الإمام: غير مجبورين ولا معسورين، فأسلمتما لي بيعتكما، وأعطيتماني عهدكما؟

فقال الرجلان: نعم.

فقال الإمام: فما دعاكما إلىٰ ما أرىٰ؟

فقال الرجلان: أعطيناك بيعتنا علىٰ أن لا تقضي في الأُمور، ولا تقطعها دوننا، وأن تستشيرنا في كل أمر، ولا تستبدَّ بذلك علينا، ولنا من الفضل علىٰ غيرنا ما قد علمت، فأنت تقسم القسم، وتقطع الأُمور وتقضي الحكم بغير مشاورتنا ولا علمنا.

فقال الإمام ـ غاضباً ـ: لقد نقمتما يسيراً، وأرجأتما كثيراً، فاستغفرا الله يغفر لكما، ألا تخبراني، أفدفعتكما عن حق واجب لكما فظلمتكما إيّاه؟

فقال الرجلان: معاذ الله.

فقال الإمام: فهل استأثرتُ من هذا المال بشيء؟

فقال الرجلان: معاذ الله.

فقال الإمام: أفوقع حكم أوحَدٌ من المسلمين فجهلته أو ضعفت فيه؟

فقال الرجلان: معاذ الله.

فقال الإمام: فما الذي كرهتما من أمري حتّىٰ رأيتما خلافي؟

فقال الرجلان: خلافك عمر بن الخطّاب في القسم، إنّك جعلتَ حقّنا في القسم كحق غيرنا، وسوّيت بيننا وبين مَن لا يماثلنا فيما أفاء الله تعالىٰ بأسيافنا ورماحنا، وأوجفنا عليه بخيلنا ورجلنا، وظهرت عليه دعوتنا، وأخذنا قسراً وقهراً ممّن لا يرىٰ الإسلام إلّا كرهاً.

فقال الإمام (عليه السلام): أمّا ما ذكرتماه من الاستشارة بكما، فوالله ما كانت لي في الولاية رغبة، ولكنكم دعوتموني إليها وجعلتموني عليها، فخفت أن أردّكم فتخلف الأُمة، فلمّا أفضت إليَّ نظرتُ في كتاب الله وسنّة رسوله فأمضيت ما دلّاني عليه واتبعته، ولم أحتج إلىٰ رأيكما فيه ولا رأي غيركما، ولو وقع حكم ليس في كتاب الله بيانه، ولا في السنة برهانه، واحتيج إلىٰ المشاورة لشاورتكما فيه.

وأمّا القسم الأُسوة: فإنَّ ذلك أمر لم أحكم فيه بادئ بدءٍ، وقد وجدت أنا وأنتما رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يحكم بذلك، وكتاب الله ناطق به، وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وأمّا قولكما: «جعلتَ فيئنا وأسيافنا ورماحنا سواء بيننا وبين غيرنا» فقديماً سبق إلىٰ الإسلام قوم، ونصروه بسيوفهم ورماحهم، فلا فضّلهم رسول الله بالقسم، ولا آثر بالسبق، والله سبحانه موفٍ السابق والمجاهد يوم القيامة بأعمالهم، وليس لكما ـ والله ـ عندي ولا لغيركما إلّا هذا.

أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلىٰ الحق وألهمنا وإيّاكم الصبر، رحم الله امرءاً رأىٰ حقّاً فأعان عليه، ورأىٰ جوراً فردّه، وكان عوناً للحق علىٰ من خالفه.

فقام طلحة والزبير وانصرفا من عند أمير المؤمنين (عليه السلام) وهما مغضبان ساخطان، وقد عرفا ما كان غلب في ظنهما من رأيه، وبعد يومين جاءا واستأذنا عليه فأذن لهما.

فقالا: يا أمير المؤمنين، قد عرفت حال هذه الأزمنة وما نحن فيه من الشدّة، وقد جئناك لتدفع إلينا شيئاً نصلح به أحوالنا، ونقضي به حقوقاً علينا.

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): قد عرفتما مالي بـ«ينبع» فإنْ شئتما كتبت لكما منه ما تيسرّ.

فقالا: لا حاجة لنا في مالك بـ«ينبع».

فقال أمير المؤمنين: ما أصنع؟

فقالا: أعطنا من بيت المال شيئاً لنا فيه كفاية.

فقال أمير المؤمنين: سبحان الله، وأي يدٍ لي في بيت مال المسلمين وأنا خازنهم وأمين لهم؟! فإنْ شئتما رقيتما المنبر وسألتما ذلك من الناس ما شئتما، فإنْ أذنوا فيه فعلت، وأنّىٰ لي بذلك وهو لكافّة المسلمين شاهدهم وغائبهم؟! ولكني ابدي لكما عذراً.

فقالا: ما كنا بالذي نكلّف ذلك، ولو كلّفناك لما أجابك المسلمون.

فقال أمير المؤمنين: فما أصنع؟

فقالا: سمعنا ما عندك.

ثمَّ خرجا من دار أمير المؤمنين، وقد يئسا من بيت المال، فجعلا يفكّران في كيفية الخروج إلىٰ مكّة، والإلتحاق بعائشة، إلىٰ أن صار رأيهما علىٰ هذا، وجاءا إلىٰ أمير المؤمنين (عليه السلام) وقت خلوته وقالا: قد جئناك نستأذنك للخروج في العمرة، لأنا بعيدا العهد بها، فأذن لنا فيها. فنظر الإمام في وجهيهما، وقرأ الغدر في فلتات لسانهما ودوران عيونهما، وقد احمرَّ وجهه وبان الغضب فيه فقال: والله، ما تريدان العمرة، ولكنكما تريدان الغدرة، وإنّما تريدان البصرة.

فقال الرجلان: اللهمّ غفراً، ما نريد إلّا العمرة.

فقال الإمام: احلفا لي بالله العظيم إنّكما لا تفسدان عليَّ أمر المسلمين، ولا تنكثان لي بيعة، ولا تسعيان في فتنة.

فحلفا بالأيمان المؤكّدة فيما استحلفهما عليه من ذلك. فخرج الرجلان من عنده، فلقيهما ابن عبّاس سائلاً: أذن لكما الإمام؟ فقالا: نعم.

ودخل ابن عبّاس على الإمامفابتدأه الإمام (عليه السلام) قائلاً: يا بن عباس، أعندك الخبر؟ إنّهما استأذنا في العمرة، فأذنت لهما بعد أن أوثقت منهما بالايمان أن لا يغدرا، ولا ينكثا لي بيعة، ولا يحدثا فساداً، ولا يسعيان في فتنة، فحلفا بالايمان. وبعد هنيئة قال: والله يا بن عباس، إنّي لأعلم أنهما ما قصدا إلّا الفتنة، فكأني بهما وقد صارا إلى مكّة ليسعيا إلى حربي، وإنَّ يعلى بن مُنية الخائن الفاجر قد حمل أموال العراق وفارس لينفقها في ذلك، وسيفسد هذان الرجلان عليَّ أمري، ويسفكا دماء شيعتي وأنصاري.

فقال ابن عبّاس: إذا كان ذلك عندك يا أمير المؤمنين معلوماً، فَلِمَ أذنت لهما؟ هلا حبستهما، وأوثقتهما بالحديد وكفَيت المؤمنين شرّهما؟

فقال الإمام متعجّباً: يا بن عبّاس، أتأمرني بالظلم ابتداءً؟ وبالسيّئة قبل الحسنة؟ وأُعاقب على الظنة والتهمة؟ وآخذ بالفعل قبل كونه؟ كلّا والله، لا عدلت عما أخذ الله عليَّ من الحكم والعدل.

يا بن عبّاس، انّني أذنت لهما وأعرف ما يكون منهما، ولكني استظهرت بالله عليهما، والله لأقتلنهما ولأُخيبنَّ ظنّهما، ولا يلقيان من الأمر مُناهما، وإنَّ الله يأخذهما بظلمهما لي؛ ونكثهما بيعتي، وبغيهما عليَّ.

ثمَّ خرج الرجلان من المدينة متوجهين إلى مكّة، فوجدا بني أُميّة قد أحاطوا بعائشة، ولحق بها جماعة من منافقي قريش، ولحق بها عبد الله بن عمر بن الخطّاب وأخوه عبيد الله، ومروان بن الحكم، وأولاد عثمان، وعبيده وخاصته

من بني أُميّة، وجعلوا عائشة ملجأ لهم فيما دبّروه من كيدٍ للإمام (عليه السلام)، وصار كل من يبغض عليّاً، أو يكرهه، أو يحسده، أو يخاف منه استيفاء الحقوق منه، يلتحق بهذه الجماعة. وعائشة تنعى عثمان وتبرأ من قاتله، وتحرّض الناس على عداوة الإمام، وتظهر بأنَّ علياً قتل عثمان ظلماً. وكانت عائشة لمّا وصلت إلى مكّة، وأدتّ مناسك الحج، بلغها خبر قتل عثمان فاستبشرت وقالت للناعي: قتلته أعماله، إنّه أحرق كتاب الله، وأمات سنّة رسول الله فقتله. ومَن بايع الناس؟

فقال الناعي: لم أبرح من المدينة حتّى أخذ طلحة نعاجاً لعثمان، وعمل مفاتيح لأبواب بيت المال، ولا شكَّ أنَّ الناس بايعوه.

فقالت عائشة وهي فرحة: بُعداً لنعثل وسحقاً! إيه ذا الأصبع! إيه أبا شبل! إيه ابن عم! للهِ أبوك يا طلحة، أما إنّهم وجدوا طلحة لها كفواً، لكأني أنظر إلى اصبعه وهو يبايع احتووها لا بل دغدغوها! وجدوك لها محسناً، ولها كافياً، شدّوا رحلي فقد قضيت عمرتي، لأتوجه إلى منزلي.

فسارت عائشة: حتّى إذا وصلت إلى موضع يقال له (شرقاء) لقيها رجل يقال له: عبيد بن أُمّ كلاب، فسألته عائشة: ما الخبر؟ فقال الرجل: قتل عثمان.

فقالت عائشة: قتل نعثل! أخبرني عن قصّته وكيف كان أمره؟

فقال الرجل: لما أحاط الناس بالدار، رأيت طلحة قد غلب على الأمر، واتّخذ مفاتيح على بيوت الأموال والخزائن، وتهيّأ ليبايع له، فلمّا قتل عثمان مال الناس إلى علي بن أبي طالب، ولم يعدلوا به طلحة ولا غيره، وخرجوا في طلب عليّ يقدمهم الأشتر، ومحمّد بن أبي بكر، وعمّار بن ياسر، حتّى إذا أتوا علياً وهو في بيت سكن فيه قالوا له: بايعنا على الطاعة لك. وكان علي يتفكر ساعة، فقال الأشتر: يا علي، إن الناس لا يعدلون بك غيرك فبايع قبل أن يختلف الناس. وكان في الجماعة طلحة والزبير، فظننت أن سيكون بين طلحة والزبير وعلي بن أبي طالب كلام قبل ذلك، فقام طلحة والزبير فبايعا، وأنا أرى أيديهما على يد

عليّ يصفقانها ببيعتهِ. ثمَّ صعد علي بن أبي طالب المنبر، فتكلّم بكلام لا أحفظه إلاّ أنّ الناس بايعوه يومئذٍ علىٰ المنبر من الغد، فلمّا كان اليوم الثالث خرجت ولا أعلم.

فقالت عائشة: لوددت أنَّ السماء انطبقت علىٰ الأرض إن تمَّ هذا.

أُنظر ماذا تقول؟!

فقال الرجل: هو ما قلت لك يا أُم المؤمنين.

فقالت عائشة: إنّا لله، أكره والله هذا الرجل، وغصب علي بن أبي طالب أمرهم، وقتل خليفة الله مظلوماً، ردّوا بغالي، ردّوا بغالي.

فقال الرجل: ما شأنك يا أُم المؤمنين؟ والله، ما أعرف بين لابتيها أحداً أولىٰ بها من علي، ولا أحق، ولا أرىٰ له نظيراً فلماذا تكرهينه؟

فسكتت عائشة ولم ترد جواباً، وعزمت علىٰ الرجوع إلىٰ مكّة. وفي طريقها رآها قيس بن حازم، فقالت عائشة تخاطب نفسها: قتلوا ابن عفّان مظلوماً.

فقال قيس: يا أُم المؤمنين، ألم أسمعك آنفاً تقولين: أبعده الله؛ وقد رأيتك قبل أشد الناس عليه، وأقبحهم فيه قولاً؟!

فقالت عائشة: لقد كان ذلك، ولكن نظرت في أمره فرأيتهم استتابوه حتّىٰ إذا تركوه كالفضّة البيضاء أتوه صائماً محرماً في شهر حرام فقتلوه.

فقال عبيد بن أُم كلاب:

فمنك البداءُ ومنِك الغيَر ... ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الإمام ... وقلت لنا: إنّه قد كفَر
فهبنا أطعناك في قتله ... وقاتله عندنا مَن أمر
ولم يسقط السقف من فوقنا ... ولم تنكسف شمسنا والقمر

وقد بايع الناس ذا تُدْرَإٍ ... يزيل الشبا ويقيم الصعر
ويلبس للحرب أوزارها ... وما من وقى مثل من قد عثر

وصلت عائشة إلىٰ مكّة، وجاءها رجل يقال له يعلىٰ بن منية، وكان من بني أُميّة وشيعة عثمان، وقال لها: قد قتل خليفتك الذي كنت تحرّضين علىٰ قتله.

فقالت عائشة: برئت إلىٰ الله ممّن قتَله.

فقال الرجل: الآن أظهري البراءة ثانياً مِن قاتله.

فخرجت إلىٰ المسجد، فجعلت تتبرأ ممّن قتل عثمان. وهنا وصل خبر عائشة إلىٰ طلحة والزبير وهما في المدينة، فكتبا إليها كتباً مع ابن أُختها عبد الله بن الزبير، وكان مضمون الكتاب «خَذِّلي الناس عن بيعة عليّ، وأظهري الطلب بدم عثمان». فرأت عائشة ذلك الكتاب، وكشفت عمّا في ضميرها، وجعلت تطلب بدم عثمان، وجاءَت ووقفت عند الحجر الأسود وقالت:

أيّها الناس: إنّ الغوغاءَ «السفلة» من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة، اجتمعوا علىٰ هذا الرجل فقتلوه ظلماً بالأمس، ونقموا عليه استعمال الأحداث، وقد استعمل أمثالهم من قبله، ومواضع الحمىٰ حماها لهم، فتابعهم ونزل عنها، فلمّا لم يجدوا حجّةً ولا عذراً بادروا بالعدوان، فسفكوا الدم الحرام، واستحلّوا البلد الحرام والشهر الحرام، وأخذوا المال الحرام. والله لإصبع من عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم. والله، لو أنَّ الذي اعتدوا عليه كان ذنباً لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه، والثوب من درَنه، إذ ماصوه كما يماص الثوب بالماء.

فقدم عبد الله بن عامر الحضرمي ـ وكان عامل عثمان علىٰ مكّة ـ وقال: أنا أوّل طالب بدمه. فكان أوّل مجيب، فتبعه بنو أُميّة، وكانوا قد هربوا من المدينة بعد مقتل عثمان إلىٰ مكّة فرفعوا رؤوسهم، فكان أوّل ما تكلّموا في الحجاز.

ولمّا وصل طلحة والزبير إلىٰ مكّة أرسلا عبد الله بن الزبير إلىٰ عائشة

يطلبان منها الخروج إلىٰ البصرة للطلب بدم عثمان. فامتنعت عائشة من الإجابة في بادئ الأمر وفكّرت أن تذهب إلىٰ أُمّ سلمة، وكانت في مكّة، بعنوان استشارتها، ولكنّها محاولة منها في إقناعها بالخروج معها والإشتراك معها بمحاربة الإمام، كما أقنعت حفصة بالخروج معها غير أن أخاها عبد الله بن عمر منعها، لكنّها ذهبت إلىٰ أُم سلمة تستشيرها في الخروج، ولمّا دخلت علىٰ أُمّ سلمة نعت إليها عثمان وأنّه قُتل مظلوماً. صرخت أُمّ سلمة صرخة وهي متعجّبة من كلام عائشة، وقالت: يا عائشة، بالأمس كنت تشهدين عليه بالكفر وهو اليوم أمير المؤمنين وقتل مظلوماً؟!

ثمّ إن عائشة ذكرت لأُمّ سلمة عزمها علىٰ الخروج إلىٰ البصرة للطلب بدم عثمان، وطلبت منها أن ترافقها وتشاركها في تلك النهضة. فجعلت أُمّ سلمة تعاتب عائشة علىٰ تحريض الناس بقتل عثمان ثمّ الطلب بدمه، مع العلم أنّ عثمان من بني عبد مناف، وعائشة أمرأة من تيم بن مرّة، وليس بينهما قرابة.

ثمّ ذكرت أُمّ سلمة شيئاً من فضائل عليّ (عليه السلام) وأنّه لا ينبغي لأحدٍ أن يحارب عليّاً، ووعظتها وذكّرتها بما سمعت من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في فضل علي (عليه السلام) وذكّرتها بحديث النبي يوم قال: أيتكن صاحبة الجمل الأدبب تنبحها كلاب الحوأب[1]؟

فتذكّرت عائشة كلّ ذلك وقنعت بكلام أُمّ سلمة، غير أنّ التأثير كان مؤقتاً، ثمّ عزمت علىٰ السفر إلىٰ البصرة.

أمّا يعلىٰ بن منية فقد اشترىٰ أربعمائة بعير ونادىٰ: إيّها الناس، من خرج للطلب بدم عثمان فعليّ جهازه. ووصل الخبر إلىٰ أُمّ سلمة فقالت لعائشة: لقد

(١) الحوأب منطقة في الطريق، فيها بساتين ونهر يسمّىٰ بالحوأب، وهو علىٰ مسير يومين أو ثلاث عن البصرة.

وعظتك فلم تتعظي... ثمّ حذّرتها من تلك الفكرة، وذكرت لها بأنّها تهتك حرمة رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، لأنّها زوجته وعرضه... إلىٰ آخر الكلام.

خَرَجَت عائشة بالجيش نحو البصرة، وفي أثناء الطريق وصلوا إلىٰ ماءِ الحوأب فنبحت الكلاب، وقال قائل: ما أكثر كلاب الحوأب، وما أشدّ نباحها! فأمسكت عائشة زمام بعيرها وصرخت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، إنّي لهي؟؟ سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ـ وعنده نساؤه ـ يقول: «ليت شعري، أيتكنّ صاحبة الجمل الأدبب، تخرج فتنبحها كلاب الحوأب، يقتل عن يمينها ويسارها قتلىٰ كثيرة، تنجو بعدما كادت تقتل؟؟... ردّوني، ردّوني.

فأقبل جماعة وشهدوا وحَلفوا أنّ هذا ليس بماء الحوأب فسارت عائشة لوجهها نحو البصرة. وهي أول شهادة زور في الإسلام.

ووصل الخبر إلىٰ أمير المؤمنين (عليه السلام) فأمر المنادي فنادىٰ: الصلاة جامعة. فاجتمع الناس في المسجد (مسجد رسول الله) في المدينة وصعد الإمام (عليه السلام) المنبر، وخطب فيهم خطبة ذكر فيها الخِلافة وأطوارها وأدوارها،... إلىٰ أن قال:

وبايعني هذان الرجلان ـ طحلة والزبير ـ في أوّل مَن بايع، وتعلمون ذلك، وقد نكثا غدراً، ونهضا إلىٰ البصرة بعائشة ليفرّقا جماعتكم ويلقيا بأسكم بينكم. اللهمّ فخذهما بما عملا أخذة واحدة رابية، ولا تنعش لهما ضرعة، ولا تقلهما عثرة، ولا تمهلهما فواقاً، فإنّهما يطلبان حقّاً تركاه ودماً سفكاه.

اللهمّ إنّي أقتضيك وعدك، فإنّك قلت: ـ وقولك الحق ـ: ﴿ثم بُغِيَ عليه لينصرنه الله﴾[1]. اللهمّ انجز لي موعدي، ولا تكلني إلىٰ نفسي، إنّك علىٰ كل شيء قدير.

(١) سورة الحج/آية٦٠.

ثمّ استشَار الإمام أصحابه، فقال عمّار بن ياسر: الرأي عندي أن تسير إلىٰ الكوفة، فإنَّ أهلها شيعة، وقد انطلق هؤلاء القوم إلىٰ البصرة.

وأشار عليه ابن عبّاس أن يأمر أُمّ سلمة لتخرج معه تقوية لجانبه، فقال الإمام: إمّا أُمّ سلمة فإنّي لا أرىٰ إخراجها من بيتها كما رأىٰ الرجلان إخراج عائشة.

وأشار عليه جماعة أن يعتزل الفتنة ويذهب إلىٰ ماله بـ(ينبع) فلم يقبل منهم.

وأخيراً نادىٰ الإمام: تجهّزوا للمسير، فإنَّ طلحة والزبير نكثا البيعة ونقضا العهد، وأخرجا عائشة من بيتها يريدان البصرة لإثارة الفتنة، وسفك دماء أهل القبلة. ورفع يديه للدعاء قائلاً:

اللّهمّ أن هذين الرجلين قد بغيا عليَّ، ونكثا عهدي، ونقضا عقدي، وشتماني بغير حق سومهما ذلك اللهمَّ فخذهما بظلمها واظفرني بهما، وانصرني عليهما.

وجعل الإمام (عليه السلام) تمام بن العبّاس والياً علىٰ المدينة، وخرج بمن معه إلىٰ الرَبذة، وإذا بطلحة والزبير قد ارتحلوا منها، فأرسل الإمام محمد بن أبي بكر ومحمد بن الحنفية إلىٰ الكوفة ليستنفرا أهل الكوفة.

وكان والي الكوفة ـ يوم ذاك ـ أبا موسىٰ الأشعري وكان عثماني الهوىٰ، منحرفاً عن الإمام (عليه السلام)، وقد كتبت عائشة إليه كتاباً تأمره أن يخذِّل الناس عن نصرة الإمام، وقام بتلبية طلبها، فخطب فيهم وأمرهم أن يجتنبوا الفتنة ويبتعدوا عن سفك دماء المسلمين، فلم يستطع محمّد بن الحنفية ومحمّد بن أبي بكر مقاومة الأشعري، فرجعا إلىٰ الإمام. ـ وكان الإمام قد كتب قبل ذلك كتاباً إلىٰ الأشعري يأمره أن يخرج بالناس لمؤازرة الإمام، ولكن الأشعري استمر علىٰ رأيه وامتنع عن البيعة، وأظهر العداء الكامن في صدره ـ فأخبروا

الإمام بذلك، فكتب الإمام كتاباً إلىٰ الأشعري فيه خبر عزله من الحكم والتهديد إن لم يعتزل، وكتباً أُخرىٰ إلىٰ أهل الكوفة يذكر لهم فيه عما جرىٰ علىٰ عثمان. ثمَّ يذكر بيعة الناس له، ومن جملتهم طلحة والزبير، ثمَّ نكثهما البيعة وخروجهما ضده.

وقبل وصول هٰذين الكتابين كان الإمام الحسن (عليه السلام)، وعمّار بن ياسر، وزيد بن صوحان، وقيس بن سعد، جاؤوا إلىٰ الكوفة وخطبوا في الناس الخطب المفصَّلة المطوّلة، يحثون الناس علىٰ نصرة الإمام، فكان الأشعري يقوم ويخطب وينقض كلامهم،ويخذِّل الناس، ويأمرهم باعتزال الفتنة، وعدم الخوض في المعركة.

وانقضت أيّام وأيّام والأمر هكذا في الكوفة، والإمام ينتظر المدد وهو في أرض يقال لها «ذي قار» واليوم تسمّىٰ «المقيّرة» وهي قريبة من الناصرية في طريق البصرة.

وأخيراً خرج البطل الضرغام مالك الأشتر وأقبل إلىٰ الكوفة ودخلها وهجم علىٰ دار الإمارة، واستولىٰ عليها، وأخرج غلمان الأشعري منها، وكانت الحرب الباردة قائمة في المسجد بين الأشعري وبين أصحاب الإمام، وإذا بغلمان الأشعري دخلوا المسجد، وهم ينادون: يا أبا موسىٰ، هذا الأشتر. ودخل أصحاب الأشتر وصاحوا: أخرج من المسجد، يا ويلك، أخرج الله روحك، إنّك والله من المنافقين.

خرج أبو موسىٰ معزولاً خائباً مخذولاً، وأراد الناس أن ينهبوا أمواله فمنعهم الأشتر. وأقبل الأشتر فصعد المنبر وقال:

... وقد جاءكم الله بأعظم الناس مكاناً، وأعظمهم في الإسلام سهماً، وابن عم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وأفقه الناس في الدين، وأقرأهم لكتاب الله، وأشجعهم عند اللقاء يوم البأس، وقد استنفركم، فما تنتظرون؟ أسعيداً؟ أم

الوليد الذي شرب الخمر وصلّىٰ بكم علىٰ سكرٍ، واستباح ما حرّمه الله فيكم؟ أيُّ هٰذين الرجلين تريدون؟ قبّح الله من له هذا الرأي، فانفروا مع الحسن ابن بنت نبيّكم، ولايتخلف رجل له قوّة، فوالله ما يدري رجل منكم ما يضرّه، وما ينفعه، وإنّي لكم ناصح شفيق عليكم إن كنتم تعقلون، أو تبصرون، أصبحوا إن شاء الله غداً غادين مستعدين، وهذا وجهي إلىٰ ما هناك بالوفاء.

ثمّ قام ابن عبّاس وعزل الأشعري عن الولاية وخلعه عنها وجعل مكانه قرظة بن كعب، فلم يبرحوا من الكوفة حتّىٰ سيّروا سبعة آلاف رجل والتحقوا بالإمام في ذي قار، والتحق به قبل ذلك ألفان من قبيلة طي، وخرج الإمام نحو البصرة.

وكانت عائشة وطلحة والزبير ومن معهم قد وصلوا إلىٰ البصرة قبل ذلك، وتعجّب الناس من قدومهم إلىٰ البصرة للطلب بدم عثمان المقتول بالمدينة.

وسمع عثمان بن حنيف (والي البصرة) بوصول القوم، فأرسل إليهم أبا الأسود الدؤلي وعمر بن حصين للتحقيق، فدخلا علىٰ عائشة وقالا لها: يا أُمّ المؤمنين، ما حملك علىٰ المسير؟ ما الذي أقدمك هذا البلد وأنتِ حبيسة رسول الله، وقد أمرك الله أن تقرّي في بيتكِ؟. فجرىٰ كلام وجدال طويل بين عائشة والرجلين، وكلّما خوّفاها من إراقة دماءِ المسلمين وإفساد الأمر قابلتهم بكلّ صلابة وحدّة. ودخلا علىٰ طلحة فلم يسمعا منه إلّا الكلام القبيح والطرد، ثمّ السبّ لأمير المؤمنين (عليه السلام).

استعدّت عائشة للحرب، وخرجت بمَن معها إلىٰ محلّة في البصرة يقال لها (المِرَبد) وخطبت في أهل البصرة خطبةً، فنعت عثمان وتأسفّت علىٰ قتله، ثمّ ذكرت عليّاً وبيعته وأفرطت في كلامها، ثمّ طلبت من أهل البصرة نقض خلافة الإمام. فصدَّقها ناس وكذبها آخرون، واضطرب الناس بأقوالهم واشتغلوا بالسبّ والشتم واللّعن.

وتوجّهت عائشة إلىٰ دار الإمارة ومن معها وطلبوا من عثمان بن حنيف أن يسلّم إليهم دار الإمارة، فأبىٰ عليهم، واشتعلت نار الحرب حتّىٰ الظهر، وقتل في تلك الواقعة خمسمائة شيخ من بني عبد القيس من شيعةِ عليّ وأنصار عثمان بن حنيف، سوىٰ الجرحىٰ، واستمرّت الحرب في البصرة وكثر القتلىٰ والجرحىٰ. وتدخل بعض الناس وقرّروا الهدنة، فتمّ القرار علىٰ أن تكون دار الإمارة والمسجد وبيوت الأموال تحت اختيار الوالي عثمان بن حنيف، وتكون البصرة تحت حيازة طلحة والزبير وعائشة، وكتبوا علىٰ هذه المصالحة كتاباً، وشهد الناس علىٰ ذلك.

ولمّا أمن الناس واطمأنّوا وألقوا سلاحهم أقبل طلحة والزبير وأصحابهم حتّىٰ أتوا دار الإمارة علىٰ حين غفلة، وكان خمسون رجلاً يحرسون بيوت الأموال وهم من شيعة الإمام، أحاط الزبير بهؤلاء. وقتل منهم أربعين رجلاً صبراً، ثمّ هجموا علىٰ عثمان بن حنيف فأوثقوه رباطاً، وعمدوا إلىٰ لحيته فنتفوها حتّىٰ لم يبق منها شعرة واحدة، ونتفوا شعر حاجبيه وأشفار عينيه، وأوثقوه بالحديد وأصبح الصباح فجاء طلحة والزبير إلىٰ المسجد الأعظم لأداء صلاة الصبح جماعة، فأراد طلحة أن يتقدّم ويصلّي بالناس، فدفعه الزبير، وأراد الزبير أن يصلّي بالناس فمنعه طلحة، واستمرَّ النزاع والتدافع بين الإمامين حتّىٰ كادت الشمس أن تطلع!! فصاح الناس: الله، الله يا أصحاب رسول الله في الصلاة نخاف فوتها! فأمرت عائشة أن يصلّي مروان بالناس، وأخيراً تقدّم عبد الله بن الزبير وصلّىٰ بالناس.

انتشر خبر قتل الحرس وإلقاء القبض علىٰ عثمان بن حنيف، فأقبل حُكَيم بن جَبَلة إلىٰ عشيرته فحثّهم علىٰ النهوض، وجاءَ طلحة والزبير وشبّت نار الحرب مرّة ثانية، وقتل حُكَيم بن جَبَلة وأخوه وعدد من الناس، واستولىٰ طلحة والزبير علىٰ بيوت الأموال، ونصبا أقفالاً علىٰ أبوابها، فأمرت عائشة بختم بيت

المال، وختم كلٌّ من طلحة والزبير بختم علىٰ بيوت الأموال.

انقضت أيّام وعائشة وطلحة والزبير يخطبون في الناس ويهيجونهم ويحذرونهم من الإمام (عليه السلام) وقد كان ينتهي كلامهم إلىٰ ذمّ الإمام وسبّه، وأرسلت عائشة كتباً ورسائل إلىٰ البلاد والأمصار، كتبت فيها ما أرادت.

وصل الإمام بجيشه الجرّار إلىٰ البصرة فيهم ثمانون بدرياً، ومائتان وخمسون ممّن بايع تحت الشجرة. وبلغه الخبر عن المجزرة الرهيبة التي أقامها هؤلاء، فأرسل الإمام صعصعة بن صوحان للتفاهم أو لإتمام الحجّة علىٰ عائشة والرجلين، فالتقىٰ بهم صعصعة، فلم يسمع منهم إلّا التهديد والخشونة في الكلام، وأرسل الإمام (عليه السلام) عبد الله بن العبّاس وأمره أن يلتقي بطلحة والزبير، فلم تنجح مذاكراته معهما.

وكان وصول الجيش العلوي إلىٰ البصرة علىٰ أحسن هيئة وأجمل نظام، وفيهم المشايخ من أهل بدر والمهاجرين والأنصار، وقوّاد الجيش ومعهم الألوية والرايات، والمواكب تترىٰ بعضها خلف بعض، حتىٰ وصل موكب الإمام، وهو موكب عظيم وفيه خلق كثير عليهم السلاح والحديد، ومعهم الإمام، وعليه الوقار والسكينة، ينظر إلىٰ الأرض أكثر من نظره إلىٰ السماء، والجنود خلفه كأنّ علىٰ رؤوسهم الطير، والإمام الحسن عن يمينه، والإمام الحسين عن شماله، وابنه محمّد بن الحنفية بين يديه ومعه الراية.

فأمر الإمام (عليه السلام) ابن عبّاس أن يرجع إلىٰ عائشة ثانياً ويذكر لها خروجها من بيت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ويخوّفها من الخلاف علىٰ الله، والتبرّج الذي نهاها الله عنه. فدخل ابن عبّاس علىٰ عائشة وأدّىٰ رسالته، وذكر لها فضل علي وسابقته، ولكنها لم ترتدع ولم تقنع.

ورجع ابن عبّاس إلىٰ الزبير فوجده وحده، فجعل يلين له في الكلام ويخوّفه عواقب أعماله، ويلومه علىٰ إسراعه في الخلاف، فجاءَ ابنه عبد الله، وكان

شاباً شرساً قليل الحياء متهوّراً، وقابل ابن عبّاس بكلّ صلافة. وكانت المباحثات بلا جدوىٰ ولا فائدة.

واستعدَّ الفريقان للحرب، وكان كعب بن سور سيد الأزد قد امتنع عن الخوض في المعركة، فجاءَ طلحة والزبير إلىٰ عائشة وطلبا منها أن تتوجه بنفسها إلىٰ كعب وتطلب منه المؤازرة والتعاون معها، فأرسلت عائشة إليه تطلب منه الحضور، فلم يجبها كعب، فركبت بغلاً وأحاط بها نفر من أهل البصرة وسارت إليه بنفسها، وسألته عن سبب امتناعه، فقال: يا أُمّاه لا حاجة لي في خوض هذه الفتنة. فاستعبرت عائشة باكية وطلبت منه أن ينصرها، فرقَّ لها كعب وأجابها وعلّق المصحف في عنقه وخرج معها.

واشتركت العشائر والقبائل من المدينة إلىٰ الكوفة إلىٰ طي إلىٰ أهل البصرة في نصرة الإمام (عليه السلام).

وكان خطباءُ الفريقين يخطبون في قومهم ويحرّضونهم علىٰ الحرب.

ساحة القتال

كانت ساحة القتال في الخريبة، وهي اليوم بين الزبير والبصرة يقال لها (الخِر) وهناك قبر طلحة ـ وهي مدينة الزبير حالياً معروفة ـ اصطف الفريقان للقتال، وكتّب كل منهما الكتائب. وخرج عليٌّ (عليه السلام) وعليه عمامة سوداء وقميص ورداء، وهو راكب علىٰ بغلة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الشهباء.

وجاءت عائشة وهي في هودج علىٰ بعير، وعن يمينها وشمالها طلحة والزبير وابنه عبد الله، وخلفها الجماهير الذين رافقوها من مكّة وانضمّوا إليها في البصرة. وكان النشاط في أصحاب الإمام أكثر، وكانوا يريدون الهجوم علىٰ العدو، لكن الإمام يمنعهم ويقول لهم: لا تعجلوا علىٰ القوم حتّىٰ أعذر فيما بيني وبين الله وبينهم.

فقام إليهم وقال: يا أهل البصرة، هل تجدون عليَّ جوراً في حكم؟

قالوا: لا.

قال: فحيفا في قسم؟

قالوا: لا.

قال: فرغبة في دنياً أصبتها لي ولأهل بيتي دونكم، فنقمتم عليَّ فنكثتم بيعتي؟

قالوا: لا.

قال: فأقمت فيكم الحدود وعطلتها عن غيركم؟

قالوا: لا.

قال: فما لبيعتي تنكث وبيعة غيري لا تنكث؟ إنّي ضربت الأمر أنفه وعينه فلم أجد إلاّ الكفر أو السيف.

ثمَّ التفت إلىٰ أصحابه وقال: إنَّ الله تعالىٰ يقول في كتابه: ﴿**وإنْ نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنّهم لا أيمان لهم لعلّهم ينتهون**﴾[1].

ثمَّ قال: والـذي فلق الحبـة وبـرأ النسمة واصطفىٰ محمّداً للنبوّة إنّهم لاصحاب هذه الآية، وما قوتلوا منذ نزلت.

ثمّ التفت إلىٰ ابن عبّاس وقال له: امض بهذا المصحف إلىٰ طلحة والزبير وعائشة وادعهم إلىٰ ما فيه.

جاء ابن عبّاس فبدأ بالزبير وقال له: إنَّ أمير المؤمنين يقول: ألم تبايعني طائعاً؟ فبم تستحل دمي؟ وهذا المصحف وما فيه بيني وبينك فإنْ شئت تحاكمنا إليه.

(١) سورة ا لتوبة/ آية ١٢.

فقال الزبير: ارجع إلىٰ صاحبك، فإنا بايعنا كارهين، ومالي حاجة في محاكمته.

انصرف ابن عبّاس إلىٰ طلحة، فوجد فيه الاستعداد للشر والحرب، فقال له: والله،ما أنصفتم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إذ حبستم نساءكم وأخرجتم حبيسته.

ونادىٰ طلحة: ناجزوا القوم، فإنّكم لا تقومون لحجاج ابن أبي طالب.

ورجع ابن عبّاس وأخبر الإمام بالنتيجة السلبيّة، وقال له: ما تنتظر؟ والله لا يعطيك القوم إلاّ السيف، فاحمل عليهم قبل أن يحملوا عليك.

فقـال الإمـام: نستظهر بالله عليهم. وهناك خرج أمير المؤمنين (عليه السلام) بين الصفّين وكان حاسراً ونادىٰ بأعلىٰ صوته: أين الزبير؟ فليخرج. ثمَّ نادىٰ ثانية، وكان طلحة والزبير واقفين أمام صفيهما، فخرج الزبير، وخرج الإمام إليه، فصاح به أصحابه: يا أمير المؤمنين، أتخرج إلىٰ الزبير الناكث بيعته وأنت حاسر وهو علىٰ فرس شاكي السلاح، مدجج في الحديد وانت بلا سلاح؟!

فقال الإمام: ليس عليَّ منه بأس، إنَّ عليَّ منه جنّة واقية، ولن يستطيع أحد فراراً من أجَلِه، وإنّي لا أموت، ولا أُقتل إلاّ بيد أشقاها، كما عقر الناقة أشقىٰ ثمود.

فخرج إليه الزبير، فقال (عليه السلام): أين طلحة؟ ليخرج. فخرج، وقربا من الإمام، حتّىٰ اختلفت أعناق دابتيهما.

فقال الإمام للزبير: ما حملك علىٰ ما صنعت؟

فقال الزبير: الطلب بدم عثمان.

فقال الإمام: أنت وأصحابك قتلتموه، فيجب عليك أن تقيّد من نفسك، ولكن أُنشدك الله الذي لا إله إلاّ هو، الذي أنزل الفرقان علىٰ نبيّه (صلّى الله

عليه وآله) أما تذكر يوماً قال لك رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يا زبير، أتحبّ عليّاً؟ فقلتَ: وما يمنعني عن حبّه وهو ابن خالي؟! فقال لك: أمّا أنت فستخرج عليه يوماً وأنت له ظالم؟

فقال له الزبير: اللّهم بلىٰ، قد كان ذلك.

فقال الإمام: فأنشدك الله الذي أنزل الفرقان علىٰ نبيّه (صلّى الله عليه وآله) أما تذكر يوماً جاء رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من عند ابن عوف، وأنت معه، وهو آخذ بيدك فاستقبلته أنا فسلّمت عليه فضحك في وجهي، فضحكت أنا إليه، فقلت أنت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه أبداً. فقال لك النبي (صلّى الله عليه وآله): مهلاً يا زبير، فليس به زهو، ولتخرجنَّ عليه يوماً وأنت ظالم له؟

فقال الزبير: اللّهم بلىٰ، ولكن نسيت، فأمّا إذا ذكّرتني ذلك فلأنصرفنَّ عنك، ولو ذكرت هذا لما خرجت عليك.

ثمَّ التفت إليهما معاً وقال: نشدتكما الله، أتعلمان وأُولوا العلم من أصحاب محمّد وعائشة بنت أبي بكر أنَّ أصحاب الجمل، وأهل النهروان، ملعونون علىٰ لسان النبي (صلّى الله عليه وآله) وقد خاب مَن افترىٰ؟

فقال الزبير: كيف نكون ملعونين ونحن من أهل الجنّة؟!

فقال الإمام: لو علمت أنّكم من أهل الجنّة لما استحللت قتالكم.

فقال الزبير: أما سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول يوم أُحد: أوجبت طلحة الجنّة؟ ومن أراد أن ينظر إلىٰ الشهيد يمشي علىٰ الأرض حيّاً فلينظر إلىٰ طلحة؟ أو ما سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول: عشرة من قريش في الجنة؟

فقال الإمام: فسمّهم. فجعل الزبير يعد فعدَّ تسعة منهم، وفيهم أبو عبيدة بن الجراح وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل.

فقال الإمام: عددت تسعة فمَن العاشر؟

فقال الزبير: أنت.

فقال الإمام: أمّا أنت فقد أقررت أنّي من أهل الجنّة، وأمّا ما ادّعيت لنفسك وأصحابك فإنّي به لمن الجاحدين، والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لقد عهد النبي الأُمي لي أنَّ بعض مَن سمّيت في تابوت في جُبٍ في أسفل درك من جهنّم.

وفي نسخة: وإنّ في جهنّم جُبّاً، فيه ستّة من الأوّلين وستّة من الآخرين، علىٰ رأس ذلك الجب صخرة، إذا أراد الله تعالىٰ أن يُسَعِّرَ جَهنم علىٰ أهلها أمر بتلك الصخرة فرفعت، وإنَّ في ذلك الجب مَن سمّيت.

ثمّ قال الإمام (عليه السلام): دع هذا، أفلست بايعتني طائعاً؟ فقال الزبير: بلىٰ.

فقال الإمام: أفوجدت منّي حدثاً يوجب مفارقتي؟

فسكت الزبير، ثمَّ قال: لا جرم والله لا قاتلتك.

ثمَّ التفت (عليه السلام) إلىٰ طلحة وقال: يا طلحة: معكما نساؤكما؟

فقال طلحة: لا.

فقال الإمام: عمدتما إلىٰ امرأة موضعها في كتاب الله تعالىٰ القعود في بيتها، فأبرزتماها وصنتما حلائلكما في الخيام والحجال؟! ما أنصفتما رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وقد أمر الله أن لا يكلمن إلّا من وراء حجاب.

وأردف (عليه السلام) قائلاً: أخبرني عن صلاة ابن الزبير بكما، أما يرضىٰ أحدكما بصاحبه؟ أخبرني عن دعائكما الأعراب إلىٰ قتالي؟ ما يحملكما علىٰ ذلك؟

قال طلحة: يا هذا، كنا في الشورىٰ ستّة، مات منّا واحد، وقتل آخر، فنحن اليوم أربعة، كلّنا لك كاره.

فقال الإمام: ليس ذلك عليَّ، قد كنّا في الشورىٰ والأمر في يد غيرنا، وهو

اليوم في يدي، أرأيت لو أردت بعد ما بايعتُ عثمان أن أردَّ هذا الأمر شورىٰ أكان ذلك لي؟

فقال طلحة: لا.

فقال الإمام: ولِمَ؟

فقال طلحة: لأنّك بايعت عثمان طائعاً.

فقال الإمام: كيف ذلك والأنصار معهم السيوف مخترطة، يقولون: لئن زغتم وبايعتم واحداً منكم، وإلّا ضربنا أعناقكم أجمعين. فهل قال لك ولأصحابك أحد شيئاً من هذا وقت ما بايعتماني؟ وحجّتي في الاستكراه في البيعة أوضح من حجّتك، وقد بايعتني أنت وأصحابك طائعين غير مكرهين، وكنتما أوّل من فعل ذلك ولم يقل أحد: لتبايعان أو لنقتلكما.

ثمّ انصرف الرجلان إلىٰ صفهما، فأراد الزبير الخروج من الحرب والانصراف إلىٰ البصرة، فقال له طلحة: ما لك يا زبير؟ مالك تنصرف عنا؟ سحرك ابن أبي طالب؟

فقال الزبير: لا، ولكن ذكّرني ما كان أنسانيه الدهر، واحتجَّ علىٰ ببيعتي له.

فقال طلحة: لا، ولكن جبنت وانتفخ سحرك.

فقال الزبير: لم أجبن، ولكن أُذكَّر فذكرت.

فقالت عائشة: ما وراءك يا أبا عبد الله؟

فقال الزبير: الله ورائي، إنّي ما وقفت موقفاً في شرك ولا إسلام إلّا ولي فيه بصيرة، وأنا اليوم علىٰ شكٍ من أمري، وما أكاد أُبصر موضع قدمي.

فقالت عائشة: لا والله، بل خفت سيوف ابن أبي طالب، أما إنّها طوال حداد، تحملها سواعد أمجاد، ولئن خفتها فلقد خافها الرجال من قبلك.

فقال ابنه عبد الله: جبناً جبناً.

فقال الزبير: يا بنيّ، قد علم الناس إنّي لست بجبان، ولكن ذكّرني عليٌّ شيئاً سمعته من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فحلفت أن لا أُقاتله.

فقال عبد الله بن الزبير: يا أبه، أجئت بهذين العسكرين العظيمين حتّىٰ إذا اصطفا للحرب قلت اتركهما وانصرف! فما تقول قريش غداً بالمدينة؟! الله الله يا أبة، لا تشمت بنا الأعداء، ولا تشن نفسك بالهزيمة قبل القتال.

فقال الزبير: ما أصنع يا بني وقد حلفتُ أن لا أُقاتله؟

فقال ابنه: كفِّر عن يمينك، ولا تفسد أمرنا.

فقال الزبير: عبدي مكحول حرٌّ لوجه الله، كفارةً ليميني.

ثمَّ عاد معهم للقتال، فعند ذلك أخذ الإمام (عليه السلام) المصحف بيده وطلب مَن يقرأ عليهم هذه الآية:

﴿وإنْ طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإنْ بغت إحداهما علىٰ الأُخرىٰ فقاتلوا التي تبغي حتّىٰ تفيء إلىٰ أمر الله﴾[1].

فقال غلام حدث السن من مجاشع، يقال له (مسلم) عليه قباء أبيض، فقال له: آنا آخذه يا أمير المؤمنين.

فقال له: يا فتىٰ، إن يدك اليمنىٰ تُقطع، فتأخذه بيدك اليسرىٰ فتقطع اليسرىٰ، ثم تضرب عليه بالسيف حتّىٰ تقتل.

فقال الفتىٰ: لأصبر علىٰ ذلك.

فنادىٰ الإمام ثانيةً، فقال الفتىٰ ثانيةً، فأعاد عليه مقالته، فقال الفتىٰ لا عليك، فهذا قليل في ذات الله، فأخذ المصحف ووقف أمام الصفوف، وقال: هذا كتاب الله، وأمير المؤمنين يدعوكم إلىٰ ما فيه. فأمرت عائشة بإعدامه، فقطعوا يديه، ثمَّ أحاطوا به وطعنوه بالرماح من كل جانب. وكانت أُمّه واقفة تنظر

---

(١) سورة الحجرات/٩.

فصحات فطرحت نفسها علىٰ ولدها.

كان الإمام (عليه السلام) ينتظر وقت الظهر لتنزل الملائكة، وكان يقول:

لا تقاتلوا القوم حتّىٰ يبدأوكم، فإنكم بحمد الله علىٰ حجة، وكفّكم عنهم حجّة أُخرىٰ، فإذا قاتلتموهم فلا تجهزوا علىٰ جريح، فإذا هزمتموهم فلا تتبعوا مدبراً، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثّلوا بقتيل، وإذا وصلتم الىٰ رحال القوم فلا تهتكوا ستراً، ولا تدخلوا داراً، ولا تأخذوا من أموالهم شيئاً، ولا تهيجوا امرأة بأذىٰ وإن شتمن أعراضكم وسبين أمراءكم وصلحاءكم، فإنّهن ضعاف القوىٰ والأنفس والعقول.... إلىٰ آخر الوصايا.

كانت سهام القوم تترىٰ علىٰ الإمام وأصحابه كالمطر، فصاح الناس: حتّىٰ متىٰ يا أمير المؤمنين ندلي نحورنا للقوم يقتلون رجلاً رجلاً، والله قد اعذرت إن كنت تريد الإعذار.

هناك دعا الإمام ابنه محمّد بن الحنفية فأعطاه الراية، وهي راية سوداء كبيرة، وهي راية رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فقال له: يا بني، هذه راية ما رُدّت قط ولا ترد قط. ثمَّ لبس الإمام درع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وحزم بطنه بعصابةٍ أسفل من سُرّته، ثمَّ قال لولده محمّد بن الحنفية: يا أبا القاسم، قد حَمَلتُ الراية وأنا أصغر منك فما استفزني عدوّي، وذلك أنّي لم أُبارز أحداً إلاّ حدّثتني نفسي بقتله، فحدِّث نفسك ـ بعون الله تعالىٰ ـ بظهورك عليهم. وأعطاه تعاليم حربية.

وزحف أصحاب الجمل نحو معسكر الإمام، فصاح الإمام بابنه محمّد: امض. فمضىٰ، وتبعه أصحابه واشتعلت الحرب، ودار القتال.

وأقبل الإمام يهرول وبيده السيف يصعد وينزل فتطير الرؤوس وتطيح الأيدي ولا يتلطّخ السيف بالدم لسرعة اليد وسبق السيف الدم، وزحف الجيش خلفه. وحمل عمّار بن ياسر علىٰ الميسرة، ومالك الأشتر علىٰ الميمنة، وحملوا حملة

رجل واحد، ونادىٰ الإمام: عليكم بالسيوف. فجعلوا يضربون بالسيوف علىٰ الرؤوس. ثمَّ نادىٰ المنادي: عليكم بالأقدام، وكان للفريقين أراجيز كثيرة، مذكورة في كتب التاريخ.

وقُتِلَ طلحة في ذلك اليوم ولم يُعرف قاتله، قيل: إنَّ مروان بن الحكم رماه بسهم فقتله يطلب بذلك ثأر عثمان، وهو يقول: أينما أصابت فتح.

وكان أهل البصرة كلّ من أراد منهم القتال أخذ بخطام الجمل ويرتجز ويقاتل حتّىٰ يقتل، فخرج كعب بن سور فأخذ بخطام الجمل وهو يرتجز ويقول:

يا معشر الأزد عليكم أُمّكم ... فإنّها صلاتكم وصومكم
والنعمة العظمىٰ التي تعمّكم ... فاحضروها جدّكم وحزمكم
لا يغلبن سمُّ العدو سمكم ... إنّ العدو إنْ علاكم رمّكم
وخصّكم بجوره وعمّكم ... لا تفضحوا اليوم فداكم قومكم

فقاتل حتّىٰ قتل، فخرج آخر فأخذ بخطام الجمل وارتجز:

يا أُم يا أُم خلا مني الوطن ... لا أبتغي القبر ولا أبغي الكفن
مَن هاهنا محشر عوف بن قطن ... إن فاتنا اليوم علي ألغبن
أو فاتنا ابناه حسين وحسن ... إذن أمت بطول هم وحزن

واشتعلت نار الحرب، واستعر القتال، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فصاح الإمام (عليه السلام): ما أراه يقاتلكم غير هذا الهودج، أعقروا الجمل أو عرقبوه، فإنّه شيطان. أو قال: اعقروه وإلاّ فنيت العرب لا يزال السيف قائماً وراكعاً، يحصد الرؤوس حتّىٰ يهوي هذا البعير إلىٰ الأرض.

فضرب عجز الجمل فوقع لحينه، وضرب بجرانه الأرض، وعجَّ عجيجاً لم يسمع بأشد منه، فما هو إلاّ أن صُرِع حتّىٰ فرَّ الرجال كما يطير الجراد في الريح الشديد الهبوب، وسقط الهودج. فصاح الإمام اقطعوا البطان. فقطعه محمّد بن

أبي بكر أخو عائشة وكان من أصحاب الإمام وأُخرِجَ الهودج فقالت عائشة: مَن أنت؟

فقال محمد: أبغضُ أَهلِكِ إليك.

فقالت عائشة: ابن الخثعمية[1]؟

فقال محمد: نَعَم، ولم تكن دون أُمّهاتكِ.

فقالت عائشة: لعمري بل هي شريفة، دع عنك هذا، الحمد لله الذي سلّمك.

فقال محمد: قد كان ذلك ما تكرهين.

فقالت عائشة: يا أخي لو كرهته ما قلت الذي قلته.

فقال محمد: أكنت تحبّين الظفر وأنّي قتلت؟

فقالت عائشة: قد كنت أُحبّ ذلك، ولكنه لمّا صرنا إلىٰ ما صرنا إليه أحببتُ سلامتك لقرابتي منك، فأكفف، ولا تعقب الأُمور، وخذ الظاهر ولا تكن

(١) كانت أسماء بنت عميس الخثعمي امرأة مؤمنة صالحة، وكانت زوجة جعفر الطيّار (عليه السلام) ولمّا استشهد في معركة مؤتة، تزوّجها أبو بكر وأولدت منه محمّداً هذا، ولمّا مات عنها أبو بكر تزوّجها أمير المؤمنين (عليه السلام) فأولدها يحيىٰ وعون وكان محمّد بن أبي بكر صغير السن، فتربىٰ في كنف الإمام، فكان ربيبه ومن أخلص أصحابه كان الإمام (عليه السلام) يقول: محمّد ابني ولكنه من صلب أبي بكر، وكان من أخلص أصحاب الإمام وأحبهم إليه، وقد ولّاه أخيراً إمارة مصر من قبله، وبدسائسٍ من معاوية وعمر بن العاص، تمكنا من إثارة بعض الغوغائيين عليه فقتلوه، وقيل قتل بالعسل المسموم وبعدها، أُدخل جسده في جوف حمار وأُحرق، وقبره لحد اليوم شاخص في مصر ومعلوم.

كما أن معاوية أرسل من يسم الوالي الجديد علىٰ مصر، بالطريق بالعسل المسموم، وهو الصحابي الجليل مالك الأشتر النخعي وعندما علم أمير المؤمنين (عليه السلام) رثاه وقال كلمته المشهورة، كان لي مالك كما كنت لرسول الله.

لومة ولا عذلة.

وجاء الإمام فقرع الهودج برمحه وقال: يا حُميراء، بهذا أوصاك رسول الله (صلّى الله عليه وآله)؟!

فقالت: يا ابن أبي طالب، ملكت فاصفح، وظفرت فاسجع.

فقال الإمام: والله، ما أدري متىٰ أشفي غيظي؟ أحين أقدر علىٰ الإنتقام يقال لي: لو عفوتَ؟! أم حين أعجز من الانتقام فيقال لي: لو صبرت. بلىٰ أصبر فإنّ لكل شيءٍ زكاة، وزكاة القدرة والمكنة: العفو والصفح.

ثمّ التفت (عليه السلام) إلىٰ محمّد بن أبي بكر وقال: شأنك بأُختك، فلا يدنو منها أحد سواك. وأمر الإمام (عليه السلام) فاحتملت عائشة بهودجها إلىٰ دار عبد الله بن خلف في البصرة، وأمر بالجمل أن يحرق ثمّ يذرىٰ رماده في الريح، وقال (عليه السلام) إشارة إلىٰ الجمل: لعن الله من دابّة، فما أشبهه بعجل بني إسرائيل. ثمّ تلا:

﴿وانظر إلىٰ الهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنّه ثمّ لننسفنّه في اليم نسفاً﴾[1].

ركبت عائشة وهي تقول: فخرتم وغلبتم، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

ونادىٰ الإمام: يا محمّد بن أبي بكر، سلها هل وصل إليها شيء من الرماح والسهام؟ فسألها، فقالت: نعم، وصل إليَّ سهم، خدش رأسي وسلمت من غيره، الله بيني وبينكم.

فقال محمّد: والله ليحكمنَّ عليك يوم القيامة ما كان بينك وبين أمير المؤمنين حين تخرجين عليه، وتؤلّبين الناس علىٰ قتاله، وتنبذين كتاب الله وراء ظهرك.

(١) سورة طه/٩٧.

فقالت عائشة: دعنا يا محمد وقل لصاحبك يحرسني.

فأمر الإمام أن يحملها أخوها إلىٰ دار ابن خلف في البصرة، فحملها وهي لا تفتر عن سبِّ الإمام وسبِّ أخيها محمّد، والترحّم علىٰ أصحاب الجمل.

ومرَّ الإمام علىٰ القتلىٰ وجعل يخاطبهم ويعاتبهم، وخاطب كعباً وطلحة. فقيل له: أتكلّم هؤلاء بعد القتل؟

فقال: والله، لقد سمعا كلامي كما سمع أهل القليب كلام رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يوم بدر.

ثمَّ نادىٰ منادي الإمام: مَن أحبَّ أن يواري قتيله فليواره، وأمر أصحابه وقال لهم: واروا قتلانا في ثيابهم التي قتلوا فيها، فإنّهم يُحشرون علىٰ الشهادة، وإنّي لشاهدٌ لهم بالوفاءِ.

فجاءَ ابن عبّاس يطلب الأمان لمروان بن الحكم، فأمره الإمام بإحضاره، فلمّا حضر قال له الإمام: أتبايع؟ فقال نعم وفي النفس ما فيها.

فقال الإمام: الله أعلم بما في القلوب. فلمّا بسط يده ليبايعه أخذ كفّهُ من كفّ مروان وجذبها، وقال:

لا حاجة لي فيها، إنّها كفٌّ يهودية، لو بايعني بيده عشرين مرّة لنكث بإسته.

ثمَّ قال: هيه يا بن الحكم، خفت علىٰ رأسك أن تقع في هذه المعمعة؟! كلا والله، حتّىٰ يخرج من صلبك فلان وفلان يسومون هذه الأمّة خسفاً ويسقونهم كأساً مصبّرة.

ومن المناسب هنا أن أنقل نصَّ كلام ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة ج١ ص٢٢ و٢٣، حلم الإمام علي (عليه السلام) وصفحه قال:

وأما الحلم والصفح، فكان أحلمَ الناس عن ذَنْب، وأصفحَهم عن مسيء؛ وقد ظهر صحّة ما قلناه يومَ الجمل؛ حيث ظفر بمروان بن الحكم ـ وكان أعدىٰ

الناس له، وأشدهم بغضاً ـ فصفح عنه.

وكان عبد الله بن الزّبير يشتِمه علىٰ رؤوس الأشهاد، وخطب يوم البصرة فقال: قد أتاك الوَغد اللئيم عليّ بن أبي طالب ـ وكان عليٌّ (عليه السلام) يقول: ما زال الزبير رجلاً منّا أهلَ البيت حتّىٰ شبّ عبد الله ـ فظفر به يوم الجمل، فأخذه أسيراً، فصفح عنه، وقال: اذهب فلا أرَينَّك؛ لم يزده علىٰ ذلك.

وظفر بسعيد بن العاص بعد وقعة الجمل بمكّة، وكان له عدوّاً، فأعرض عنه ولم يقلْ له شيئاً.

وقد علمتم ما كان من عائشة في أمره، فلمّا ظفِر بها أكرمها، وبعث معها إلىٰ المدينة عشرين أمرأة من نساء عبد القيس عَممهنّ بالعمائم وقلّدهنّ بالسيوف، فلمّا كانت ببعض الطريق ذكرتْه بما لا يجوز أن يُذكر به، وتأفّفت وقالت: هَتَك ستري برجاله وجنده الذين وكّلهم بي، فلما وصلت المدينة ألقىٰ النساء عمائمهنّ، وقلن لها: إنّا نحن نسوة.

وحاربه أهل البصرة، وضربُوا وجهه ووجوه أولاده بالسيوف وشتموه ولعنوه، فلمّا ظفر بهم رفع السيف عنهم، ونادَىٰ مناديه في أقطار العسكر:

ألاّ لا يُتبَع مولّ، ولا يُجهَزُ علىٰ جَريح، ولا يُقتل مستأسر، ومَن ألقىٰ سلاحه فهو آمن، ومَن تحيّز إلىٰ عسكر الإمام فهو آمن.

ولم يأخذ أثقالَهم، ولا سبَىٰ ذرارِيَّهم، ولا غَنِمَ شيئاً من أموالهم، ولو شاء أن يفعل كلّ ذلك لفعل، ولكنّه أبىٰ إلاّ الصَفح والعفو وتقيّل سنةَ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يوم فتح مكّة، فإنّه عفا والأحقاد لم تبرد، والإساءة لم تُنْسَ. أنتهىٰ.

أمّا الزبير فإنّه خرج من المعركة ووصل إلىٰ منطقة في ضواحي البصرة يقال لها «وادي السباع» فقتله ابن جرموز غيلة وأخذ رأسه وسيفه وخاتمه، وجاء بها إلىٰ معسكر الإمام، فاستأذن ودخل وإذا به يرىٰ القائد الأعلىٰ للمسلمين جالساً، بين يديه ترس عليه قرص من خبز الشعير، فسلّم عليه، وهنّأه بالفتح

عن الأحنف، لأنّ الحرب قد وضعت أوزارها حينئذ، وقال: أنا رسول الأحنف، وقد قتلتُ الزبير، وهذا رأسه وسيفه. فألقاهما بين يديه. فقال الإمام: كيف قتلته؟ وما كان من أمره؟ فحدِّثنا كيف كان صنعك به؟

فقصَّ عليه ما جرىٰ فقال: ناولني سيفه. فناوله، فاستله وهزّه وقال: سيف أعرفه، طالما جلا الكرب عن وجه رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

ثمّ التفت الإمام إلىٰ ابن جرموز قائلاً: والله، ما كان ابن صفيّة جباناً ولا لئيماً، ولكن الجبن ومصارع السوء.

ثمَّ تفرَّس في وجه الزبير وقال: ومنه قرابة، ولكن دخل الشيطان منخرك فأوردك هذا المورد.

فقال ابن جرموز: الجائزة يا أمير المؤمنين.

فقال (عليه السلام): أما إنّي سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول: بشر قاتل ابن صفيّة بالنار.

وقبض أمير المؤمنين (عليه السلام) ما وجد في عسكر الجمل من سلاح ودابّة ومملوك ومتاع فقسّمه بين أصحابه. فقال بعض أصحابه: أقسم بيننا أهل البصرة، فأجعلهم رقيقاً.

فقال: لا.

فقالوا: كيف تحل لنا دماءهم وتحرّم علينا سبيهم؟

فقال: كيف يحل لكم ذريّة ضعيفة في دار هجرة الإسلام؟ وأمّا ما جلب به القوم في معسكرهم عليكم فهو لكم مغنم، وأمّا ما وارت الدور وأُغلق عليه الأبواب فهو لأهله، ولا نصيب لكم في شيء منه.

فلمّا أكثروا عليه القول قال: فاقرعوا علىٰ عائشة لأدفعها إلىٰ مَن تصيبه القرعة. فقالوا: نستغفر الله يا أمير المؤمنين. ثمَّ انصرفوا.

فلمّا دخل (عليه السلام) بيت المال في نفرٍ من المهاجرين والأنصار، ونظر

إلىٰ كثرة ما فيه قال: غري غيري مراراً. ثمَّ نظر إلىٰ المال وصعَد وصوّب بصره، وقال: اقسموه بين أصحابي خمسمائة خمسمائة.

فقسّم بينهم، فلا والّذي بعث محمّداً (صلّى الله عليه وآله) بالحق نبياً ما نقص درهماً ولا زاد درهماً، كأنه كان يعرف مبلغه ومقداره وكان مقدار المال ستة ملايين، وعدد أصحابه اثنا عشر ألف رجل، وأخذ هو خمسمائة درهم كواحد منهم.

فجاءَه رجل لم يحضر الواقعة فقال: يا أمير المؤمنين، كنت شاهداً بقلبي، وإنْ غاب عنك جسمي، فاعطني من الفيء شيئاً، فدفع إليه الذي أخذه لنفسه، ولم يصب من الفيء شيئاً.

وفي رواية أُخرىٰ: جاء رجل فقال: إنّ اسمي سقط من كتابك فقال (عليه السلام): ردّوها عليه. ثمَّ قال: الحمد لله إذ لم يصل إليَّ من هذا المال شيء.

ولمّا فرغ من تقسيم بيت المال قام خطيباً في أصحابه، فحمد الله وأثنىٰ عليه وقال:

أيّها الناس، إنّي أحمد الله علىٰ نعمةِ قتل طلحة والزبير، وأيم الله لو كانت عائشة طلبت حقّاً، وهانت باطلاً، لكان لها في بيتها مأوىٰ، وما فرض الله عليها الجهاد، وإنَّ أول خطأها في نفسها، وما كانت ـ والله ـ علىٰ القوم أشأم من ناقة الصخرة، وما ازداد عدوكم إلّا حقداً، وما زداهم الشيطان إلّا طغيانا، ولقد جاؤوا مبطلين، وأدبروا ظالمين، إنَّ إخوانكم المؤمنين جاهدوا في سبيل الله وآمنوا يرجون مغفرة الله، وإننا لعلىٰ الحق وإنهم لعلىٰ الباطل، ويجمعنا الله وإيّاهم يوم الفصل، واستغفر الله لي ولكم.

ثمَّ أرسل الإمام (عليه السلام) ابن عبّاس إلىٰ عائشة يأمرها بتعجيل الرحيل، وقلة العرجة ـ الإقامة ـ، فجاءَها ابن عبّاس وهي في قصر بني خلف، فطلب الإذن عليها فلم تأذن له، فدخل عليها بغير إذنها، فإذا بيت قفار لم يُعد

فيه مجلس، فإذا هي من وراءِ سترين، نظر ابن عبّاس إلىٰ ما في الحجرة، فوقع بصره علىٰ طنفسة، علىٰ رحل، فمدَّ الطنفسة وجلس عليها. فقالت عائشة من وراء الستر: يا بن عباس، أخطأت السنّة، دخلت بيتنا بغير إذننا، وجلست علىٰ متاعنا بغير إذننا.

فقال ابن عبّاس: نحن أولىٰ بالسنّة منك ونحن علّمناك السنّة، وإنّما بيتك الذي خلّفك فيه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فخرجتِ منه ظالمة لنفسك، غاشّة لدينك، عاتية علىٰ ربك، عاصية لرسول الله فإذا رجعت إلىٰ بيتك لم ندخله إلّا بإذنك، ولم نجلس علىٰ متاعك إلّا بأمرك؛ إنَّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بعث إليك يأمرك بالرحيل إلىٰ المدينة وقلّة العرجة.

فقالت عائشة: رحم الله أمير المؤمنين، ذاك عمر بن الخطّاب.

فقال ابن عبّاس: هذا والله أمير المؤمنين، وإنْ تربّدت فيه وجوه، ورغمت معاطس، أما والله لهو أمير المؤمنين، وأمسّ برسول الله رحماً، وأقرب قرابة، وأقدم سبقاً وأكثر علماً، وأعلىٰ مناراً، وأكثر آثاراً من أبيك ومن عمر.

فقالت عائشة: أبيت ذلك.

فقال ابن عبّاس: أما والله، إن كان إباؤك ـ أي عدم قبولك ـ فيه لقصير المدّة، عظيم التبعة، ظاهر الشؤم، بيّن النكر، وما كان إباؤك فيه إلا حلب شاة حتّىٰ صرت ما تأمرين، ولا تنهين، ولا ترفعين، ولا تضعين، وما كان مثلك إلّا كمثل ابن الحضرمي بن يحمان أخي بني أسد حيث يقول:

ما ذاك إهداء القصائد بيننا ... شتم الصديق وكثرة الألقاب
حتّىٰ تركتهم كأنَّ قلوبهم ... في كل مجمعة طنين ذباب

سمعت عائشة فأراقت دمعتها، وبدا عويلها، ثمَّ قالت: أخرج والله عنكم، فما في الأرض بلدٌ أبغض إليّ من بلدٍ تكونون فيه.

فقال ابن عبّاس: فَلِمَ؟ والله ماذا بلاؤنا عندك، ولا يضعنا إليك، إنّا

جعلناك للمؤمنين أُمّاً، وأنت بنت أُم رومان، وجعلنا أباك صدّيقا وهو ابن أبي قحافة حامل قصاع الودك ـ الخمر ـ لابن جذعان إلىٰ أضيافه.

فقالت: يا ابن عبّاس تمنّون عليَّ برسول الله؟

فقال: وَلِمَ لا نمنّ عليكِ بمن لو كان منك قلامة منه منتنا به؟ ونحن لحمه ودمه ومنه، وما أنت إلّا حشية من حشايا تسع، خلّفهن بعده، لست بأبيضهن لوناً، ولا بأحسنهنَّ وجهاً، ولا بأرشحهنَّ عرقاً، ولا بأنضرهنَّ ورقاً، ولا بأطهرهنَّ أصلاً، صرت تأمرين فتطاعين، وتدعين فتجابين، وما مثلك إلّا كما قال أخو بني فهر:

منـنت علىٰ قومي فأبدوا عداوة ... فقلت لهم: كفّوا العداوة والشكرا
ففيه رضا من مثلكم لصديقكم ... وأحجىٰ بكم أن تجمعوا البغي والكفرا

ثمَّ نهض ابن عبّاس وأتىٰ الإمام فأخبره بمقالتها، وما ردّ عليها، فقال (عليه السلام): أما إنّي كنت أعلم بكَ حيث بعثتك.

لقد استمرت الحرب من الزوال إلىٰ الغروب، وقيل استمرّت ثلاثة أيام، وعلىٰ كل حال فقد بلغ عدد القتلىٰ خمسة وعشرين ألف قتيل: ستة الآف من أصحاب الإمام، والباقون من أصحاب الجمل، وأمّا الأيدي والأرجل التي قطعت فقد بلغ عددها أربعة عشر ألفاً.

وهكذا روت الأرض بالدماء، وهكذا زهقت الأرواح، ولا تسأل عن الجرحىٰ، ولا تسأل عن أرامل القتلىٰ ويتاماهم، كل هذا لمصلحة مَن؟ هذا والكلام طويل، وفي هذا المقدار كفاية، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

روىٰ هذه الواقعة معظم علماء القوم ومحدّثيهم وحفاظهم ومؤرّخيهم بالفاظ مختلفة متقاربة مفصلة وموجزة في مسانيدهم وكتبهم التاريخية، فراجعها في مظانها، منه ما ذكره ابن الصباغ في فصوله المهمة ص٨٦ ط النجف وطهران،

قال:

وذكر نقلة الأخبار، وأصحاب التواريخ أن عدة من قتل من أهل الجمل ستة عشر ألفاً وسبعمائة وتسعون رجلاً ١٦٧٩٠ وكانت جملتهم ثلاثين ألفاً فأتىٰ القتل علىٰ أكثر من نصفهم، وأن عدة من قتل من أصحاب علي (عليه السلام) ألفٌ وسبعون رجلاً ١٠٧٠ وكانت عدتهم عشرين ألفاً، وقيل غير ذلك والله العالم.

وعاتبت السيدة أُم سلمة عائشة علىٰ خروجها وقالت:

لو كان معتصماً من زلة أحد ... كانت لعائشة الرتبىٰ علىٰ الناس
من زوجة لرسول الله فاضلة ... وذكر آي من القرآن مدراس
وحكمة لم يكن إلّا لهاجها ... في الصدر تذهب عنها كل وسواس
وينزع الله من قوم عقولهم ... حتىٰ يمر الذي يقضي علىٰ الراس
ويرحم الله أُم المؤمنين لقد ... تبدّلت بي إيحاساً بإيناس

فقالت لها عائشة شتمتني يا أُخت فقالت أُم سلمة ولكن الفتنة إذا أقبلت غطت علىٰ البصيرة، وإذا أدبرت أبصرها العاقل والجاهل.

* * *

معركة صفين

بعدما انتهت معركة الجمل في البصرة ووضعت الحرب أوزارها رجع الإمام (عليه السلام) إلىٰ الكوفة مظفّراً منصوراً، وجعل الكوفة مقرّاً لحكمه، وعاصمة لإدارة شؤون المسلمين والدولة الإسلامية المترامية الأطراف.

ولما استقر به المقام (عليه السلام)، بعث بشير بن عمرو بن محصن الأنصاري، وسعيد بن قيس الهمداني، وشبث بن ربعي التميمي إلىٰ معاوية، فقال لهم: أئتوا هذا الرجل فادعوه إلىٰ الطاعة والجماعة وأحتجوا عليه وانظروا ما رأيه، وكان ذلك أول ذي الحجة من سنة ست وثلاثين هـ. فلما دخل الوفد عليه وأبلغوه رسالة الإمام وجرت بينهم محادثات ومحاججات كثيرة وتبادل الكتب والرسائل، لم تُجْدِ معاوية تلك السفارة نفعاً.

وبعد أيام بعث الإمام (عليه السلام) وفداً آخر يضم عدي بن حاتم الطائي، ويزيد بن قيس الأرحبي، وشبث بن ربعي، وزياد بن خصفة بالسفارة إتماماً للحجة وتوكيداً للسلام والموادعة، ولكن معاوية طغىٰ وتجبر وصمم علىٰ الحرب والمواجهة المسلحة مع الإمام وقد سبق أن بعث أمير المؤمنين (عليه السلام) إلىٰ معاوية كتاباً بيد رجل من أصحابه إلىٰ الشام، وبعد أن أستلم معاويه الكتاب، وفشل سفارة الوفود جمع بعض أصحابه وأطلعهم علىٰ مضمون الكتاب، وأمرهم بإشاعة هذا الخبر وإذاعته بين الناس؛ أنَّ علياً قتل عثمان، ومعاوية وليّ دمه، فيجب الطلب بثأر عثمان ودمه. وأعانه علىٰ هذه الفكرة، عمرو بن العاص، واشترط علىٰ معاوية أنّه إذا أعانه علىٰ حرب الإمام (عليه السلام) وأخرجوا مصر من تحت سلطة أمير المؤمنين (عليه السلام) يكون عمرو بن العاص والياً وأميراً علىٰ مصر، ولا يدفع لمعاوية خراجها لمدّة عشر سنين، فقبل معاوية هذا

الشـرط، فبـايعه علىٰ ذلك، كما أن أهل الشام بايعوا معاوية علىٰ حرب أمير المؤمنين وخليفة المسلمين.

فنهض معاوية بجيشه الجرار وأقبل إلىٰ «صفين»، وهي أرض واسعة كبيرة، مستعداً للقتال. وأقبل الإمام بجيشه حتّىٰ عسكر في ذلك المكان.

وبعـد أيّام وصل أبو الأعور السلمي علىٰ مقدمة جيش معاوية إلىٰ منطقة صفين، الكائنة بالقرب من مدينة الرقة في سوريا، ونزل منزلاً مستويا واسعا، واستولوا علىٰ شريعة نهر الفرات. ووصل بعدها مالك الأشتر ومعه أربعة آلاف مقـاتـل، وهم مقدمة الجيش العلوي، فاصطدموا بجيش أبي الأعور السلمي وأزالـوهم عن الفرات، بعدها وصل معاوية مع جيشه الجرار، فانسحب مالك الأشتر عنها، فاستولىٰ معاوية بجيشه علىٰ شاطئ نهر الفرات، وصار الماء تحت سيطرتهم.

ولمّا وصل الإمام (عليه السلام) ومعه مائة ألف مقاتل أو يزيدون، أمرهم الإمام أن ينزلوا ويضعوا أثقالهم، وتسرّع بعضهم إلىٰ ناحية معاوية واقتتلوا قتالاً يسيراً، وتقدّمت طائفة منهم إلىٰ شاطئ الفرات ليستقوا فمنعهم جيش الشام. فأرسل الإمام (عليه السلام) صعصعة بن صوحان إلىٰ معاوية يعاتبه علىٰ منعه الماء وجرىٰ بينهم كلام طويل، وقد سبق أن نصح عمرو بن العاص معاوية، وأمـره أن يفسح المجال لأصحاب الإمام كي يشربوا من الماء، ولكن غرور معاوية ولؤمه منعه من قبول النصيحة. وقال معاوية لأهل الشام: هذا أوّل الظفر، لا سقاني الله ولا أبا سفيان إنْ شرَبوا منه حتّىٰ يُقتلوا بأجمعهم. فتباشر أهل الشام بالغلبة علىٰ عدوهم عن طريق حبس الماء عنهم! فقام رجل همداني من جيش معاوية وقال: يا معاوية، سبحان الله سبقتم القوم إلىٰ الفرات وتمنعونهم

الماء؟ أما والله لو سبقكم عليه عليٌّ لسقاكم منه، أليس أعظم ما تنالون من القوم أن تمنعوهم الفرات؟! أما تعلمون أنّ فيهم العبد والأمة والأجير والضعيف ومَن لا ذنب له؟! هذا والله أول الجور. فأغلظ له معاوية في الكلام، وقال لعمرو: أكفني صديقك، فأتاه عمرو وقابله بالكلام الخشن، فسار الهمداني في سواد الليل حتّىٰ لحق بجيش الإمام (عليه السلام).

ومكث أصحاب الإمام (عليه السلام) يوماً وليلة بغير ماء، واغتمَّ الإمام (عليه السلام) من عَطَشِ أصحابه، وقال عمرو بن العاص لمعاوية: إنَّ علياً لا يموت عطشاً، ومعه تسعون ألفاً من أهل العراق أو يزيدون، وسيوفهم علىٰ عواتقهم، دعهم يشربون وتشرب. فقال: معاوية: لا والله، أو يموتوا عطشاً كما مات عثمان.

وخرج الإمام تلك الليلة يدور في عسكره، فسمع قائلاً يقول:

أيمـنـعـنـا الـقـوم ماء الفـرات ... وفـيـنـا عليٌّ وفـيـنـا الهـدىٰ
وفـيـنـا الـصـلاة وفـيـنـا الصيام ... وفينـا المنـاجـون تحت الدجىٰ

ثمَّ مرَّ بآخر، فسمعه يقول:

أيمـنـعـنـا الـقـوم ماء الفـرات ... وفـيـنـا الـرمـاح وفينـا الحُجفْ
وفـيـنـا عليٌّ له صولـة ... إذا خوفـوه الـردىٰ لم يخفْ
ونـحـن عداه لقـيـنـا الـزبـير ... وطـلـحـة خضـنـا غبار التـلفْ
فما النـاس أمس أسـد العـرين ... ومـا بالـنـا الـيوم شاة عُجُفْ

وأُلقي علىٰ الأشعث بن قيس، وكـان حينذاك في جيش الإمام (عليه السلام)، رقعة فيها شعر، فلما قرأها هاجت فيه الحميّة، فأخذها ودخل علىٰ الإمام (عليه السـلام)، فقـال: يا أمير المؤمنين، أيمنعنا القوم ماءَ الفرات وأنت فينا والسيوف بأيدينا؟! خلِّ عنا وعن القوم، فوالله لا نرجع حتّىٰ نرده أو نموت.

فقال الإمام (عليه السلام): ذلك إليكم.

فرجع الأشعث فنادىٰ في الناس: مَن يريد الماء أو الموت، فميعاده موضع كذا، فإنّي ناهض.

فخرج اثنا عشر ألف رجل من قبيلة كِندة وغيرهم، واضعي سيوفهم علىٰ عواتقهم، وأقبل مالك الأشتر بخيله، فحَملوا علىٰ الفرات حملة رجل واحد، وأخذت السيوف أهل الشام مأخذاً عظيماً، فولّوا الدبر، حتّىٰ غمست خيل الإمام سنابكها في الفرات واستولوا علىٰ الشريعة وأزالوا أبا الأعور السلمي عنها، وقتل مَن قُتل منهم، وغرق من غرق منهم، ومن خيولهم، وصارت الشريعة بأيدي جيش الإمام (عليه السلام) فقالوا: لا والله لا نسقيهم. فأرسل إليهم الإمام (عليه السلام) أن خذوا حاجتكم من الماء، وخلّوا بينهم وبين الماء، فإنّ الله قد نصركم عليهم بظلمهم وبغيهم. فقال بعضهم للإمام (عليه السلام) أمنعهم الماء كما منعوك. فقال (عليه السلام): لا، خلّوا بينهم وبينه، لا أفعل ما فعله الجاهلون.

هذا الفرق بين العدل والجور، وبين الحق والباطل.

واستأذن معاوية وروده المشرعة، فأباح الإمام له ذلك، وكان جُلّ همّه المحافظة علىٰ السلام والأمان بقدر الإمكان، كما فعل بأصحاب الجمل في البصرة.

أرسل الإمام (عليه السلام) الأشخاص إلىٰ معاوية للتفاهم معه وحسم النزاع، وعدم إراقة وسفك الدماء، وإلقاء الحجّة عليه، ولكن معاوية كان مصرّاً علىٰ الحرب والقتال.

وأخيراً اصطدم العسكران واشتعلت نار الحرب، فزحف بعضهم علىٰ بعض، وتراموا بالنبال والحجارة حتّىٰ فنيت، ثمّ تطاعنوا بالرماح حتّىٰ تكسرّت، ومشىٰ بعضهم إلىٰ بعض بالسيوف وعمد الحديد، فلم يُسمع إلّا وقع الحديد، وانكسفت الشمس، وأمطرت السماء دماً، وحملت الأفواج علىٰ الأفواح. واستمر

القتال متواصلاً ستاً وثلاثين ساعة، واقترب جيش الإمام من مقر قيادة الجيش الأموي، وطلب معاوية فرساً لينهزم، وكان أهل الشام ينادون: يا معشر العرب، الله الله في الحرمات من النساء والبنات! الله الله في البقيّة! لقد فنيت العرب!

واقترب الجيش العلوي من الفتح، ولاح لهم الظفر والنصر وتوجّه الخطر إلىٰ معاوية، ولم يستطيع المقاومة إلا عن طريق الخدعة والمكر والحيلة، وبعد مشاورة عمرو بن العاص أمر معاوية أصحابه في جوف الليل أن يربطوا المصاحف علىٰ رؤوس الرماح، وأصبح الصباح وإذا بأهل الشام رافعين خمسمائة مصحف علىٰ رؤوس رماحهم، وينادون بما تقدّم من كلامهم، ويستعطفون أهل العراق، ويطلبون منهم ترك الحرب، وكان آخر كلامهم: هذا كتاب الله بيننا وبينكم.

فقال الإمام (عليه السلام): اللهمَّ إنّك تعلم إنّهم ما الكتاب يريدون. وقال: كلمة حق يراد بها باطل.

ومن هذا المنطلق وهذه المكيدة، اختلف أصحاب الإمام (عليه السلام) فطائفة منهم قالت: القتال حتّىٰ النصر. وطائفة منهم قالت: المحاكمة إلىٰ الكتاب، ولا يحل لنا أن نقاتلهم وقد دعينا إلىٰ حكم الله في الكتاب.

فعند ذلك بطلت الحرب ووضعت أوزارها، وكان عدي بن حاتم الطائي يرىٰ أن الفتح والنصر قد اقترب، ويطلب من الإمام الاستمرار في الحرب، وقام عمر بن الحمق الخزاعي وطلب من الإمام أن يعمل بما يرىٰ، فقام الأشعث بن قيس وقابل هؤلاء بالكلام الخشن، وطلب كفّ القتال، ـ عليه لعنة الله ـ وهذا أوّل تمرّد وخيانة فقال الإمام (عليه السلام):

إنّي أحق مَن أجاب إلىٰ كتاب الله، ولكن معاوية، وعمرو بن العاص، وابن أبي سرح، وابن أبي معيط، وابن مسلمة، ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، وإنّي أعرف بهم منكم، صحبتهم صغاراً ورجالاً، فكانوا شرّ صغار وشر رجال.

ويحكم أنّها كلمة حق يراد بها الباطل، إنّهم ما رفعوها ليعرفونها ويعملون بها، ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة، أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعه، ولم يبق إلّا أن يقطع دابر الذين ظلموا.

واستمرّت الحرب من يوم شروعها إلىٰ صبيحة ليلة الهرير مائة وعشرة أيّام، وبلغ عدد القتلىٰ من أهل الشام تسعين ألفاً، ومن أهل العراق عشرين ألفاً، فكان مجموع القتلىٰ مائة وعشرة آلاف قتيل، كما ذكر المسعودي.

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، لمصلحة مَن سُفِكت هذه الدماء؟!

وجاء إلىٰ الإمام من أصحابه زهاء عشرين ألفاً، بتحريضٍ من الأشعث بن قيس رأس الفساد، وأول من جَرَّأَ القوم علىٰ التمرد والعصيان، مقنعين في الحديد، حاملي سيوفهم علىٰ عواتقهم، وقد اسودّت جباههم من كثرة السجود ـ وهم الـذين صاروا بعد ذلك خوارج ـ فنادوا الإمام باسمه لا بإمرة المؤمنين، وقالوا: يا علي، أجب القوم إلىٰ كتاب الله إذ دعيت إليه، وإلّا قتلناك كما قتلنا ابن عفّان، فوالله لنفعلنّها إن لم تجبهم.

فقال الإمام (عليه السلام): ويحكم أنا أوّل مَن دعا إلىٰ كتاب الله، وأوّل مَن أجاب... ولكني قد أعلمتكم أنّهم قد كادوكم، وأنّهم ليس العمل بالقرآن يريدون.

وكان مالك الأشتر في تلك الساعة يُقاتل ويتقدّم لحظة بعد لحظة، وجيش معـاوية ينسحب وينهزم وينقرض ساعة بعد ساعة، ولو أمهلوا الأشتر ساعةً واحـدةً لانتهت الحرب، بانهزام جيش معاوية. فصاح هؤلاء: يا أمير المؤمنين، إبعث إلىٰ الأشتر ليأتيك. فبعث الإمام رجلاً إلىٰ الأشتر أن ائتني. فقال الأشتر: ليس هذه بالساعة التي ينبغي لك أن تزيلني فيها عن موقعي، إنّي رجوت الفتح فلا تعجلني.

رجـع الـرسول فأخبر الإمام، وحمل الأشتر علىٰ أهل الشام وظهرت

علامات الفتح، ولكن القوم قالوا: يا أمير المؤمنين، ما نراك إلّا أمرته بالقتال.

فقـال الإمـام: أرأيتمـوني شاورت رسولي إليه؟ أليس إنّما كلّمته علىٰ رؤوسكم علانية وأنتم تسمعون؟

فقالوا: ابعث إليه، وإلّا فوالله اعتزلناك.

فذهب الرسول مرّة ثانية إلىٰ الأشتر وأخبر بتمرّد القوم واختلافهم، وما كان الأشتر يحبّ مغادرة جبهة القتال في تلك الساعة الحرجة، فقال له الرسول: أتحب أنّك ظفرت هٰهنا، وإمامك بمكانه الذي هو فيه يفرج عنه ويُسلّم إلىٰ عدوّه؟!

فقال الأشتر: سبحان الله! لا والله، لا أُحبُّ ذلك.

فقال الرسول: فإنّهم حلفوا عليه لترسلنَّ إلىٰ الأشتر فليأتيك، أو لنقتلنّك باسيافنا كما قتلنا عثمان، أو لنسلمنّك إلىٰ عدوك.

أقبل الأشتر مغضباً وصاح بالقوم: يا أهل الذل والوهن، أحين علوتم القوم وضنّوا أنّكم قاهروهم رفعوا المصاحف يدعوكم إلىٰ ما فيها... فلا تجيبوهم، أمهلوني فإنّي قد أحسست بالفتح.

قالوا: لا نمهلك.

وجرىٰ كلام طويل بينهما حتّىٰ آل الأمر إلىٰ السبّ، والشتم والصياح، فصاح الإمام بهم: كفّوا. فصاح القوم أنَّ أمير المؤمنين قد رضي المحاكمة بحكم القرآن!

وكـان الإمام ساكتاً لا يتكلّم طيلة هذه الفترة، ولمّا سكتوا، قال: أيّها الناس، إنّ أمري لم يزل معكم علىٰ ما أُحب إلىٰ أن أخذت منكم الحرب... إلا إنّي أمس أمير المؤمنين، فأصبحت اليوم مأموراً، وكنت ناهياً فأصبحت منهياً، وقد احببتم البقاء وليس لي أن أحملكم علىٰ ما تكرهون.

فاضطربت أقوال الرجال، وقام الرؤساء وتكلّموا بما تكلّموا من الموافقة

علىٰ رأى الإمام ورفض المحاكمة، ولكنَّ المهرّجين نشروا هذه الكلمة: إنَّ أمير المؤمنين رضي التحكيم.

ودخل الأشعث بن قيس، واستأذن من الإمام أن يكون رسولاً إلىٰ معاوية من قبله، فأذن له. فجاءَ الأشعث ودخل علىٰ معاوية وقال: لأي شيء رفعتم هذه المصحاف؟ قال معاوية لنرجع إلىٰ ما أمر الله به فيها، فابعثوا رجلاًمنكم ترضون به، ونبعث رجلاً منّا، ونأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله ولا يعدوانه، ثمَّ نتَّبعُ ما اتّفقنا عليه.

فرجع الأشعث، فأقبل جماعة من أصحاب الإمام، وجماعة أصحاب معاوية، واجتمعوا بين الصَفّين، وتذاكروا حول انتخاب الحكم، فانتخب أهل الشام عمرو بن العاص، وانتخب الأشعث ونظراؤه أبا موسى الأشعري، فرفض الإمام أبا موسى ولم يرض به، لأنّه كان عثماني الهوىٰ، وهو الذي خذَّل أصحاب الإمام من الخروج لحرب عائشة في حرب الجمل بالبصرة، وكان والياً للإمام علىٰ الكوفة، وذلك علىٰ أثر رسالة أرسلتهاعائشة إليه، تأمره بخذلان الناس عن نصرة الإمام، حتّىٰ جاء مالك الأشتر وعزله عن إمرة الكوفة، وطرده شرَّ طردة، فذهب إلىٰ الشام واحتمىٰ بمعاوية. وبعد رفض الإمام أبا موسىٰ، قام الأشعث بن قيس وجماعته، وقالوا: لا نرضىٰ إلّا به. فلم يوافق الإمام وانتخب ابن عبّاس ليكون حكماً من قِبَلِه، فلم يرض الأشعث، بحجّة أنَّ ابن عبّاس من أقاربه، فاختار الإمام مالك الأشتر فلم يرضوا به.

جادل الأشعث الإمام بكل وقاحة وصلافة، وردَّ عليه جميع مقترحاته، وبقي مصرّاً علىٰ انتخابه الأشعري، فقال الإمام: فاصنعوا ما شئتم. وكان يصفق بيديه ويقول: يا عجباً أأُعصىٰ ويطاع معاوية؟!

ثم أرسلوا إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري، وكان بالشام، فجاءَ إلىٰ معسكر الإمام، فجاءَ الأشتر ورشّح نفسه ليكون هو الحكم، وجاء الأحنف بن قيس

وحذّر الإمام من الأشعري وعجزه وضعف نفسه، ورشَّح نفسه للحكم، فوافق الإمام علىٰ ذلك، ولكن الناس اتّبعوا رأي الأشعث وقالوا: لا يكون إلّا أبا موسىٰ الأشعري.

وكتبوا كتاب الموادعة وهذه صورته: هذا ما تقاضىٰ عليه، عليٌّ أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان... فلمّا قرأ معاوية الكتاب قال: بئس الرجل أنا إنْ أقررت أنّه أمير المؤمنين ثمَّ قاتلته.

أعادوا الكتاب إلىٰ الإمام فأخبروه، فأمر بمحو كلمة «أمير المؤمنين» فنهاه الأحنف عن ذلك، فقال الأشعث: امح هذا الاسم، فقال الإمام: إنَّ هذا اليوم كيوم الحديبية، حين كتب الكتاب عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله): هذا ما صالح عليه محمّد رسول الله، وسهيل بن عمرو... فقال سهيل: لو أعلم أنّك رسول الله لم أُقاتلك ولم أُخالفك، إنّي إذاً لظالم لك، ولكن اكتب: محمّد بن عبد الله. فقال لي رسول الله (صلّى الله عليه وآله): يا علي، إنّي لرسول الله، وأنا محمدّ بن عبد الله ولن يمحو عنيّ الرسالة كتابي لهم؛ إنَّ ذلك الكتاب أنا كتبته بيننا وبين المشركين، واليوم أكتبه إلىٰ أبنائهم كما كان رسول الله كتبه إلىٰ آبائهم شبهاً ومثلاً.

فقال عمرو بن العاص؛ سبحان الله! أتشبّهنا بالكفّار ونحن مسلمون؟

فقال الإمام: يا بن النابغة، ومتىٰ لم تكن للكافرين وليّاً وللمسلمين عدواً؟

ولمّا أرادوا تنظيم الكتاب سألوا الإمام: أتقر أنّهم مسلمون مؤمنون؟

فقال الإمام: ما أقرّ لمعاوية ولا لأصحابه أنّهم مؤمنون ولا مسلمون، ولكن يكتب معاوية ما شاء، ويقرّ بما شاء لنفسه ولأصحابه، ويسمّي نفسه بما شاء وأصحابه.

فكتبوا الكتاب وكان في أعلاه ختم الإمام، وفي أسفله خاتم معاوية، وشهد الشهود عليها، وخرج الأشعث بالكتاب، وقرأه علىٰ أهل العراق، فهاج

الناس،وظهرت الفتنة والأنقسام والتفرقة،وتكونت فرقة الخوارج وصاحوا: لا حكم إلّا لله، فأين قتلانا يا أشعث؟ وحمل بعضهم علىٰ الأشعث ليقتله. وأقبلوا إلىٰ الإمام مستنكرين الحكم وطلبوا من الإمام نقض العهد والرجوع إلىٰ الحرب فقال الإمام: ويحكم أبعد الرضىٰ والميثاق والعهد نرجع؟! أليس الله تعالىٰ قد قال: ﴿**أوفوا بالعقود**﴾[1]. وقال: ﴿**وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً**﴾[2] فبرأ الخوارج من الإمام وبرأ منهم.

وأقبل الجيش يستأذنون الإمام بالهجوم علىٰ معاوية، فقال الإمام (عليه السلام): لو كان هذا قبل المعاهدة وسطر الصحيفة لأزلتهم عن عسكرهم.

وكان من التحكيم أنّه توجّه الأشعري للإجتماع بابن العاص للمحاكمة، فحذّره الناس من مكيدة ابن العاص وغدره وسوء سوابقه، حتّىٰ يتخذ التدابير اللّازمة، ويكون علىٰ بصيرة من أمره، ولكن كان كل هذا بلا جدوىٰ، بل كانت النتيجة معكوسة.

واجتمع الحكمان في المكان المعدّ لهما فقال عمرو: تكلّم يا أبا موسىٰ فقال الأشعري: بل أنت تكلم. فقال عمرو: ما كنت لأفعل وأُقدِّم نفسي قبلك، ولك حقوق كلّها واجبة.

فتكلّم أبو موسى، فقال عمرو: إن للكلام أولاً وآخراً، ومتىٰ تنازعنا الكلام لم نبلغ آخره حتّىٰ ننسىٰ أوّله، فاجعل ما كان من كلامٍ بيننا في كتاب يصير إليه أمرنا؟ فقال أبو موسى: اكتب، ودعا عمرو بصحيفةٍ وكاتب.

وبعد سؤال وجواب، وخداع وتزوير، قال الأشعري: قد علمت أنّ أهل

---

(١) سورة المائدة/١.

(٢) سورة النحل/٩١.

العراق لا يحبون معاوية أبداً، وأنّ أهل الشام لا يحبون عليّاً أبداً، فهلمَّ نخلعهما، ونستخلف عبد الله بن عمر بن الخطّاب. فقال عمرو: أيفعل ذلك ابن عمر:؟ قال: نعم، إذا حمله الناس علىٰ فعل ذلك فعل. فقال عمرو: فهل لك في سعد بن أبي وقّاص. قال: لا فذكر ابن العاص جماعة، والأشعري لا يرضىٰ بهم، وكل هذا كان مروغة من ابن العاص ليستغفله، فقال عمرو: قم واخطب. فقال الأشعري: قم أنت واخطب. فامتنع ابن العاص فقام الأشعري وخرج من الخيمة، وقد اجتمع أربعمائة رجل من أصحاب الإمام، ومثلهم من أصحاب معاوية، فقال الأشعري في خطبته:

أيّها الناس، إنّا نظرنا في أمرنا فرأينا أقرب ما يحضرنا من الأمن والصلاح ولم الشعث، وحقن الدماء وجمع الألفة خلعنا عليّاً ومعاوية، وقد خلعت عليّاً كما خلعت عمامتي هذه وخلع عمامته المشؤومة.

ثمَّ قام عمرو وقال:

إيّها الناس، إنَّ أبا موسى عبد الله بن قيس قد خلع عليّاً وأخرجه من هذا الأمر الذي يطلب، وهو أعلم به، ألا وإنّي خلعتُ علياً وأثبّتُ معاوية عليَّ وعليكم.

فقال الأشعري: كذب عمرو لم نستخلف معاوية، ولكنا خلعنا معاوية وعليّاً.

فقال عمرو: بل كذب عبد الله بن قيس، قد خلع عليّاً ولم أخلع معاوية.

فقال الأشعري: مالك لا وفقك الله؟! غدرت وفجرت؛ إنّما مثلك كمثل الكلب إنْ تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث.

فقال عمرو: بل إيّاك يلعن الله، كذبت وغدرت، إنّما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً.

فضرب عمرو أبا موسى فسقط، وضرب شريح عمراً بالسوط، فركب

الأشعري راحلته وتوجّه إلىٰ مكّة وحلف أن لا ينظر في وجه عليّ.

إلىٰ هنا انتهت مهزلة التحكيم وملابساتها، وإن لله وإنّا إليه راجعون.

خلاصة الصراع: لم ينتهي الصراع التاريخي بين الحق والباطل، وبين الكفر والإيمان، إلىٰ هذا الحد في ذلك الزمان، بل تعدّاه إلىٰ أبعد حدود البغي والعدوان على آل الرسول (صلّى الله عليه وآله)، حتى وصل الأمر إلىٰ أن قتلوا في طف كربلاء يوم عاشوراء. أعود فأقول: اتخذت قوىٰ الشرك والنفاق والانحراف المتمثلة بمعاوية، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وزياد ابن أبيه، ومن جاء يلهث من ورائهم، كيزيد الخيانة والفجور وعبيدالله بن زياد، وعمر بن سعد، وشمر بن ذي الجوشن، وغيرهم ممن اتّبعهم علىٰ باطلهم، وتمادىٰ في غيهم وآزرهم بعض الذي هم محسوبين على الإمام (عليه السلام) والذين انخرطوا في جيشه لمحاربة معاوية والذين قاموا بوجه إمامهم في معركة صفين امثال المرتد الأشعث بن قيس، ومن سار في ركابه واعلن عصيانه علىٰ قائده وإمامه وقام بوجهه من المرتدين اصحاب الجباه السود الذين انخدعوا بمكيدة رفع المصاحف، علىٰ رغم ما أكد لهم إمامهم بأنهم قد فتنوا وانخدعوا بهذه المكيدة، وبعد ان بان لهم فشلهم، وانهزامهم، وخذلانهم، بادروا إلىٰ رفع المصاحف في إمرٍ دُبر بليل مظهرين «كلمة حق يراد بها باطل» وما هم من أهل القرآن ولا يعملون به. فلم يسمع أحدٌ منهم إلى نصائح الإمام ولا أقواله، ولم يرجع عن ارتدادهم أحد، حتى استطاعت قوىٰ الشرك والانحراف ان تُضِلَّ شريحةً كبيرةً من جيش الإمام وانجرافهم بخروجهم عليه حتى ختم المؤامرة المنافق أبو موسىٰ الأشعرىٰ في قصة التحكيم كما اسلفنا. وبعد أن بان للخوارج خطئهم وانخداعهم، وبدلاً من أن يرجعوا إلىٰ إمامهم نادمين منيبين، تراهم قد أخذتهم العزة بالإثم، وصاروا يُحَمِّلونَ إمامهم فشلهم وغلطتهم وانخذالهم في انخداعهم، وقد اسفرت هذه المحنة خروج الخوارج في النهروان لمحاربة الإمام أمير المؤمنين (ع).

واقعة النهروان

لمّا تقرر التحكيم غادر الإمام (عليه السلام) صفّين وقصد الكوفة، وبقي فيها ينتظر إنهاء مدة الهدنة، ليعيد الحرب والقتال، وبعد فشل التحكيم انشقت أُمّة من جيش الإمام وتمرّدت عليه، وعزت فشلها إلىٰ قبول الإمام بالتحكيم، فتكونت فرقة «الخوارج» كما أخبر به النبي (صلّى الله عليه وآله) وسمّاهم «المارقون»، فقد مرقوا من الدين كما مرق السهم من الرمية.

وأوّل مَن انفصل من جيش الإمام بعد وصولهم الكوفة أربعةآلاف مقاتل من أصحابه. وهم المعروفون بالنسك والعبادة، وأصحاب الجباه السود من السجود، وتكتلوا كتلة واحدة ضد الإمام، فخرجوا من الكوفة لإعلان المخالفة والانشقاق، وأطلقوا شعارهم المعروف «لا حكم إلا لله ولا طاعة لمن عصىٰ الله». وانضمّ إليهم ممّن يرىٰ رأيهم من أهل الكوفة والبصرة وغيرها ثمانية آلاف آخرون، فصاروا اثني عشر إلفاً، وساروا قاصدين الحروراء، وتجمّعوا فيها وجعلوها مقرّاً لهم. وحروراء قرية قرب الكوفة علىٰ ميلين منها.

ونادىٰ مناديهم: إنَّ أمير القتال: شبث بن ربعي، وأمير الصلاة عبد الله بن الكوّا، والأمر شورىٰ بعد الفتح، والبيعة لله علىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

دخل زرعة الطائي وحرقوص بن زهير ـ ذو الثدية ـ علىٰ الإمام: فقالا: لا حكم إلّا لله.

فقال الإمام (عليه السلام): كلمة حقٍّ يرادُ بها الباطل.

فقال ذو الثدية: تب من خطيئتك، وراجع عن قصتك، واخرج بنا إلىٰ عدونا نقاتلهم حتّىٰ نلقىٰ ربنا.

فقال (عليه السلام): قد أردتكم علىٰ ذلك فعصيتموني، وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتاباً وشروطاً، وأعطينا عليهم عهوداً ومواثيق، وقد قال الله تعالىٰ: **﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم﴾**[1].

فقال ذو الثدية: ذلك ذنب ينبغي أن تتوب عنه.

فقال (عليه السلام): ما هو ذنبٌ ولكنه عجز من الرأي وضعف في العقل، وقد تقدّم فنهيتكم عنه.

فقال ابن الكوّا: الآن صَحّ عندنا أنّك لست بإمام، ولو كنتَ إماماً لما رجعت.

فقال (عليه السلام): ويلكم قد رجع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عام الحديبية عن قتال أهل مكّة.

فقال زرعة: أما والله لئن لم تتب من تحكيمك الرجال لأقتلنّك اطلب بذلك وجه الله ورضوانه.

فقال (عليه السلام): بؤساً لك، ما أشقاك، كأني بك قتيلاً، تسفي عليه الرياح.

قال زرعة: وددت أنّه كان ذلك.

وبعث الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) صعصعة بن صوحان مع زياد بن النضر وعبد الله بن العبّاس إلىٰ القوم فلم يرتدعوا، فدعا الإمام صعصعة وقال له: بأي القوم رائيهم أشد طاعة؟ فقال صعصعة: بيزيد بن قيس الأرحبي. فركب الإمام (عليه السلام) إلىٰ حروراء، حتّىٰ وصل إلىٰ خيمة يزيد بن قيس فصلّىٰ هناك ركعتين ثمَّ خرج، فاتكأ علىٰ قوسه، وأقبل علىٰ المنشقين فقال: هذا مقام من فلج فيه فلج إلىٰ يوم القيامة. ثمَّ تكلم وناشدهم فقال لهم: ألا تعلمون

(١) سورة النحل/٩١.

أنَّ هؤلاء القوم لمّا رفعوا المصاحف قلت لكم: إنَّ هذه مكيدة ووهن، ولو أنّهم قصدوا إلىٰ حكم المصاحف لأتوني وسألوني التحكيم؟

قالوا: صدقت.

قال: أفتعلمون أنَّ أحداً أكره إلىٰ التحكيم منّي؟

قالوا: لا.

قال: فهل تعلمون أنّكم استكرهتموني علىٰ ذلك حتّىٰ أجبتكم، فاشترطت أن حكمهما نافذ ما حكما بحكم الله، فمتىٰ خالفاه فأنا وأنتم من ذلك براء، وأنتم تعلمون أنّ حكم الله لا يعدوني؟

فقال ابن الكوّاءِ: حكّمت في دين الله برأينا، ونحن مقرّون بأنّا كفرنا، ولكن الآن تائبون، فأقرر بما أقررنا به، وتب ننهض معك إلىٰ الشام.

فقال (عليه السلام): أما تعلمون أنَّ الله قد أمر بالتحكيم في شقاق بين الرجل وامرأته، فقال سبحانه: **﴿فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها﴾**[1] وفي صيد ـ كأرنب ـ يساوي نصف درهم فقال: **﴿يحكم به ذوا عدل منكم﴾**[2].

فقالوا له: فإنَّ عمرو بن العاص لما أبىٰ أن تقول في كتابك: هذا ما كتبه عبد الله عليٌّ أمير المؤمنين، محوت اسمك من الخلافة وكتبت: علي بن أبي طالب، فقد خلعت نفسك.

فقال (عليه السلام): لي أُسوة برسول الله (صلّى الله عليه وآله) حين أبىٰ عليه سهيل بن عمرو أن يكتب: هذا ما كتبه محمّد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وسهيل بن عمرو، وقال: لو أقررت بأنّك رسول الله ما خالفتك، ولكني أُقدِّمك لفضلك، فاكتب محمّد بن عبد الله، فقال لي: يا علي، امح كلمة رسول

(١) سورة النساء/٣٥.

(٢) سورة المائدة/٩٥.

الله، فقلتُ يا رسول الله، لا تشجعني نفسي علىٰ محو اسمك من النبوة. فقال (صلّى الله عليه وآله): دلني عليه. فمحاه بيده الشريفة، ثمَّ قال: اكتب محمد بن عبد الله. ثمَّ تبسّم إليَّ وقال: إنّك لتسام مثلها فتعطي.

فقالوا: إنّا أذنبنا ذنباً عظيماً بالتحكيم، وقد تُبنا، فتب إلىٰ الله كما تبنا، نعد لك.

فقال (عليه السلام): أستغفر الله من كلِّ ذنب.

فرجع معه منهم ستّة آلاف، فلمّا استقرّوا بالكوفة أشاعوا أنَّ عليّاً رجع عن التحكيم ورآه ضلالاً. وقالوا: إنّما ينتظر أن يسمن الكراع ويجيءَ المال، ثمَّ ينهض بنا إلىٰ الشام. فأتىٰ الأشعث بن قيس عليّاً (عليه السلام) فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ الناس قد تحدّثوا أنّك رأيت الحكومة ضلالاً، والإقامة عليها كفراً.

فقام الإمام (عليه السلام) فخطب وقال: مَن زعم أنّي رجعت عن الحكمين فقد كذب، ومَن رآها ضلال فقد ضلَّ.

فخرجت الخوارج من المسجد، ثمَّ توجّهت إلىٰ النهروان، «وهم الستّة آلاف الذين رجعوا معه من حروراء إلىٰ الكوفة» والتحقوا بجماعتهم، والنهروان قريبة من حروراء، استعداداً لإشتعال نار الحرب ضد جيش الإمام.

وقد وقعت لهم في طريقهم إلىٰ النهروان، مفارقات عجيبة وقضايا مبكية ومضحكة، وشر البلية ما يُضْحِكُ.

فمنها: أنّهم وجدوا في طريقهم مسلماً ونصرانياً، فقتلوا المسلم لأنّه عندهم كافر إذ كان علىٰ خلاف معتقدهم، واستوصوا بالنصراني وقالوا: احفظوا ذمة نبيّكم.

ووثب رجل علىٰ رطبة سقطت من نخلة فوضعها في فمه فصاحوا به، حتّىٰ لفظها تورعاً.

ورأىٰ أحدهم خنزيراً فضربه وقتله، فقالوا: هذا فساد في الأرض وأنكروا

عليه قتل الخنزير.

وساوموا رجلاً نصرانياً بنخلة له فقالوا: ما كنا لنأخذها إلّا بالثمن. فقال النصراني: واعجباه أتقتلون مثل عبد الله بن خباب ولا تقبلون منّا نخلة إلّا بالثمن؟؟

أمّا العبد الصالح عبد الله بن خباب الأزدي، فإنّه كان راكباً علىٰ حمار ومعه زوجته وهي حامل، فسألوه عدّة أسئلة، منها: فما تقول في عليّ بعد التحكيم؟

قال: إن عليّاً أعلم بالله وأشدّ توقياً علىٰ دينه، وأنفذ بصيرة.

قالوا: إنّك تتبع الهوىٰ، إنّما تتبع الرجال علىٰ أسمائهم.

ثمَّ قرّبوه علىٰ شاطئ النهر فأضجعوه وذبحوه، ثمَّ عمدوا إلىٰ امرأته فشقّوا بطنها وهي حامل.

وصل القوم إلىٰ النهروان والتحق بهم المنشقّون الذين كانوا بحروراء وتوجّه الإمام (عليه السلام) بجيشه إليهم، فقال (عليه السلام): يابن عبّاس، امض إلىٰ هؤلاء القوم، فانظر ما هم عليه، ولماذا اجتمعوا؟ فلمّا وصل إليهم، قالوا: ويحك يابن عباس، كفرت بربّك كما كفر صاحبك علي بن أبي طالب. وخرج خطيبهم عتاب بن الأعور الثعلبي فسأله ابن عباس: مَن بنىٰ الإسلام؟ أجابه عتاب: الله ورسوله.

فقال ابن عبّاس: النبي أحكم أُموره وبيّن حدوده أم لا؟

فقال عتاب: بلىٰ.

فقال ابن عبّاس: فالنبي بقي في دار الإسلام أم ارتحل؟

فقال عتاب: بل ارتحل.

فقال ابن عبّاس: فأُمور الشرع ارتحلت معه أم بقيت؟

فقال عتاب: بل بقيت بعده.

فقال ابن عبّاس: فهل قام أحد بعده بعبارة ما بناه؟

فقال عتاب: نعم، الذرية والصحابة.

فقال ابن عبّاس: فعمّروها أو خربوها؟

فقال عتاب: بل عمّروها.

فقال ابن عبّاس: فالآن هي معمورة أم خراب؟

فقال عتاب: بل خراب.

فقال ابن عبّاس: خرّبها ذريته أم أُمّته؟

فقال عتاب: بل أُمّته.

فقال ابن عبّاس: أنت من الذرّية أو من الأُمّة؟

فقال عتاب: من الأُمّة.

فقال ابن عبّاس: أنت من الأُمّة وخَربت دار الاسلام، فكيف ترجو الجنّة؟

فقالوا: ليخرج إلينا عليٌّ بنفسه لنسمع كلامه، عسىٰ أن يزول ما بأنفسنا إذا سمعناه.

فرجع ابن عبّاس: فأخبر الإمام بما حصل، فركب (عليه السلام) في جماعة، ومضىٰ إليهم، فركب ابن الكوّاء في جماعة منهم، فلمّا التقوا، قال الإمام (عليه السلام): يا بن الكوّاء إنَّ الكلام كثير، فابرز إليَّ من أصحابك لأُكلّمك.

فقال: أنا آمن من سيفك؟ قال (عليه السلام): نعم.

فخرج إليه في عشرة من أصحابه، فقال لهم (عليه السلام): ألم أقل لكم إنَّ أهل الشام إنّما خدعوكم بها ـ الحكومة ورفع المصاحف وغير ذلك ـ فإنّ الحرب قد عضّتهم فذروني أُناجزهم فأبيتم؟ ألم أُرد نصب ابن عمّي ـ ابن عباس ـ وقلت: إنّه لا ينخدع فأبيتم إلّا أبا موسىٰ الأشعري. وقلتم: رضينا به حَكَماً، فأجبتكم كارهاً؟ ولو وجدتُ في ذلك الوقت أعواناً غيركم لما أجبتكم، وشرطت علىٰ الحكمين بحضوركم، أن يحكما بما أنزل الله من فاتحته إلىٰ خاتمته، والسنّة

والجماعة، وأنّهما إنْ لم يفعلا فلا طاعة لهما عليَّ، كان ذلك أو لم يكن؟

قال ابن الكوّاء: صدقت، كان هذا كلّه، فَلِمَ لا نرجع الآن إلىٰ حرب القوم؟

قال الإمام (عليه السلام): حتّىٰ تنقضي المدّة التي بيننا وبينهم.

قال ابن الكوّاء: وأنت مجمع علىٰ ذلك؟

قال (عليه السلام): نعم، لا يسعني غيره.

فعاد ابن الكوّاء والعشرة الذين معه إلىٰ أصحاب الإمام (عليه السلام) راجعين عن دين الخوارج، وتفرّق الباقون وهم يقولون: لا حكم إلّا لله. وأمّروا عليهم، عبد الله بن وهب الراسبي، وذا الثدية، وعسكروا بالنهروان، وخرج الإمام (عليه السلام) حتّىٰ بقي علىٰ فرسخين منهم، وكاتبهم وراسلهم، فلم يرتدعوا، فأمر الإمام ابن عبّاس أن يركب إليهم، وقال سلهم ما الذي نقموه؟ وأنا ردفك فلا تخف منهم.

فلمّا جاءَهم ابن عباس قال: ما الذي نقمتم من أمير المؤمنين؟ قالوا: نقمنا أشياء لو كان حاضراً لكفرناه بها. والإمام يسمع كلامهم، فقال ابن عبّاس: يا أمير المؤمنين، قد سمعت كلامهم وأنت أحقّ بالجواب.

فتقدّم (عليه السلام) وقال: إيّها الناس، أنا علي بن أبي طالب، فتكلّموا بما نقمتم عليَّ.

قالوا: نقمنا عليك أولاً أنّا قاتلنا بين يديك بالبصرة، فلمّا أظفرك الله بهم أبحتنا ما في عسكرهم ومنعتنا النساء والذرية، فكيف حلَّ لنا ما في العسكر ولم يحل لنا النساء؟

فقال (عليه السلام): يا هؤلاء، إنَّ أهل البصرة قاتلونا بالقتال، فلمّاظفرتم بهم قسمتم سلَب من قاتلكم، ومنعتكم من النساء والذرية، فإنَّ النساء لم يقاتلن والذرية ولدوا علىٰ الفطرة، ولم ينكثوا ولا ذنب لهم، ولقد رأيت رسول الله (صلّى

الله عليه وآله) منَّ علىٰ المشركين، فلا تعجبوا إن مننت علىٰ المسلمين، فلم أسب نساءهم ولا ذريتهم.

قالوا: نقمنا عليك يوم صفين كونك محوتَ اسمك من إمرة المؤمنين فإذن لم تكن أميرنا، ولست أميراً لنا.

قال (عليه السلام): يا هؤلاء إنّما إقتديت برسول الله (صلّى الله عليه وآله) حين صالح سهيل بن عمرو.

قالوا: نقمنا عليك أنّك قلت للحكمين: انظروا كتاب الله، فإن كنت أفضل من معاوية فأثبتاني في الخلافة، فإذا كنت شاكاً في نفسك، فنحن فيك أشدّ وأعظم شكاً.

قال (عليه السلام): إنّما أردت بذلك النصفة ـ الإنصاف ـ فإنّي لو قلت: أحكما لي دون معاوية لم يرض ولم يقبل، ولو قال النبي (صلّى الله عليه وآله) لنصارىٰ نجران لما قدموا عليه: تعالوا نبتهل فأجعل لعنة الله عليكم، لم يرضوا، ولكن أنصفهم من نفسه كما أمره الله فقال: ﴿فنجعل لعنة الله علىٰ الكافرين﴾ فأنصفهم من نفسه، فكذلك فعلت أنا، ولم أعلم بما أراد عمرو بن العاص من خديعة أبي موسىٰ.

قالوا: فإنّا نقمنا عليك إنّك حكّمت حكماً في حق هو لك.

فقال (عليه السلام): إن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حكّم سعد بن معاذ في بني قريظة ولو شاء لم يفعل، وأنا اقتديت به، فهل بقي عندكم شيء؟

فسكتوا وصاح جماعة منهم من كل جانب: التوبة التوبة يا أمير المؤمنين. فأعطىٰ الإمام راية أمان مع أبي أيّوب الأنصاري، فناداهم أبو أيّوب: مَن جاء إلىٰ هذه الراية أو خرج من الجماعة فهو آمن. فرجع منهم ثمانية آلاف، فأمر الإمام (عليه السلام) المستأمنين بالأعتزال.

وبقي أربعة آلاف منهم مستعدّين للقتال، فخطبهم الإمام (عليه السلام)

ووعظهم فلم يرتدعوا، وصاح مناديهم: دعوا مخاطبة علي وأصحابه، وبادروا إلىٰ الجنّة. وصاحوا: إلىٰ الجنّة. وتقدّم حرقوص ذو الثدية، وعبد الله بن وهب وقالا: ما نريد بقتالنا إيّاك إلّا وجه الله والدار الآخرة.

فقال (عليه السلام): ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنّهم يُحسنون صنعاً﴾[1].

فكان أوّل من خرج أخنس بن العزيز الطائي، فقتله الإمام (عليه السلام) وخرج عبد الله بن وهب، ومالك بن الوضاح، وبرز الإمام إليهم وقتل الوضاح وضرب ضربة علىٰ رأس الحرقوص وقتله، وأمر أصحابه بالهجوم علىٰ العدو.

وعندما استعرت الحرب والتهبت نيرانها، صاح عبد الله بن راسب: يابن أبي طالب، والله لا نبرح من هذه المعركة حتّىٰ نأتي علىٰ أنفسنا أو نأتي عليك، فابرز إليَّ وأبرز إليك، وذر الناس جانباً، فلمّا سمع الإمام كلامه تبسّم وقال: قاتله الله من رجل ما أقلَّ حياءه، أما إنّه ليعلم أنّي لحليف السيف، وخدين الرمح، ولكنه قد يئس من الحياة، وإنّه ليطمع طمعاً كاذباً. ثمَّ حمل عليه الإمام فضربه وقتله وألحقه بأصحابه في النار.

واختلط الجيشان فلم تكن إلّا ساعة حتىٰ قتلوا بأجمعهم وكانوا أربعة آلاف، ولم ينج منهم إلّا تسعة رجال، فرجلان هربا إلىٰ خراسان إلىٰ أرض سجستان وبها نسلها، ورجلان صارا إلىٰ اليمن وفيها نسلها، وهم الأباضية، ولا يزالون، ورجلان إلىٰ بلاد الجزيرة إلىٰ موضع يعرف بالسن والبواريج نواحي تكريت في شمال العراق، بعد مدينة سامراء، ومن نسلهم صدام التكريتي، والباقون تفرّقوا، في المغرب العربي، ولا يزال نسلهم بين ليبيا والجزائر.

---

(١) سورة الكهف/١٠٣ ـ ١٠٤.

وقتل من أصحاب الإمام (عليه السلام) تسعة بعدد من سلم من الخوارج، وكان (عليه السلام) قد أخبر بذلك قبل بدء المعركة، فكانت هذه من دلائله وبراهينه.

وللمزيد راجع ما ذكره الحفاظ والعلماء في كتبهم وتواريخهم منهم:

العلّامة الحافظ ابن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة) ط النجف من ص ١٠٨ إلىٰ ١١١.

الحافظ العلّامة المسعودي في (مروج الذهب) ج٢ من ص٤٠٢ إلىٰ ٤١١ ط إيران قم.

العلّامة الحافظ ابن عساكر في (تاريخ دمشق) ج٣ في ترجمة أمير المؤمنين (عليه السلام) من ص١٩١ إلىٰ ٢٠٠.

محبّ الدين الطبري في (تاريخ الأُمم والملوك) ج٤ ص٥٢ إلىٰ ٦٧ ط الاعلمي بيروت.

العلّامة الأميني في غديره.

العلّامة المجلسي في بحاره.

العلّامة السيد محسن الأمين في (رحاب أئمة أهل البيت) ج٢ ص٢٢٢ إلىٰ ٢٣٧ ط بيروت دار التعارف.

وغيرهم من الصحاح والمسانيد المعنية بهذا التاريخ.

* * *

شهادة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)

والبحث فيها يدور علىٰ محاور عدّة، منها إخبار رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بشهادته، وهو ما تواتر نقله عند مصنّفي الفريقين، ويعدُّ من معجزات النبي (صلّى الله عليه وآله) في إخباره بالمغيبات، أذكر هنا نص حديث الإمام الرضا، عن آبائه، عن أمير المؤمنين (عليهم السلام) في خطبة النبيّ (صلّى الله عليه وآله) في فضل شهر رمضان فقال (عليه السلام): فقمت فقلت: يا رسول الله، ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟

فقال: يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر: الورع عن محارم الله (عزّ وجلّ).

ثمّ بكىٰ، فقلت: يا رسول الله، ما يبكيك؟

فقال: يا عليّ، أبكي لما يستحلُّ منك في هذا الشهر، كأنّي بك وأنت تصلّي لربّك وقد انبعث أشقىٰ الأوّلين والآخرين شقيق عاقر ناقة ثمود، فضربك ضربة علىٰ قرنك فخضب منها لحيتك.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): فقلت: يا رسول الله، وذلك في سلامة من ديني؟

فقال (صلّى الله عليه وآله): في سلامة من دينك.

ثمّ قال (صلّى الله عليه وآله): «يا علي من قتلك فقد قتلني، ومَن أبغضك فقد أبغضني، ومَن سبّك فقد سبّني، لأنّك منّي كنفسي، روحك من روحي وطينتك من طينتي، إنّ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ خلقني وإيّاك واصطفاني وإيّاك، واختارني للنبوّة واختارك للإمامة، فمن أنكر إمامتك فقد أنكر نبوّتي.

يا عليّ، أنت وصيّي وأبو ولديّ، وزوج أبنتي وخليفتي علىٰ أُمّتي في حياتي

وبعد موتي، أمرك أمري ونهيك نهيي، أُقسم بالّذي بعثني بالنبوّة وجعلني خير البريّة، أنّك لحجّة الله علىٰ خلقه، وأمينه علىٰ سرّه، وخليفته علىٰ عباده».

أما المحور الثاني:

فقد رُويت عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أحاديث كثيرة وفي مناسبات عديدة يخبر فيها بشهادته، أذكر منها: ما رواه الإمام الباقر (عليه السلام) قال:

جاء رجل من اليهود إلىٰ أمير المؤمنين (عليه السلام) فسأله عن أشياء إلىٰ أن قال: كم يعيش وصيّ نبيّكم بعده؟

قال: ثلاثين سنة.

قال: ثمّ مه يموت أو يقتل؟

قال: يقتل، يضرب علىٰ قرنه فتخضب لحيته.

قال: صَدَقت والله إنّه لبخط هارون وإملاء موسىٰ (عليه السلام).

وروي عن الإمام الرضا (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام) قال:

خطب النّاس أمير المؤمنين (عليه السلام) بالكوفة، فقال: معاشر الناس، إنَّ الحقّ قد غلبه الباطل، وليغلبنّ الباطل عمّا قليل، أين أشقاكم ـ أو قال: شقيّكم، شكّ الرواي ـ هذا، فوالله ليضربنّ هذه فليخضبنّها من هذه. وأشار بيده إلىٰ هامته ولحيته.

وروي عن هبيرة بن مريم، قال: سمعت علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول ومسح لحيته: ما يحبس أشقاها أن يخضبها من أعلاها بدم؟!

وروىٰ الأجلح، عن أشياخ كندة قال: سمعتهم أكثر من عشرين مرّة يقولون: سمعنا عليّاً (عليه السلام) علىٰ المنبر يقول: ما يمنع أشقاها أن يخضبها من فوقها بدم؟ ويضع يده علىٰ لحيته.

وروىٰ الأصبغ بن نباتة قال: خطبنا أمير المؤمنين (عليه السلام) في

الشهر الّذي قتل فيه فقال:

أتاكم شهر رمضان وهو سيّد الشهور وأوّل السنة، وفيه تدور رحىٰ السلطان، ألا وإنّكم حاجّو العام صفّاً واحداً، وآية ذلك أنّي لست فيكم. قال: فهو ينعىٰ نفسه ونحن لا ندري.

ومن مناقب الخوارزمي يرفعه إلىٰ أبي سنان الدؤليّ، أنّه عاد عليّاً في شكوىٰ اشتكاها قال: فقلت له: تخوّفنا عليك يا أمير المؤمنين في شكواك هذه. فقال: لكنّي والله ما تخوّفت علىٰ نفسي، لأنّي سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الصادق المصدّق يقول:

إنّك ستضرب ضربة ههنا ـ وأشار إلىٰ صدغيه ـ فيسيل دمها حتّىٰ يخضب لحيتك، ويكون صاحبها أشقاها، كما كان عاقر الناقة أشقىٰ ثمود.

وفي تذكرة الخواص لابن الجوزي عن أحمد بن حنبل في «الفضائل» قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): يا علي، أتدري مَن أشقىٰ الأوّلين والآخرين؟

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: مَن يخضب هذه من هذه. يعني لحيته من هامته.

وروي أنّه لما جرح عمرو بن عبدود رأس علي (عليه السلام) يوم الخندق جاء إلىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فشدّه ونفث فيه فبرئ، وقال: أين أكون إذا خُضِبَتْ هذه من هذه؟

وروىٰ أبو طاهر المقلّد بن غالب عن رجاله بإسناده المتّصل إلىٰ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام): وهو ساجد يبكي حتّىٰ علا نحيبه، وارتفع صوته بالبكاء، فقلنا: يا أمير المؤمنين، لقد أمرضنا بكاؤك وأمضّنا وشجانا، وما رأيناك قد فعلت مثل هذا الفعل قطّ.

فقال: كنتُ ساجداً أدعو ربّي بدعاء الخيرات في سجدتي، فغلبتني عيني،

فرأيت رؤياً هالتني وفظعتني، رأيت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قائماً وهو يقول: يا أبا الحسن، طالت غيبتك، فقد اشتقت إلىٰ رؤياك، وقد أنجز لي ربّي ما وعدني فيك.

فقلت: يا رسول الله، وما الّذي أنجز لك فيَّ؟

قال: أنجز لي فيك وفي زوجتك وابنيك وذرّيّتك في الدرجات العُلىٰ في علّيين.

قلت: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله، فشيعتنا.

قال: شيعتنا معنا، وقصورهم بحذاء قصورنا، ومنازلهم مقابل منازلنا.

قلت: يا رسول الله، فما لشيعتنا في الدّنيا؟

قال: الأمن والعافية.

قلت: فما لهم عند الموت؟

قال: يحكم الرّجل في نفسه، ويُؤمر ملك الموت بطاعته.

قلت: فما لذلك حدٌّ يعرف؟

قال: بلىٰ، إنّ أشدَّ شيعتنا لنا حبّاً يكون خروج نفسه كشراب أحدكم في يوم الصيف الماء البارد الّذي تنتقع به القلوب، وإنّ سائرهم ليموت كما يغط أحدكم علىٰ فراشه كأقرّ ما كانت عينه بموته.

وروىٰ الشيخ المفيد (قدّس سرّه) في الإرشاد بإسناده إلىٰ ابن نباته قال: أتىٰ ابن ملجم أمير المؤمنين (عليه السلام) فبايعه فيمن بايع، ثمَّ أدبر عنه، فدعاه أمير المؤمنين (عليه السلام) فتوثّق منه، وتوكّد عليه أن لا يغدر ولا ينكث، ففعل.

ثمّ أدبر عنه فدعاه الثانية فتوثّق منه، وتوكّد عليه ألّا يغدر ولا ينكث، ففعل.

ثمّ أدبر عنه فدعاه أمير المؤمنين الثالثة فتوثّق منه، وتوكّد عليه أن لا يغدر ولا ينكث.

فقال ابن ملجم لعنه الله: والله يا أمير المؤمنين ما رأيتك فعلت هذا بأحد غيري، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام):

أُريد حياءه ويريد قتــلي عذيرك من خليلك من مراد

امض يا ابن ملجم، فوالله، ما أرىٰ أن تفي بما قلت.

المحور الثالث:

ثمَّ قال الشيخ المفيد (قدّس سرّه) مؤرّخاً لحادثة استشهاد أمير المؤمنين (عليه السلام): كانت إمامة أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ثلاثين سنة، منها أربع وعشرون سنة وستّة أشهر ممنوعاً من التصرف في أحكامها، مستعملاً للتقيّة والمداراة. ومنها خمس سنين وستّة أشهر ممتحناً بجهاد المنـافقين من الناكثين والقاسطين والمارقين، ومضطهداً بفتن الضالّين، كما كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ثلاث عشر سنة من نبوّته ممنوعاً من أحكامها خائفاً ومحبوساً وهارباً ومطروداً، لا يتمكّن من جهاد الكافرين، ولا يستطيع دفعاً عن المؤمنين، ثمّ هاجر وأقام بعد الهجرة عشر سنين مجاهداً للمشركين ممتحناً بالمنافقين إلىٰ أن قبضه الله إليه، وأسكنه جنّات النعيم.

وكانت شهادة أمير المؤمنين (عليه السلام) قبل الفجر ليلة الجمعة ليلة إحدىٰ وعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة قتيلاً بالسيّف. قتله ابن ملجم المراديّ ـ لعنه الله ـ في مسجد الكوفة، وقد خرج (عليه السلام) يوقظ الناس لصلاة الصبح ليلة تسع عشر من شهر رمضان، وقد كان ارتصده من أوّل اللّيل لذلك، فلمّا مرّ به في المسجد وهو مستخف بأمره، مماكر باظهار النّوم في جملة النّيام، قام إليه فضربه علىٰ أُمّ رأسه بالسيف، وكان مسموماً: وفي رواية: ضربه عندما رفع رأسه من السجدة في الركعة الأُولىٰ من صلاة الفجر.

فمكث يوم التـاسع عشر، وليلة عشرين ويومها وليلة الحادي والعشرين إلى

نحو الثلث الأوّل من اللّيل، ثمّ قضىٰ نحبه (عليه السلام) شهيداً ولقي ربه تعالىٰ مظلوماً عن عمر ناهز الثلاث وستين عاماً مجاهداً في سبيل الله وبين يدي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) منذ ولادته في الكعبة إلىٰ شهادته في محرابه بمسجد الكوفة، حيث ولد قبل البعثة بعشر سنين، ومكث معه (صلّى الله عليه وآله) مجاهداً الكفار في مكّة ثلاثة عشر عاماً، وهاجر إلىٰ يثرب بالفواطم وعمره ثلاثة وعشرون عاماً وجاهد بين يدي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عشر سنين بالمدينة وعندما التحق النبي (صلّى الله عليه وآله) بالرفيق الأعلىٰ كان عمره ثلاثة وثلاثين عاماً ـ وكانت مدة إمامته من بعده ثلاثين عاماً.

منها أربعة وعشرون عاماً وستة أشهر جليس داره والبقية من عمره الشريف وهي خمسة سنين وستة أشهر جاهد وقارع فيها ـ المنافقين، والناكثين، والقاسطين، والمارقين، حتّىٰ يوم شهادته.

فسلام عليه يوم ولد، ويوم جاهد، ويوم هاجر، ويوم استشهد، ويوم يبعث حياً.

وقد كان يعلم ذلك قبل أوانه، ويخبر به النّاس قبل زمانه.

وتولّىٰ غسله وتكفينه ودفنه ابناه الحسن والحسين (عليهما السلام) بأمره، وحملاه إلىٰ الغريّ من نجف الكوفة فدفناه هناك، وعفيا موضع قبره بوصيّة كانت منه إليهما في ذلك، لما كان يعلمه (عليه السلام) من دولة بني أُميّة من بعده، واعتقادهم في عداوته، وما ينتهون إليه من سوء النيّات فيه من قبح الفعال والمقال بما تمكّنوا من ذلك.

فلم يزل قبره (عليه السلام) مخفيّاً حتّىٰ دلّ عليه الصادق جعفر بن محمّد (عليهما السلام) في الدولة العبّاسيّة، وزاره عند وروده إلىٰ أبي جعفر المنصور العباسي وهو بالحيرة، فعرفته الشيعة واستأنفوا إذ ذاك زيارته، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ ذرّيته الطاهرين، وكانت سنّه يوم وفاته ثلاثاً وستين سنة. انتهىٰ كلام المفيد.

وقد ساعد ابن ملجم وردان بن مجالد من تيم الرباب، وشبيب بن بجرة، والأشعث بن قيس، وقطام بنت الأخضر، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) قتل أباها وأخاها بالنهروان، وكانت من أجمل نساء زمانها، فلمّا رآها ابن ملجم شغف بها، فخطبها، فطلبت أن يكون صداقها ثلاثة آلاف درهم، ووصيفاً وخادماً، وقتل علي (عليه السلام) فقال لها: لك جميع ما سألت. فدبر مكيدة قتله وفعلها. فلمّا أُلقي القبض عليه نظر إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال: النفس بالنفس، فإنْ أنا متُّ فاقتلوه كما قتلني، وإنْ أنا عشت رأيتُ فيه رأيي.

فأجابه ابن ملجم ـ عليه لعائن الله ـ: والله، لقد ابتعتُ سيفي بألف، وسمّمته بألف، فإنْ خانني فأبعده الله. وقال لأُمّ كلثوم: لقد والله ضربته ضربة لو قسّمت علىٰ أهل الأرض لأهلكتهم.

فلمّا قضىٰ (عليه السلام) وفرغ أهله من دفنه، جلس الحسن وأمر أن يؤتىٰ بابن ملجم، وأمر به فضربت عنقه، واستوهبت أُم الهيثم بنت الأسد النخعية جثته لتتولّىٰ إحراقها، فوهبها لها فأحرقتها بالنار.

هذه حادثة شهادة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) مختصرة، أستقيتها من بحار الأنوار ج٤٢/ ١٩٠ ـ ٣٠١ ومصادره، ومن مصادر أُخرىٰ.

وهذه خاتمة حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه)، ما عاش غيره كما عاش، وما أدرك كماله غير ابن عمه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حيث ولد في أشرف بقعة بالدنيا الكعبة المشرفة

وكانت حياته كلها عبادة وطاعة، وختم حياته بالشهادة في أفضل وقت وهو يؤدي فريضة الصبح، وفي أشرف مكان بعد الكعبة، وهو مسجد الكوفة.

فسلام عليه يوم ولد ويوم جاهد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.

وإليك تفصيل شهادة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) من مصادر أُخرىٰ وبلفظ آخر ـ نقله العلّامة ابن الصباغ المالكي في كتابه ـ الفصول المهمة

ص ١٣١ ـ ١٣٤.

فصل: في مقتله ومدة عمره وخلافته: عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال مرض علي (عليه السلام) فدخلت عليه وعنده أبو بكر وعمر وعثمان فجلست عنده معهم فجاء النبي (صلّى الله عليه وآله) فنظر في وجهه فقال أبو بكر وعمر قد تخوفنا عليه يا رسول الله فقال لا بأس عليه ولن يموت الآن ولا يموت حتىٰ يملأ غيظاً ولن يموت إلاّ مقتولا.

وعن فضالة الأنصاري قال خرجت مع أبي إلىٰ الينبع عائدين لعلي بن أبي طالب وكان مريضاً بها قد نقل إليها من المدينة فقال له ما يقيمك في هذا المنزل ولو هلكت به لم يدفنك إلا اعراب جهينة وكان أبو فضالة من أهل بدر فقال له علي لست بميت من وجعي هذا وذلك ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عهد إليَّ أن لا أموت حتىٰ اؤمر وتخضب هذه من دم هذا وأشار إلىٰ لحيته ورأسه قضاء مقضياً وعهداً معهوداً منه إليَّ.

وقال المؤيد الخوارزمي في كتابه المناقب يرفعه بسنده إلىٰ أبي الأسود الدؤلي أنه عاد علياً في شكوىٰ اشتكاها قال فقلت له قد تخوفنا عليك يا أمير المؤمنين في شكواك هذه فقال لكني والله ما تخوفت علىٰ نفسي لأني سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول انك ستضرب ضربة هٰهنا وأشار إلىٰ رأسه فيسيل دمها حتّىٰ تخضب لحيتك يكون صاحبها اشقاها كما كان عاقر الناقة أشقىٰ ثمود.

وقيل وسئل علي وهو علىٰ المنبر في الكوفة عن قوله تعالىٰ: ﴿مِنَ الْمُؤمِنينَ رِجَالٌ صَدَقُوا ما عاهَدوا اللهَ عَليهِ فَمِنْهم مَنْ قَضىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلوا تَبْدِيلا﴾ فقال اللّهم غفراً هذه الآية نزلت فيَّ وفي عمي حمزة وفي ابن عمي عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب أما عبيدة ابن الحارث فانه قضىٰ نحبه شهيداً يوم بدر وأما عمي حمزة فانه قضىٰ نحبه يوم أُحد وأما أنا

فأنتظر اشقاها يخضب هذه من هذا وأشار إلىٰ لحيته ورأسه عهد عهده إليَّ حبيبي أبو القاسم (صلّى الله عليه وآله).

ومن المناقب مرفوعاً إلىٰ إسماعيل بن راشد قال كان من حديث عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله وصاحبيه وهما البرك بن عبد الله التميمي وعمرو بن بكر التميمي أنهم اجتمعوا بمكة فذكروا أمر الناس وما نالهم من القتل وما هم عليه فعابوا ذاك علىٰ ولاتهم ثم أنهم ذكروا أهل النهروان وترحموا عليهم وقالوا ما نصنع بالحياة بعدهم أولئك كانوا دعاة الناس إلىٰ ربهم لا يخافون في الله لومة لائم فلو شرينا أنفسنا قاتلنا أئمة الضلال فالتمسنا قتلهم فارحنا منهم البلاد والعباد وثأرنا بهم اخواننا في الله فقال ابن ملجم لعنة الله عليه: أنا أكفيكم علي بن أبي طالب، وقال البرك: أنا أكفيكم معاوية، وقال عمرو بن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص فتعاهدوا وتواثقوا بالله علىٰ ذلك أن لا ينكل واحد منهم عن صاحبه الذي تكفل به حتىٰ يقتله أو يموت دونه فأخذوا سيوفهم فشحذوها ثم اسقوها السم وتوجه كل واحد منهم إلىٰ جهة صاحبه الذي تكفل به وتواعدوا علىٰ أن يكون وثوبهم عليهم في ليلة واحدة وتوافقوا علىٰ أن تكون هذه الليلة التي يسفر صباحها عن يوم السابع عشر من شهر رمضان المعظم وقيل هي الليلة الحادية والعشرون منه، والصحيح الثابت ليلة التاسع عشر.

فأما ابن ملجم لعنه الله فانه لما أتىٰ الكوفة لقي بها جماعة من أصحابه فكاتمهم أمره كراهة أن يظهر عليه شيء من ذلك فلما رأىٰ قطام بنت الأخضر التميمي لعنها الله أُعجبَ بها وهواها فخطبها فقبلت فطلبت مهراً غالياً وقالت: يا هذا أن أوليائي أبوا أن يزوجوني إلاّ علىٰ ثلاثة آلاف درهم وعبد وقينة قال: لك ذلك. قالت: وشريطة أُخرىٰ؟ قال: وما هي؟ قالت: قتل علي بن أبي طالب فانه قتل أبي وأخي يوم النهروان قال: ويحك ومن

يقدر علىٰ قتل علي وهو فارس الفرسان وواحد الشجعان؟ فقالت: لا تكثر فذلك أحب إلينا من المال أن كنت تفعل ذلك وتقدر عليه وإلاّ فاذهب إلىٰ سبيلك فقال لها: أما قتل علي بن أبي طالب فلا، ولكن أن رضيتي ضربته بسيفي ضربة واحدة وانـظري ماذا يكون. قالت: رضـ ت ولكن التمس غرته لضربتك فان اصبته انتفعت بنفسك وبي وان هلكت فما عند الله خير وأبقىٰ من الدنيا وزينة أهلها فقال لها: والله ما جاءني إلىٰ هذا المصر إلاّ قتل علي بن أبي طالب قالت: فإذا كان الأمر علىٰ ما ذكرت دعني أطلب لك من يشد ظهرك ويساندك فقال لها أفعلي فبعثت إلىٰ رجل من أهلها يقال له وردان من تيم الرباب فكلمته فأجابها، وجاء ابن ملجم إلىٰ رجل من أشجع يقال له شبيب بن بجرة فقال له: هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ قال: وكيف ذلك؟ قال: قتل علي بن أبي طالب. فقال له: ثكلتك أُمك لقد جئت شيئاً إدًّا كيف تقدر علىٰ ذلك؟ قال: أكمن له في المسجد فإذا خرج لصلوٰة الغداة شددنا عليه فقتلناه فان نجينا شفينا أنفسنا وأدركنا ثاراً، وأن قتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها ولنا أُسوة في أصحابنا الذين سبقونا فقال له: ويحك لو كان غير علي وقد عرفت بلاءه في الإسلام وسابقته مع النبي (صلّى الله عليه وآله)، وما أجد نفسي تنشرح لقتله قال ألم تعلم أنه قتل أهل النهروان العُبّاد المصلين قال: بلىٰ قال: فنقتله بمن قتل من إخواننا فأجابه إلىٰ ذلك فجاؤا إلىٰ قطام وهي في المسجد الأعظم معتكفة وكان ذلك في شهر رمضان فقالوا لها: قد صممنا وأجمع رأينا علىٰ قتل علي بن أبي طالب فقال ابن ملجم: ولكن يكون ذلك في ليلة الحادية والعشرين منه فانها الليلة التي تواعدت أنـا وصـاحباي فيها علىٰ أن يبيت كل واحد منـا صاحبه الذي تكفل بقتله فأجابوه إلىٰ ذلك.

فلمّا كانت الليلة الحادية والعشرين أخذوا اسيافهم وجلسوا مقابل السدّة التي يخرج منها علي بن أبي طالب (عليه السلام). وكانت ليلة الجمعة فلمّا خرج

لصلوة الصبـح شدّ عليه شبيب فضـربه بالسيف فوقع سيفه بعضادة الباب وضربه ابن ملجم لعنه الله بسيفه فأصابه وهرب وردان ومضىٰ شبيب لعنه الله هاربـاً حتىٰ دخل منزله فدخل عليه من بني أبيه فقتله، وأما ابن ملجم فان رجلاً من همدان لحقه فطرح عليه قطيفة كانت في يده ثم صرعه، وأخذ السيف منه وجاء به إلىٰ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فنظر إليه علي، ثم قال: النفس بالنفس إن أنا مت فاقتلوه كما قتلني وإن سلمت رأيت رأيي فيه فقال ابن ملجم لعنه الله: والله لقد ابتعته بألف، وسممته بألف، فأن خانني فأبعد الله مضاربه، قال: فنادته أُم كلثوم ابنة سيدنا علي (عليه السلام) يا عدو الله قتلت أمير المؤمنين فقال إنما قتلت أباك قالت يا عدو الله أني لأرجو أن لا يكون عليه بأس قال لها أراك إذا تبكين عليه والله لقد ضربته ضربة لو قسمت بين أهل مصر ما بقي منهم أحد فأخرج من بين يدي أمير المؤمنين والناس يلعنونه ويسبونه ويقولون يا عدو الله ما فعلت، وماذا أتيت أهلكت أُمة محمد (صلّى الله عليه وآله) قتلت خير الناس ، وأنه لو تركوهم إياه لقطعوه قطعاً وهو لاينطق لهم، قال ودعا أمير المؤمنين (عليه السلام) حسناً وحسيناً فقال: «أوصيكما بتقوىٰ الله تعالىٰ ولا تبغوا الدنيا وإن بغتكما وتبكيا علىٰ شيء زوىٰ منها عنكما، قولا الحق، وارحما اليتيم، وأعينا الضعيف، وأصنعا للاخرة، وكونا للظالم خصماً، وللمظلوم انصارا، واعملا بما في كتاب الله تعالىٰ، ولا تأخذكما في الله لومة لائم» ثم نظر إلىٰ محمد بن الحنفية فقال: «حفظت ما أوصيت به أخويك؟ قال: نعم .فقال: «إني أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك لعظم حقهما عليك ولا تؤثر أمراً دونهما». ثم قال: «أوصيكما به فانه ابن أبيكما قد علمتما أن أباكما كان يحبه».

هذا ما ذكره العلامة ابن الصباغ المالكي في فصوله المهمة طبع بيروت من ص١٣١ إلىٰ ١٣٤، وسأذكر لكم خلاصة حادثة شهادة أمير المؤمنين (عليه السلام) استقيتها من مصادر مهمة أُخرىٰ، كابن عساكر في تاريخ دمشق

ج٣ ص٣٦٠ إلىٰ ٣٦٥، والمسعودي في مروج الذهب ج٢ ص٤١١ إلىٰ ٤١٨، والطبري في تاريخه حوادث سنة أربعين ج٤ ص١٠٦ إلىٰ ١٢٠، واعلام الورىٰ للعلامة الطبرسي ص٢٠٠ إلىٰ ٢٠٢، والانوار البهية للعلامة القمي ص٦٢ إلىٰ ٦٥، وسيرة الأئمة ـ للسيد هاشم معروف الحسني القسم الأول ص٤٥٢ إلىٰ ٤٥٨، وغيرهم من الاعلام الذين لم أذكرهم روماً للاختصار.

في سنة أربعين من الهجرة اجتمع بمكة جماعة من الخوارج، فتذاكروا في شؤون الساعة وما هم فيه من الفتن والحروب، وتعاهد ثلاثة منهم علىٰ قتل علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، ليريحوا العباد والبلاد منهم، وتواعدوا وتعاهدوا أن لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذي يتوجه إليه، حتىٰ يقتله أو يموت دونه، وهم: عبد الرحمن بن ملجم المرادي (لعنه الله)، وحجاج بن عبد الله الطريحي (لعنه الله)، ولقبه (البرك)، وعمرو بن بكر التميمي مولىٰ بني العنبر، فقال: ابن ملجم أنا أكفيكم علي بن أبي طالب، وقال البرك أنا أكفيكم معاوية، وقال عمرو بن البكر أنا أكفيكم عمرو بن العاص، وتواعدوا علىٰ تنفيذ ذلك في ليلة سبع عشر من شهر رمضان من سنة أربعين للهجرة وفي رواية ليلة تسعة عشر، أو ليلة احدىٰ وعشرين.

دخل ابن ملجم الكوفة، وأتصل باصحابه من الخوارج سراً ومنهم قطام بنت الأخضر التميمية من تيم الرباب وقد قُتل أبوها وأخوها في يوم النهروان، وكانت من أجمل نساء زمانها، فلما رآها ابن ملجم شغف بها فخطبها فأجابته إلىٰ ذلك بشرط أن يصدقها ثلاثة الآف وعبداً ووصيفة،وقتل علي بن أبي طالب فقال هو مهر لك، فأما قتل علي بن أبي طالب فلا أراك ذكرته لي وأنت تريديني؟ فقالت بلىٰ: التمس غرته فان أصبْتَ شفيت نفسك ونفسي وبهنئك العيش معي، وأن قُتلت فما عند الله خير من الدنيا وزينتها، قال: فوالله ما جاءني هذا المصر إلّا قتل علي بن أبي طالب، قالت: دعني أطلب لك من يساعدك علىٰ أمرك،

فبعثت إلىٰ رجل من قومها من تيم الرباب يقال له مجاشع بن وردان فكلمته فأجابها لعنه الله، وأتىٰ ابن ملجم رجلاً من أشجع يقال له شبيب بن بجرة لعنه الله وهو يرىٰ رأيه، فقال له: هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ قال ما ذاك قال قتل علي بن أبي طالب قال: ثكلتك أُمك لقد جئت شيئاً إدّا كيف تقدر علىٰ قتل علي؟ قال: أكمن له في المسجد فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، فإن نجونا شفينا أنفسنا وأدركنا ثارنا وأن قُتِلنا فما عند الله خيرٌ من الدّنيا وما فيها، قال ويحك: لو كان غير عليّ لكان أهون، عليّ قد عرفت بلاءه في الإسلام وسابقته مع النبي (صلّى الله عليه وآله) وما أجدِني أنشرح لقتله، قال: ابن ملجم ويحك أما تعلم أنه قد حَكّم الرجال في كتاب الله وقتل اخواننا العُبّاد الصالحين، قال: بلىٰ، قال: فنقتله بمن قتل من إخواننا فأجابه إلىٰ ذلك.

فأقبل معه حتىٰ دخلا علىٰ قطام وهي في المسجد الأعظم معتكفة قد ضربت كلّة لها فقالا لها قد أجمع رأينا علىٰ قتل علي بن أبي طالب، وكان لينه يناجي ويستشير الاشعث بن قيس، فأعلمتهما أن مجاشع بن وردان قد انتدب لقتله معهما واشترك الاشعث بن قيس معهم في تخطيط الجريمة، فقالت فإذا أردتم ذلك فأتوني.

وفي الليلة المقررة التي تواعد ابن ملجم مع اصحابه لتنفيذ الجريمة وهي ليلة الأربعاء لتسع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة حضروا عند قطام وفي خيمتها فدعت لهم بالحرير فعصبتهم به [أي شدت صدورهم وسواعدهم حتىٰ تصمد] فأخذوا اسيافهم وجلسوا عند السدة التي يخرج منها الإمام، منتظرين قدومه.

في تلك الليلة كان افطاره (عليه السلام) عند ابنتهِ أُم كلثوم فقدمت له في افطاره قرصين من خبز الشعير مع اللبن والملح فنظر إليه وقال تريدين أن يطول وقوف أبيك بين يدي الله؟ ارفعي عني أحد الادامين فأرادت أن ترفع الملح

فقال إرفعي اللبن.

قال الإمام الحسن (عليه السلام) أتيته سحراً فجلست إليه فقال: أني بت الليلة أوقظ أهلي فملكتني عيناي وأنا جالس فسنح لي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقلت: يا رسول الله ما لقيت من أُمتك من الأود واللّدد: فقال لي: أُدع الله عليهم، فقلت: اللّهم أبدلني خيراً لي منهم، وأبدلهم بي شراً لهم مني[1] وقيل أن علياً (عليه السلام) لم ينم تلك الليلة وإنه لم يزل يمشي ويتردد بين الباب والحجرة، وينظر إلىٰ السماء وهو يقول: والله ما كَذِبْت ولا كُذِّبت، وإنها الليلة التي وُعِدتُ فيها، هي، هي والله، فلما خرج صاح البط الذي في بيته، فصاح بهنّ بعض من في الدار، فقال علي (عليه السلام):دعهنّ فانهن نوائح.

قال المسعودي: ولمّا أراد الخروج من الدار ـ عسر عليه فتح الباب وكان من جذوع النخل فشدّ عليه فتعلق أزاره وأنحل حزامه فشده وجعل يقول:

أشـدُد حيازيمـك للمـوت فإن المـوت لاقيكا
ولا تجزع من المـوت إذا حلّ بواديكـا

فلما خرج ودخل المسجد قام إليه شبيب فضربه بالسيف فوقع سيفه بعضادة الباب أو الطاق وضربه ابن ملجم علىٰ رأسه بالسيف المسموم الذي كان بيده ـ وأكثر الروايات تنص علىٰ أنه ضربه ابن ملجم بعد أن رفع رأسه من السجود في الركعة الأُولىٰ من صلاة الصبح فصاح الإمام: «فزت ورب الكعبة» وقال لا يفوتنكم الرجل وصاح الناس وركضوا خلف ابن ملجم وتبعه رجل من همدان وضرب ساقه بسيفه، ولحقه المغيرة ابن نوفل ابن عبد المطلب فضرب وجهه فصرعه وأمسكه وأخذ السيف من يده وأقبل به إلىٰ الإمام الحسن، فحبسه، وهرب شبيب وخرج من باب كنده في الغلس وصاح الناس فلحقه رجل من حضرموت يقال له عويمر وفي يد شبيب السيف فالقىٰ عليه رداءه فطرحه وجثم

(١) الكامل لابن الاثير ج٣ ص١٩٥.

عليه وأخذ السيف من يده، فلما رأىٰ الناس قد أقبلوا في طلبه وسيف شبيب في يده خشيَ علىٰ نفسه فتركه ونجا شبيب بنفسه في غمار الناس حتىٰ أتىٰ رحله ودخل داره فدخل عليه عبد الله بن نجده وهو أحد بني أبيه فرآه ينزع الحرير عن صدره، فقال ما شأنك وما هذا الحرير لعلك قتلت أمير المؤمنين فأراد أن يقول لا فقال نعم: فخرج وأتىٰ بسيفه وقتله.

أما ابن وردان فقد خلص بنفسه وتوارىٰ بين الناس وهرب.

ذكرت ان ابن ملجم لعنه الله كان يناجي الأشعث بن قيس تلك الليلة، ولمّا قرب الفجر، صاح الاشعث النجاء النجاء لحاجتك فقد فضحك الصبح، سمع ذلك حجر بن عدي الكندي فقال له: قتلته يا أعور وخرج مبادراً إلىٰ أمير المؤمنين ليخبره الحال ويُحذّره فأختلفا في الطريق، فسبقه ابن ملجم لعنه الله وضرب مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) بالسيف علىٰ قرنه فسمع الصائحة والنائحة فعلم ان المجرم نفذّ جريمته، وحمل أمير المؤمنين إلىٰ داره، وصلىٰ جعدة بن هبيرة وهو ابن اخته بالناس الغداة، حتىٰ افاق ثم قال: للحسن والحسين (عليهم السلام): احبسوا هذا الأسير وأطعموه وأسقوه وأحسنوا إليه، فإن عشت فأنا أولىٰ بما صنع لي، أو قيل فأنا ولي دمي، فإن شئت استقدت[1] وأن شئت عفوت، وأن مت فذلك إليكم فإن بدا لكم أن تقتلوه فلا تمثلوا به، ثم قال: «أما والله إنها الليلة التي ضرب فيها يوشع بن نون وصي موسىٰ (عليه السلام)».

وأُدخل ابن ملجم علىٰ أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو مسجّىٰ قال له أي عدو الله ألم أحسن إليك؟ قال بلىٰ: قال فما حملك علىٰ هذا؟ فلم يجب ثم التفت إلىٰ أولاده خاصة الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام) وقال: النفس بالنفس إن أنا مت فاقتلوه كما قتلني وأن سلمت رأيت فيه رأيي، فقال: ابن ملجم

(١) أي حاسبته علىٰ جريمته.

لعنه الله لقد اشتريته بألف وسمّمته بألف فإن خانني فأبعده الله، فأخذوه إلىٰ الحبس وأخذق به الناس يحاولون أن ينهشوا لحمه بأسنانهم، وتعالت الاصوات والبكاء والنحيب من كل جانب، وأُصيب أهل الكوفة بالذهول والدهشة لذلك الحادث الجلل، وهم يقولون: يا عدّو الله ماذا صنعت لقد أهلكت أُمّة محمّد وقتلت خير الناس بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وهو صامت لا يتكلم.

ثم جمعوا الاطباء من أهل الكوفة وكان أعلمهم بطب الجراحة أثير بن عمرو بن هاني، فلما وقف أثير علىٰ جرح أمير المؤمنين، قال: والغصة في قلبه وصوته يتهدج: أعهد عهدك يا أمير المؤمنين، فأن ضربة اللعين وصلت أُم رأسك، فلم يتأفف الإمام أو يتضجر من ذلك بل جمع ولده وأوصاهم بالإعتصام بحبل الله وبما جاء به الإسلام من مكارم الأخلاق والاحسان إلىٰ الفقراء والمساكين.

وهناك روايات مختلفة في ليلة إغتياله وليلة شهادته.

منها ـ أنه ضرب ليلة السابع عشر. ومنها تقول ليلةالتاسع عشر، وهي أصح الروايات وأجمعها. ومنها تقول ليلة الواحد والعشرين ـ من شهر رمضان سنة أربعين ومنها ما تنص كانت الضربة ليلة الجمعة وشهادته يوم الأحد ـ ومنهاما تنص علىٰ أن الضربة كانت ليلة الأربعاء وشهادته يوم الجمعة وهذا الاختلاف في التاريخ لا يغيّر من الواقع شيئاً.

وروىٰ ابن شاذان عن الاصبغ بن نباتة قال: لما ضرب أمير المؤمنين (عليه السلام) الضربة التي كانت وفاته فيها، اجتمع إليه الناس بباب الدار وكان يراد قتل ابن ملجم، لعنه الله، فخرج الحسن (عليه السلام) فقال: معاشر الناس ان أبي أوصاني أن أترك أمره إلىٰ وفاته، فان كان له الوفاة، وإلّا نظر هو في حقه فانصرفوا يرحمكم الله، قال: فانصرف الناس ولم أنصرف، فخرج ثانية وقال لي: يا أصبغ أما سمعت قولي عن قول أمير المؤمنين (عليه السلام)، قلت: بلىٰ ولكني رأيت حاله فأحببت أن أنظر إليه، فأسمع منه حديثاً، فاستأذن لي

رحمك الله، فدخل ولم يلبث أن خرج، قال لي: أدخل فدخلت فإذا أمير المؤمنين (عليه السلام) معصب بعصابة، وقد علت[1] صفرة وجهه علىٰ تلك العصابة، وإذا هو يرفع فخذاً ويضع أُخرىٰ، من شدة الضربة وكثرة السم، فقال لي: يا أصبغ أما سمعت قول الحسن عن قولي؟قلت: يا أمير المؤمنين ولكني رأيتك في حالة فأحببت النظر إليك، وأن أسمع منك حديثاً، فقال لي: أقعد فما أراك تسمع مني حديثاً بعد يومك هذا، أعلم يا أصبغ اني أتيت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عائداً كما جئت الساعة، فقال: يا أبا الحسن أخرج فنادِ في الناس الصلاة جامعة واصعد المنبر وقم دون مقامي بمرقاة وقل للناس ألا من عق[2] والديه، فلعنة الله عليه، ألا من أبق من مواليه، فلعنة الله عليه، ألا من ظلم اجيراً اجرته فلعنة الله عليه، يا أصبغ، ففعلت ما أمرني به حبيبي رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، فقام من أقصىٰ المسجد رجل فقال: يا أبا الحسن تكلمت بثلاث كلمات وأوجزتهن فأشرحهن لنا فلم أرد جواباً حتىٰ أتيت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقلت: ما كان من الرجل، قال الاصبغ: ثم اخذ بيدي وقال أبسط يدكفبسطتيدي، فتناول اصبعا من اصابع يدي وقال: يا أصبغ كذا تناول رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) اصبعا من أصابع يدي، كما تناولت اصبعا من اصابع يدك، ثم قال: مه يا أبا الحسن ألا وأني وأنت أبوا هذه الأُمة، فمن عقنا فلعنة الله عليه، ألا وإني وأنت مولَيا هذه الأُمة فعلىٰ من أبق عنا لعنه الله، ألّا وإني وأنت أجيرا هذه الأُمة، فمن ظلمنا اجرتنا فلعنة الله عليه، ثم قال: آمين فقلت: آمين.

قال الأصبغ: ثم أُغمي عليه ثم أفاق فقال لي: أقاعد أنت يا أصبغ قلت:

---

(١) أي غلبت.

(٢) أي عصاها وترك عليها والاحسان إليها واستخف بها.

نعم يا مولاي قال: أزيدك حديثاً آخر، قلت: نعم زادك الله من مزيدات الخير، قال: يا اصبغ لقيني رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في بعض طرقات المدينة وأنا مغموم قد تبين الغم في وجهي، فقال لي: يا أبا الحسن أراك مغموماً ألا احدثك بحديث لا تغتم بعده أبداً: قلت: نعم، قال: إذا كان يوم القيامة نصب الله منبراً يعلو منابر النبيين والشهداء ثم يأمرني الله، أصعد فوقه، ثم يأمرك الله أن تصعد دوني بمرقاة، ثم يأمر الله ملكين فيجلسان دونك، بمرقاة، فإذا استقللنا علىٰ المنبر، لا يبقىٰ أحد من الاولين والآخرين إلّا حضر فينادي الملك الذي دونك بمرقاة، معاشر الناس، ألا من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرّفه بنفسي: أنا رضوان خازن الجنان ألا ان الله بمنّه وكرمه وفضله وجلاله، أمرني أن أدفع مفاتيح الجنة إلىٰ محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وإن محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أمرني أن أدفعها إلىٰ علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فاشهدوا لي عليه، ثم يقوم ذلك الذي تحت ذلك الملك بمرقاة منادياً، يسمع أهل الموقف: معاشر الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أُعرّفه بنفسي: أنا مالك خازن النيران ألا أن الله بمنّه وفضله وكرمه وجلاله، قد أمرني أن أدفع مفاتيح النار إلىٰ محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وأن محمّداً (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قد أمرني أن أدفعها إلىٰ علي بن أبي طالب (عليه السلام) فاشهدوا لي عليه، فأخذ مفاتيح الجنان والنيران ثم قال: يا عليّ فتأخذ بحجزتي[1] وأهل بيتك يأخذون بحجزتك وشيعتك يأخذون بحجزة أهل بيتك، ثم قال (عليه السلام): فصفقت بكلتا يدي وإلىٰ الجنة يا رسول الله، قال: إي ورب الكعبة. قال الأصبغ لم أسمع من مولاي غير هذين الحديثين ثم توفي صلوات الله عليه، هذا ما ذكره العلّامة القمي في كتاب الأنوار البهية طبع قم.

وروىٰ الطبري في تاريخه ج٤ ص١١٣ ـ ١١٤ حوادث سنة أربعين أنه دعا

(١) الحجزة: معقد الأزرار موضع التكة من السروايل.

حسناً وحسيناً فقال أُوصيكما بتقوىٰ الله وألّا تبغيا الدّنيا وإن بغتكما ولا تبكيا علىٰ شيء زويّ عنكما وقولا الحق وأرحما اليتيم وأغيثا الملهوف وأصنعا للآخرة وكونا للظالم خصماً وللمظلوم ناصراً وأعملا بما في الكتاب ولا تأخذكما في الله لومة لائم ثم نظر إلىٰ محمّد بن الحنفية فقال هل حفظت ما أوصيت به أخويك؟ قال: نعم قال: فإني أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك لعظيم حقهما عليك فأتبع أمرهما ولا تقطع أمراً دونهما ثم قال: أوصيكما به فإنه شقيقكما وابن أبيكما وقد علمتما أن أباكما كان يحبه وقال للحسن: أوصيك أي بنيّ بتقوىٰ الله وإقام الصلاة لوقتها وإيتاء الزكاة عند محلها وحسن الوضوء فإنه لا صلاة إلّا بطهور ولا تقبل صلاة من مانع زكاة وأوصيك بغفر الذنب وكظم الغيظ وصلة الرحم والحلم عند الجهل والتفقه في الدين والتثبت في الأمر والتعاهد للقرآن وحسن الجوار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب الفواحش فلما حضرته الوفاة أوصىٰ فكانت وصيته:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

هذا ما أوصىٰ به عليّ بن أبي طالب أوصىٰ أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمّداً عبده ورسوله أرسله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كله ولو كره المشركون. ثم إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين لا شريك له وبذلك أُمرتُ وأنا من المسلمين. ثم أوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهلي بتقوىٰ الله ربكم ولا تموتن إلّا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا فإني سمعت أبا القاسم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يقول إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام انظروا إلىٰ ذوي أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب الله الله في الأيتام فلا تُعنوا أفواههم ولا يضيعُن بحضرتكم والله الله في جيرانكم فإنهم وصية نبيكم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ما زال يوصي به حتّىٰ ظننا أنه سيورثه والله الله في القرآن فلا يسبقنكم

إلىٰ العمل به غيركم والله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم والله الله في بيت ربكم فلا تخلوه ما بقيتم فإنه إن ترك لم يناظروا الله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم والله الله في الزكاة فإنها تطفئ غضب الربّ والله الله في ذمة نبيكم فلا يُظْلمن بين أظهركم والله الله في أصحاب نبيكم فان رسول الله أوصىٰ بهم والله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معايشكم والله الله فيما ملكت أيمانكم الصلاة الصلاة لا تخافُنّ في الله لومة لائم يكفيكم من أرادكم وبغىٰ عليكم وقولوا للناس حسناً كما أمركم الله ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولىٰ الأمر شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم وعليكم بالتواصل والتباذل وإياكم والتدابر والتقاطع والتفرق وتعاونوا علىٰ البر والتقوىٰ ولا تعاونوا علىٰ الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب حفظكم الله من أهل بيت وحفظ فيكم نبيكم أستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله ثم لم ينطق إلّا بلا إله إلّا الله حتىٰ قبض رضي الله عنه وذلك في شهر رمضان سنة ٤٠ هـ وغسّله أبناه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص وكبّر عليه الحسن تسع تكبيرات وحمل جثمانه الطاهر إلىٰ ظهر الكوفة بإتجاه المدينة ودفن فيها وسميت هذه الربوة الغريين وهو موقع قبره الحالي.

ثم ولّي الحسن ستة أشهر وقد كان عليٌّ نهىٰ الحسن عن المثلة وقال يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين تقولون قتل أميرالمؤمنين قتل أمير المؤمنين ألا لا يقتلن إلّا قاتلي أنظر يا حسن إن أنا مت من ضربته هذه فاضربه ضربة بضربة ولا تمثل بالرجل فإني سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يقول إياكم والمثلة ولو أنها بالكلب العقور فلمّا قبض (عليه السلام) بعث الحسن إلىٰ ابن ملجم فقال للحسن هل لك في خصلة إني والله ما أعطيت الله عهداً إلّا وفيت به إني كنت قد أعطيت الله عهداً عند الحطيم أن أقتل علياً ومعاوية أو أموت دونهما فإن شئت خليت بيني وبينه ولك الله عليّ إنّ لم أقتله أو قتلته ثم

بقيت أن آتيك حتىٰ أضع يدي في يدك فقال له الحسن أما والله حتىٰ تعاين النار فلا ثم قدمه فقتله ثم أخذه الناس فأدرجوه في بواري ثم أحرقوه بالنار.

وفي رواية: بعد قتل ابن ملجم لعنه الله وضرب عنقه، استوهبت جيفته أُم الهيثم بنت الأسود النخعية فأحرقتها بالنار (أعلام الورىٰ ص٢٠٢).

وأما البرك بن عبد الله فإنه في تلك الليلة التي ضرب فيها عليٌّ قعد لمعاوية فلما خرج ليصلي الغداة شدّ عليه بسيفه فوقع السيف في اليته فأخذ فقال إن عندي خبراً أسرك به فإن أخبرتك فنافعي ذلك عندك قال: نعم قال: أخالي قتل علياً في مثل هذه الليلة قال فلعله لم يقدر علىٰ ذلك قال: بلىٰ إن علياً يخرج ليس معه من يحرسه فأمر به معاوية فقتل.

وأما عمرو ابن بكر فجلس لعمرو بن العاص تلك الليلة فلم يخرج وكان يشتكي بطنه، فأمر خارجة ابن حذاقة وكان صاحب شرطته فخرج ليصلي فشدّ عليه وهو يرىٰ إنه عمرو بن العاص، فضربه فقتله فأخذه الناس فانطلقوا به إلىٰ عمرو، وهم يسلمون عليه بالإمرة فقال: من هذا؟ قالوا: عمروا قال: فمن قتلت؟ قالوا: خارجة بن حذاقة، قال: أما والله يا فاسق ما ظننته غيرك، فقال عمرو: أردتني وأراد الله خارجة فقدمه وأمر بضرب عنقه.

وظل الإمام (عليه السلام) يكابد الالم من تلك الضربة حتىٰ قضىٰ نحبه في ليلة إحدىٰ وعشرين من شهر رمضان سنة أربعين شهيد الحق والعظمة والعدالة تاركاً أروع الامثلة من البطولات والتضحيات، واستحقار الدّنيا والاستخفاف بزخارفها وهو يخاطبها يا دنيا غرّي غيري، أبي تعرضتِ وبي تشوقتِ فلقد طلقتكِ ثلاثاً، طلاق مباين لا رجعة لي فيكِ.

خرج من هذه الدنيا واستشهد في المسجد الاعظم في بيت الله بالكوفة كما دخلها في أشرف بقعة في الكعبة المشرّفة وكانت حياته جهاداً في سبيل الله وتثبيت شريعة السماء بين المسجدين.

وترك أولاده وأهل بيته وشيعته بين يديّ خصومه في الله وفي العقيدة معاوية الامْوي وزمرته الطغاة ومن تلا من أُولئك الحكام الظلمة الاعداء الحاقدين، يتلقون أنواع الظلم والإضطهاد الذي عرفه تاريخ البشرية إلىٰ يومنا هذا.

ذكر العلّامة النيسابوري الشهيد في سنة ٨٠٥ هـ في كتابه روضة الواعظين ج١ ص١٣٦ والعلّامة الطبرسي في أعلام الورىٰ ص،٢٠٢ والعلّامة المجلسي في البحار ج٤٢ ص٢١٥ و٢١٦، والخطيب القزويني في كتابه علي من المهد إلىٰ اللحد ص٥٨٩ و٥٩٠ ما ملخصه بعد حذف السند:

لما حضرت الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) الوفاة أوصىٰ أولاده ومن حضره من أهل بيته بوصايا عديدة قيّمة ثم التفت إلىٰ الإمام الحسن (عليه السلام) فقال فاذا أنا مت، فاغسلني وكفني، وحنطني بباقي حنوط جدّك، وضعني علىٰ سريري، ولا يقربن أحدٌ منكم مقدم السرير فإنكم تكفونه، فإذا حُمِلَ المقدم فاحملوا المؤخر، وليتبع المؤخر المقدم حيث ذهب، فاذا وضع المقدم فضعوا المؤخر [سار النعش حتىٰ وصل الغريين بظهر الكوفة] ثم تقم أي بني حسن فصّل عليَّ، فكبر سبعاً فإنها لن تحّل لِاحدٍ بعدي، إلّا لرجل من ولدي يخرج آخر الزمان ـ يقيم إعوجاج الحق، [وهو المهدي] (عج).

فإذا صليت فخط حول السرير، ثم احفر قبراً في موضعه، فترىٰ صخرة بيضاء [فارفعها] فأخذ الامام الحسن (عليه السلام) المعول فضرب ضربة فانشق القبر عن ضريح فاذا هو بساجةٍ مكتوباً عليه سطران بالسريانية:

بسم الله الرحمن الرحيم

«هذا قبرٌ أدخره نوح لعلي، وصي محمد (صلّى الله عليه وآله) قبل الطوفان بسبعمائة عام».

فإنا لله وإنا إليه راجعون.

الفصل الثالث

وصاياه ، وعهوده ، وكتبه (ع)

في هذا الفصل : منتخب من مكاتيب وخطب الامام علي أمير المؤمنين (عليه السلام) .

نبين فيه جانباً من سيرته ومدىٰ المعانات التي تحملها من طواغيت زمانه، وبعض معاصريه الذين كانوا في طليعة المبايعين له بالخلافة، وحتى بعض عمّاله، والتابعين له والمحسوبين عليه.

وقد سبق ان ذكرنا في الفصل الاول من القسم الاول من كتابنا هذا، كتاباً إلى عامله على البصرة عثمان بن حنيف، ويعتبر هذا الكتاب دستوراً كاملاً يصدر من حاكم، عادلٍ، زاهد.

واما شرح الكلمة التي القاها على صاحبه همام في الوعظ والتنبيه، عندما سأله عن الحقيقة فقد بلغ بها اقصى مدى التوجيه والارشاد. حتى زهقت روحه ومات من تأثيرها.

وفي الفصل الثاني من القسم الأول.

ذكرنا بعض خطبه المهمّة (عليه‌السلام)، اتماماً للفائدة كالخطبة الشقشقية المعروفة .

والخطبة الثانية في عجيب خلقة الطاووس.

والخطبة الثالثة في عجيب خلقة الخفاش.

والخطبة الرابعة الفريدة الخالية من الألف.

وكذلك الخطبة الخامسة العارية من النقطة.

وبعض الاشعار المنسوبة اليه (عليه السلام).

واتماماً للفائدة والبحث اليك هذه الوصية الجامعة لمكارم الإخلاق وجهها إلى وصيه وخليفته من بعده الامام أبي محمد الحسن السبط (عليهما السلام) وهي في الحقيقة موجهة إلى اهله واصحابه وشيعته كافة.

(وَمِنْ وَصِيَّةٍ لولده الامام الحسن (عليهما السلام))
كَتَبَها إِلَيْهِ بِحَاضِرِينَ مُنْصَرِفاً مِنْ صِفِّينَ

مِنَ الْوَالِدِ الْفَانِ. الْمُقِرِّ لِلزَّمَانِ، الْمُدْبِرِ الْعُمُرِ، الْمُسْتَسْلِمِ لِلدَّهْرِ، الذَّامِّ لِلدُّنْيَا، السَّاكِنِ مَسَاكِنَ الْمَوْتَى، والظاعِنِ عَنها غَداً. إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمِّلِ مَا لاَ يُدرِكُ، السَّالِكِ سَبِيلَ مَن قَدْ هَلَكَ، غَرَضِ الأَسْقَامِ وَرَهِينَةِ الأَيَّامِ، وَرَمِيَّةِ الْمَصَائِبِ، وَعَبْدِ الدُّنيَا، وتَاجِرِ الغُرُورِ، وَغَرِيمِ الْمَنَايَا وأَسِيرِ الْمَوتِ. وَحَلِيفِ الْهُمُومِ. وَقَرِينِ الأَحْزَانِ. وَنُصْبِ الآفَاتِ. وَصَرِيعِ الشَّهَوَاتِ، وَخَلِيفَةِ الأَمْوَاتِ.

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ فِيمَا تَبَيَّنْتُ مِنْ إِدْبَارِ الدُّنْيَا عَنِّي وَجُمُوحِ الدَّهْرِ عَلَيَّ[1] وَإِقْبَالِ الآخِرَةِ إِلَيَّ مَا يَزَعُنِي عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ، وَالاِهْتِمَامِ بِما وَرَائِي[2]، غَيرَ أَنِّي حَيْثُ تفَرَّدَ بِي دُونَ هُمومِ النَّاسِ هَمُّ نَفسِي، فَصَدَفَنِي رَأيِي وَصَرَفَنِي عَن هَوَايَ، وَصَرَّحَ لِي محضُ أمرِي فَأفضَى بِي إِلَى جدٍّ لا يكُونَ فيهِ لَعِبٌ، وَصِدْقٍ لا يَشُوبُهُ كَذِبٌ. ووجَدْتُكَ بَعْضِي بَلْ وَجَدتُكَ كُلِّي حَتّى كَأَنَّ شَيئاً لَو أَصابَكَ أصابَنِي، وَكَأَنَّ الْمَوتَ لَو أتاكَ أتَانِي، فَعَنَانِي مِنْ أمرِكَ مَا يَعنِينِي مِن أمرِ نفْسِي فَكتَبتُ إِلَيكَ مُستَظهِراً بِهِ إِن أَنَا بَقِيتُ لَك أو فَنِيتُ.

فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقوَى اللهِ أَي بُنَيَّ وَلُزُومِ أَمرِهِ، وَعِمَارَةِ قَلبِكَ بِذِكرِهِ، وَالاِعْتِصامِ بِحَبْلِهِ. وَأَيُّ سَبَبٍ أوثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَينَكَ وبَينَ اللهِ إِن أَنتَ أَخَذتَ بِهِ؟

أَحْيِ قَلبَكَ بِالمَوعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهادَةِ، وَقَوِّهِ باليَقِينِ، وَنَوِّرْهُ بِالحِكْمَةِ، وَذَلِّلْهُ

(١) جموح الدهر: استعصاؤه وتغلبه.

(٢) من أمر الآخرة.

بِذِكْرِ الموْتِ، وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ[1]، وَبَصِّرهُ فَجَائِعَ الدُّنيَا، وَحَذِّرْهُ صَولَةَ الدَّهرِ وَفحشَ تَقَلُّبِ اللَّيالِي وَالأَيَّام، وَاعْرِض عَلَيهِ أَخبَارَ الْمَاضِينَ، وَذَكِّرهُ بِما أَصَابَ مَن كانَ قَبلَكَ مِنَ الأَوَّلِينَ، وَسِرْ فِي دِيارِهِم وَآثارِهِمْ فانظُرْ فِيمَا فَعَلُوا وَعَمَّا انتَقلُوا وَأينَ حلُّوا وَنزَلُوا، فَإِنَّكَ تَجِدُهُم قَدِ انتَقلُوا عَنِ الأَحِبَّةِ، وَحَلُّوا دِيَارَ الغُربَةِ، وَكَأَنَّكَ عن قليلٍ قَد صِرتَ كَأَحَدِهِم. فَأَصلِح مثوَاكَ، وَلاَ تَبِع آخِرَتكَ بِدُنيَاكَ. وَدعِ القَولَ فيمَا لاَ تَعرِفُ وَالخِطَابَ فيما لَم تُكلَّفْ. وَأَمسِك عَن طَرِيقٍ إِذَا خِفتَ ضَلاَلَتَهُ فَإِنَّ الكَفَّ عِندَ حَيرَةِ الضَّلالِ خيرٌ مِن رُكُوبِ الأَهوَالِ.

وَأْمُرْ بِالمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهلِهِ، وَأَنكِرِ الْمُنكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانكَ وَباين مَنْ فعَلَهُ بِجُهدِكَ[2]. وجَاهِدْ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَلا تَأْخُذكَ فِي اللهِ لَومَةُ لائِمٍ. وَخُضِ الغَمَراتِ لِلحَقِّ حَيثُ كَانَ[3]، وَتَفقَّه فِي الدِّينِ، وَعَوِّدْ نَفسكَ التَّصَبُّرَ عَلَى المَكْرُوهِ وَنِعمَ الخُلقُ التَّصَبُّرُ. وَأَلجِئ نفسكَ فِي الأمور كُلِّها إِلى إِلـهكَ فَإِنَّكَ تُلْجِئُها إِلَى كَهْفٍ حَرِيزٍ[4]، وَمَانِعٍ عَزِيزٍ. وَأَخْلِص فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ فَإِنَّ بِيَدِهِ العَطَاءَ وَالحِرمَانَ، وَاكثِر الاِستِخارَةَ وَتَفَهَّمْ وَصِيَّتِي ولا تَذهَبَنَّ عَنهَا صَفحاً فَإِنَّ خَيرَ القولِ مَا نَفعَ. وَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ خَيْرَ فِي عِلمٍ لاَ يَنفَعُ، وَلاَ يُنتَفعُ بِعِلمٍ لاَ يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ.

أي بُنَيَّ إِنِّي لَمَّا رَأَيتُنِي قَد بَلَغتُ سِناً، وَرَأَيتُنِي أزدَادُ وَهناً بادَرتُ بوَصِيَّتِي إِلَيكَ، وَأوردتُ خِصَالاً مِنها قَبْلَ أن يَعجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أن أفضيَ إِليكَ بِمَا فِي نَفسِي، وَأَنْ أَنقُصَ فِي رَأيِي كمَا نَقصتُ فِي جِسمِي، أَو يَسبِقَنِي إِلَيكَ بَعضُ غَلَبَاتِ

(١) اطلب منه الاقرار بالفناء. وبصره أي اجعله بصيراً.

(٢) باين أي باعد وجانب الذي يفعل المنكر.

(٣) الغمرات: الشدائد.

(٤) الكهف: الملجأ، والحريز، الحافظ.

الهوى وَفِتَنِ الدُّنيا، فَتكُونَ كَالصَّعبِ النفُورِ. وَإِنَّمَا قَلبُ الحدثِ كَالأَرضِ الخالِيةِ مَا أُلقِيَ فيها مِن شيءٍ قَبِلتهُ. فَبَادَرتُكَ بالأَدَبِ قَبْلَ أن يَقسُوَ قَلبُكَ وَيشتَغِلَ لُبُّكَ لِتَسْتَقبِلَ بِجِدِّ رَأيِكِ مِنَ الأمرِ مَا قَد كَفاكَ أهلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ وَتَجرِبَتَهُ، فَتَكُونَ قَدْ كُفيتَ مَؤونَةَ الطَّلَبِ، وَعُوفيتَ مِنْ عِلاَجِ التَّجرِبَةِ، فَأَتَاكَ مِنْ ذٰلِكَ ما قَد كُنَّا نأتيهِ، وَاستَبَانَ لَكَ مَا رُبَّما أظلَمَ عَلينَا مِنهُ.

أي بُنَيَّ إِنِّي وَإِن لَمْ أَكُنْ عُمِّرتُ عُمُرَ مَن كَانَ قَبلِي فَقَد نَظَرتُ في أعمَالِهِم، وَفَكَّرتُ فِي أخبارِهِمْ، وَسِرتُ في آثارِهِمْ حتّى عُدتُ كَأَحَدِهِم. بَلْ كَأَنِّي بِمَا انتَهَى إِليَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَد عُمِّرتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخرِهِم، فَعَرفتُ صَفوَ ذٰلِكَ مِن كَدَرِهِ، وَنَفعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ، فَاستَخلَصتُ لكَ مِن كُلِّ أمرٍ نَخِيلَهُ[1] وَتوخَّيتُ لَكَ جَمِيلَهُ وَصَرفتُ عَنكَ مَجهُولَهُ، وَرَأيتُ حيثُ عَنَانِي مِن أَمرِكَ مَا يَعنِي الوَالِدَ الشَّفِيقَ وَأجمَعْتُ عَلَيهِ مِنْ أدَبِكَ أن يَكُونَ ذٰلِكَ وَأَنتَ مُقبِلُ العُمُرِ وَمُقتَبَلُ الدَّهرِ، ذُو نِيَّةٍ سَلِيمَةٍ وَنَفسٍ صَافِيةٍ، وَأَنْ أَبتَدِئَكَ بِتَعلِيمِ كِتَابِ اللهِ وَتأوِيلِهِ، وَشَرائِعِ الإِسلاَمِ وَأَحكَامِهِ، وَحَلاَلِهِ وحَرَامِهِ، لا أجَاوِزُ ذٰلِكَ بِكَ إلى غَيرِهِ. ثُمَّ أشفَقتُ[2] أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيكَ مَا اختَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أهوَائِهِمْ وَآرَائِهِمْ مِثلَ الَّذِي التَبَسَ عَلَيهِمْ، فَكَان إِحكَامُ ذٰلِكَ عَلى مَا كَرِهتَ مِنْ تَنبِيهِكَ لَهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِن إِسلاَمِكَ إِلَى أَمرٍ لاَ آمَنُ عَلَيكَ بِهِ الهَلَكَةَ. وَرَجَوتُ أن يُوَفِّقَكَ اللهُ فِيهِ لِرُشدِكَ، وَأن يَهدِيَكَ لِقَصدِكَ، فَعَهِدتُ إِليكَ وَصِيَّتِي هٰذِهِ.

وَاعلم يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَبَّ مَا أنتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقوَى اللهِ وَالاِقتِصَارُ عَلَى مَا فَرَضَهُ اللهُ عَلَيكَ، وَالأَخذُ بِمَا مَضَى عَلَيهِ الأَوَّلُونَ مِنْ آبَائِكَ، وَالصَّالِحُونَ

(١) النخيل: المختار المصفى. وتوخيت أي تحريت.

(٢) أشفقت أي خشيت وخفت.

مِنْ أهلِ بيتِكَ، فإنهُمْ لَمْ يدعُوا أن نَظَرُوا لأَنفُسِهم كَمَا أَنتَ نَاظِرٌ، وَفَكَّرُوا كَمَا أنتَ مُفَكِّرٌ، ثُمَّ رَدَّهُم آخِرِ ذٰلِكَ إِلَى الأَخذِ بِمَا عَرَفُوا وَالإِمسَاكِ عَمَّا لَم يُكَلَّفوا. فَإِنْ أَبَتْ نَفسُكَ أن تَقبلَ ذٰلِكَ دُونَ أن تَعلَمَ كَمَا عَلِمُوا فَليكن طَلَبُكَ ذٰلكَ بتفهُّمٍ وَتعلُّمٍ، لاَ بِتَوَرُّطِ الشُّبُهَاتِ وَعُلُوِّ الخُصُومَاتِ. وَابدَأ قَبلَ نَظَرِكَ فِي ذٰلكَ بِالاِستِعَانَةِ بِإِلٰهِكَ وَالرَّغبَةِ إِلَيهِ فِي تَوفِيقِكَ وَتَركِ كُلِّ شَائِبَةٍ أَولَجَتكَ فِي شُبْهَةٍ[1]، أَوْ أَسلَمَتكَ إِلَى ضَلاَلَةٍ. فَإِذَا أيقَنتَ أَنْ قَدْ صَفا قَلبُكَ فَخَشع، وَتَمَّ رَأيُكَ فَاجتَمَعَ، وَكَانَ هَمُّكَ فِي ذٰلكَ هماً وَاحِداً فَانظُرْ فِيمَا فَسَّرتُ لَكَ. وَإِنْ أنتَ لم يَجتَمِع لَك مَا تُحِبُّ مِنْ نَفسِكَ، وَفَرَاغِ نَظَرِكَ وَفِكرِكَ فَاعلَم أَنَّكَ إِنَّمَا تَخبطُ العَشْوَاء[2]، وَتَتَوَرَّطُ الظَّلماءَ. وَلَيسَ طَالِبُ الدِّينِ مَنْ خَبَطَ أو خَلَطَ، وَالإِمساكُ عَن ذَلِكَ أَمثَلُ[3].

فَتفَهَّم يَا بُنَيَّ وَصِيَّتِي، وَاعْلَم أَنَّ مَالِكَ المَوتِ هُوَ مالِكُ الحَيَاةِ، وَأَنَّ الخَالِقَ هُوَ المُمِيتُ، وَأَنَّ المُفنِي هُوَ المُعِيدُ، وَأَنَّ المُبتَلِي هُو المُعَافِي، وَأَنَّ الدُّنيَا لم تَكُن لِتَستَقِرَّ إِلاَّ عَلَى مَا جَعَلَها اللهُ عَلَيهِ مِنْ النَّعمَاءِ، وَالابتِلاَءِ، وَالجَزَاءِ فِي المَعادِ أو مَا شاءَ مِمَّا لاَ نَعْلَمُ، فَإِنْ أَشكَلَ عَلَيكَ شيءٌ مِن ذٰلِكَ فَاحمِلهُ عَلَى جَهَالَتِكَ بِهِ فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَا خُلِقتَ خُلِقتَ جَاهِلاً ثُمَّ عَلِمتَ. وَمَا أكثَرَ مَا تَجهَلُ مِنْ الأمرِ وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأيُكَ وَيَضِلُّ فِيهِ بَصَرُكَ، ثُمَّ تُبْصِرهُ بَعدَ ذٰلكَ. فَاعتَصِم بِالَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّاكَ، وَلْيَكن لَهُ تَعبُّدُكَ وَإِلَيهِ رغبَتُكَ وَمِنهُ شَفَقَتُكَ[4].

وَاعلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحداً لم يُنبِئْ عَنِ اللهِ كَمَا أَنبَأَ عَنهُ الرَّسول (صلّى الله عليه وآله)،

(١) الشائبة ما يشوب الفكر من شك وحيرة. وأولجتك: أدخلتك.

(٢) العشواء الضعيفة البصر.

(٣) حبس النفس عن الخلط والخبط في الدين أحسن.

(٤) شفقتك أي خوفك.

فَارضَ بِهِ رائِداً. وَإِلَى النَّجَاةِ قَائِداً، فَإِنِّي لَمْ آلُكَ نَصِيحَةً[١]. وَإِنَّك لَن تَبلُغَ فِي النَّظَرِ لِنَفسِكَ ـ وَإِنِ اجتَهَدتَ ـ مَبلَغَ نَظَرِي لَكَ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ لو كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيتَ آثارَ مُلكِهِ وَسُلطَانِهِ، وَلَعَرفتَ أفعَالَهُ وَصِفَاتِهِ، وَلَكِنَّهُ إِلٰهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفسَهُ. لَا يُضَادُّهُ فِي مُلكِهِ أحَدٌ، وَلاَ يزُولُ أَبَداً. وَلَمْ يَزَلْ أوَّلَ قَبْلَ الأشياءِ بلا أوّليَّةٍ، وآخِرَ بَعْدَ الأشياءِ بِلاَ نِهايَةٍ. عَظُمَ عَنْ أن تَثبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإحاطة قَلبٍ أو بَصَرٍ. فَإذَا عَرفتَ ذٰلِكَ فَافعَلْ كَمَا يَنبَغِي لِمِثلِكَ أن يفعَلَهُ فِي صِغَرِ خَطَرِهِ[٢]، وَقِلَّةِ مَقدِرَتِهِ، وَكَثرَةِ عَجزِهِ؛ وَعَظِيمِ حَاجَتِهِ إِلَى رَبِّهِ فِي طَلَبِ طَاعَتِهِ، وَالرَّهبَةِ مِنْ عُقوبَتِهِ، وَالشَّفَقَةِ مِنْ سُخطِهِ. فَإِنَّهُ لَمْ يأمُرْكَ إلاَّ بحَسَنٍ وَلَمْ يَنهَكَ إلاَّ عن قَبِيحٍ.

يا بُنَيَّ إِنِّي قَد أَنبَأتُكَ عَنِ الدُّنيَا وَحَالِهَا وَزَوَالِهَا وَانتِقَالِهَا، وَأَنبَأتُكَ عَنِ الآخِرَةِ وَمَا أُعِدَّ لأَهلِهَا فِيهَا، وَضَرَبتُ لَكَ فِيهِمَا الأَمثَالَ لِتَعتَبِرَ بِهَا وَتَحْذُوَ عَلَيْهَا. إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنيَا[٣] كَمَثَلِ قومٍ سَفْرٍ نبَا بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيبٌ فَأَمُّوا مَنْزِلاً خَصِيباً وَجَنَاباً مَرِيعاً، فَاحْتَمَلُوا وَعْثَاءَ الطَّرِيقِ[٤] وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ، وَخُشُونَةَ السَّفَرِ، وَجُشُوبَةَ الْمَطْعَمِ لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ أَلَماً، وَلاَ يَرَوْنَ نَفَقَةً مَغْرماً، وَلاَ شيءَ أَحَبُّ إِلَيهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ، وَأَدْنَاهُمْ مِنْ مَحَلِّهِمْ.

---

(١) لم أقصر في نصيحتك.

(٢) خطره أي قدره.

(٣) خبر الدنيا: عرفها كما هي بامتحان أحوالها. والسفر ـ بفتح فسكون ـ: المسافرون. ونبا المنزل بأهله: لم يوافقهم المقام فيه لو خامته. والجديب: المقحط لاخير فيه. وأموا: قصدوا. والجناب: الناحية. والمريع ـ بفتح فكسر ـ: كثير العشب.

(٤) وعثاء السفر: مشقته. والجشوبة ـ بضم الجيم ـ: الغلظ، أو كون الطعام بلا أدم.

وَمَثَلُ مَنِ اغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَومٍ كَانُوا بِمَنزِلٍ خَصِيبٍ فَنَابَ بِهِمْ إِلَى مَنزِلٍ جَدِيبٍ، فَلَيسَ شيءٌ أَكْرَهَ إِلَيهِمْ وَلاَ أَفْظَعَ عِنْدَهُمْ مِنْ مُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ إِلَى مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ[١] وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ.

يَابُنَيَّ اجعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَينَ غَيْرِكَ، فَأَحبِبْ لِغَيرِكَ مَا تُحِبُّ لِنفسِكَ، وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلاَ تَظْلِمْ كَمَا لاَ تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ. وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُ مِنْ غَيْرِكَ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ[٢]. وَلاَ تَقُلْ ما لاَ تَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ، وَلاَ تَقُلْ مَا لاَ تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الإِعجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ وَآفَةُ الألبَابِ. فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ وَلاَ تَكُنْ خَازِناً لِغَيْرِكَ[٣]. وَإِذَا أنتَ هُدِيتَ لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَخشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ.

وَاعْلَم أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقاً ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ[٤] وَمَشَقةٍ شَدِيدَةٍ. وَأَنَّهُ لاَ غِنى لَكَ فيهِ عَنْ حُسْنِ الارتِيَادِ[٥]. قَدِّرْ بَلاغَكَ مِنَ الزَّادِ مَعَ خِفَّةِ الظَّهرِ. فَلاَ تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهرِكَ فَوقَ طَاقَتِكَ فَيَكُونَ ثِقْلُ ذٰلِكَ وَبالاً عَلَيْكَ. وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَيُوَافِيكَ بِهِ غَداً حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَاغْتَنِمْهُ وَحَمِّلْهُ إِيَّاهُ. وَأَكْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ قادِرٌ عَلَيهِ فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلا تَجِدُهُ. وَاغْتَنِمْ مَنِ اسْتَقْرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ.

---

(١) هجم عليه: انتهى اليه بغتة.

(٢) اذا عاملوك بمثل ما تعاملهم فارض بذلك ولا تطلب منهم أزيد مما تقدم لهم.

(٣) لا تحرص على جمع المال ليأخذه الوارثون بعدك بل انفق فيما يجلب رضاء الله عنك.

(٤) هو طريق السعادة الأبدية.

(٥) الارتياد: الطلب. وحسنه:

وَٱعْلَمْ أَنَّ أمامك عقبةً كَؤُوداً[١]، ٱلْمُخِفُّ فِيهَا أَحْسَنُ حَالاً مِنَ الْمُثْقِلِ، وَالْمُبْطِئُ عَلَيْهَا أَقبَحُ حَالاً مِنَ الْمُسْرِعِ، وَأَنَّ مَهبِطَكَ بِهَا لاَ مَحَالَةَ عَلَى جَنَّةٍ أَوْ عَلَى نَارٍ. فَارْتَدْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ[٢] وَوَطِّئِ الْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ، فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوتِ مُسْتَعتَبٌ[٣]، وَلاَ إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ. وَاعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ وَتَكَفَّلَ لَكَ بِالإِجابَةِ، وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُهُ عَنْكَ، وَلَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسأتَ مِنَ التَّوبَةِ، وَلَمْ يُعاجِلكَ بِالنِّقمَةِ، وَلَمْ يُعَيِّرْكَ بِالإِنَابَةِ[٤] وَلَمْ يفْضحكَ حَيثُ الفَضِيحَةُ بِكَ أَوْلَى، وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الإِنَابَةِ، وَلَمْ يُناقِشكَ بِالجَرِيمَةِ، وَلَمْ يُؤيِسكَ مِنَ الرَّحمَةِ. بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنبِ حَسنَةً[٥]، وَحَسَبَ سَيِّئَتَكَ وَاحدَةً، وَحسبَ حَسَنَتَكَ عَشراً، وَفتَحَ لَكَ بَابَ ٱلمَتَابِ. فَإِذَا نَادَيتَهُ سَمِعَ نِدَاءَكَ، وَإِذَا نَاجَيتَهُ عَلِمَ نَجْواكَ[٦] فَأَفضَيتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ[٧]، وَأَبثَثتَهُ ذَات نَفسِكَ، وَشَكَوتَ إِلَيهِ هُمُومَكَ، وَٱستَكشَفتَهُ كُرُوبَكَ[٨]،

(١) صعبة المرتقى. والمخف ـ بضم فكسر ـ: الذي خفف حمله، والمثقل بعكسه، وهو من أثقل ظهره بالأوزار.

(٢) ابعث رائداً من طيبات الأعمال.

(٣) المستعتب والمنصرف مصدران، والاستعتاب: الاسترضاء، ولا انصراف إلى الدنيا بعد الموت حتى يمكن استرضاء الله بعد اغضابه باستئناف العمل.

(٤) الانابة: الرجوع إلى الله، يعير الراجع إليه برجوعه.

(٥) نزوعك: رجوعك.

(٦) الماجاة: المكالمة سراً. والله يعلم السر كما يعلم العلن.

(٧) أفضيت: ألقيت. وأبثثته: كاشفته.

(٨) طلب كشفها.

وَٱسْتَعَنتَهُ عَلَى أُمُورِكَ، وَسَأَلتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحمَتِهِ مَالا يَقدِرُ عَلَى إِعطائِهِ غَيْرُهُ مِنْ زِيَادَةِ الأَعمَارِ وصِحَّةِ الأَبْدَانِ وَسَعَةِ الأَرزَاقِ. ثُمَّ جَعَل فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَذِنَ لَكَ مِنْ مَسْأَلَتِهِ، فَمَتَى شِئتَ ٱسْتَفتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبوَابَ نِعْمَتِهِ، وَٱستَمطَرتَ شَآبِيبَ رَحمَتِهِ[١]. فَلاَ يُقنِّطَنَّكَ إِبطَاءُ إِجَابَتِهِ[٢] فَإِنَّ العَطِيَّةَ عَلَى قدرِ النِّيةِ. وَرُبَّمَا أُخِّرتْ عَنْكَ الإِجَابةُ لِيَكُونَ ذٰلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ السَّائِلِ وَأَجزَلَ لِعَطاءِ الآمِلِ. وَرُبَّمَا سألتَ الشَّيءَ فَلاَ تُؤتَاهُ وَأُوتِيتَ خَيْراً مِنْهُ عَاجِلاً أَو آجِلاً، أَو صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ. فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَد طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلاَكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيتَهُ. فَلتَكُنْ مَسأَلَتُكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ وَيُنْفَى عَنكَ وَبَالُهُ. فَالمَالُ لاَ يَبْقَى لَكَ وَلاَ تَبقَى لَهُ.

وَٱعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلآخِرَةِ لاَ لِلدُّنيَا، وَلِلفَنَاءِ لاَ لِلبَقَاءِ، وَلِلمَوتِ لاَ لِلحَيَاةِ، وَأَنَّكَ فِي مَنزِلِ قُلعَةٍ[٣] وَدَارِ بُلغَةٍ، وَطَرِيقٍ إِلَى الآخِرَةِ، وَأَنَّكَ طَرِيدُ المَوتِ الَّذِي لاَ يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ، وَلاَبُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ، فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ أَن يُدْرِكَكَ وَأَنتَ عَلَى حالِ سَيِّئَةٍ قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفسَكَ مِنْهَا بِالتَّوبَةِ فَيحُولَ بَينَكَ وَبَينَ ذٰلِكَ، فَإِذَا أَنتَ قَد أَهلَكتَ نَفْسَكَ.

يَا بُنَيَّ أَكثِرْ مِنْ ذِكرِ المَوتِ وَذِكرِ مَا تهجُمُ عَلَيهِ وَتُفضِي بَعدَ المَوتِ إِلَيهِ حَتَّىٰ يَأتِيَكَ وَقَدْ أَخَذتَ مِنْهُ حَذْرَكَ[٤]، وَشَدَدتَ لَهُ أَزرَكَ، وَلاَ يأتِيكَ بَغتَةً فَيَبهَرَكَ[٥].

(١) الشؤبوب ـ بالضم ـ: الدفعة من المطر. وما أشبه رحمة الله بالمطر ينزل على الأرض الموات فيحييها.

(٢) القنوط: اليأس.

(٣) قُلعَة: يقال منزل قُلعَة أي لا يدري متى ينتقل عنه. البلغة: دار تؤخذ منها الكفاية للآخرة.

(٤) الحذر ـ بالكسر ـ الاحتراز والاحتراس. والازر ـ بالفتح ـ: القوة.

(٥) بهر ـ كمنع ـ: غلب، أي يغلبك على أمرك.

وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إخلادِ أَهلِ الدُّنيَا إِليها[١]، وَتَكَالُبِهِمْ عَلَيها، فَقد نَبَّأَك ٱللهُ عَنها، وَنَعتْ لَكَ نَفسَها[٢]، وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيها، فإنّما أَهْلُهَا كِلابٌ عَاوِيةٌ، وَسِبَاعٌ ضَارِيةٌ، يَهِرُّ بَعضُهَا بعْضاً[٣]، وَيَأكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا، وَيَقهرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا. نَعَمٌ مُعَقَّلَةٌ[٤]، وَأُخْرَى مُهْمَلَةٌ قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا[٥] وَرَكِبَتْ مَجْهُولَهَا، سُرُوحُ عَاهَةٍ بوادٍ وَعثٍ. لَيْسَ لَها رَاعٍ يُقِيمُها، وَلاَ مُقيمٌ يُسِيمُهَا[٦]. سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ العَمى، وَأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ الهُدَى، فَتَاهُوا فِي حَيرَتِهَا، وَغَرِقُوا فِي نِعمَتِهَا، وَٱتَّخَذُوها رَبّاً فَلَعِبتْ بِهِم وَلَعِبُوا بِها وَنَسُوا مَا وَراءها.

رُوَيداً يُسفِرُ الظَّلاَمُ[٧]. كَأَن قَد وردَتِ الأَظعَانُ[٨]. يُوشِكُ مَنْ اسْرَعَ أن يَلحَقَ. وَٱعْلَمْ أَنَّ مَنْ كَانتْ مَطِيَّتُهُ اللَّيلَ وَالنَّهارَ فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَإِنْ كَانَ وَاقِفاً، وَيقْطَعُ المَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيماً وَادِعاً[٩].

وَٱعْلَمْ يَقِيناً أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمَلَكَ وَلَنْ تَعْدُوَ أَجَلَكَ، وَأَنَّكَ فِي سَبِيلِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ. فَخَفِّضْ فِي الطَّلَبِ[١٠] وَأجمِل فِي المُكْتَسبِ فَإِنَّهُ رُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إلى

(١) اخلاد أهل الدنيا: سكونهم اليها. والتكالب: التواثب.

(٢) نعاه: أخبر بموته. والدنيا تخبر بحالها عن فنائها.

(٣) ضارية: مولعة بالافتراس. يهر ـ بكسر الهاء وضمها ـ: أي يمقت ويكره بعضها بعضاً.

(٤) عقل البعير ـ بالتشديد ـ شدَّ وظيفهُ الى ذراعه.

(٥) أضلت: أضاعت عقولها وركبت طريقها المجهول لها.

(٦) أسام الدابة: سرحها إلى المرعى.

(٧) يسفر أي يكشف ظلام الجهل عما خفي من الحقيقة عند انجلاء الغفلة بحلول المنية.

(٨) الأظعان ـ جمع ظعينة ـ: وهو الهودج تركب فيه المرأة.

(٩) الوادع: الساكن المستريح.

(١٠) خفض: أمر من خفض ـ بالتشديد ـ أي رفق. وأجمل في كسبه.

حَرَبٍ[١]. فَلَيس كُلُّ طَالِبٍ بِمرزُوقٍ، وَلاَ كُلُّ مُجمِلٍ بِمَحرومٍ. وَأَكرِم نَفسَكَ عَن كلِّ دَنِيةٍ وَإِن سَاقَتكَ إِلَى الرَّغَائِبِ فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبذُلُ مِنْ نَفسِكَ عِوضاً[٢]، وَلاَتَكُنْ عَبْدَ غَيرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللهُ حُرّاً. وَمَا خَيرُ خَيرٍ لاَيُنَالُ إِلاَّ بِشَرٍّ، وَيُسْرٍ لاَيُنَالُ إِلاَّ بِعُسرٍ[٣].

وَإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا ٱلطَّمَعِ[٤] فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ الهَلَكَةِ. وَإِنِ ٱستَطَعْتَ أَنْ لاَ يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَينَ اللهِ ذُو نِعمةٍ فَافعَلْ. فإِنَّكَ مُدرِكٌ قِسْمَكَ وَآخِذٌ سَهْمَكَ. وَإِنَّ اليَسِيرَ مِنَ اللهِ سُبحَانَهُ أَعظمُ وَأَكرمُ مِنَ الكَثِيرِ مِنْ خَلقِهِ وَإِنْ كانَ كُلٌّ مِنْهُ.

وَتَلافِيكَ مَا فَرَطَ مِنْ صَمتِكَ أَيسرُ مِنْ إِدرَاكِكَ مَا فاتَ مِن مَنطِقِكَ[٥]، وَحِفظُ مَا فِي الوعاءِ بِشَدِّ الوِكَاءِ. وَحِفْظُ مَا فِي يَدَيكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ مَا فِي يَدِ غَيرِكَ. وَمَرَارَةُ ٱلْيَأْس خَيرٌ مِنَ ٱلطَّلَبِ إِلَى ٱلنَّاسِ. وَٱلْحِرفَةُ مَعَ العِفَّةِ خَيرٌ مِن الغِنَى مَع الفُجُورِ. وَالمَرءُ أَحفظُ لِسِرِّهِ. وَرُبَّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ، وَمَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ. وَمَن تَفَكَّرَ أَبصَرَ. قَارِنْ أَهْلَ الخَيرِ تَكُنْ مِنْهُمْ. وَبَايِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ. بِئْسَ الطَّعَامُ الحَرَامُ. وَظُلْمُ ٱلضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلمِ. إِذَا كَانَ الرِّفقُ خُرقاً كَانَ الخُرقُ رِفقاً. رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً وَالدَّاءُ دَوَاءً. وَرُبَّمَا نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ وَغَشَّ المُستَنصَحُ. وَإِيَّاكَ وَٱتِّكَالَكَ عَلَى المُنَى فإِنَّهَا بَضَائِعُ المَوتَى، وَالعَقلُ حِفظُ التَّجَارِبِ. وَخَيرُ مَا جَرَّبتَ

(١) الحرب ـ بالتحريك ـ: سلب المال.

(٢) ان رغائب المال انما تطلب لصون النفس عن الابتذال.

(٣) ان العسر الذي يخشاه الانسان هو مايضطره لرذيل الفعال.

(٤) توجف: تسرع. والمناهل ما ترده الابل ونحوها للشرب.

(٥) التلافي: التدارك لاصلاح مافسد أو كاد.

مَا وَعَظَكَ[١]. بَادِرِ الفُرصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً. لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ، وَلاَ كُلُّ غَائِبٍ يَؤُوبُ. وَمِنَ الفَسَادِ إِضَاعَةُ الزَّادِ[٢] وَمُفْسِدَةُ المَعَادِ. وَلِكُلِّ أَمرٍ عَاقِبَةٌ. سَوفَ يَأتِيكَ مَا قُدِّرَ لَكَ. التَّاجِرُ مُخَاطِرٌ. وَرُبَّ يَسِيرٍ أَنمَى مِنْ كَثِيرٍ. لاَ خَيْرَ فِي مُعِينٍ مَهِينٍ[٣] وَلاَ فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ. سَاهِلِ الدَّهرَ مَا ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ[٤]. وَلاَتُخَاطِرْ بِشَيءٍ رَجَاءَ أَكثَرَ مِنهُ. وَإِيَّاكَ أَن تَجمَحَ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجَاجِ[٥]. أَحمِلْ نَفْسَكَ مِن أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَى الصِّلَةِ[٦]، وَعِندَ صُدُودِهِ عَلَى اللطفِ وَالمُقَارَبَةِ، وَعِندَ جُمُودِهِ عَلَى البَذْلِ[٧]، وَعندَ تَباعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللِّينِ، وَعِنْدَ جُرمِهِ عَلَى العُذرِ حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ وَكَأَنَّهُ ذُو نِعمةٍ عَلَيكَ. وَإِيَّاكَ أَن تَضَعَ ذٰلِكَ فِي غَيرِ مَوضِعِهِ أَو أَن تَفعَلَهُ بِغَيرِ أَهْلِهِ. لاَتَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقاً فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ. وَٱمحَض أَخَاكَ ٱلنَّصِيحَةَ حَسَنَةً كَانَتْ أو قَبِيحَة. وَتَجَرَّعِ ٱلْغَيْظَ فَإِنِّي لَمْ أَرَ جُرْعَةً أَحْلَى مِنْهَا عَاقِبَةً وَلاَ أَلَذَّ مَغَبَّةً[٨]. وَلِمَنْ غَالَطَكَ فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَلِينَ لَكَ. وَخُذْ عَلَى عَدُوِّكَ بِالفَضلِ

(١) أفضل التجربة مازجرت عن سيئة وحملت على حسنة وذلك الموعظة.

(٢) زاد الصالحات والتقوى، أو المراد إضاعة المال مع مفسدة المعاد بالاسراف في الشهوات وهو أظهر.

(٣) مهين بفتح الميم بمعنى حقير فان الحقير لايصلح لأن يكون معينا، والظنين بالظاء. المتهم: وبالضاد البخيل.

(٤) أي ساهل الدهر مادام منقاداً وخذ حظك من قياده.

(٥) اللجاج ـ بالفتح ـ: الخصومة أي أحذرك من أن تغلبك الخصومات فلا تملك نفسك من الوقوع في مضارها.

(٦) صرمه: قطيعته، أي الزم نفسك بصلة صديقك إذا قطعك الخ.

(٧) جموده: بخله.

(٨) المغبة: بمعنى العاقبة، وكظم الغيظ.

فَإِنَّهُ أَحْلَى الظَّفَرَين[١] وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَاستَبْقِ لَهُ مِنْ نَفسِكَ بَقِيَّةً تَرجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَا لَهُ ذٰلِكَ يَوماً ما[٢]. وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيراً فَصَدِّق ظَنَّهُ[٣]. وَلاَ تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ ٱتِّكَالاً عَلَى مَا بَينَكَ وَبَينَهُ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخ مَن أَضعتَ حَقَّهُ. وَلاَ يَكُنْ أَهْلُكَ أَشقَى ٱلخلقِ بِكَ. وَلاَ تَرْغَبَنَّ فِيمَن زَهِدَ فِيكَ. وَلا يَكُونَنَّ أَخوكَ أَقوىَ عَلَى قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلَى صِلَتِهِ[٤] وَلاَ تَكُونَنَّ عَلَى الإِسَاءَةِ أَقوَى مِنْكَ عَلَى الإِحْسَانِ، وَلاَيَكْبُرَنَّ عَلَيكَ ظُلمُ مَنْ ظَلَمَكَ فَإِنَّهُ يَسعَى فِي مَضَرَّتِهِ وَنَفْعِكَ. وَلَيسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوءَهُ.

وَٱعْلَمْ يَابُنَيَّ أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ: رِزقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزقٌ يَطلُبُكَ فَإِن أَنت لَم تَأتِهِ أَتاكَ. مَا أَقبَحَ الخضُوعَ عِندَ الحَاجَةِ وَالجَفَاءَ عِندَ الغِنَى؟ إِنَّ لَكَ مِنْ دُنيَاكَ مَا أَصلحْتَ بِهِ مَثوَاكَ[٥]. وَإِنْ جَزِعتَ عَلَى مَا تَفلَّتَ مِنْ يَدَيكَ فَاجزَعْ عَلَى كُلِّ مَالمْ يَصِلْ إِلَيكَ. استدِلَّ عَلَى مَالم يَكُن بِمَا قَدْ كَانَ. فَإِنَّ الأُمورَ أَشباهٌ. وَلاَ تَكُونَنَّ مِمَّنْ لاَتَنفَعُهُ العِظَةُ إِلاَّ إِذَا بَالَغتَ فِي إِيلاَمِهِ، فَإِنَّ العَاقِلَ يَتَّعِظُ بِالآدَابِ وَالبهائمُ لاَتَتَّعِظُ إِلاَّ بِالضَّربِ. أَطرِحَ عَنك وارداتِ الهمومِ بعزَائمِ الصَّبرِ وحُسنِ اليَقِينِ. مَنْ تَرَكَ القَصْدَ جَارَ[٦] والصَّاحِبُ مُنَاسَبٌ. وَالصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيبُهُ[٧]. والهَوَى شَرِيكُ

(١) ظفر الانتقام وظفر التملك بالاحسان.

(٢) بقية من الصلة يسهل لك معها الرجوع إليه إذا ظهر له حسن العودة.

(٣) صدّقه بلزوم ما ظن بك من الخير.

(٤) مراده إذا أتى أخوك بأسباب القطيعة فقابلها بموجبات الصلة حتى تغلبه.

(٥) منزلتك من الكرامة في الدنيا والآخرة.

(٦) القصد: الاعتدال. وجار: مال عن الصواب.

(٧) الغيب: ضد الحضور أي من حفظ لك حقك وهو غائب عنك.

العَناءِ[١] رُبَّ قريبٍ أبعدُ مِنْ بَعِيدٍ، وَرُبَّ بَعِيدٍ أَقربُ مِن قَريبٍ. والغَرِيبُ مَنْ لم يَكُن لهُ حَبِيبٌ. مَنْ تَعدَّى الحَقَّ ضَاقَ مَذهَبُهُ. وَمَنِ ٱقتَصَرَ عَلَى قَدرِهِ كانَ أَبقَى لهُ. وَأَوثَقُ سبَبٍ أخَذتَ بِهِ سَببٌ بَينَكَ وَبَينَ الله. وَمَنْ لَم يُبَالِكَ فَهُوَ عَدُوُّك[٢] قَدْ يَكُونُ اليَأسُ إدرَاكاً إذَا كَانَ الطَّمعُ هَلاكاً. لَيسَ كُلُّ عَورةٍ تَظهَرُ وَلا كُلُّ فُرصةٍ تُصابُ. وربَّما أخطأ البَصيرُ قَصدَهُ وَأصابَ الأعمَى رُشدَهُ. أخِّرِ الشَّر فإنَّك إذا شِئتَ تَعجَّلتهُ[٣]. وَقَطيعَةُ الجَاهِلِ تَعدِلُ صِلَةَ العاقِلِ. مَن أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ، وَمن أعظَمَهُ أهَانَهُ[٤]. لَيسَ كلُّ مَن رَمى أَصابَ. إذَا تَغيَّرَ السُّلْطَانُ تَغيَّرَ الزَّمَانُ. سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبلَ الطَّرِيقِ، وعَنِ الجَارِ قَبلَ الدَّارِ. إيَّاكَ أن تَذكُرَ فِي الكَلامِ مَايَكُونُ مُضحِكاً وَإن حَكيتَ ذَلِكَ عن غَيرِكَ. وإيَّاكَ ومُشاورَةَ النِّساءِ فَإنَّ رَأيَهُنَّ إلى أَفنٍ وَعَزمَهُنَّ إلى وَهنٍ[٥]. وَٱكفُف عَلَيهِنَّ من أبصارهنَّ بِحِجابِكَ إيَّاهنَّ فَإنَّ شِدَّةَ الحِجَابِ أبقَى عَلَيهِنَّ، وَلَيسَ خُرُوجُهُنَّ بِأشَدَّ مِنْ إدخَالِكَ من لاَيُوثَقُ بِهِ عَلَيهِنَّ[٦]، وإنِ ٱستطَعتَ أن لاَيَعرِفنَ غَيرَكَ فَافعَلْ. وَلاَ تُمَلِّكِ المَرأَةَ من أَمرِها مَا جَاوزَ نَفسَها فَإنَّ المرْأَةَ رَيحَانَةٌ وَلَيستْ بِقَهرَمَانَةٍ[٧]. وَلاَ تَعدُ بِكَرَامَتِها نَفسَهَا، وَلاَتُطمِعْها فِي أن تَشفَعَ

(١) الهوى شهوة غير منضبطة ولا مملوكة بسلطان الشرع والأدب. والعناء الشقاء.

(٢) لم يبالك أي لم يهتم بأمرك.

(٣) لأن فرص الشر لاتنقضي لكثرة طرقه، وطريق الخير واحد وهو الحق.

(٤) من هاب شيئاً سلطه على نفسه.

(٥) الأفن ـ بالتحريك ـ : ضعف الرأي. والوهن: الضعف.

(٦) أي إذا أدخلت على النساء من لايوثق بأمانته فكأنك أخرجتهن إلى مختلط العامة فأي فرق بينهما؟.

(٧) القهرمان الذي يحكم في الأمور ويتصرف فيها بأمره.

بِغَيرِها. وَإيَّاكَ والتَّغَايُرَ فِي غيرِ مَوضِعِ غَيرةٍ[١] فإنَّ ذلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إلَى ٱلسُّقمِ وَالبَرِيئَةَ إلَى الرَّيبِ. وٱجْعَل لِكُلِّ إنسَانٍ مِن خَدَمِكَ عَمَلاً تَأخُذُهُ بِهِ فَإنَّهُ احرَى أَنْ لاَيَتَواكَلُوا فِي خِدمَتِكَ[٢]. وَأكرِمْ عَشِيرتَكَ فإنَّهُم جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطيرُ، وَأصلُكَ الَّذِي إليهِ تَصِيرُ، وَيَدُكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ. أستَودِعُ الله دِينَكَ وَدُنيَاكَ وَأَسألُهُ خَيرَ القَضَاءِ لَكَ فِي العَاجِلَةِ والآجِلَةِ وَالدُّنيَا وَالآخِرَةِ. وَالسَّلامُ.

* * *

(١) الغيرة ـ سوء الظن.

(٢) ينكل بعضهم على بعض.

(وَمِن كِتَابٍ لَهُ (عليه السلام) إلى أهلِ مِصرَ لَمَّا وَلَّى عَلَيهِمُ الأشْتَرَ رضي الله عنه)

مِنْ عَبدِ اللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ إِلَى ٱلقَومِ ٱلَّذِينَ غَضِبُوا لِلهِ حِينَ عُصِيَ في أَرضِهِ وَذُهِبَ بِحَقِّهِ، فَضَرَبَ الجورُ سُرَادِقَهُ عَلَى البَرِّ والفَاجِرِ[١] وَالمُقِيمِ وَالظَّاعِنِ، فَلاَ مَعرُوفٌ يُستَرَاحُ إِليه[٢]، وَلاَ مُنكرٌ يُتَنَاهَى عَنْهُ.

أَمَّا بَعدُ فَقَدْ بَعَثتُ إِلَيكُمْ عَبداً مِن عِبَادِ اللهِ لاَ يَنَامُ أَيَّامَ الخَوفِ، وَلاَيَنكُلُ عَنِ الأَعدَاءِ ساعَاتِ الرَّوعِ[٣]. أَشَدَّ عَلَى الفُجَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ، وَهُوَ مَالِكُ بنُ الحَارِثِ أَخُو مَذْحِجٍ[٤]، فَاسمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا أَمرَهُ فيمَا طَابَقَ الحَقَّ فَإِنَّهُ سَيفٌ مِنْ سُيوفِ اللهِ لاَ كَلِيلُ ٱلظُّبَةِ وَلاَ نَابِي الضَّرِيبَةِ، فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنفِرُوا فَانفِرُوا، وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَأَقِيمُوا، فَإِنَّهُ لايُقْدِمُ وَلايُحجِمُ وَلاَ يُؤَخِّرُ وَلاَ يُقَدِّمُ إِلاَّ عَنْ أَمرِي، وَقَدْ آثَرتكم به على نفسي لَنصيحتِهِ لكم وشِدةِ شكيمتِهِ على عَدُوِّكُم.

* * *

(١) السرادق ـ بضم السين ـ: الغطاء الذي يمد فوق صحن البيت. والبر: التقي. والظاعن: المسافر.

(٢) يعمل به.

(٣) ينكل عنه: نكص وجبن. والروع: الخوف.

(٤) مذحج من طي قبيلة مالك.

(وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ لِلحَسَنِ والحُسَينِ (عليهم السلام))
(لَمَّا ضَرَبَهُ ٱبنُ مُلجَمٍ لعَنهُ اللهُ)

أُوصِيكُمَا بِتَقوَى اللهِ وَأن لاَتَبغِيَا ٱلدُّنيَا وَإِن بَغَتكُمَا[١]، وَلاَ تَأسَفَا عَلَى شَيءٍ مِنهَا زُوِيَ عَنْكُمَا[٢]. وَقُولاَ بالحقِّ. وٱعمَلاَ لِلأَجرِ. وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً.

أُوصِيكُمَا وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهلِي وَمن بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقوَى اللهِ وَنظمِ أمرِكُمْ، وَصَلاحِ ذَاتِ بَينِكُمْ، فَإِنِّي سَمِعتُ جَدَّكُمَا(صلّى الله عليه وآله) يقُولُ: «صَلاَحُ ذَاتِ البَينِ أَفضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلاةِ والصِّيامِ» واللهَ ٱللهَ فِي الأَيتَامِ فَلاَ تُغِبُّوا أَفوَاهَهُمْ[٣] وَلاَيَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُم. واللهَ ٱللهَ فِي جِيرَانِكُم فَإِنَّهُم وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ مَا زَالَ يُوصِي بِهِم حَتّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُم[٤]. وَاللهَ ٱللهَ فِي القُرآنِ لاَيَسبِقكُم بِالعَمَلِ بِهِ غَيرُكُم. واللهَ اللهَ فِي الصَّلاةِ فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُم. وَاللهَ ٱللهَ في الجِهَادِ بأموَالِكُم وَأنفُسِكُم وَأَلسِنَتِكُم في سَبِيلِ اللهِ. وَعَلَيكُم بِالتَّوَاصُلِ والتَّبَاذُلِ. وَإِيَّاكُم والتَّدَابُرَ وَالتَّقَاطُعَ. لاَتَترُكُوا الأَمرَ بِالمَعْرُوفِ وَٱلنَّهْيِ عَنِ المُنكَرِ فَيُولَّى عَلَيكُم شِرَارُكُم ثُمَّ تَدعُونَ فَلا يُستَجَابُ لَكُم. يَابني عبدِ المُطَّلِبِ لاَ أُلفِيَنَّكُم تَخُوضُونَ دِمَاءَ المُسلِمِينَ خَوضاً تَقولُون قُتِلَ أَمِيرُ المُؤمنينَ، أَلاَ لا تَقتُلُنَّ بِي إِلاَّ قَاتِلِي.

(١) لاتطلباها وإن طلبتكما.

(٢) زوى أي قبض ونحى عنكما.

(٣) أغب القوم: جاءهم يوما وترك يوما، أي صلوا أفواههم بالاطعام ولا تقطعوه عنها.

(٤) يجعل لهم حقا في الميراث.

آنظُرُوا إِذَا أَنا مُتُّ مِن ضَرْبَتِهِ هـٰذِهِ فَاضرِبُوهُ ضَربةً بِضَربةٍ، وَلاَ يُمَثِّلُ بِالرَّجُلِ فَإِنِّي سَمِعتُ رَسولَ اللهِ(صلّى الله عليه وآله) يَقُولُ: «إِيَّاكمُ والمُثْلَةَ وَلَو بالكلب العقور».

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ (عليه السلام)
إِلَى أَهْلِ مِصرَ مَعَ مَالِكٍ ٱلأَشتَرِ لَمَّا وَلَّاهُ إِمارَتَهَا)

أَمَّا بَعدُ فَإِنَّ الله سُبحَانهُ بَعَثَ مُحَمَّداً(صلّى الله عليه وآله) نَذِيراً لِلعَالَمِينَ وَمُهَيمِناً عَلَى المُرسَلِينَ[1]، فَلَمَّا مَضَى(عليه السلام) تَنَازَعَ المُسلِمُونَ الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ، فَوَ ٱللهِ مَا كَانَ يُلقَى فِي رُوعِي وَلاَ يَخطُرُ بِبَالِي أَنَّ العَرَبَ تُزْعِجُ هـٰذَا الأمرَ مِنْ بَعدِهِ(صلّى الله عليه وآله) عَنْ أهلِ بَيتِهِ، وَلاَ أَنَّهُمْ مُنَحُّوهُ عَنِّي مِنْ بَعدِهِ، فَمَا رَاعَنِي إِلاَّ آنتِيَالُ النَّاسِ عَلَى فُلانٍ[2] يُبَايِعُونَهُ، فَأَمْسَكتُ يَدِي حَتَّى رَأَيتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الإِسلامِ يَدعُونَ إِلَى مَحقِ دِينِ مُحَمَّدٍ(صلّى الله عليه وآله)، فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنصُرِ الإِسلامَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلماً[3] أَو هَدماً تَكُونُ المُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعظَمَ مِنْ فَوتِ وَلاَيَتِكُمُ ٱلَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلائِلَ يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ كَمَا يَزُولُ السَّرابُ، أو كما يَتَقَشَّعُ السَّحَابُ، فَنَهضتُ فِي تِلكَ الأحدَاثِ حَتَّى زَاحَ البَاطِلُ وَزَهَقَ، وَٱطْمَأَنَّ ٱلدِّينُ وَتَنَهنَهَ.

(وَمِنْهُ) إِنِّي وَاللهِ لَو لَقِيتُهُمْ وَاحِداً وَهُمْ طِلاعُ الارضِ كُلِّهَا[4] مَا بَالَيتُ وَلاَ

(١) المهيمن: الشاهد، والنبي شاهد برسالة المرسلين الأولين.

(٢) راعني: أفزعني. وانتيال الناس: انصبابهم.

(٣) ثلما أي خرقا.

(٤) أي لو كنت واحداً وهم يملأون الأرض للقيتهم غير مبال بهم.

ٱستوحَشتُ. وَإِنِّي مِنْ ضَلاَلِهِم ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ، وَالهُدَى الَّذِي أَنا عَلَيهِ، لَعَلَى بَصِيرةٍ مِنْ نَفْسِي وَيَقِينٍ مِنْ رَبِّي. وَإِنِّي إِلى لِقَاءِ اللهِ وَحُسنِ ثَوَابِهِ لَمُنتَظِرٌ رَاجٍ. وَلـٰكِنَّنِي آسَى أَن يَلِيَ أَمر هـٰذِهِ الأُمَّةِ سُفَهَاؤُهَا وَفُجَّارُهَا، فَيَتَّخِذوا مَالَ اللهِ دُوَلاً، وَعِبَادَهُ خَوَلاً، وَالصالِحِينَ حَرباً، وَالفاسِقِينَ حِزباً، فَإِنَّ مِنْهُمُ الذي قَد شَرِبَ فِيكُمُ الحَرَامَ[1]، وَجُلِدَ حَداً فِي الإِسلاَمِ وَإِنَّ مِنهُمْ مَنْ لَمْ يُسلِمْ حَتَّى رُضِختْ لَهُ عَلَى الإِسلامِ الرَّضَائِخُ[2]، فَلَولاَ ذٰلِكَ مَا أَكثَرتُ تَألِيبَكُمْ وتأنِيبَكُمْ، وَجَمعَكُمْ وَتَحرِيضَكمْ، وَلَتَرَكتُكُم إِذ أَبَيتُم وَونَيتُم.

أَلاَ تَرونَ إِلَى أَطرَافِكُمْ قَدِ ٱنتقَصَت، وَإِلى أَمصَارِكُم قَد ٱفتُتِحَت، وَإِلى مَمالِككُم تُزوى، وَإِلَى بِلاَدِكم تُغزى. ٱنفِرُوا رَحِمَكمُ اللهُ إِلَى قِتَالِ عَدُوِّكُم، وَلا تَثَّاقَلُوا إِلَى الأرضِ فَتقِرُّوا بالخَسفِ وَتَبُوءُوا بِالذُّلِّ، وَيكُونَ نَصِيبُكُمُ الأَخَسَّ. وَإِنَّ أَخا الحربِ الأَرِقُ. وَمَن نَامَ لَمْ يُنَمْ عَنهُ. والسَّلاَمُ.

(وَمِنْ عَهدٍ لَهُ(عليه السلام) كَتَبهُ لِلأَشتَرِ النَّخَعِيِّ)

لَمَّا وَلاَّهُ عَلى مِصرَ وأعمَالِهَا.

وهذا العهد على وجازته، من أجمع كتبه ومحاسن كلماته(عليه السلام).

كما يعتبر بحق دستوراً كاملاً، وقانوناً شاملاً، لنظام دولة اسلامية متكاملة، يحتوي على جميع متطلبات الحياة، ومستلزمات الدولة.

(١) يريد الخمر، والشارب قالوا عتبة بن أبي سفيان حده خالد بن عبدالله في الطائف.

(٢) الرضائخ: العطايا. ورضخت له: أعطيت له.

وقد اقتبست هذا العهد من «نهج البلاغة» شرح العلامة الشيخ محمد عبده - مفتي الديار المصرية واقتصرت على اليسير من توضيح بعض الكلمات الغامضة في الشرح، وتركت المجال مفتوحاً امام المتتبع، والمحقق في الشروح المتعددة، المفصلة.

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ﴾

هـذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبدُ اللهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ المُؤمِنِينَ مَالِكَ بنَ الحَارِثِ الأَشتَرَ فِي عَهدِهِ إِلَيهِ حِينَ وَلَّاهُ مِصرَ: جِبَايَةَ خَرَاجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَٱستِصلَاحَ أَهلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا.

أَمَرَهُ بِتقوَى اللهِ وَإِيثَارِ طَاعَتِهِ، وَٱتبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ: مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ ٱلَّتِي لاَ يَسعَدُ أحدٌ إلاّ باتِّباعِها، وَلاَ يَشقى إلا مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا، وَأَنْ يَنصُرَ اللهَ سبحَانَهُ بِقَلبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ، فَإِنَّهُ جَلَّ ٱسمُهُ قَد تَكَفَّلَ بِنَصرِ مَنْ نَصَرَهُ وإعزَازِ مَنْ أَعزَّهُ.

وَأَمَرَهُ أَنْ يَكسِرَ نَفسَهُ مِنَ الشَّهَوات وَيَزعَها عِندَ الجَمَحَاتِ[1]، فإِنَّ النَّفسَ أَمَّارَةٌ بالسُّوءِ إلاَّ مَا رَحِمَ اللهُ.

ثُم ٱعلَم يَا مَالِكُ أَنِّي قَد وَجَّهتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَد جَرت عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبلَكَ مِن عَدلٍ وجورٍ. وَأَنَّ النَّاسَ يَنظُرُونَ مِن أُمُورِكَ فِي مِثلِ مَا كُنتَ تَنظُر فِيهِ مِن أُمُورِ ٱلوُلَاةِ قَبلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنتَ تَقُولُ فِيهِم. وَإِنَّما يُستَدَلُّ عَلى ٱلصَّالِحِينَ بِمَا يُجرِي اللهُ لهم على ألسُنِ عِبَادِهِ. فَليَكُن أَحبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيكَ ذَخِيرَةُ العَمَلِ الصَّالِحِ.

(١) ويزعها: أي يكفها عن مطامعها.

فَاملِك هَوَاكَ، وَشُحَّ بِنَفسكَ عَمَّا لاَ يَحِلُّ لَكَ[1]، فَإِنَّ الشُّحَّ بالنَّفسِ ٱلإِنصَافُ مِنهَا فِيمَا أَحبَّت أَو كَرِهت. وأَشعِر قَلبكَ ٱلرَّحمَةَ لِلرَّعِيَّةِ والمَحَبَّةَ لَهُم وَاللُّطفَ بِهِم. وَلا تَكُونَنَّ عَلَيهِم سَبُعاً ضَارياً تَغتَنِمُ أَكْلَهُم، فَإِنَّهُم صِنفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وإِمَّا نَظِيرٌ لكَ فِي الخَلقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمُ ٱلزَّلَلُ[2]، وَتعرِضُ لَهُمُ العِلَلُ، وَيُؤتَى عَلى أَيدِيهِمْ فِي العَمدِ وَالخَطإِ فَأَعطِهِم مِن عَفوِكَ وَصَفحِكَ مِثلَ ٱلَّذي تُحِبُّ أَن يُعطِيكَ اللهُ مِن عَفوِهِ وَصَفحِهِ، فإِنَّكَ فَوقَهُم، وَوَالِي ٱلأَمْرِ عَلَيكَ فَوقَكَ، وَاللهُ فَوقَ مَن وَلَّاكَ. وَقَدِ ٱستَكفَاكَ أَمرَهُم[3] وٱبتَلاكَ بِهِمْ. وَلاتَنصِبَنَّ نَفسَكَ لِحَربِ اللهِ[4] فَإِنَّهُ لاَ يَدَيْ لَكَ بنقمتِهِ، وَلاَ غِنَى بِكَ عَن عَفوِهِ وَرَحمَتِهِ. وَلاَ تَندَمَنَّ عَلَى عَفوٍ، وَلاَتبجَحَنَّ بِعُقوبَةٍ، وَلا تُسرِعَنَّ إِلى بَادِرَةٍ وَجَدتَ مِنْهَا مَندُوحَةً، وَلا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ[5] فإِنَّ ذٰلكَ إِدغَالٌ فِي القلبِ، ومَنْهكةٌ لِلدِّينِ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الغيرِ، وَإِذَا أَحدَثَ لَكَ مَا أَنتَ فِيهِ مِن سُلطَانِكَ أُبَّهَةً أَو مَخِيلَةً[6] فَانظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلكِ اللهِ فَوقَكَ وَقُدرَتِهِ مِنكَ عَلَى مَا لا تَقدِرُ عَلَيهِ مِن نَفسِكَ، فَإِنَّ ذٰلِكَ يُطَامِنُ إِلَيكَ مِنْ طِمَاحِكَ[7]، وَيَكُفُّ عَنكَ مِنْ غَربِكَ، وَيَفِيءُ إِلَيكَ بِمَا عَزَبَ عَنكَ مِنْ عَقْلِكَ.

إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللهِ فِي عَظَمَتِهِ[8] وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ، فَإِنَّ اللهَ يُذِلُّ كُلَّ

(١) شح: ابخل بنفسك عن الوقوع في غير الحل.

(٢) يفرط: يسبق. والزلل: الخطأ.

(٣) استكفاك: طلب منك كفاية أمرهم والقيام بتدبير مصالحهم.

(٤) أراد بحرب الله مخالفة شريعته بالظلم والجور.

(٥) مؤمر: كمعظم أي مسلط. والإدغال: إدخال الفساد.

(٦) الأبهة: العظمة والكبرياء. والمخيلة: الخيلاء والعجب.

(٧) الطماح: النشوز والجماح. ويطامن أي يخفض منه.

(٨) المساماة: المباراة في السمو أي العلو.

جَبَّارٍ وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ.

أَنصِفِ اللهَ وَأَنصِفِ ٱلنَّاسَ مِن نَفسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هوىً مِنْ رَعِيَّتِكَ[١]، فَإِنَّكَ إِلَّا تَفعَلْ تَظْلِم، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَاد ٱللهِ كَانَ اللهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللهُ أَدحَضَ حُجَّتَهُ[٢] وَكَانَ للهِ حَرباً حتّى يَنزِعَ وَيَتُوبَ. وَلَيسَ شَيءٌ أَدعى إِلَى تَغيِيرِ نِعمَةِ اللهِ وَتَعجِيلِ نِقمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلمٍ، فَإِنَّ ٱللهَ سَمِيعُ دَعوةِ المظلومين وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالمِرصَادِ.

وَلْيَكُنْ احَبُّ ٱلأُمُورِ إِليكَ أَوسَطَهَا فِي الحَقِّ، وَأَعَمَّهَا فِي العَدلِ وَأَجمَعَهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخطَ العَامَّةِ يُجحِفُ بِرِضَى الخَاصَّةِ، وَإِنَّ سُخطَ الخاصَّةِ يُغتَفَرُ مَعَ رِضى العامَّةِ. وَلَيسَ أَحدٌ مِنَ الرَّعِيةِ أَثقَلَ عَلى الوَالِي مَؤُونَةً فِي الرَّخَاءِ، وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي البَلاَءِ، وَأَكرَهَ لِلإِنصَافِ، وَأَسأَلَ بِالإِلحَافِ[٣]، وَأَقَلَّ شُكراً عِندَ الإِعطَاءِ، وَأَبطأَ عُذراً عِندَ المَنعِ، وَأَضعَفَ صَبراً عِندَ مُلِمَّاتِ الدَّهرِ مِنْ أَهلِ الخاصة وَإِنَّما عِمَادُ الدِّينِ وَجِمَاعُ المُسلِمِينَ[٤] وَالعُدَّةُ لِلأَعدَاءِ العَامَّةُ مِنَ الأُمَّةِ، فَلْيَكُنْ صَغوُكَ لَهُم وَمَيلُكَ مَعَهُم.

وَلْيَكُنْ أَبعَدُ رَعِيَّتِكَ مِنكَ وَأَشنَؤُهُمْ عِندَكَ أَطلَبَهُم لِمَعَائِبِ النَّاسِ[٥]، فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوباً ٱلوَالِي أَحقُّ مَنْ سَتَرَهَا. فَلاَ تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنكَ مِنْهَا فَإِنَّمَا عَلَيكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ، وَاللهُ يَحكُمُ عَلى مَا غَاب عنكَ. فَاستُرِ العَورَةَ مَا ٱستَطَعتَ يَستُرِ

(١) من لك فيه هوى: أي لك اليه ميل خاص.

(٢) أدحض: أبطل. أي يقلع عن ظلمه.

(٣) الإلحاف: الالحاح والشدة في السؤال.

(٤) جماع الشيء: جمعه أي جماعة الاسلام.

(٥) اشنؤهم: أبغضهم. والأطلب لمعائب: الأشد طلباً لها.

اللهُ مِنكَ مَا تُحِبُّ سَتْرَهُ مِن رَعِيَّتِكَ. أَطلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقدَةَ كُلِّ حِقدٍ[١]. وَٱقطَع عَنكَ سببَ كُلِّ وترٍ. وتغابَ عَنْ كُلِّ مَالا يَضِحُ لَكَ، وَلا تعجَلَنَّ إِلَى تَصدِيقِ سَاعٍ فإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌ وَإِنْ تَشبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ.

وَلاَ تُدخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلاً يَعدِلُ بِكَ عَنِ الفَضْلِ[٢] وَيَعِدُكَ الفقْرَ، وَلا جَبَاناً يُضعِفُكَ عَنِ الأُمورِ، وَلاَ حرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بِالجورِ، فإِنَّ البُخلَ والجُبنَ وَالحِرصَ غَرائِزُ شَتّى يَجمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ. إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ للاشرار قَبلَكَ وَزِيراً وَمَنْ شَرِكَهُم فِي الآثامِ فَلاَ يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً[٣] فإِنَّهُم أعوانُ الأَئِمَةِ وَإِخوانُ الظَّلَمَةِ، وَأَنتَ وَاجِدٌ مِنهُمْ خَيرَ الخلَفِ مِمَّنْ لَم يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَى ظُلمِهِ وَلاَ آثِماً عَلَى إِثمِهِ. أولئِكَ أخفُّ عَلَيكَ مَؤُونَةً، وَأَحسَنُ لَكَ معُونَةً، وَأَحنَى عَليكَ عَطفاً، وَأَقَلُّ لِغيرِكَ إِلفاً فَاتَّخِذْ أُولئِكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وَحَفَلاتِكَ، ثُمَّ لِيَكُنْ آثَرُهُم عِندَكَ أَقوَلَهُم بِمُرِّ الحَقِّ لَكَ، وأَقَلَّهُم مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللهُ لأَولِيَائِهِ وَاقعاً ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيثُ وَقَعَ، وَالصَقْ بِأَهلِ الوَرَعِ وَالصِّدقِ، ثُمَّ رُضْهُمْ عَلَى أَنْ لاَيَطْرُوكَ وَلاَ يُبَجِّحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفعَلهُ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الإِطرَاءِ تُحدِثُ الزَّهوَ وَتُدنِي مِنَ العِزَّةِ.

وَلاَ يَكُونُ المُحسِنُ وَالمُسِيءُ عِندَكَ بِمَنزِلَةٍ سَوَاءٍ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزهِيداً لأَهلِ الإِحسَانِ فِي الإِحسَانِ، وَتدرِيباً لِأَهلِ ٱلإِسَاءَةِ عَلَى الإِسَاءَةِ. وَأَلزِم كُلاًّ مِنهُمْ مَا ألزَمَ نَفسَهُ. وَٱعْلَم أَنَّهُ لَيس شَيءٌ بِأَدعَى إِلَى حُسنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحسَانِهِ إِلَيهِمْ[٤]، وَتَخْفِيفِهِ المَؤُونَاتِ عَلَيهِمْ، وَتَركِ ٱستِكرَاهِهِ إِيَّاهُم عَلَى مَالَيسَ قِبَلَهُم

(١) أي أحلل عقد الأحقاد من قلوب الناس بحسن السيرة معهم.

(٢) الفضل هنا الاحسان بالبذل.

(٣) بطانة الرجل خاصته.

(٤) إذا أحسن الوالي إلى رعيته وثق من قلوبهم بالطاعة له.

فَلْيَكُن مِنك في ذٰلِكَ أَمرٌ يَجتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسنُ الظنِّ بِرَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ حُسنَ الظَّنِّ يَقطَعُ عَنكَ نَصَباً طَويلاً[1]، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَن حَسُنَ بَلاؤُكَ عِندَهُ. وَإِنَّ أَحَقَّ من سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ ساءَ بلاؤُكَ عِندَهُ[2].

وَلاَ تَنْقُضْ سُنَّةً صالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هٰذِهِ الأُمَّةِ، وَاجتَمَعَت بِهَا الأُلْفَةُ، وَصَلَحَتْ عَلَيهَا الرَّعِيَّةُ. وَلاَ تُحدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيءٍ مِن مَاضِي تِلكَ ٱلسُّنَنِ فَيَكُونَ الأَجرُ لِمَنْ سَنَّهَا. وَالوِزرُ عَلَيكَ بِمَا نَقَضتَ مِنْهَا.

وَأَكثِر مُدَارَسَةَ العُلَمَاءِ وَمُنَافَثَةَ الحُكَمَاءِ[3] فِي تَثبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيهِ أَمرُ بِلاَدِكَ وَإِقَامَةِ مَا اُستَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ.

وَاعلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لاَيَصلُحُ بَعضُهَا إِلاَّ بِبَعضٍ، وَلاَ غِنَى بِبَعضِهَا عَنْ بَعضٍ. فَمِنهَا جُنُودُ اللهِ. وَمِنهَا كُتَّابُ العَامَّةِ وَالخَاصَّةِ. وَمِنهَا قُضَاةُ العَدلِ. وَمِنها عُمَّالُ الإِنصافِ والرِفقِ. وَمِنهَا أَهلُ الجِزيَةِ وَالخَرَاجِ مِن أَهلِ الذِّمَّةِ وَمُسلِمَةِ النَّاسِ. وَمِنهَا التُّجَّارُ وَأَهلُ الصِّنَاعَاتِ. وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِن ذَوِي الحَاجَةِ وَالمَسكَنَةِ وَكُلاًّ قَد سَمَّى اللهُ سَهمَهُ، وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَتَهُ فِي كِتَابِهِ أَو سُنَّةِ نَبِيِّهِ(صلّى الله عليه وآله) عَهداً مِنهُ عِندَنَا مَحفُوظاً.

فَالجُنُودُ بِإِذنِ اللهِ حُصُونُ الرَّعِيَّةِ، وَزَينُ الوُلاَةِ، وَعِزُّ الدِّينِ، وَسُبُلُ الأَمنِ، وَلَيسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِم. ثُمَّ لاَ قِوَامَ لِلجُنُودِ إِلَّا بِمَا يُخرِجُ اللهُ لَهُم مِنَ الخَرَاجِ الذِي يَقوَونَ بِهِ فِي جِهَادِ عَدُوِّهِم، وَيَعتَمِدُونَ عَلَيهِ فِيمَا يُصلِحُهُم، وَيَكُونُ مِن وَرَاءِ حَاجَتِهِم. ثمَّ لاَ قِوَامَ لِهٰذَينِ الصِّنفَينِ إِلاَّ بِالصِّنفِ الثَالِثِ مِن القُضَاةِ وَالعُمَّالِ

(١) النصب ـ بالتحريك ـ: التعب.

(٢) البلاء: الصنع مطلقاً حسناً أو سيئاً.

(٣) المنافثة: المحادثة.

والكُتَّابِ لِما يُحكِمُون مِنَ المَعَاقِدِ، وَيجمَعُونَ مِنَ المَنَافِعِ، وَيُؤتَمَنُونَ عليهِ مِنْ خَوَاصِّ الأُمورِ وَعَوَامِّهَا. وَلاَ قِوامَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلاَّ بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ فِيمَا يَجْتَمِعُون عَلَيهِ مِنْ مَرافِقِهِم، وَيُقِيمُونَهُ مِنْ أَسوَاقِهِم، وَيكفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفُّقِ بِأَيدِهِمْ مَالا يَبلُغُهُ رِفقُ غَيرِهِم. ثُمَّ الطَّبَقَةُ السفلَى مِنْ أَهلِ الحاجةِ وَالمَسْكَنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفدُهُمْ وَمَعُونَتُهمْ[1]. وَفِي اللهِ لِكُلٍّ سَعَةٌ، وَلِكُلٍّ عَلَى الوالي حَقٌّ بِقَدرِ مَا يُصلِحُهُ، وَلَيسَ يَخرُجُ الوالي مِنْ حَقِيقَةِ ما أَلزَمَهُ اللهُ من ذلكَ إِلَّا بِالاِهتِمَامِ وَالاستِعَانَةِ بِاللهِ، وَتَوطِينِ نَفسِهِ عَلَى لُزُومِ الحَقِّ، وَالصَّبْرِ عَلَيهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيهِ أَو ثَقُلَ. فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنصحُهُم فِي نفسِكَ لِلهِ وَلِرسُولِهِ وَلِإِمَامِكَ، وَأَنقَاهُم جَيباً، وَأَفضَلَهُمْ حِلماً مِمَّنْ يُبطِئُ عَنِ الغَضَبِ، وَيستَرِيحُ إِلَى العُذرِ، وَيرأَفُ بِالضُّعَفَاءِ وَينبُو عَلى الأَقوِيَاءِ[2]. وَمِمَّنْ لاَيُثِيرُهُ العُنفُ وَلا يَقعُدُ بِهِ الضَّعفُ. ثُمَّ أَلصِق بِذَوِي الأَحسَابِ وَأَهلِ البُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ والسَّوابِقِ الحسَنَةِ. ثُمَّ أَهلِ النَّجدَةِ وَالشَّجَاعَةِ والسَّخَاءِ والسَّمَاحَةِ، فَإِنَّهُم جِمَاعٌ مِنَ الكَرَمِ، وَشُعَبٌ مِنَ العُرفِ. ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُهُ الوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا، وَلاَ يَتفاقَمَنَّ فِي نفسِكَ شَيءٌ قَوَّيتَهُمْ بِهِ. وَلاَ تَحقِرَنَّ لُطفاً تَعَاهَدتَهُمْ بِهِ وإِن قَلَّ فَإِنَّهُ داعِيَةٌ لَهُم إِلَى بَذلِ النَّصِيحَةِ لَكَ وَحُسنِ الظَّنِّ بِكَ. وَلاتَدَعْ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمُ ٱتِّكَالاً عَلَى جَسِيمِهَا فَإِنَّ لِلَيسِيرِ مِنْ لُطفِكَ مَوضِعاً يَنتَفِعُون بِهِ. وَللجَسِيمِ مَوقِعاً لاَ يَستَغنونَ عَنهُ.

وَلْيَكُنْ آثَرُ رُؤُوسِ جُندِكَ عِندَكَ مَن وَاسَاهُم فِي مَعُونَتِهِ، وَأَفضَلَ عَلَيهِمْ مِن جِدَتِهِ بِمَا يَسَعُهُم وَيَسَعُ مَن وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهلِيهِم حتّى يَكُونَ هَمُّهُم هَمّاً وَاحِداً فِي جِهَادِ العَدُوِّ. فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيهِمْ يَعطِفُ قُلُوبَهُم عَلَيكَ. وَإِنَّ أَفضَلَ قُرَّةِ

(١) رفدهم: مساعدتهم وصلتهم.

(٢) ينبو: يشتد ويعلو عليهم ليكف أيديهم عن ظلم الضعفاء.

عَينِ الوُلاةِ ٱستقَامَةُ العَدلِ فِي البِلاَدِ، وَظُهُورُ مَودَّةِ الرَّعيةِ. وإِنَّهُ لاَ تَظهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا بِسَلامَةِ صُدُورِهم، وَلا تَصِحُّ نَصيحَتُهُمْ إِلَّا بِحيطَتِهِم عَلَى وُلاَةِ أُمورِهِم. وَقِلَّةِ ٱستِثقَالِ دُوَلِهِم، وَتركِ ٱستِبطَاءِ ٱنقِطَاعِ مُدَّتِهم. فَافسَحْ فِي آمَالِهِم، وَوَاصِل فِي حُسنِ الثَّنَاءِ عَلَيهِم، وَتَعدِيدِ مَا أَبلَى ذَوُو البلاءِ مِنهُم. فَإِنَّ كَثرَةَ الذِّكرِ لِحُسنِ أَفعَالِهِم تَهُزُّ الشُّجَاعَ وَتُحَرِّضُ النَّاكِلَ إِن شاء الله. ثُمَّ ٱعرِف لِكُلِّ ٱمرِئٍ مِنهُم مَا أَبلَى، وَلاَ تُضِيفَنَّ بَلاَءَ ٱمرِئٍ إِلَى غَيرِهِ[1]، وَلاَ تُقَصِّرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلاَئِهِ، وَلاَ يَدعُوَنَّكَ شَرَفُ ٱمرِئٍ إِلى أَنْ تُعظِمَ مِن بَلاَئِهِ مَا كَانَ صَغيراً، وَلا ضَعَةُ ٱمرِئٍ إِلى أَنْ تَستَصغِرَ مِن بَلاَئِهِ مَا كَانَ عَظيماً.

وَٱرُدَّ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضلِعُكَ مِنَ الخُطُوبِ وَيَشتَبِهُ عَلَيكَ مِنَ الأُمُورِ فقد قالَ اللهُ تَعَالى لِقَومٍ أَحبَّ إِرشَادَهُم ﴿يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمرِ مِنكُم فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ فَالرَّدُّ إِلَى اللهِ الأَخذُ بِمُحكَمِ كِتَابِهِ، وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ الأَخذُ بِسُنَّتِهِ الجامِعَةِ غَيرِ المُفَرِّقَةِ.

ثُمَّ ٱختَرْ لِلحُكمِ بَينَ النَّاسِ أَفضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفسِكَ مِمَّن لاَ تَضِيقُ بِهِ الأُمُورُ، وَلاَ تُمحِكُهُ الخُصُومُ، وَلاَ يَتَمَادَى فِي الزَّلَّةِ، وَلا يَحصَرُ مِنَ ٱلفَيءِ إِلَى الحَقِّ إِذا عَرَفَهُ[2]، وَلاَ تُشرِفُ نَفسُهُ عَلَى طَمَعٍ، وَلاَ يَكتَفِي بِأَدنَى فَهمٍ دُونَ أَقصَاهُ، وَأَوقَفَهم فِي الشُّبُهَاتِ، وَآخَذَهُم بِالحُجَجِ، وَأَقَلَّهُم تَبَرُّماً بِمُرَاجَعَةِ الخَصمِ، وَأَصبَرهم عَلى تَكشفِ الأُمورِ، وَأَصرَمَهُم عِندَ ٱتضاحِ الحُكمِ. مِمَّن لاَ يَزدَهِيهِ إِطراءٌ وَلاَ يَستَمِيلُهُ إِغرَاءٌ. وَأُولـٰئِكَ قَلِيلٌ. ثُمَّ أَكثِر تَعَاهُدَ قَضَائِهِ، وَٱفسَحْ لَهُ فِي البَذلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ[3]

(١) لاتنسبن عمل امرئ إلى غيره.

(٢) أي لايضيق صدره من الرجوع إلى الحق.

(٣) البذل: العطاء أي أوسع له حتى يكون مايأخذه كافيا لمعيشة مثله وحفظ منزلته.

وتَقِلُّ مَعهُ حاجَتُهُ إِلى النَّاسِ، وَأَعطِهِ مِنَ المَنزِلَةِ لَدَيكَ مَالاَ يَطمَعُ فِيهِ غَيرُهُ مِن خَاصَّتِكَ[1] لِيَأمَنَ بذلِكَ ٱغتِيالَ الرِّجَالِ لَهُ عِندَكَ. فَانظُر فِي ذلِكَ نَظَراً بَلِيغاً، فَإِنَّ هذَا الدِّينَ قَد كَانَ أَسِيراً فِي أَيدِي الأَشرَارِ يُعمَلُ فِيهِ بِالهَوَى، وَتُطلَبُ بِهِ الدُّنيَا.

ثُمَّ ٱنظُر فِي أُمورِ عُمَّالِكَ فَاستَعمِلهُمُ ٱختِبَاراً، وَلاَ تُوَلِّهِم مُحَابَاةً وَأُثرَةً، فَإِنَّهُمَا جُمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الجَورِ والخِيَانَةِ، وتَوَخَّ مِنهُمْ أَهلَ التَّجرِبَةِ والحَيَاءِ مِنْ أَهلِ البُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالقَدَمِ فِي الإِسلامِ[2] المُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّهُم أَكرَمُ أَخلاقاً، وَأَصَحُّ أَعراضاً، وَأَقَلُّ فِي المَطَامِعِ إِشرَافاً، وَأَبلَغُ فِي عَوَاقِبِ الأُمُورِ نَظراً. ثُمَّ أَسبِغْ عَلَيهِمُ الأَرزَاقَ فَإِنَّ ذلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى ٱستِصلاحِ أَنفُسِهِم، وَغِنىً لَهُمْ عن تَنَاوُلِ مَا تَحتَ أَيدِيهِمْ، وَحُجَّةٌ عَلَيهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمرَكَ أو ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ[3]. ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعمَالَهُمْ، وَٱبعَثِ العُيُونَ مِنْ أَهلِ الصِّدقِ والوَفَاءِ عَلَيهِمْ[4]، فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لأُمُورِهِمْ حَدوَةٌ لَهُمْ عَلَى ٱستِعمَالِ الأَمَانَةِ والرِّفقِ بِالرَّعِيَّةِ. وَتَحَفَّظْ مِنَ الأَعوَانِ، فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ ٱجتَمَعَتْ بِهَا عَلَيهِ عِندَكَ أَخبَارُ عُيُونِكَ ٱكتَفَيتَ بِذلِكَ شَاهِداً، فَبَسَطتَ عَلَيهِ العُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ وَأَخَذتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِه، ثُمَّ نَصَبتَهُ بِمَقَامِ المَذَلَّةِ وَوَسَمتَهُ بِالخِيَانَةِ، وَقَلَّدتَهُ عَارَ التُّهمَةِ.

وتَفَقَّدْ أَمرَ الخَرَاجِ بِمَا يُصلِحُ أَهلَهُ فَإِنَّ فِي صَلاحِهِ وَصَلاَحِهِمْ صَلاَحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ، وَلاَ صَلاَحَ لِمَنْ سِوَاهُم إِلاَّ بِهِم لأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الخَرَاجِ وَأَهلِهِ.

(١) إذا رفعت منزلته عندك هابته الخاصة كما تهابه العامة فلا يجرؤ أحد على الوشاية به عندك.

(٢) توخ اي أطلب.

(٣) نقصوا في أدائها أو خانوا.

(٤) العيون: الرقباء.

وَليكُن نَظَرُكَ فِي عِمَارةِ الأَرضِ أَبلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي ٱستِجلاَبِ الخَرَاجِ لِأَنَّ ذَلِكَ لاَ يُدرَكَ إِلاَّ بِالعِمَارَةِ. وَمَنْ طَلَبَ الخَرَاجَ بِغَيرِ عِمَارَةٍ أَخرَبَ البِلاَدَ وَأَهلَكَ العِبَادَ، وَلَمْ يَستَقِمْ أَمرُهُ إِلاَّ قَلِيلاً، فَإِنْ شَكَوا ثِقلاً أَو عِلَّةً أَو ٱنقِطَاعَ شِربٍ أو بَالَّة أَو إِحَالَةَ أَرضٍ ٱغتَمَرَهَا غَرَقٌ أَو أَجحَفَ بِهَا عَطَشٌ خَفَّفتَ عَنهُمْ بِمَا تَرجُو أن يَصلُحَ بِهِ أَمرُهُم. وَلاَ يَثقُلَنَّ عَلَيكَ شَيءٌ خَفَّفتَ بِهِ المَؤونَةَ عَنهُم، فَإِنَّهُ ذُخرٌ يَعُودونَ بِهِ عَلَيكَ فِي عِمَارةِ بِلادِكَ وَتَزيينِ وِلاَيَتِكَ، مَعَ ٱستِجلابِكَ حُسنَ ثَنَائِهِمْ وَتَبَجُّحِكَ بِاستِفَاضَةِ العَدلِ فِيهِم. مُعتَمِداً فَضلَ قُوَّتِهِم بِمَا ذَخَرتَ عِندَهُم مِن إِجمَامِكَ لَهُمْ وَالثِّقَةَ مِنهُمْ بِمَا عَوَّدتَهُم مِنْ عَدلِكَ عَلَيهِمْ فِي رِفقِكَ بِهِمْ. فَرُبَّمَا حَدَثَ مِنَ الأُمورِ مَا إِذَا عَوَّلتَ فِيهِ عَلَيهِم مِنْ بَعدُ ٱحتَمَلُوهُ طَيِّبَةً أَنفُسُهم بِهِ، فَإِنَّ العُمرَانَ مُحتَمِلٌ مَا حَمَّلتَهُ، وَإِنَّمَا يُؤتَى خَرابُ الأَرضِ مِنْ إِعوازِ أَهلِهَا وَإِنَّمَا يُعوِزُ أَهلُهَا لِإِشرافِ أَنفُسِ الوُلاَةِ عَلَى الجمعِ، وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالبَقَاءِ، وَقِلَّةِ ٱنتِفَاعِهِم بِالعِبَرِ.

ثُمَّ ٱنظُر فِي حَالِ كُتَّابِكَ فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيرَهُمْ، وَٱخصُص رَسَائِلَكَ ٱلَّتِي تُدخِلُ فِيهَا مَكَايِدَكَ وَأَسرَارَكَ بِأَجمَعِهِم لِوُجُودِ صَالِحِ الأَخلاَقِ، مِمَّنْ لاَتُبطِرُهُ الكَرَامَةُ فَيَجتَرِئَ بِهَا عَلَيكَ فِي خِلاَفٍ لَكَ بِحَضرَةِ مَلإٍ، وَلاَ تُقَصِّرُ بِهِ الغَفلَةُ عَنْ إِيرادِ مُكَاتَبَاتِ عُمَّالِكَ عَلَيكَ، وَإِصدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوابِ عَنكَ وَفِيمَا يَأخُذُ لَكَ وَيُعطِي مِنكَ. وَلاَ يُضعِفُ عَقداً ٱعتَقَدَهُ لَكَ، وَلا يَعجِزُ عَنْ إِطلاَقِ مَا عُقِدَ عَلَيكَ، وَلاَ يَجهَلُ مَبلَغَ قَدْرِ نَفسِهِ فِي الأُمورِ، فَإِنَّ الجَاهِلَ بِقَدرِ نَفسِهِ يَكُونُ بِقَدرِ غَيرِهِ أَجهَلَ. ثُمَّ لاَيَكُنِ ٱختِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ ٱستِنَامَتِكَ وَحُسنِ الظَّنِّ مِنكَ، فَإِنَّ الرِّجَالَ يَتَعَرَّفُونَ لِفِرَاسَاتِ الوُلاَةِ بِتَصَنُّعِهِمْ وَحُسنِ خِدمَتِهِم، وَلَيسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالأَمَانَةِ شَيءٌ، وَلَكِنِ ٱختَبِرهُمْ بِمَا وَلُوا لِلصَّالِحِينَ قَبلَكَ

فَاعمِدْ لأَحسَنِهِمْ كَانَ فِي العَامَّةِ أَثَراً، وَأَعرَفِهِم بِالأَمَانَةِ وَجهاً، فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلّهِ وَلِمَنْ وَلِيتَ أَمرَهُ، وَٱجعَلْ لِرأسِ كُلِّ أَمرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأساً مِنهُمْ لاَ يَقهَرُهُ كَبِيرُهَا، وَلاَ يَتَشَتَّتُ عَلَيهِ كَثِيرُهَا وَمَهمَا كَانَ فِي كُتَّابِكَ مِنْ عَيبٍ فَتَغَابَيتَ عَنهُ أُلزِمتَهُ[1].

ثُمَّ ٱستَوصِ بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ وَأَوصِ بِهِم خَيراً: المُقِيمِ مِنهُم، وَالمُضطَرِبِ بِمَالِهِ[2]، وَالمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ، فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ المَنَافِعِ وَأَسبَابُ المَرَافِقِ، وَجُلاَبُهَا مِنَ المَبَاعِدِ وَالمَطَارِحِ، فِي بَرِّكَ وَبَحرِكَ، وَسَهلِكَ وجَبَلِكَ، وحَيثُ لاَ يَلتَئِمُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا، وَلاَيَجتَرِئُونَ عَلَيهَا. فَإِنَّهُمْ سِلمٌ لاَتُخَافُ بَائِقَتُهُ، وَصُلحٌ لاَتُخشَى غَائِلَتُهُ. وَتَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ بِحَضرَتِكَ وَفِي حَوَاشِي بِلاَدِكَ. وَٱعلَمْ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنهُم ضِيقاً فَاحِشاً وَشُحاً قَبِيحاً، وَٱحتِكَاراً لِلمَنَافِعِ، وَتَحَكُّماً فِي البِيَاعَاتِ، وَذَلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلعَامَّةِ وَعَيبٌ عَلَى الوُلاَةِ. فَامنَعْ مِنَ الاحتِكَارِ فَإِنَّ رَسُولَ الله(صلّى الله عليه وآله) مَنَعَ مِنهُ، وَلْيَكُنِ البَيعُ بَيعاً سَمحاً، بِمَوَازِينَ عَدلٍ وَأَسعَارٍ لاَتُجحِفُ بالفَرِيقَينِ مِنَ البَائِعِ وَالمُبْتَاعِ[3] فَمَنْ قَارَفَ حُكرَةً بَعدَ نَهيِكَ إِيَّاهُ فَنَكِّلْ بِهِ، وَعَاقِبْ فِي غَيرِ إِسرَافٍ. ثُمَّ الله الله فِي الطَّبقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لاَ حِيلَةَ لَهُمْ وَالمَسَاكِينِ وَالمُحتَاجِينَ وَأَهلِ البُؤسَى والزَّمنَى[4]، فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبقَةِ قَانِعاً وَمُعتَرّاً. وَٱحفَظ لِلّهِ مَا ٱستَحفَظَكَ مِن حَقِّهِ فِيهِم، وَٱجعَل لَهُم قِسماً مِنْ مَالِكَ وَقِسماً مِن غَلاَّتِ صَوَافِي الإِسلاَمِ فِي كُلِّ بَلَدٍ، فَإِنَّ لِلأَقصَى مِنهُم مِثلَ الَّذِي لِلأَدنَى. وَكُلٌّ قَدِ ٱستُرعِيتَ حَقَّهُ

---

(١) إذا تغابيت أي تغافلت عن عيب في كتابك كان ذلك العيب لاصقا بك.

(٢) المتردد بامواله بين البلدان. والمترفق: المكتسب.

(٣) المبتاع: المشتري.

(٤) البؤسى: شدة الفقر. والزمنى: المصاب بالزمانة أي العاهة.

فَلاَ يَشْغَلَنَّكَ عَنهُم بَطَر[١]، فَإِنَّكَ لاَ تُعْذَرُ بِتَضييعِكَ التَّافِهَ لإِحكَامِكَ الكَثِيرَ ٱلْمُهِمَّ، فَلاتُشخِصْ هَمَّكَ عَنهُم[٢]، وَلا تُصَعِّر خَدَّكَ لَهُمْ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَ منْ لاَ يصِلُ إِلَيكَ مِنهُم مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ العُيُونُ وَتَحقِرُهُ الرِّجَالُ، فَفَرِّغ لأُولَئِكَ ثِقَتَكَ من أَهل الخشيةِ والتَّواضُعِ، فَلْيَرفَعْ إِليكَ أُمورَهم، ثُمَّ ٱعملَ فِيهم بِالإِعذار إِلى الله يومَ تَلقَاه، فإِنَّ هؤلاءِ من بين الرعيَّةِ أَحْوجُ إِلى الإِنصَافِ من غيرِهِم، وكُلٌ فَأَعذِر إِلى اللهِ فِي تأديةِ حقِّه إِليهِ. وَتَعَهَّدْ أهل اليُتمِ وذَوِي الرِّقَّةِ فِي السنِّ مِمَّنْ لاَ حِيلَةَ لهُ وَلاَ يَنصِبُ للمَسأَلَةِ نَفسهُ، وَذلكَ عَلى الوُلاةِ ثَقِيلٌ والحقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ. وَقَد يُخَفِّفُهُ اللهُ عَلَى أقوامٍ طَلَبُوا العَاقِبَةَ فَصَبَّرُوا أَنْفُسَهُمْ وَوَثِقُوا بِصِدقِ مَوعودِ الله لهم.

وَٱجْعلْ لِذَوي الحاجَاتِ مِنْكَ قِسماً تُفَرِّغُ لَهُم فِيهِ شَخصَكَ، وَتجلِسُ لَهُمْ مَجلِساً عامّاً فَتَتَواضَعُ فِيهِ لِلّهِ ٱلَّذي خَلقَكَ، وَتُقعِدُ عَنهُمْ جُندَكَ وَأَعوَانَكَ مِنْ أَحرَاسِكَ وَشُرَطِكَ، حَتَّى يُكَلِّمكَ مُتَكَلِّمُهُم غَيرَ مُتَتَعْتِعٍ، فَإِنِّي سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ(صلّى الله عليه وآله) يَقولُ فِي غَيرِ مَوطِنٍ[٣]: «لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ[٤] لاَ يُؤخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيها حَقُّهُ مِنَ القَوِيِّ غَيرَ مُتَتَعْتِعٍ». ثُمَّ ٱحتَمِلِ الخُرقَ مِنهُم والعِيَّ[٥]، وَنَحِّ عنكَ الضِّيقَ وَالأَنفَ[٦] يَبسُطِ اللهُ عَليكَ بِذلكَ أَكنافَ رَحمَتِهِ، وَيُوجِبْ لَكَ ثَوَابَ

(١) طغيان بالنعمة.

(٢) أي لاتصرف همك.

(٣) أي في مواطن كثيرة.

(٤) التقديس: التطهير أي لايطهر الله أمة .

(٥) الخرق ـ بالضم ـ : العنف ضد الرفق. والعي ـ بالكسر ـ : العجز عن النطق، أي لاتضجر من هذا ولاتغضب لذاك.

(٦) الضيق: ضيق الصدر بسوء الخلق. والأنف ـ محركة ـ : الاستنكاف والاستكبار.

طَاعَتِهِ. وَأَعطِ مَاأعطَيتَ هَنِيئاً[١] وٱمنع فِي إِجمَالٍ وإِعذَارٍ. ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لاَ بُدَّلكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا. مِنهَا إِجابَةُ عُمَّالِكَ بِمَا يَعيى عَنه كُتَّابُكَ[٢]. ومِنْهَا إِصدارُ حاجَاتِ النَّاسِ يومَ وُرُدِهَا عَليكَ مِمَّا تَحرجُ بِهِ صُدورُ أعوانِكَ. وَأمضِ لِكُلِّ يَومٍ عَمَلهُ فَإِنَّ لِكُلِّ يومٍ مَا فيهِ، وَٱجعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَينَكَ وَبينَ اللهِ أَفضلَ تِلكَ المَواقِيتِ وَأَجزَلَ تِلكَ الأَقسامِ وَإِن كانت كُلّها لِلّهِ إِذا صَلحتْ فِيهَا النِّيَّةُ وسَلِمتْ مِنهَا الرَّعِيَّةُ.

وَلْيَكُنْ فِي خَاصَّةِ مَا تُخلِصُ بِهِ لِلّهِ دينَكَ إِقَامَةُ فَرائِضِهِ ٱلَّتي هِيَ لَهُ خَاصَّةً، فَأَعطِ اللهَ من بَدَنِكَ فِي لَيلِكَ وَنَهَارِكَ، وَوَفِّ مَا تَقَرَّبتَ بِهِ إِلَى اللهِ من ذلكَ كَامِلاً غَيرَ مَثلومٍ وَلامنقُوصٍ بَالِغاً من بَدَنِكَ مَا بَلَغَ. وإِذَا أَقمتَ فِي صَلاَتِكَ لِلنَّاسِ فَلاَ تَكُونَنَّ مُنَفِّراً وَلاَ مُضَيِّعاً، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ العِلةُ وَلَهُ الحَاجَةُ. وَقَد سَأَلتُ رَسُولَ اللهِ(صلّى الله عليه وآله) حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى اليَمَنِ كَيفَ أُصَلِّي بِهِم فَقَالَ: «صَلِّ بِهِم كَصَلاَةِ أَضعَفِهِم وَكُنْ بِالمُؤمِنِينَ رَحِيماً».

وَأَمَّا بَعدُ فَلاَ تُطَوِّلَنَّ ٱحتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ ٱحتِجَابَ الوُلاَةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ منَ الضِّيقِ، وَقِلَّةُ عِلمٍ بِالأُمورِ. وَالاحتِجَابُ مِنهُم يَقْطَعُ عَنهُمْ عِلمَ مَا ٱحتجَبُوا دُونَهُ، فَيَصغُرُ عِندَهُمُ الكَبِيرُ، وَيعظُمُ الصَّغِيرُ، وَيَقبُحُ الحَسَنُ وَيحسُنُ القَبِيحُ، وَيُشَابُ الحَقُّ بِالبَاطِلِ، وَإِنَّمَا الوَالِي بَشَرٌ لاَيعرِفُ مَا تَوَارَى عَنهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الأُمُورِ، وَلَيستْ عَلى الحَقِّ سِمَاتٌ تُعرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدقِ مِنَ الكَذِبِ، وَإِنَّمَا أَنتَ أَحدُ رَجُلَينِ: إِمَّا ٱمْرِؤٌ سَخَت نَفسُكَ بِالبَذلِ فِي الحَقِّ فَفِيمَ ٱحتِجَابُكَ[٣] مِنْ

(١) سهلا لاتخشنه باستكثاره والمن به، وإذا منعت فامنع بلطف وتقديم عذر.

(٢) يعيى: يعجز.

(٣) فلأي سبب تحتجب عن الناس في أداء حقهم أو في عمل تمنحه إياهم.

وَاجِبِ حَقٍ تُعطِهِ، أَو فِعلٍ كَرِيمٍ تُسدِيهِ، أَو مُبتَلى بِالمَنعِ، فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَنْ مَسألَتِكَ إِذَا أَيسُوا مِن بَذلِكَ[١]، مَعَ أَنَّ أَكثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيكَ مِمَّا لاَ مَؤُونَةَ فِيهِ عَلَيكَ. مِنْ شَكَاةِ مَظلِمَةٍ[٢]، أَو طَلَبِ إِنصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ.

ثُمَّ إِنَّ لِلوَالِي خَاصَّةً وَبِطَانَةً فِيهِمُ ٱستِئثَارٌ وَتَطَاوُلٌ، وَقِلَّةُ إِنصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ، فَاحسِم مَادَّةَ أُولَئِكَ بِقَطعِ أَسبَابِ تِلكَ الأَحوَالِ. وَلاَ تَقطَعَنَّ لأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَّتِكَ قَطِيعَةً[٣]. وَلاَ يَطمَعَنَّ مِنكَ فِي ٱعتِقَادِ عُقْدَةٍ تَضُرُّ بِمَن يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ فِي شِربٍ أَو عَمَلٍ مُشتَرَكٍ يَحمِلُونَ مَؤُونَتَهُ عَلَى غَيرِهِمْ، فَيَكُونَ مَهنَأُ ذَلِكَ لَهُمْ دُونَكَ[٤]، وَعَيبُهُ عَلَيكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

وَأَلزِمِ الحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ القَرِيبِ وَالبَعِيدِ، وَكُنْ فِي ذَلِكَ صَابِراً مُحتَسِباً، وَاقِعاً ذَلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَاصَّتِكَ حَيثُ وَقَعَ. وَٱبتَغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثقُلُ عَلَيكَ مِنهُ فَإِنَّ مَغَبَّةَ ذَلِكَ مَحمُودَةٌ[٥].

وَإِنْ ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيفاً فَأَصحِرْ لَهُم بِعُذرِكَ، وَاعدِلْ عَنكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصحَارِكَ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ رِيَاضَةً مِنكَ لِنَفسِكَ[٦]، وَرِفقاً بِرَعِيَّتِكَ، وَإِعذَاراً تَبلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقوِيمِهِم عَلَى الحَقِّ.

---

(١) البذل: العطاء، فان قنط الناس من قضاء مطالبهم منك أسرعوا إلى البعد عنك فلا حاجة للاحتجاب.

(٢) شكاة ـ بالفتح ـ: شكاية.

(٣) الاقطاع: المنحة من الأرض.

(٤) مهنؤه: منفعته الهنيئة.

(٥) المغبة: العاقبة.

(٦) وإن فعلت فعلا ظنت الرعية أن فيه حيفا: أي ظلماً. فأصحر: أي ابرز لهم وبيّن عذرك فيه. والأصحار: الظهور.

وَلاَ تَدْفَعَنَّ صُلحاً دَعَاكَ إِلَيهِ عَدُوكَ وَلِلّهِ فِيهِ رِضىً، فَإِنَّ فِي الصُّلحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ[١] وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ وَأَمناً لِبِلاَدِكَ. وَلَكِنَّ الحَذَرَ كُلَّ الحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعدَ صُلحِهِ، فَإِنَّ العَدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ، فَخُذ بِالحَزْمِ وَٱتَّهِمْ فِي ذَلِكَ حُسنَ الظَّنِّ. وَإِنْ عَقَدتَ بَينَكَ وَبَينَ عَدُوِّكَ عُقدَةً أَو أَلبَستَهُ مِنكَ ذِمَّةً فَحُط عَهدَكَ بِالوَفَاءِ، وَٱرعَ ذِمَّتَكَ بِالأَمَانَةِ، وَٱجعَل نَفسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أَعطَيتَ[٢] فَإِنَّهُ لَيسَ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ شَيءٌ ٱلنَّاسُ أَشَدُّ عَلَيهِ ٱجتِمَاعاً مَعَ تَفَرُّقِ أَهوَائِهِم وَتَشَتُّتِ آرَائِهِمْ مِنْ تَعظِيمِ الوَفَاءِ بِالعُهُودِ[٣]. وَقَدْ لَزِمَ ذَلِكَ المُشرِكُونَ فِيمَا بَينَهُمْ دُونَ المُسلِمِينَ لِمَا ٱستَوبَلُوا مِن عَوَاقِبِ الغَدرِ[٤]. فَلاَ تَغدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ، وَلاَ تَخِيسَنَّ بِعَهدِكَ[٥]، وَلاَ تَختِلَنَّ عَدُوَّكَ، فَإِنَّهُ لاَ يَجتَرِئُ عَلَى اللهِ إِلاَّ جَاهِلٌ شَقِيٌّ. وَقَدْ جَعَلَ اللهُ عَهدَهُ وَذِمَّتَهُ أَمناً أَفضَاهُ بَينَ العِبَادِ بِرَحمَتِهِ[٦] وَحَرِيماً يَسكُنُونَ إِلَى مَنَعَتِهِ وَيَستَفِيضُونَ إِلَى جِوَارِهِ[٧]. فَلاَ إِدغَالَ وَلاَ مُدَالَسَةَ[٨] وَلاَ خِدَاعَ فِيهِ وَلاَ تَعقِدْ عَقداً تَجُوزُ فِيهِ العِلَلُ، وَلاَ تُعَوِّلَنَّ عَلَى لَحنِ قَولٍ بَعدَ التَّأكِيدِ وَالتَّوثِقَةِ، وَلاَ يَدعُوَنَّكَ ضِيقُ أَمرٍ لَزِمَكَ فِيهِ عَهدُ اللهِ إِلَى طَلَبِ ٱنفِسَاخِهِ بِغَيرِ الحَقِّ، فَإِنَّ صَبرَكَ عَلَى ضِيقِ أَمرٍ تَرجُو ٱنفِرَاجَهُ وَفَضلَ

---

(١) الدعة ـ محركة ـ: الراحة.

(٢) الجنة ـ بالضم ـ: الوقاية أي حافظ على ما أعطيت من العهد بروحك.

(٣) حتى ان المشركين التزموا الوفاء فيما بينهم فأولى أن يلتزمه المسلمون.

(٤) لأنهم وجدوا عواقب الغدر وبيلة أي مهلكة.

(٥) خاس بعهده: خان ونقضه. والختل: الخداع.

(٦) الأمن: الأمان وأفضاه هنا بمعنى أفشاه.

(٧) يستفيضون أي يفزعون اليه بسرعة.

(٨) الادغال: الافساد. والمدالسة: الخيانة.

عَاقِبَتِهِ خَيرٌ مِنْ غَدرٍ تَخَافُ تَبِعَتَهُ وَأَن تُحِيطَ بِكَ مِنَ اللهِ فِيهِ طِلبَةٌ[١] فَلاَ تَستَقِيلَ فِيهَا دُنيَاكَ وَلاَ آخِرَتَكَ.

إِيَّاكَ وَالدِّمَاءَ وَسَفكَهَا بِغَيرِ حِلِّهَا، فَإِنَّهُ لَيس شَيءٌ أَدعَى لِـنِقمَةٍ وَلا أَعـظَمَ لِتَبِعَةٍ وَلاَ أَحرَى بِزَوَالِ نِعمَةٍ وَانقِطَاعِ مُدَّةٍ مِنْ سَـفكِ الدِّمـاءِ بِـغَيرِ حَـقِّهَا. واللهُ سُبحَانَهُ مُبتَدِئٌ بِالحُكمِ بَينَ العِبَادِ فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاء يَومَ القِيَامَةِ. فَلاَ تُقَوِّيَنَّ سُلطَانَكَ بِسَفكِ دَمٍ حَرَامٍ فَإِنَّ ذٰلِكَ مِمَّا يُضعِفُهُ وَيُوهِنُهُ بَل يُزِيلُهُ وَينقُلُهُ. وَلاَ عُذرَ لَكَ عِندَ اللهِ وَلاَ عِندِي فِي قَتلِ العَمدِ لأَنَّ فِيهِ قَوَدَ البَدَنِ[٢]. وَإِنِ ابتُلِيتَ بِخَطَإٍ وَأَفرَطَ عَلَيكَ سَوطُكَ[٣] أَو سَيفُكَ أَو يَدُكَ بِعُقُوبَةٍ فَإِنَّ فِي الوَكزَةِ فَـا فَـوقَهَا مَـقتَلَةً فَـلاَ تَطمَحَنَّ بِكَ نَخوَةُ سُلطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى أَولِيَاءِ المَقتُولِ حَقَّهُمْ.

وَإِيَّاكَ وَالإِعجَابَ بِنَفسِكَ وَالثِّقَةَ بِمَا يُعجِبُكَ مِنهَا وَحُبَّ الإِطـرَاءِ[٤] فَـإِنَّ ذٰلِكَ مِنْ أَوثَقِ فُرَصِ الشَّيطَانِ فِي نَفسِهِ لِيَمحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحسَانِ المُحسِنِينَ.

وَإِيَّاكَ وَالمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحسَانِكَ، أَوِ التَّزَيُّدَ فِيمَا كَانَ مِـنْ فِـعلِكَ أَو أَن تَعِدَهُمْ فَتُتبِعَ مَوعِدَكَ بِخُلفِكَ لِمَا فِيهِ مِنَ قِلَّةِ العَقلِ وَمَذمَّةِ العَاقِبَةِ عِندَ اللهِ وَالنَّاسِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: كَبُرَ مَقتاً عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفعَلُونَ.

وَإِيَّاكَ وَالعَجَلَةَ بِالأُمُورِ قَبلَ أَوَانِهَا، أَوِ التَّسَقُّطَ عِندَ إِمكَانِهَا، أَوِ اللَّجَاجَةَ فِيمَا إِذَا تَنَكَّرَ أَو الوَهنَ فِيمَا يُكسِبُ المَحمَدَةَ وَيُوجِبُ المَغفِرَةَ.

وَإِيَّاكَ وَالاِستِئثَارَ بِمَا لِلنَّاسِ فِيهِ أُسوَةٌ وَالتَّغَابِيَ فِيمَا يُعنَى بِهِ مِمَّا قَد وَضَحَ لِلعُيُونِ فَإِنَّ ذٰلِكَ مَأخُوذٌ مِنكَ لِغَيرِكَ. وَعَمَّا قَلِيلٍ تَنكَشِفُ عَنكَ أَغطِيَةُ الأُمُورِ وَيُنتَصَفُ مِنكَ لِلمَظلُومِ. اَملِكْ حَمِيَّةَ أَنفِكَ[٥]، وَسَورَةَ حَدِّكَ، وَسَطوَةَ يَدِكَ، وَغَربَ لِسَانِكَ. وَاحتَرِس مِن كُلِّ ذٰلِكَ بِكَفِّ البَادِرَةِ[٦] وَتَأخِيرِ السَّطوَةِ حَـتَّى يَسكُـنَ

(١) وأن تحيط: أي وتخاف أن تتوجه عليك من الله مطالبة بحقه في الوفاء الذي غدرته.

(٢) القود ـ بالتحريك ـ: القصاص وإضافته للبدن لأنه يقع عليه.

(٣) أفرط عليك: عجل بمالم تكن تريده. أردت تأديبا فأعقب قتلا.

(٤) الاطراء: المبالغة في الثناء. والفرصة ـ بالضم ـ: حادث يمكنك لو سعيت من الوصول لمقصدك.

(٥) أي املك نفسك عند الغضب.

(٦) البادرة: مايبدر من اللسان عند الغضب من سباب ونحوه.

غَضَبُكَ فَتَملِكَ الاِختِيَارَ، وَلَن تُحكِمَ ذٰلِكَ مِن نَفسِكَ حَتَّى تُكثِرَ هُمُومَكَ بِذِكرِ المَعَادِ إِلَى رَبِّكَ.

وَالوَاجِبُ عَلَيكَ أَن تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ، أَو سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ، أَو أَثَرٍ عَن نَبِيِّنَا(صلّى الله عليه وآله)، أَو فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ فَتَقتَدِيَ بِمَا شَاهَدتَهُ مِمَّا عَمِلنَا بِهِ فِيهَا، وَتَجتَهِدَ لِنَفسِكَ فِي اتِّبَاعِ مَا عَهِدتُ إِلَيكَ فِي عَهدِي هٰذَا وَاستَوثَقتُ بِهِ مِنَ الحُجَّةِ لِنَفسِي عَلَيكَ لِكَيلاَ تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِندَ تَسَرُّعِ نَفسِكَ إِلَى هَوَاهَا.

وَأَنَا أَسأَلُ اللهَ بِسَعَةِ رَحمَتِهِ وَعَظِيمِ قُدرَتِهِ عَلَى إِعطَاءِ كُلِّ رَغبَةٍ أَن يُوَفِّقَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ مِنَ الإِقَامَةِ عَلَى العُذرِ الوَاضِحِ إِلَيهِ وَإِلَى خَلقِهِ، مَـعَ حُسـنِ الثَنَاءِ فِي العِبَادِ وَجَمِيلِ الأَثَرِ فِي البِلاَدِ، وَتَمَامِ النِّعمَةِ وَتَضعِيفِ الكَرَامَةِ، وَأَن يَختِمَ لِي وَلَكَ بِالسَّعَادَةِ وَالشَّهَادَةِ وَإِنَّا إِلَيهِ رَاغِبُونَ. وَالسَّلام عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَسَلَّمَ تَسلِيماً كَثِيراً. والسَّلاَمُ.

* * *

«كتابه(عليه السلام) الى شيعته»[١]

استخلصت من نهج البلاغة، وكتاب معادن الحكمة، للعلامة علم الهدى الكاشاني، وبعض المصادر المهمة.

الكتاب الذي وجهه الإمام(عليه السلام) الى شيعتهِ استعرض فيه، معظم الحوادث والمحن التي جرت عليه، ابتداءً من يوم السقيفة الى رجوعه من واقعة النهروان.

بصورة ملخصة وموجزة ـ

روى الشيخ الكليني رحمه الله في كتاب «الرسائل» كتب الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام) بعد منصرفه من النهروان، وقد سأله بعض الناس عن ابي بكر، وعمر، وعثمان.

قال: وقد تفرغتم للسؤال عما لا يعنيكم، وهذه مصر قد افتتحت، وقتل معاوية بن خديجة ومحمد بن ابي بكر[٢]، فيالها من مصيبة ما اعظمها، مصيبتي بمحمّد؟ فو الله ما كان إلاّ كبعض بنّي، سبحان الله! بينا نحن نرجوا ان نغلب القوم على مافي أيديهم إذ غلبونا على مافي أيدينا، وانا كاتب لكم كتاباً فيه ما سألتم إن شاء الله تعالى:

(١) اورد السيد الرضي رحمه الله بعض قطعاته في نهج البلاغة، كما اخرجه السيد بن طاووس بتمامه في كتاب كشف المحجة ص «١٧٣ / ١٨٩» عن كتاب الرسائل، والمجلسي في كتاب الفتن والمحن من البحار، وابن ابي الحديد ج ٢ ص ٣٥، وكتاب معادن الحكمة في مكاتيب الائمة ج ١.

(٢) محمد بن ابي بكر كان عامل الإمام على مصر، ومعاوية بن خديج كان ساعده ـ وقائد جيشه.

فدعا كاتبه عبيد الله بن ابي رافع، فقال له: ادخل عَليَّ عشرة من ثقاتي، فقال: سمّهم لي يا امير المؤمنين. فقال: أدخل أصبغ بن نباته، وابا الطفيل عامر بن واثلة الكناني، ورزين بن جيش الأسدي، وجويرية بن مسهر العبدي، وخندف بن زهير الأسدي، وحارثة بن مضرف الهمداني، والحارث بن عبد الله الهمداني، ومصابيح نخع، علقمة بن قيس، وكميل بن زياد، وعمير بن زرارة، فدخلوا عليه، فقال لهم: خذوا هذا الكتاب، وليقرأه عبيد الله بن ابي رافع، وانتم شهود كل يوم جمعة، فإن شغب شاغب عليكم فانصفوه بكتاب الله بينكم وبينه.

واليك ملخص الكتاب :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ

من عبد الله علي أمير المؤمنين الى شيعته من المؤمنين والمسلمين، فان الله تعالى يقول: ﴿وإنّ من شيعته لابراهيم﴾ وهو اسم شرفه الله في كتابه، وانتم شيعة النبي محمد(صلّى الله عليه وآله)، كما أنَّ محمدّاً من شيعة ابراهيم، إسم غير محتضر «غير مختص» وأمر غير مبتدع، سلام عليكم، والله هو السلام، المؤمن أولياءه من العذاب، المهمين الحاكم عليهم بعدله.

بعث محمّداً(صلّى الله عليه وآله) وانتم معاشر العرب على شرّ حال، يغذو احدكم كلبه، ويقتل ولده[١] ويَغيرُ عَلى غيره، فيرجع وقد أُغِيَر عليه، تاكلون العلهز[٢] والهبيد[٣]، والميتة، والدم، تنيخون على احجار واوثان مضلة[٤]،

(١) اشارة الى وأد البنات في الجاهلية.

(٢) العلهز: الدم المخلوط بأوبار الإبل ثم يشوونه بالنار ويأكلوه.

(٣) الهبيد: الحنظل أو حبه.

(٤) تنيخون: اي تعكفون على الاصنام.

وتأكلون الطعام الجشب، وتشربون الماء الآجن[١]، تسافكون دماءكم، ويسبي بعضكم بعضاً.

الى قوله(عليه السلام): واستشهاده بهذه الآية الكريمة ﴿وَاذْكُرُوا نِعمَةَ اللهِ عَليكُم إذ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلوبِكمْ فَأصبَحتُم بِنِعمَتِهِ إخواناً وَكُنتُم عَلى شَفا حُفْرةٍ مِنَ النَارِ فَأَنْقَذكُم مِنَها﴾[٢].

فيالها من نعمة ما اعظمها إن لم تخرجوا منها الى غيرها،؟ ويالها من مصيبةٍ ما اعظمها ان لم تؤمنوا بها وترغبوا عنها،؟

فمضى نبيّ الله(صلّى الله عليه وآله) وقد بلّغ ما ارسل به[٣] فيالها من مصيبة خصت الاقربين، وعمت المؤمنين، ولم تصابوا بمثلها ابداً، وتعاينوا بعدها مثلها، وقد ترك كتاب الله، واهل بيته، امامين لايختلفان، واخوين لايتخاذلان، مجتمعين لايفترقان، وَلِأنّا أولىٰ الناس به منى، وما ألقى في روعي، ولاعرض في رأيي وجه الناس الى غيري، الى ان قال:

فقال قائل (من) قريش: ان نبي الله قال: الائمة من قريش، فدفعوا الانصار عن دعوتها، ومنعوني حقي منها.

فاتاني رهط يعرضون عليَّ النصر، منهم، ابناء سعيد[٤]، والمقداد بن

(١) الآجن: الماء العكر الذي تغير لونه وطعمه.

(٢) سورة آل عمران آية ١٠٣.

(٣) ما بلّغ به يوم غدير خم بعد ما أنزل الله تعالى﴿يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك﴾.

(٤) وهم أبان، وخالد، وعمرو ـ قال ابن الاثير في اسد الغابة ج ١ ص ٨٣٦: ان أبان كان والياً على البحرين، فلما توفي رسول الله(ص) رجع الى المدينة، فاراد ابو بكر ان يرده اليها، فقال: لا اعمل لاحد بعد رسول الله، وقد تخلف عن بيعة ابي بكر ليرىٰ مايصنع بنو هاشم، وكذلك فعل اخواته، خالد، وعمرو.

الأسود، وابو ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، وسلمان الفارسي، وزبير بن العوام، والبراء بن عازب، فقلت لهم: إن عندي من نبي الله عهداً، وله إليَّ وصيةً، لست اخالفه عما أمرني به.

وقد كان النبي(صلّى الله عليه وآله) أمَّر اسامة بن زيد على جيش، وجعلها[١] في جَيشه، وما زال النبي(صلّى الله عليه وآله) الى ان فاضت نفسه يقول: **انفذ ِا جيش اسامة، انفذوا جيش اسامة (وفي رواية) لعن الله من تخلف عن جيش اسامة.**

فلما رأيت راجعة من الناس قد رجعت عن الإسلام[٢] تدعوا الى محق دين محمّد وملة ابراهيم(عليهم السلام)، خشيتُ ان انا لم انصر الإسلام وأهله أرىٰ فيه ثلماً وهدماً، تكون المصيبة عليَّ فيه أعظم من فوت ولاية اموركم الَّتي [نصبني الله فيها ورسوله(صلّى الله عليه وآله) يوم غدير خم] إنما هي متاع أيام قلائل ثم تزول وتنقشع، كما يزول وينقشع السحاب، فنهضت مع القوم في تلك الاحداث وكانت كلمة الله العليا، وان رغم الكافرون.

الى ان قال:

فَوَلِيَّ ابو بكر، فقارب واقتصد، فصحبته مناصحاً، واطعته في ما اطاع الله فيه جاهداً، حتى اذا احتضر قلت في نفسي: ليس يعدل بهذا الأمر عني.

الى ان قال: فبايع عمر دون المشورة.

[فأدلىٰ بها الى ابن الخطاب دون مشورة المسلمين من اهل الحل والعقد].

(١) يعني ابا بكر وعمر.

(٢) امثال مسيلمة الكذاب، وسجاح، واتباعها وساير المرتدين، لاسيما المنافقون منهم في المدينة وخارجها.

حتى اذا احتضر [ابن الخطاب] قلت في نفسي ليس يعدل بهذا الأمر عني، للذي قد رأى مني في المواطن، وسمع من الرسول(صلّى الله عليه وآله)، فجعلني سادس ستة، وامر صهيباً ان يصلي بالناس، ودعا ابا طلحة زيد بن سعد الانصاري فقال له: كن في خمسين رجلاً من قومك، فاقتل من أبىٰ ان يرضى من هؤلاء الستة؟؟ الى ان قال:

إن هذا الأمر عجيب، كيف يأمر [عمر] بقتل قومٍ رضى الله عنهم ورسوله.

الى ان قال:

فخشي القوم إن انا ولّيت عليهم ان آخذ بانفاسهم، واعترض في حلوقهم، ولايكون لهم في الأمر نصيب، فاجمعوا على رجل واحدٍ منهم، حتى [أن] صرفوا الولاية عني الى عثمان، رجاء ان ينالوها، ويتداولها في مابينهم، الى ان قال فدعوني الى بيعة عثمان، فبايعت مستكرهاً، وصبرت محتسباً، الى ان قال:

فاغضيت عيني على القذىٰ، وتجرعت ريقي علىٰ الشجىٰ، وصبرت على أمَرٍّ من العلقم، وآلمُ للقلب من حز الشفار.

الى ان قال:

وامّا أمر عثمان. خذله أهل بدر، وقتله اهل مصر.

والله ما أمرت ولانهيت، ولو اني امرت كنت قاتلاً، ولو اني نهيت لكنت ناصراً.

الى ان قال:

والله ما يلزمني في عثمان تهمة، ماكنت إلاّ رجلاً من المسلمين المهاجرين في بيتي، فلما قتلوه اتيتموني تبايعوني، فابيت عليكم، وابيتم عليَّ، قبضت يدي وبسطتموها، وبسطتها فمددتموها، ثم تداككتم عليَّ تداكّ الابل الهيم على حياضها

يوم ورودها، حتى ظننت انكم قاتلي، حتى انقطعت النعل، وسقط الرداء، ووطئ الضعيف، وبلغ سرور الناس ببيعتهم اياي ان ابتهج بها الصغير.

الى ان قال:

فكان اول من بايعني طلحة والزبير، فقالا: نبايعك على إنّا شركاؤك في الأمر فقلت: لا، لكنما شركائي في القوة، وعوناي في العجز، فبايعاني على هذا الأمر، ولو أبيا لم اكرههما كما لم اكره غيرهما، وكان طلحة يرجوا اليمن، والزبير يرجوا العراق، فلما علما اني غير موليهما، إستأذناني للعمرة، [لكنهما] يريدان الغدرة، فاتيا عائشة، واستخفاها مع كل شيٍ في نفسها عليَّ.

الى ان قال:

وأي خطيئة اعظم مما أتيا؟ اخراجهما زوجة رسول الله من بيتها، وكشفا عنها حجاباً ستره الله عليها، وصانا حلائلهما في بيوتهما.

الى ان قال:

فقد بغيا عليَّ، ونكثا بيعتي، ومكرا بي فنيت باطوع الناس في الناس عائشة بنت ابي بكر، وباشجع الناس الزبير، وباخصم ـ [احقد] ـ الناس طلحة، واعانهم عليَّ يعلي بن منية باصوع الدنانير[1]، والله لئن استقام أمري لأجعلن ماله فيئاً للمسلمين.

ثم اتو البصرة واهلها مجمعون على بيعتي وطاعتي، وبها شيعتي خزان بيت مال الله ومال المسلمين، فدعوا الناس الى معصيتي والى نقض بيعتي، وطاعتي، فمن اطاعهم اكفروه[2]، ومن عصاهم قتلوه.

---

(١) يعلي بن منيه ـ من بني امية كان عامل عثمان على مكة.

(٢) اكفروه: يعني الجأوه واجبروه.

فناجزهم حكيم بن جبلة، فقتلوه في سبعين رجلاً [من اصحابه] ومن عبّاد اهل البصرة ومخبتيهم، وأبىٰ ان يبايعهم يزيد بن الحارث اليشكريّ، فقال: اتقيا الله، إنّ اولكم قادنا الى الجنة، فلايقودنا آخركم الى النّار، اما يميني فشغلها على بن ابي طالب ببيعتي إيّاه، وهذه شمالي فارغة، فخذاها إن شئتما، فخنق حتى مات ﷺ.

وقام عبد الله بن حكيم التميمي، فقال: يا طلحة، هل تعرف هذا الكتاب؟ قال طلحة: نعم هذا كتابي اليك، قال: هل تدري مافيه؟ قال: اقرأه عليّ، فاذا فيه عيب عثمان، دعاؤه إلىٰ قتله، فسيره من البصرة. [اي هجّر طلحه، بن حكيم من البصرة واجلاه].

ثم قال(عليه السلام): وأخذوا عاملي عثمان بن حنيف الانصاري غدراً، فمثلوا به كلّ المثلة، ونتفوا كل شعرة في رأسه ووجهه، وقتلوا شيعتي: طائفة صبراً، وطائفة غدراً، وطائفة عضوا باسيافهم حتى لقوا الله، فوالله لو لم يقتلوا منهم إلاّ رجلاً واحداً لحل لي به دماؤهم، ودماء ذلك الجيش لرضاهم بقتل من قتل.

الى ان قال:

فبعداً للقوم الظالمين.

واما طلحة فرماه مروان بسهم فقتله، واما الزبير فذكرته قول رسول الله(صلّى الله عليه وآله) ـ له ـ «إنك تقاتل علياً وانت ظالم له» واما عائشة فانها نهاها رسول الله(صلّى الله عليه وآله) عن مسيرها فعضّت يديها نادمةً على ما كان منها.

الى ان قال:

فلما قضى الله لي الحسنىٰ سرت الى الكوفة، واستخلفت عبد الله بن عباس على البصرة، فقدمت الكوفة وقد اتسعت لي الوجوه كلها، إلاّ الشام، فاحببت ان

اتخذ الحجة واقضي العذر، واخذت بقول الله تعالى: ﴿وإمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَومٍ خِيانَةً فَانبِذْ إلَيهِمْ عَلىٰ سَوَاءٍ﴾ فبعثت جرير بن عبد الله الى معاوية معذراً اليه، متخذاً للحجة عليه، فرد كتابي، وجحد حقي، ودفع بيعتي، فبعث اليَّ ان ابعث إليَّ قتلة عثمان، فبعثت اليه: ما أنت وقتلة عثمان؟ أولاده أولىٰ به؟ فادخل أنت وهم في طاعتي، ثم خاصموا القوم لاحملكم واياهم على كتاب الله، وإلاّ فهذه خدعة صبي.

الى ان قال:

ونظرت الى اهل الشام، فاذا هم بقية الاحزاب، فراش النار، وذئاب طمع، تجمع من كل أوب ممن ينبغي له ان يؤوب، ويحمل على السنة، ليسوا بالمهاجرين ولا الانصار، ولا التابعين باحسان، فدعوتهم الى الطاعة والجماعة، فابوا إلاّ فراقي وشقاقي، ثم نهضوا في وجه المسلمين ينضخونهم بالنبل، ويشجرونهم بالرماح، فعند ذلك نهضت اليهم، فلما عضتهم السلاح ووجدو ألم الجراح، رفعوا المصاحف يدعوكم الى مافيها، فانبأتكم إنهم ليسوا باهل دين ولاٰ قرآن، وانما رفعوها مكيدةً وخديعة، فامضوا لقتالهم، فقلتم: إقبَل منهم واكفف عنهم، فخصصت عنهم، فكان الصلح بينكم وبينهم على رجلين حكمين ليحييا ما احيى القرآن، ويميتا ما امات القرآن، فاختلف رأيهما، واختلف حكمهما، فنبذا مافي الكتاب، وخالفا ما في القرآن، وكانا أهله.

ثمَّ إنَّ طائفة اعتزلت، فتركناهم ما تركونا، حتّى إذا عاثوا[1] ما في الارض، يفسدون ويقتلون، وكان في من قتلوه أهل ميرة من بني الأسد، وقتلوا خَبّاب بن أرتٍّ وابنه، و[أُمّ] ولده، والحارث بن مرّة العبديّ، فبعثت إليهم داعياً فقلت:

(١) افسدوا.

ادفعوا إلينا قتلة إخواننا. فقالوا: كلّنا قتلتهم، ثمّ شدّت علينا خيلهم ورجالهم، فصرعهم الله مصارع الظالمين.

فلمّا كان ذلك من شأنهم أمرتكم أن تمضوا من فوركم ذلك إلى عدوّكم فقلتم: كلّت سيوفنا، ونصلت[١] أسنّة رماحنا، وعاد أكثرها قصيداً[٢]، فأذَن لنا فلنرجع ولنستعدَّ بأحسن عُدَّتنا، وإذا نحن رجعنا زدنا في مقاتلتنا عدَّة من قتل منّا، حتّى إذا أطللتم[٣] على النخيلة أمرتكم أن تلزموا معسكركم، وأن تضمّوا إليه نواصيكم[٤]، وأن توطّنوا على الجهاد نفوسكم، ولا تكثروا زيارة أبنائكم ولا نسائكم، فانّ أصحاب الحرب مصابروها، وأهل التشمير فيها، والّذين لايتوجَّدون[٥] من سهر ليلهم، ولاظمأ نهارهم، ولافقدان أولادهم ولا نسائهم. وأقامت طائفة منكم معدَّة، وطائفة دخلت المصر عاصية، فلا من دخل المصر عاد إليَّ، ولا من أقام منكم ثبت معي، ولاضير، ولقد رأيتني وما في عسكري منكم خمسون رجلاً.! فلمّا رأيت ما أنتم عليه دخلت عليكم، فما قدّر لكم أن تخرجوا معي إلى يومكم هذا. لله أبوكم! ألا ترون إلى مصر قد افتتحت، وإلى أطرافكم قد انتقضت، وإلى مسالحكم[٦] ترقى، وإلى بلادكم تغزى. وأنتم ذو عدد جمّ، وشوكة شديدة، وأولو بأس قد كان مخوفاً!

لله أنتم! أين تذهبون؟! وانّى تؤفكون؟! ألا إنّ القوم جدُّوا وتأسّوا

(١) خرجت.

(٢) وعاد اكثر قصيداً.

(٣) اي اشرفتم.

(٤) نواصي الناس ـ اشرافهم.

(٥) لايشتكون.

(٦) مسالحكم.. موضع السلاح. ترقى. يصعد عليها من قبل العدو.

وتناصروا وتناصحوا، وإنّكم أبيتم وتخاذلتم وونيتم وتغاششتم، ما أنتم إن ائتمنتم على ذلك سعداء فأنبهوا رحمكم الله نائمكم، وتحرَّزوا لحرب عدوّكم، فقد أبدت الرَّغوة عن الصريح، وأضاء الصبح لذي عينين. إنّما تقاتلون الطلقاء، وأبناء الطلقاء، وأهل الجفاء، ومن أسلم كرهاً، وكان لرسول الله(صلّى الله عليه وآله) أنِفاً، وللاسلام كلّه حرباً، أعداء السنّة والقرآن، وأهل البدع والأحداث، ومن كانت نكايته تبقى، وكان على الاسلام وأهله مخوفاً، وآكلة الرِّشا، وعبيد الدُّنيا.

لقد أُنهي إليّ أنَّ ابن النابغة لم يبايع معاوية حتّى شرط له أن يعطيه إتاوة هي اعظم مما في يديه من سلطانه فهو صفر اليد هذا البائع دينَه بدنياه، وخزيت أمانة هذا المشتري بنصرة فاسق غادر بأموال المسلمين! وأيُّ سهم لهذا المشتري بنصرة فاسق غادر وقد شرب الخمر وضُرِبَ حَداً في الاسلام؟! وكلّكم يعرفه بالفساد في الدِّين وأيُّ سهم لمن لم يدخل في الإسلام وأهله حتّى رضخ له رضيخة[١] القوم! ومن تركت لكم ذكر مساوية أكثر وأبور، وأنتم تعرفونهم بأعيانهم وأسمائهم، كانوا على الإسلام ضدّاً، ولنبي الله(صلّى الله عليه وآله) حرباً، وللشيطان حزباً، لم يتقدَّم إيمانهم، ولم يحدث نفاقهم، وهؤلاء الّذين لو ولّوا عليكم لأظهروا فيكم الفخر والتكبُّر والتسلّط بالجبريّة والفساد في الارض، وأنتم على ما كان منكم من تواكل وتخاذل خير منهم وأهدى سبيلاً، منكم الفقهاء والعلماء والفهماء وحملة الكتاب والمتهجدون بالأسحار، ألا تسخطون وتنقمون أن ينازعكم الولاية السفهاء البطاء البعداء عن الإسلام الجفاة فيه؟!.

اسمعوا قولي ـ يهديكم الله ـ إذا قلت، وأطيعوا أمري إذا أمرت، فو الله لئن أطعتموني لاتغووا، وإن عصيتموني لاتُرشدوا، قال الله تعالى: ﴿أفمَنْ يهدي إلى

(١) رضخ له ـ اي اعطي مبلغاً من المال وهم المؤلفة قلوبهم.

الحقّ أَحَقُّ أن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَيَهدِّي إلاّ ان يُهدى فَمالَكُم كَيفَ تَحكُمون﴾[١] وقال الله تعالى لنبيّه(صلّى الله عليه وآله): ﴿إنّما أنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَومٍ هادٍ﴾[٢] فالهادي بعد النبي(صلّى الله عليه وآله) هادٍ لأمّته على ما كان من رسول الله(صلّى الله عليه وآله)، فمن عَسَى أن يكون الهادي إلاّ الّذي دعاكم إلى الحقّ وقادكم إلى الهدى؟! فخذوا للحرب أُهبتها، وأعِدُّوا لها عُدَّتها، فقد شبّت وأوقدت نارها، وتجرَّد لكم الفاسقون لكيما يطفئوا نور الله بافواههم، ويغزوا عباد الله.

ألا إنّه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع والجفاء أولى بالحقّ من أهل البرّ والإخبات في طاعة ربّهم ومناصحة إمامهم. إنّي والله لو لقيتهم وحدي وهم وأهل الأرض ما استوحشتُ منهم ولاباليتُ، ولكن أسف يريني، وجزع يعتريني من أن يلي هذه الأُمّة فجّارها وسفهاؤها، فيتّخذون مال الله دولاً وكتاب الله دغلاً[٣]، والفاسقين حزباً، والصالحين حرباً، وأيم الله لو لا ذلك ما أكثرت تأنيبكم وتحريضكم، ولتركتكم إذ أبيتم حتّى ألقاهم متى حُمَّ لي لقاؤهم. فوالله إنّي لعلى الحق، وإنّي للشهادة لمحبٌّ، وإنّي إلى لقاء الله ربّي مشتاق، ولحسن ثوابه لمنتظر.

إني نافرتكم فانفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ولاتتثاقلوا في الأرض فتغموا بالذلّ، وتقروا بالخسف[٤] ويكون نصيبكم الأخس.

الى ان قال:

إني لكم اليوم على ماكنت عليه أمس، ولستم لي على ماكنتم عليه، والله لو

(١) سورة يونس، آية: ٣٥.

(٢) سورة الرعد، آية: ٧.

(٣) الخيانة والفساد.

(٤) المشقة والمهانة.

نصرتم اَللّهَ لنصركم وثبت اقدامكم انه حقٌّ على الله ينصر من نصره ويخذل من خذله.

وانما النصر بالصبر، والورود بالصدر، والبرق بالمطر[١].

(وَمِن كتَابٍ لَهُ (عليه السلام) إلَى جَرير بن عبدِ الله البَجَلي لَمَّا أرسَلَهُ إلى مُعاويَةَ)

أمَّا بَعدُ فإذا أتَاك كتَابِي فَاحمِل مُعاويَةَ عَلى الفَصلِ[٢]، وَخُذهُ بِالأَمرِ الجزمِ، ثُمَّ خيِّرهُ بَينَ حربٍ مُجليةٍ أو سِلمٍ مُخزِيةٍ، فَإنِ اختَارَ الحربَ فَانبذ إلَيهِ، وإنِ اختَارَ السِّلمَ فَخُذ بيعَتهُ والسَّلامُ.

(وَمِنْ كِتَابٍ لهُ (عليه السلام) إلَى مُعاوِيَةَ)

فَأَرَادَ قَومُنا قَتلَ نَبيِّنَا وَاجتِيَاحَ أَصلِنَا[٣]، وَهَمُّوا بِنَا الهُمُومَ وَفعَلُوا بِنَا الأَفَاعيلَ، وَمنَعُونَا العَذبَ، وَأَحلسُونَا الخَوفَ، وَاَضطَرُّونَا إلَى جَبَلٍ وَعرٍ، وَأَوقَدُوا لَنا نَارَ الحربِ، فَعزَمَ اللهُ لَنا عَلى الذَّبِّ عَنْ حَوزَتِهِ، وَالرَّميِ مِن وَرَاءِ حُرمَتِهِ. مُؤمِنُنَا يَبغي بِذَلِكَ الأجرَ، وَكَافِرُنَا يُحامِي عَنِ الأصلِ. وَمن أَسلَمَ مِنْ

(١) الى هنا انتهينا من موجز كتابه الى شيعته (عليه السلام).

(٢) الفصل الحكم القطعي.

(٣) يحكى معاملة قريش للنبي(صلّى الله عليه وآله) في أول البعثة.

قُريشٍ خِلوٌ مِمَّا نَحنُ فِيهِ بِحِلفٍ يَمنَعُهُ أَو عَشِيرَةٍ تَقومُ دُونَهُ، فَهُوَ مِنَ القتلِ بِمَكَانِ أَمنٍ[١].

وَكَانَ رَسولُ اللهِ(صلّى الله عليه وآله) إذا أَحْمَرَّ البَأسُ[٢] وَأَحجَمَ النَّاسُ قَدَّمَ أهل بَيتِهِ فَوَقَى بِهِم أَصحَابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ والأَسِنَّةِ. فَقُتِلَ عُبيدةُ بنُ الحارِثِ يومَ بَدرٍ[٣]، وَقُتِل حمزَةُ يومَ أُحُدٍ، وَقُتِلَ جعفرٌ يومَ مُؤتَةَ. وأرادَ مَنْ لو شِئتُ ذَكَرتُ اسمَهُ مِثلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ[٤]، وَلَكِنْ آجَالُهُم عُجِّلت وَمَنِيَّتُهُ أُجِّلت. فَياعَجَباً لِلدَّهرِ إذ صِرتُ يقرَنُ بي من لم يسعَ بِقَدَمِي[٥]، وَلَم تَكُنْ لَهُ كَسابِقَتِي الَّتي لايُدلِي أَحدٌ بِمِثلِهَا إلاَّ اَن يَدَّعِي مُدَّع مَالا أَعرِفُهُ، وَلا أَظُنُّ اللهَ يَعرِفُهُ والحمدُ للهِ عَلى كُلِ حَالٍ.

وَأَمَّا مَا سألتَ مِن دَفْعِ قتَلَةِ عُثمَانَ إليكَ فإنِّي نَظرتُ فِي هذا الأمرِ فَلَم أَرَهُ يَسعُنِي دَفعُهم إليكَ وَلاَ إلَى غَيرِكَ، وَلَعَمري لَئن لم تَنزِع عَن غَيِّك وَشِقَاقِكَ[٦] لَتَعرِفَنَّهُم عن قَليلٍ يَطلُبُونكَ، لَا يُكَلِّفونَكَ طَلَبَهُم فِي بَرٍّ وَلاَ بَحرٍ وَلا جَبلٍ وَلاسَهلٍ، إلَّا أَنَّه طَلَبٌ يَسُوءُكَ وِجدَانُهُ، وَزورٌ لاَ يَسُرُكَ لُقيانُهُ والسَّلامُ لأَهلِهِ.

(١) كان المسلمون من غير آل البيت آمنين على أنفسهم اما بتحالفهم مع بعض القبائل أو بالاستناد إلى عشائرهم.

(٢) احمرار البأس:اشتداد القتال.

(٣) عبيدة ابن عمه وحمزة عمه وجعفر أخو الامام. ومؤتة بضم الميم بلد في حدود الشام.

(٤) من لو شئت يريد نفسه.

(٥) بقدم مثل قدمي جرت وثبتت في الدفاع عن الدين. والسابقة: فضله السابق في الجهاد.

(٦) أن تنته.

(وَمِن كِتَابٍ لَهُ(عليه السلام) إلِيهِ أيضاً)

وَكيفَ أَنتَ صَانِعٌ إذَا تَكَشَّفت عَنكَ جَلاَبِيبُ مَا أَنتَ فِيهِ مِن دُنيَا قَد تَبَهَّجَت بِزِينَتِهَا وخَدَعَتَ بِلَذَّتِها. دَعَتكَ فَأَجبتَهَا، وَقَادَتكَ فَاتبَعتَها، وَأَمَرتكَ فَأَطَعتَها. وإنَّهُ يُوشِكُ أن يَقِفكَ وَاقِفٌ عَلى مَا لاَ يُنجيكَ مِنهُ مِجَنٌّ[١]. فَاقعس عَن هَذا الأَمرِ، وَخُذ أُهبَةَ الحِسَابِ، وَشَمِّر لِمَا قَد نَزلَ بِكَ، وَلا تُمَكِّنِ الغُوَاةَ مِنَ سَمعِكَ، وَإلَّا تَفعَل أُعلِمكَ ما أَغفَلتَ مِنْ نفسِكَ، فَإنَّكَ مُترفٌ قَد أَخَذَ الشَّيطَانَ مِنكَ مَأخَذَهُ وَبَلَغَ فِيكَ أَمَلَهُ، وَجَرى مِنكَ مجرَى الرُّوحِ والدَّمِ.

وَمَتى كُنتُم يَا مُعاوِيَةُ سَاسَةَ الرَّعيَّةِ وَوُلاَةَ أَمرِ الأُمَّةِ؟ بِغَيرِ قَدَمٍ سَابِقٍ وَلا شَرَفٍ بَاسِقٍ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ لزومِ سَوَابِقِ الشَّقاءِ وَأُحَذِّرُكَ أَن تَكُونَ مُتَمَادِياً فِي غِرَّةِ الأُمنِيَّةِ مُختَلِفَ العَلاَنِيةِ والسَّرِيرَةِ.

وَقَد دَعَوتَ إلى الحَربِ فَدَعِ النَّاسَ جَانِباً واَخرُج إلَيَّ وأَعفِ القَرِيقَينِ مِنَ القِتَالِ لِيُعلَمَ أَيُّنَا المورِين عَلَى قَلبِهِ وَالمُغطَّى عَلى بَصَرِهِ فَأَنَا أَبُو حَسنٍ قَاتِلُ جَدِّكَ[٢] وَخَالِكَ وَأَخِيكَ شَدخاً يومَ بَدرٍ، وَذَلِكَ السَّيفُ مَعِي، وَبِذَلِكَ القَلبِ أَلقَى عَدُوِّي، مَا أَستَبدَلتُ دِيناً، وَلاَ أَستَحدَثتُ نَبِيًّا. وَإنِّي لعلىٰ المنهاج الَّذِي تَرَكتُمُوهُ طَائِعِينَ وَدَخَلتُمْ فِيهِ مُكرَهِين.

وَزَعمتَ أَنَّكَ جِئتَ ثَائِراً بِعُثمَانَ. وَلَقَد عَلِمتَ حَيثُ وَقَعَ دَمُ عُثمَانَ فَاطلُبهُ مِنْ هُنَاكَ إنْ كُنتَ طَالِباً، فَكَأَنِّي قد رأَيتُكَ تضجُّ من الحربِ اذا عضَّتكَ ضجيج الجمال بالاثقال وكأَنِّي بِجَمَاعَتِكَ تَدعُونِي ـ جَزَعاً مِنَ الضَّربِ المُتَتَابِعِ وَالقَضاءِ الوَاقِعِ وَمَصارِعَ بَعدَ مصارِعَ ـ إلى كِتَابِ اللهِ، وَهِي كَافِرةٌ جَاحِدَةٌ، أو مُبَايِعةٌ حَائِدَةٌ.

(١)مِجَن: الترس.

(٢) جد معاوية لأمه عتبة بن أبي ربيعة، وخاله الوليد بن عتبة، وأخوه حنظلة بن أبي سفيان.

(وَمِن كتَابٍ لَهُ (عليه السلام) إلى مُعَاوِيَةَ جَواباً، وَهُوَ مِنْ مَحَاسِنِ الكُتُبِ)

أَمّا بَعدُ فَقَد أَتَانِي كِتابُكَ تَذكُرُ فِيهِ ٱصطِفَاءَ ٱللهِ مُحَمَّداً(صلّى الله عليه وآله) لِدِينِهِ وَتأييدِهِ إيَّاهُ بِمَن أَيَّدَهُ مِنْ أصحَابِهِ، فَلَقَد خَبَّأَ لَنَا الدَّهرُ مِنكَ عَجَباً إذ طَفِقتَ تُخبِرُنَا بِبَلاَءِ اللهِ عِندَنَا وَنِعمَتِهِ عَلَينَا فِي نَبِيِّنَا، فَكُنتَ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ التَّمرِ إلى هَجَر أو دَاعِي مُسَدِّدِهِ إلَى النِّضَالِ. وَزَعَمتَ أنَّ أفضَلَ النَّاسِ في الإسلامِ فُلانٌ وفُلانٌ، فَذَكرتَ أمراً إن تمَّ ٱعتزَلَكَ كُلُّهُ، وَإن نَقَص لَم تَلحَقكَ ثُلمَتُهُ. وَمَا أنت وَالفَاضِلَ وَالمفضُولَ، وَالسَّائِسَ والمسُوسَ؟ وَمَا لِلطُّلَقَاءِ وأَبنَاءِ الطُّلَقَاءِ وَالتَّمييزِ بَينَ المُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ وَتَرتيبِ دَرَجَاتِهِمْ وَتَعرِيفِ طَبَقَاتِهِم. هَيهَاتَ لَقَد حَنَّ قِدحٌ لَيسَ مِنهَا، وَطَنَقَ يَحكُمُ فِيهَا مَن عَلَيهِ الحُكمُ لَهَا. أَلاَ تَربَعُ أَيُّهَا الإنسَانُ عَلَى ظَلَعِكَ[1] وَتَعرِفُ قُصورَ ذَرعِكَ؟ وَتتأَخَّرُ حَيثُ أَخرَكَ القَدَرُ، فَمَا عَلَيكَ غَلَبَةُ المَغلُوبِ وَلاَ لَكَ ظَفرُ الظَّافِرِ.

وإنَّكَ لَذَهَّابٌ فِي التِّيهِ[2] رَوَّاغٌ عن القَصدِ. أَلاَتَرَى ـ غَيرُ مُخبِرٍ لَكَ وَلَكِنْ بِنِعمَةِ اللهِ أُحَدِّثُ ـ أَن قوماً ٱستشهدوا فِي سَبِيلِ اللهِ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَلِكُلٍّ فَضلٌ، حَتّى إذَا ٱستُشهِدَ شَهِيدُنَا[3] قِيلَ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ، وَخَصَّهُ رَسُولُ اللهِ(صلّى الله عليه وآله) بِسَبعِينَ تَكبِيرَةً عِندَ صَلاَتِهِ عَلَيهِ. أَوَ لاَ تَرَى أَنَّ قوماً قُطِعت أَيديهم فِي سَبِيلِ

(١) يقال اربع على ظلعك أي قف عند حدك. والذرع ـ بالفتح ـ : بسط اليد ويقال للمقدار.

(٢)ذهاب ـ بتشديد الهاء ـ : كثير الذهاب. والتيه: الضلال. والرواغ: الميال. والقصد: الاعتدال.

(٣) هو حمزة بن عبد المطلب استشهد في أحد والقائل رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

اللهِ ـ وَلِكُلٍّ فَضلٌ ـ حَتّى إذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ[1] قِيلَ الطَّيَّارُ فِي الجَنَّةِ وَذُو الجَنَاحَينِ، وَلو لاَ مَا نَهى اللهُ عَنهُ مِن تزكِيَةِ المرءِ نَفسهُ لَذكرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةً[2] تَعرِفُهَا قُلُوبُ المُؤمنينَ وَلاَ تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ فَدَع عَنكَ مَن مَالتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ[3] فَإنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا[4] وَالنَّاسُ بَعدُ صَنَائِعُ لَنَا. لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمَ عِزِّنَا وَلاعَادِيَ طَولِنَا عَلَى قَومِكَ أَن خَلَطنَاكُمْ بِأَنفسِنَا فَنَكَحنَا وأَنكحنَا فِعلَ الأَكفَاءِ وَلَستُم هُنَاك. وَأَنَّى يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَمِنَّا النَّبِيُّ وَمِنكُمُ المُكَذِّبُ[5]، وَمِنَّا أَسدُ ٱللهِ وَمِنكُم أَسَدُ الأَحلاَفِ، وَمِنَّا سَيِّدُ شَبَابِ أَهلِ الجَنَّةِ وَمِنكُمْ صِبيَةُ النَّارِ، وَمِنَّا خَيرُ نِساء العالَمِينَ وَمِنكُم حَمَّالَةُ الحَطَبِ فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَعلَيكُمْ[6].

فَإسلاَمُنَا قَد سُمِعَ، وَجَاهِلِيَّتُنَا لاَ تُدفَعُ[7]، وَكِتَابُ اللهِ يَجمعُ لَنَا مَا شَذَّ عَنَّا وَهُو قَولُهُ ﴿وَأُولُوا الأَرحَامِ بَعضُهُمْ أَولَى بِبَعضٍ فِي كِتَابِ اللهِ﴾ وَقَولُهُ تَعَالَى ﴿إنَّ أَولَى النَّاسِ بِإبرَاهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَـذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ المُؤمِنِينَ﴾ فَنَحنُ مَرَّةً أَولَى بِالقَرَابَةِ، وَتَارَةً أَولَى بِالطَّاعَةِ. وَلَمَّا ٱحتَجَّ المُهَاجِرُونَ

(١) وأحدنا هو جعفر بن أبي طالب أخو الامام.

(٢) ذاكر هو الامام نفسه.

(٣) مثل يضرب لمن اعوج غرضه فمال عن الاستقامة لطلبه.

(٤) آل النبي اسراء احسان الله عليهم والناس اسراء فضلهم بعد ذلك.

(٥) المكذب أبو جهل. وأسد الله حمزة. واسد الأحلاف أبو سفيان لأنه حزب الأحزاب وحالفهم على قتال النبي في غزوة الخندق. وسيد شباب أهل الجنة: الحسن والحسين بنص قول الرسول(صلّى الله عليه وآله) وصبية النار قيل هم أولاد مروان بن الحكم أخبر النبي عنهم وهم صبيان بأنهم من أهل النار، ومرقوا عن الدين في كبرهم. وخير النساء فاطمة وحمالة الحطب أم جميل بنت حرب عمة معاوية وزوجة أبي لهب.

(٦) أي هذا الفضائل المعدودة لنا وأضدادها المسرودة لكم قليل في كثير مما لنا وعليكم.

(٧) شرفنا في الجاهلية لاينكره احد.

عَلَى الأنصَارِ يَومَ السَّقِيفَةِ بِرَسُولِ الله(صلّى الله عليه وآله) فَلَجُوا عَلَيهِم[١]، فإن يَكُنِ الفَلجُ بِهِ فَالحقُ لَنا دُونَكُم، وَإن يَكُن بِغَيرِهِ فَالانصارُ عَلَى دَعوَاهُم.

وزَعَمتَ أَنِّي لِكُلِّ الخُلَفَاءِ حَسَدتُ وَعَلى كُلِّهِم بَغَيتُ، فَإن يَكُن ذٰلِكَ كذٰلِكَ فَليسَ الجِنَايةُ عَلَيكَ فَيكُونَ العُذرُ إِلَيكَ: وَتِلكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا[٢] وقُلتَ إِنِّي كُنتُ أُقَادُ كَمَا يُقَادُ الجَملُ المخشُوشُ حَتّى أُبَايِع[٣] وَلَعَمرُ اللهِ لَقَد أَرَدتَ أَن تَذُمَّ فَمَدَحتَ، وأن تَفضحَ فَافتَضَحتَ. وَمَا على المُسلِمِ مِن غَضَاضَةٍ فِي أن يكُونَ مَظلُوماً[٤] مَا لَم يَكُنْ شَاكاً فِي دِينِهِ وَلا مُرتَاباً بِيَقِينِهِ. وَهٰذِهِ حُجَّتِي إِلَى غَيرِكَ قَصدُهَا[٥]، وَلٰكِنِّي أَطلقتُ لَكَ مِنهَا بِقَدرِ مَا سَنَحَ مِن ذِكرِهَا.

ثُمَّ ذَكَرتَ مَا كَانَ مِنْ أَمرِي وأَمرِ عُثمَانَ فَلَكَ أَن تُجَابَ عَن هذهِ لِرحمكَ مِنهُ[٦] فَأَيُّنَا كَانَ أَعدَى لهُ[٧] وَأحدى إلى مقَاتِلِهِ. أَمَّن بَذَلَ لَهُ نُصرَتَهُ فَاستَقعَدَهُ

(١) يوم السقيفة عندما اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة بعد موت النبي(صلّى الله عليه وآله) ليختاروا خليفة له وطلب الأنصار أن يكون لهم نصيب في الخلافة، فاحتج المهاجرون عليهم بأنهم شجرة الرسول ففلجوا أي ظفروا بهم، فظفر المهاجرين بهذه الحجة ظفر لأمير المؤمنين على معاوية، لأن الامام من ثمرة شجرة الرسول، فان لم تكن حجة المهاجرين بالنبي صحيحة فالأنصار قائمون على دعواهم من حق الخلافة، فليس لمثل معاوية حق فيها لأنه أجنبي منهم.

(٢) شكاة ـ بالفتح ـ : اي نقيصة وأصلها المرض. وظاهر من ظهر إذا صار ظهراً أي خلفاً أي بعيد. والشطرة لأبي ذؤيب. وأول البيت * وعيَّرها الواشون أني أحبها *.

(٣) الخشاش: مايدخل في عظم أنف البعير من خشب لينقاد. وخششت البعير: جعلت في أنفه الخشاش. طعن معاوية على الامام بأنه كان يجبر على مبايعة السابقين من الخلفاء.

(٤) الغضاضة: النقص.

(٥) يحتج الامام على حقه لغير معاوية لأنه مظنة الاستحقاق.

(٦) لقرابتك منه.

(٧) أعدى: أشد عدواناً. والمقاتل: وجوه القتل.

وَاستكَفَّهُ[١]، أَمَّنِ استَنصَرهُ فَتَرَاخَى عَنهُ وبَثَّ المَنُونَ إِلَيهِ[٢] حتّى أتى قَدرهُ عليهِ. كَلاَّ واللهِ لَقَد عَلِمَ اللهُ المُعَوِّقِينَ مِنكُم[٣] وَالقَائِلِينَ لِإِخوانِهِم هَلُمَّ إِلينَا وَلاَ يأتُونَ البَأسَ إِلاَّ قَلِيلاً.

وَمَا كُنتُ لأَعتذرَ من أَنِّي كُنتُ أنقِمُ عَلَيهِ أحدَاثاً[٤]، فَأن كانَ الذَّنبُ إِلَيهِ إِرشادِي وَهدايَتِي لَهُ فَرُبَّ مَلُومٍ لاَ ذنب لهُ.

وَقَدْ يَستَفِيدُ الظِّنَّةَ المُتَنَصِّحُ[٥] **﴿وَمَا أَرَدتُ إِلاَّ الإِصلاحَ مَا استَطعتُ وَمَا تَوفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيهِ تَوكَّلتُ﴾**.

وَذَكرتَ أَنَّهُ لَيس لِي وَلأَصحَابِي إِلاَّ السَّيفُ. فَلَقَد أَضحكتَ بَعدَ استِعبارٍ[٦]، متَى أَلفَيتَ بَني عبد المطَّلبِ عَن الأعدَاءِ نَاكِلِينَ[٧] وَبالسُّيُوفِ مخوَّفِينَ، لَبِّث قَلِيلاً يَلحَقِ الهيجَا حَمَل[٨]، فَسَيَطلُبُكَ من تَطلُبُ، وَيقرُبُ مِنكَ مَا تَستَبعِدُ. وَأَنَا مُرقِلٌ

(١) من بذل النصرة هو الامام استقعده عثمان أي طلب قعوده ولم يقبل نصره.

(٢) استنصر عثمان بعشيرته من بني أمية كمعاوية فخذلوه بينه وبين الموت.

(٣) المعوقون: المانعون من النصرة.

(٤) عاب عليه.

(٥) الظنة: التهمة. والمتنصح المبالغ في النصح لمن لايقبلها وقد تمثل الإمام (ع) بهذا البيت:

وكم سِقتُ في آثاركم من نصيحةٍ ... وقد يستفيدُ الظِنَّةَ المتنصح

(٦) الاستعبار البكاء فقوله يبكي من جهة أنه اصرار على غير الحق وتفريق في الدين، ويضحك لتهديد من لايهدي.

(٧) الفيت: وجدت. وناكلين: متأخرين.

(٨) لبث: أي مكثه.

لبث قليلا يلحق الهيجا حمل ... لابأس بالموت إذا الموت نزل

فصار مثلا يضرب للتهديد بالحرب.

نحوكَ[١] في جَحفلٍ مِنَ المُهاجِرينَ والأَنصَارِ والتَّابِعينَ لَهُمْ بِإِحسَانٍ شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ[٢]، ساطِع قَتَامُهُمْ، متسربِلِينَ سَرَابِيلَ المَوتِ[٣] أَحبُّ اَلْلِقَاءِ إِلَيهِم لِقَاءُ رَبِّهِمْ، قَد صَحِبَتهُمْ ذُرِّيَّةٌ بَدرِيَّةٌ وسُيُوفٌ هَاشِمِيَّةٌ، قَد عَرفتَ مَواقِعَ نِصَالِها فِي أَخيكَ وَخالِكَ وَجدِّكَ وأهلِكَ[٤] ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾.

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ(عليه السلام) إِلَى مُعَاوِيَةَ جَوَاباً)

أَمَّا بَعدُ فإِنَّا كُنَّا نَحنُ وَأَنتُم عَلَى مَاذكَرتَ مِنَ الأُلفَةِ والجَمَاعَةِ، فَفَرَّقَ بيننَا وَبينَكُم أَمسِ أَنَّا آمنَّا وَكَفرتُمْ، وَاليَومَ أَنَّا اَستَقَمنَا وَفُتِنتُم. وَمَا أَسلَمَ مُسلِمُكُم إِلَّا كُرهاً[٥]، وَبَعْدَ أَن كَانَ أَنفُ الإِسلامِ كُلُّهُ لِرسُولِ الله(صلّى الله عليه وآله) حزباً.

وَذَكرتَ أَنِّي قَتَلتُ طَلحَةَ والزُّبَيرَ، وَشَرَّدتُ بِعَائِشَةَ وَنَزَلتُ بَينَ المِصرَينِ [الكوفة، والبصرة]، وَذلِكَ أَمْرٌ غِبتَ عَنهُ فَلا عَلَيكَ وَلا العُذرُ فِيهِ إِلَيكَ.

وَذَكرتَ أَنكَ زَائِرِي فِي المُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَقَدِ اَنقَطَعتِ الهِجرَةُ يومَ أُسِرَ أَخُوكَ[٦]، فإِنْ كَانَ فِيكَ عَجَلٌ فَاستَرفِه[٧]، فَإِنِّي إِنْ أَزُرْكَ فَذَلِكَ جَدِيرٌ أَن يكُونَ

(١) مرقل: مسرع. والجحفل: الجيش العظيم.

(٢) صفة لجحفل. والساطع: المنتشر. والقتام: الغبار.

(٣) متسربلين: لابسين لباس الموت كأنهم في أكفانهم.

(٤) أخوه حنظلة، وخاله الوليد، وجده عتبة، الذين صرعهم الامام يوم بدر مع المشركين.

(٥) فان أبا سفيان إنما أسلم قبل فتح مكة بليلة خوف القتل وخشية من جيش النبي (صلّى الله عليه وآله) البالغ عشره آلاف ونيفا.

(٦) أخوه عمرو بن أبي سفيان أسر يوم بدر.

(٧) أي استرج ولاتستعجل.

اللهُ إِنَّمَا بَعثنِي لِلنِّقمَةِ مِنكَ، وَإِن تَزُرنِي فَكَمَا قَالَ أَخو بَنِي أَسدٍ:

مُستَقبِلِينَ رِياحَ الصَّيفِ تَضرِبُهُمْ ... بِحَاصِبٍ بَينَ أَغوَارٍ وَجُلمُودِ[١]

وَعِندِي السَّيفُ الَّذِي أَعضضتُهُ بِجَدِّكَ[٢] وَخَالِكَ وَأَخِيكَ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ. وَإِنَّكَ وَاللهِ مَا عَلِمتُ. لأَغلَفُ القَلبِ المُقَارِبُ العَقلِ[٣]، وَالأَولَى أَن يُقَالَ لَكَ إِنَّكَ رَقِيتَ سُلَّماً أَطلَعَكَ مَطلَعَ سُوءٍ عَلَيكَ لاَ لَكَ، لِأَنَّكَ نَشَدتَ غَيرَ ضَالَّتِكَ[٤]، وَرَعِيتَ غيرَ سَائِمَتِكَ، وَطَلَبتَ أَمراً لَستَ مِنْ أَهلِهِ وَلاَ فِي معدِنِهِ، فَمَا أَبعدَ قَولَكَ مِنْ فِعلِكَ. وَقَرِيبٌ مَا أَشبَهتَ[٥] مِنْ أَعمَامٍ وَأَخوَالٍ حَمَلتهُمُ الشَّقَاوَةُ وَتَمَنِّي البَاطِلَ عَلَى الجُحُودِ بِمُحَمَّدٍ(صلّى الله عليه وآله)، فَصُرِعُوا مصارعَهُم حَيث عَلِمتَ، لَم يَدفعُوا عَظِيماً، وَلَمْ يَمنعُوا حَرِيماً بِوَقْعِ سُيُوفٍ مَا خَلاَ مِنهَا الوَغَى[٦] وَلَم تُمَاشِهَا الهُوَينَى.

وَقَد أَكثَرتَ فِي قَتَلَةِ عُثمَانَ فَادخُل فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ[٧] ثُمَّ حَاكِمِ القَومِ إِلَيَّ أَحمِلكَ وَإِيَّاهُم عَلَى كِتَابِ اللهِ تعالَى. وَأَمَّا تِلكَ الَّتِي تُرِيدُ[٨] فإِنَّهَا خُدعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ أَوَّلِ الفِصَالِ وَالسلاَمُ لِأَهلِهِ.

(١) الجلمود: الصخر. والأغوار: جمع غور وهو الغبار والحاصب.

(٢) جده عتبة بن ربيعة، وخاله الوليد بن عتبة، وأخوه حنظلة قتلهم أمير المؤمنين يوم بدر. وأعضضته به: جعلته يعضه. والباء زائدة.

(٣) أي أنت الذي أعرفه. وأغلف القلب: الذي لايدرك كأن قلبه في غلاف لاتنفذ إليه المعالي، ومقارب العقل ناقصه ضعيفه.

(٤) الضالة مافقدته من مال ونحوه.

(٥) من أعمامك وأخوالك. وصرعوا مصارعهم سقطوا قتلى في بدر وحنين وغيرهما من المواطن.

(٦) الوغى: الحرب.

(٧) وهو البيعة.

(٨) من ابقائك والياً في الشام وتسليمك قتلة عثمان.

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ (عليه السلام) إِلَيهِ أيضاً)

أَمَّا بَعدُ فَقد آنَ لَكَ أَن تنتفِعَ بِاللَّمحِ البَاصِرِ مِنْ عِيَانِ الأُمُورِ[١] فقد سَلَكتَ مَدارجَ أَسلاَفِكَ بِادِّعَائِكَ الأَبَاطِيلَ، وَإِقحَامِكَ غُرُورَ المَينِ والأَكَاذِيبِ[٢] وَبانتحَالِكَ مَا قَد عَلاَ عنكَ[٣]، وَابتزَازِكَ لِمَا اختُزِنَ دُونَكَ، فِراراً مِنَ الحَقِّ وَجُحُوداً لِمَا هُو أَلزَمُ لَكَ مِنْ لَحمِكَ وَدَمِكَ[٤]، مِمَّا قَد وَعَاهُ سَمعُكَ، وَمُلِيءَ بِهِ صَدرُكَ، فَمَاذا بَعدَ الحقِّ إِلَّا الضَّلالُ المُبِينُ، وَبَعدُ البَيانِ إِلَّا اللَّبسُ[٥]. فَاحذَرِ الشُّبهَةَ وَاسْتِهَالَهَا عَلَى لُبسَتِهَا، فَإِنَّ الفتنَةَ طَالَمَا أَغدفت جَلاَبِيبَهَا[٦] وَأعشَتِ الأَبصَارَ ظُلمَتُهَا.

وَقَد أَتَانِي كِتَابٌ مِنكَ ذو أَفَانِينَ مِنَ القَولِ[٧] ضعُفَت قوَاهَا عَنِ السَّلمِ وَأَسَاطِيرَ لم يَحِكْهَا مِنكَ عِلمٌ وَلاَ حِلمٌ، أَصبَحتَ مِنهَا كَالخَائِضِ فِي الدَّهَاسِ[٨]

(١) يقال لأرينك لمحاً باصراً أي أمراً واضحاً.

(٢) إقحامك: إدخالك في اذهان العامة غرور المين أي الكذب.

(٣) انتحالك: ادعاؤك لنفسك ماهو أرفع من مقامك وابتزازك أي سلبك أمراً اختزن أى منع دون الوصول إليك وذلك أمر الطلب بدم عثمان والاستبداد بولاية الشام فانهما من حقوق الامام لا من حقوق معاوية.

(٤) الذي هو ألزم له من لحمه ودمه البيعة بالخلافة لأمير المؤمنين.

(٥) اللبس: مصدر، لبس عليه الامر اي اختلف.

(٦) أغدفت المرأة قناعها: أرسلته على وجهها فسترته والجلابيب: جمع جلباب وهو الثوب الأعلى يغطي ماتحته، وأعشت الأبصار: أضعفتها ومنعتها النفوذ إلى المرئيات الحقيقية.

(٧) أفانين القول: ضروبه وطرائقه. والسلم ضد الحرب. والأساطير: جمع أسطورة بمعنى الخرافة لايعرف لها منشأ.

(٨) الدّهاس: أرض رخوه لاهي تراب ولارمل، ولكن يعسر فيها السير.

والخابط في الدّيماس[١] وترقَيتَ إِلىٰ مَرقبةٍ بعيدة المرام[٢] نَازِحَةِ الأَعلامِ، تَقْصُرُ دُونَها الأَنُوقُ، ويُحَاذَىٰ بها العيوق[٣].

وحَاشَ للهِ أن تَلِي للمُسْلِمِينَ بَعدِي صَدَراً أو وِرْداً[٤] أو أُجرِيَ لكَ على أحدٍ منهم عُقداً او عهْداً، فَمِنَ الآنَ فَتدَارَكْ نَفْسَكَ وانظُرْ لها، فَإِنَّكَ إِن فرَّطتَ حتىٰ تنهَدَ اليك عِبَادُ اللهِ[٥] إرتجت عليكَ الأُمُورُ، وَمُنِعْتَ أمراً هو منكَ اليومَ مَقبُولٌ. والسلام[٦].

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ(عليه السلام) إِلَى مُعَاوِيَةَ)

أَمَّا بعدُ فَإِنَّ اللهَ سُبحَانَهُ قَد جَعَلَ الدُّنيَا لِمَا بَعدَهَا، وابتلَى فِيها أَهلَهَا لِيَعلَمَ أَيُّهم أَحسنُ عَمَلاً. وَلسنَا لِلدُّنيَا خُلِقنَا، وَلاَ بالسَّعي فِيهَا أُمِرنَا، وَإِنَّمَا وُضِعنَا فِيهَا لِنُبتَلَى بِهَا، وَقَدِ ابتَلاَنِي اللهُ بِكَ وَابتلاكَ بِي فَجَعَلَ أَحدَنَا حُجَّةً عَلَى الآخرِ، فَعَدوتَ عَلَى طَلَبِ الدُّنيَا بِتَأويلِ القُرآنِ فَطَلَبتَنِي بِمَا لَم تَجنِ يَدِي وَلاَ لِسَانِي، وَعصَبتَهُ أنتَ وَأَهلُ الشَّامِ بِي[٧] وَأَلَّبَ عَالِمُكُم جَاهِلَكُمْ، وَقَائِمُكُمْ قَاعِدَكُم. فَاتَّقِ اللهَ فِي نَفسِكَ.

(١) الديماس: المكان المظلم، والخابط: السائر بدون هدى ـ يقال خبط عشواء.

(٢) اي رفعت نفسك الى منزلة عالية، بعيدة عن مطلبها ـ نازحة بعيدة ـ.

(٣) الانواق: طير عالية اوكارها في القلل الصعبة ، والعيوق : نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الايمن يتلو الثريا لا يتقدمها .

(٤) الورد: الأشراف على الماء، والصدر: الرجوع بعد الشرب.

(٥) ينهد: ينهض عباد الله لحربك، وارتجت: اغلقت، يقال ارتج الباب.

(٦) ذلك الأمر هو حقن دمه باظهار الطاعة.

(٧) أي أنك وأهل الشام عصبتم أي ربطتم دم عثمان بي وألزمتموني ثأره. وألب: أي حرّض. قالوا يريد بالعالم أبا هريرة، وبالقائم عمرو بن العاص.

وَنَازِعِ الشَّيطَانَ قِيَادَكَ. وَٱصرِف إلى الآخِرَةِ وَجهَكَ فَـهِيَ طَـرِيقُنَا وَطَـرِيقُكَ. وَٱحذَرْ أنْ يُصِيبَكَ اللهُ مِنهُ بِعَاجِلِ قَارِعَةٍ تَمَسُّ الأصلَ وتَقطَعُ الدَّابِرَ، فَإنِّي أُولِي لَكَ بِاللهِ أليَّةً غَيرَ فَاجِرةٍ لَئن جَمَعَتْني وَإيَّاك جَوَامِعُ الأقدَارِ لَا أزَالُ بِسَاحَتِكَ ﴿حَتّى يحكُمَ اللهُ بَينَنَا وَهُوَ خَيرُ الحَاكِمينَ﴾.

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ(عليه السلام))

أما بعد فقد أتتني موعضتك مُوصِّلةً[1] ورسـالة مُحَـبِّرةً، نمَّـقتها بِـضلالِكَ، وامضيتها بسوء رأيك، وكتاب امرئٍ ليس له بَصرٌ يَهدِيهِ وَ لاَ قَائدٌ يُرشِدُهُ، قَـد دَعَاهُ الهَوَى فَأجَابَهُ، وَقادَهُ الضَّلَالُ فَاتَّبَعَهُ فهَجرَ لَاغِطاً وضَلَّ خَابِطاً.

(مِنْهُ) لِأنَّهَا بَيعَةٌ وَاحِدَةٌ لاَ يُثَنَّى فِيهَا النَّظَرُ وَلاَ يُستَأنَفُ فِيهَا الخِيَارُ. الخَارِجُ مِنهَا طَاعِنٌ، وَالمُرَوِّي فِيهَا مُدَاهِنٌ.

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ(عليه السلام) إِلَى مُعَاوِيَةَ)

فَسُبحَانَ اللهِ مَا أشدَّ لُزُومَكَ لِلأهواءِ المُبتَدَعَةِ والحَيرةِ المُتَعِبَةِ، مَعَ تَـضييعِ الحَقَائقِ وَٱطِّرَاحِ الوَثَائقِ الَّتي هي للهِ طِلْبَةٌ، وَعلَى عِبَادِهِ حُـجَّةٌ. فَأمَّـا إكـثارُك الحِجَاجَ فِي عُثمَانَ وَقَتَلَتِهِ[2] فإنَّكَ إنَّمَا نَصَرتَ عُثمَانَ حيثُ كَانَ النَّصرُ لَكَ، وَخَذَلْتَهُ حيثُ كان النَّصرُ لهُ. والسَّلامُ.

(١) موصلة: ملفقة، من كلام مختلف وصل بعضه ببعض على التباين.

(٢) الحجاج: الجدال.

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ(عليه السلام) إِلَى مُعَاوِيَةَ)

فَاتَّقِ اللهَ فِيمَا لَدَيكَ، وَٱنظُر فِي حَقِّهِ عَليكَ، وَارجِع إلَى مَعرِفَةِ مَـالاَ تُـعذَرُ بِجَهالَتِهِ، فَإنَّ لِلطَّاعَةِ أعلاماً وَاضِحَةً، وَسُبُلاً نَيِّرَةً، وَمَحَجَّةً نَهجَةً[1] وَغايَةً مَطلُوبَةً يَرِدُهَا الأكيَاسُ[2] وَيُخَالِفُهَا الأنكَاسُ. مَنْ نَكَّبَ عَنهَا جَارَ عَنِ الحَقِّ وَخبطَ فِي التِّيه[3]، وَغيَّرَ اللهُ نِعْمَتَهُ، وَأحَلَّ بِهِ نِقمَتَهُ. فَنَفسَكَ نَفسَكَ فَقد بَينَ اللهُ لَك سَبيلَكَ. وَحيثُ تَنَاهَتْ بكَ أُمُورُكَ فَقَد أجرَيتَ إلَى غَايةِ خُسرٍ وَمَحَلَّةِ كُفرٍ، وَإنَّ نَفسكَ قَد أولجَتكَ شَرّاً، وَأقحمتكَ غَيّاً، وَأورَدتكَ المَهَالِكَ، وَأوعرتْ عَليكَ المَسالِكَ.

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ(عليه السلام) إِلَى مُعَاوِيَةَ)

وَأردَيتَ جيلاً[4] منَ النَّاسِ كَثيراً خَدَعتَهُمْ بِغَيِّكَ[5]، وَألقَـيتَهُم فِي مَـوْجِ بَحرِكَ، تَغشاهُمُ الظُّلُمَاتُ وَتَتلاطَمُ بِهِمُ الشُّبُهَاتُ، فَجَازُوا عَن وَجهَتِهِم[6] وَنَكَصُوا عَلَى أعقَابِهِمْ، وَتَولَّوا عَلى أدبَارِهِمْ، وَعوَّلُوا عَلى أحسَابِهِمْ[7] إلاّ مَن فَاءَ مِنْ أهل

(١) المحجة: الطريق.

(٢) الاكياس العقلاء. النكس الخسيس.

(٣) التيه: الضلال.

(٤) أرديت: أهلكت جيلا أي قبيلا.

(٥) الغي: الضلال ضد الرشاد.

(٦) تعدوا عن وجهتهم بكسر الواو أي جهة قصدهم، كانوا يقصدون حقا فـالوا إلى بـاطل. ونكصوا: رجعوا.

(٧) عولوا أي اعتمدوا على شرف قائلهم فتعصبوا تعصب الجاهلية ونبذوا نصرة الحق إلا من فاء أي رجع إلى الحق.

البَصائرِ فَإنَّهُمْ فَارَقُوكَ بَعدَ مَعرِفتكَ، وهربوا الى الله منْ موازَرَتكَ، إذ حَمَلتَهُم على الصعب، وعَدَلتَ بهمْ عنْ القصد، فاتَّقِ اللهَ يـا مُـعاويةُ في نـفسِكَ وجَـاذبِ الشَّيطانَقيادَك، فانَّ الدُنيا مُنقطعةٌ عنكَ، والآخرةُ قريبةٌ منكَ، والسلام.

(كتابه(عليه السلام) إلىٰ اكابر اصحابه)

(خطبة المخزون)

اقتبس بعضه من كتاب معادن الحكمة ـ للعلامة علم الهدى الكاشاني اليك ملخصه ـ .

هذه الخطبة التي «تسمى المخزون».

ذكرها صاحب كتاب منتخب البصائر قال: وقفت على كتاب خطب الإمام علي(عليه السلام) وعليه خط السيد رضى الدين علي بن طاووس، وقد روى عن روح فرج ابن قروه، عن مسعدة بن صَدقة، عن الامام جعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام)، قوله وهو:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الأحد المحمود، الّذي توحّد بملكه وعلا بقدرته. أحمده على ماعرَّف من سبيله، وألهم من طاعته، وعلّم من مكنون حكمته، فإنّه محمود بكلِّ ما يولي، مشكور بكلِّ ما يُبلي[1]. وأشهد انَّ قوله عدل، وحكمه فصل، ولم ينطق فيه ناطق بكان إلاّكان قبل كان، وأشهد أنَّ محمّداً عبد الله وسيّد عباده، خير من أَهَلَّ

(١) البلاء: الاختبار.

أوّلاً[1]، وخير من أهلَّ آخراً، فكلّما نسج الله الخلق فريقين جعله في خير الفريقين، لم يسهم فيه عائر ولانكاح جاهلية.

ثمَّ إنَّ الله قد بعث إليكم رسولاً من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم، حريصٌ عليكم، بالمؤمنين رؤوف رحيم[2]. فاتّبعوا ما أُنزل إليكم من ربّكم ولاتتّبعوا من دونه أولياء، قليلاً ما تذكّرون. فإنَّ الله جعل للخير أهلاً، وللحق دعائم وللطاعة عِصَماً يعصم بهم، ويقيم من حقّه فيهم على ارتضاء من ذلك، وجعل لها رُعـاةً وحَفَظةً يحفظونها بقوّة، ويعينون عليها أولياء ذلك، بما ولّوا من حقِّ الله فيها.

الى ان قال:

أما بعد: فبايديكم سبب وصل إليكم منه إيثار واختيار نعمة الله لاتبلغون شكرها، خصّصكم بها، واختصّكم لها، وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلاّ العالمون. فأبشروا بنصر من الله عاجل، وفتح يسير، يقرّ الله بـه أعـينكم، ويذهب بحزنكم. كفّوا ما تناهى النّاس عنكم[3]، فإنَّ ذلك لايخفى عليكم، إنَّ لكم عند كلِّ طاعة عوناً من الله، يقوى على الألسن، ويثبت على الأفئدة، وذلك عون الله لأوليائه، يظهر في خفيّ نعمه لطيفاً.

وقد أثمرتْ لأهل التقوى أغصان لشجرة الحياة، وإنَّ فرقاناً من الله بـين أوليائه وأعدائه، فيه شفاء للصدور، وظهور للنور، يعزّ الله به أهل طاعته، ويذلُّ به أهل معصيته، فليعدَّ امرءٌ بذلك عدَّته، ولاعدَّة له إلاّ بسبب بصيرة وصدق نيّة، وتسليم سلامة، أهل الخفّة في الطاعة ثقل الميزان، والميزان بالحكمة، والحكمة ضياء

(١) أهلَّ: أي التهليل.

(٢) اقتباس من الاية (١٢٨) من سورة بالتوبة، ومن الاية (٣) من سورة الاعراف.

(٣) أى ما كفوا عنكم.

للبصر، والشكُّ والمعصية في النار، وليس لنا ولا منّا ولا إلينا. قلوب المؤمنين مطويّة على الايمان، إذا أراد الله إظهار ما فيها فتحها بالوحي، وزرع فيها الحكمة وإنَّ لكلِّ شيءٍ إناً[1] يبلغه، لايعجّل الله بشيءٍ حتّى يبلغ إناه ومنتهاه، فاستبشروا ببشرى ما بشّرتم، واعترفوا بقربان ما قرب لكم، وتنجّزوا ما وعدكم.

إنَّ منّا دعوة خالصة، يُظهر الله بها حجّته البالغة، ويتمّ بها نعمته السابغة ويعطي بها الكرامة الفاضلة، من استمسك بها أخذ بحكمة منها، آتاكم الله برحمته ومن رحمته نوَّر القلوب، ووضع عنكم أوزار الذُّنوب، وعجَّل شفاء صدوركم وصلاح أُموركم، وسلامٌ منّا دائماً عليكم، تسلمون به في دول الأيّام وقرار الأرحام.

فإنَّ الله اختار لدينه أقواماً، انتجبهم للقيام عليه، والنصرة له، بهم ظهرت كلمة الإسلام، وأوحى مفترض القرآن، والعمل بالطاعة في مشارق الأرض ومغاربها. ثمَّ إنَّ الله خصّكم بالإسلام واستخلصكم له.

الى ان قال:

إنَّ رعاة الدِّين فرّقوا بين الشكِّ واليقين، وجاؤوا بالحقِّ المبين، قد بيّنوا الإسلام تبياناً، وأسّسوا له أساساً وأركاناً، وجاؤوا على ذلك شهوداً وبرهاناً. من علامات وأمارات فيها كفاءً لمكتف، وشفاءً لمستشف، يحمون حماه، ويرعون مرعاه.

الى ان قال:

فطوبى لذي قلب سليم، أطاع من يهديه، وتجنّب ما يرديه، فيدخل مدخل الكرامة، وأصاب سبيل السلامة، يبصر ببصره، وأطاع هادي أمره، دلَّ أفضل

(١) انا الشيء: وقته، قال تعالى: ﴿غير ناظرين اناه﴾ أي غير منتظرين لوقته.

الدَّلالة، وكشف غطاء الجهالة المظلمة الملهية، فمن أراد تفكّراً أو تذكّراً فليذكر ربه، وليبرز بالهدى ما لم تغلق أبوابه، وتفتح أسبابه، وقبل نصيحة من نصح بخضوع، وحسن خشوع، بسلامة الإسلام، ودعاء التمام، وسلام بسلام تحيّة دائمة لخاضع متواضع، يتنافس بالإيمان، ويتعارف عدل الميزان، فليقبل أمره وإكرامه بقبول، وليحذر قارعة قبل حلولها، إنَّ أمرنا صعبٌ مستصعبٌ، لا يحتمله إلاّ ملك مقرَّب، أو نبيٌّ مرسلٌ، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، لايعي حديثنا إلاّ حصون حصينة، أو صدور أمينة، أو أحلام رزينة[1].

(كتابه(عليه السلام) الى حذيفة بن اليمان)
حين ولاه المدائن

ومن ذلك ما في كتاب «إرشاد القلوب» للحسن بن محمّد الديلميّ: إنَّ عثمان بن عفّان لمّا وجّه عمّاله في الأمصار كان في مَنْ وجّه الحارث بن الحكم إلى المدائن[2] فأقام فيها مدَّة يتعسّف أهلها ويسيئ معاملتهم، فوفد منهم وفدٌ إلى عثمان، وقد شكوا إليه وأعلموه بسوء ما يعاملهم به، وأغلظوا عليه في القول. فولّى حذيفة بن اليمان عليهم ـ وذلك في آخر أيّامه ـ فلم ينصرف حذيفة بن اليمان عن المدائن إلى أن قُتل عثمان، واستُخلف عليٌّ بن أبي طالب(عليه السلام)، فأقام حذيفة عليها وكتب إليه:

(١) الخطبة بكاملها نجدها في مختصر البصائر ص: ١٩٥ ـ ١٩٨.

(٢) في ارشاد القلوب: خبر حذيفة بن اليمان بحذف الاسناد، قال: «لما استخلف عثمان بن عفان آوى اليه عمه الحكم بن العاص وولده مروان والحارث بن الحكم، ووجه عماله في الامصار، منهم الحارث بن الحكم الى المدائن».

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

من عبد الله عليّ امير المؤمنين إلى حذيفة بن اليمان. سلام عليك، فإنّي قد ولّيتك ما كنت تليه لمن كان قبل، من جرف المدائن، وقد جعلتُ إليك أعمال الخراج والرّستاق، وجباية أهل الذِّمّة، فاجمع إليك ثقاتك ومن أحببت ممّن ترضى دينه وأمانته، واستعنْ بهم على أعمالك فإنَّ ذلك أعزٌّ لك ولوليّك، وأكبتُ لعدوِّك. وإنّي آمرك بتقوى الله وطاعته في السرِّ والعلانية، فاحذر عقابه في المغيب والمشهد. وأتقدَّم إليك بالإحسان إلى المحسن، والشدَّةَ عَلَى المُعاند، وآمرك بالرفق في أُمورِكَ واللِّين، والعدل في رعيّتك فإنّك مسؤول عن ذلك، وإنصافِ المظلوم، والعفو عن الناس، وحسن السيرة ما استطعت، فالله يجزي المحسنين.

وآمرك أن تجبي خراج الأرضين على الحقِّ والنَصِفَة، ولاتتجاوز ما قدَّمت به إليك، ولا تدع منه شيئاً، ولاتبتدع فيه أمراً، ثمَّ اقسمه بين أهله بالسويّة والعدل، واخفض لرعيّتك جناحك، وَوَاسِ بينهم في مجلسك، وليكن القريب والبعيد عندك في الحقِّ سَواءً، واحكم بين الناس بالحقِّ، وأقم بينهم بالقسط، ولا تتّبع الهوى، ولا تخف في الله لومة لائم، فإنَّ الله مع الّذين اتّقوا والّذين هم محسنون. وقد وجّهت إليك كتاباً لتقرأه على أهل مملكتك، ليعلموا رأينا فيهم وفي جميع المسلمين، فأحضرهم واقرأه عليهم وخذ البيعة لنا على الصغير والكبير منهم إن شاء الله تعالى.

قال: ولمّا وصل عهد أمير المؤمنين(عليه السلام) إلى حذيفة جمع الناس فصلّى بهم ثمَّ أمر بالكتاب فقرئ عليهم، وهو:

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ـ من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابي هذا من المسلمين. سلام عليكم، فإنّي أحمد إليكم الله الّذي لا إله إلاّ هو، وأسأله أن يصلّي على محمّد وآله. فأمّا بعد ـ فإنَّ الله تعالى اختار الإسلام ديناً

لنفسه وملائكته ورسله، وإحكاماً لصنعه وحسن تدبيره، ونظراً منه لعباده، وخصَّ به من أحبَّ من خلقه، فبعث إليهم محمّداً(صلّى الله عليه وآله) فعلّمهم الكتاب والحكمة، إكراماً وتفضّلاً [وتفضيلاً] لهذه الأُمّة، وأدَّبهم لكي يهتدوا، وجمعهم لئلاّ يتفرَّقوا ووفّقهم لئلاّ يجوروا، فلمّا قضى ما كان عليه من ذلك مضى إلى رحمة ربّه حميداً محموداً.

ثمَّ إنَّ بعض المسلمين اقاموا بعده رجلين رضوا بهديهما وسيرتهما، قاما ما شاء الله، ثمَّ توفّاهما الله عزَّ وجلَّ، ثمَّ ولّوا بعدهما الثالث، فأحدث أحداثاً ووجدت[1] الأُمّة عليه فعالاً، فاتّفقوا عليه ثمَّ نقموا منه فغيّروا، ثمّ جاؤوني كتتابع الخيل، فبايعوني. فإنّي أستهدي الله بهداه، وأستعينه على التقوى. ألا وإنَّ لكم علينا العمل بكتاب الله وسنّة نبيّه(صلّى الله عليه وآله) والقيام عليكم [بحقّه] وإحياء سنّته، والنصح لكم بالمغيب والمشهد، وبالله نستعين على ذلك، وهو حسبنا ونعم الوكيل. وقد ولّيت أُموركم حذيفة بن اليمان، وهو ممّن أرتضي بهديه، وأرجو صلاحه، وقد أمرته بالإحسان إلى محسنكم، والشدَّة على مريبكم، والرِّفق بجميعكم. أسأل الله لنا ولكم حسن الخيرة والإحسان ورحمته الواسعة في الدُّنيا والاخرة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قال: ثمَّ إنَّ حذيفة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبيِّ وآله، ثمَّ قال:

الحمد لله الّذي أحيىٰ الحقَّ، وأمات الباطل، وجاء بالعدل، وأدحض الجور، وكبت الظالمين. أيّها الناس إنّما وليّكم الله ورسوله وأمير المؤمنين حقّاً حقّاً، وخير من نعلمه بعدنبيّنا محمّد رسول الله، وأولى الناس بالناس، وأحقُّهم بالأمر، وأقربهم إلى الصدق، وأرشدهم إلى العدل، وأهداهم سبيلاً، وأدناهم إلى الله

(١) وجد عليه: غضب.

وسيلة [و] أمسَّهُم برسول الله رحماً. أنيبوا إلى طاعة أوّل الناس سلماً وأكثرهم علماً، وأقصدهم طريقاً، وأسبقهم إيماناً، وأحسنهم يقيناً، وأكثرهم معروفاً، وأقدمهم جهاداً، وأعزّهم مقاماً، أخي رسول الله(صلّى الله عليه وآله)، وابن عمّه، وأبي الحسن والحسين، وزوج الزّهراء البتول سيّدة نساء العالمين، فقوموا أيّها الناس فبايعوا على كتاب الله وسنّة نبيّه، فإنّ لله في ذلك رضى، ولكم مقنع وصلاح، والسلام.

فقام الناس فبايعوا أمير المؤمنين(عليه السلام) أحسن بيعة وأجمعها، فلمّا استتمّت البيعة قام إليه فتىً من أبناء العجم وولاة الأنصار لمحمّد بن عمارة بن التيّهان أخي أبي الهيثم بن التيّهان، يقال له: «مسلم» متقلّداً سيفاً، فناداه من أقصى الناس أيّها الأمير! إنّا سمعناك تقول: إنّما وليّكم الله ورسوله وأمير المؤمنين حقّاً حقّاً، تعريضاً بمن كان قبله من الخلفاء أنّهم لم يكونوا أمراء المؤمنين حقّاً فعرّفنا ذلك أيّها الأمير ـ رحمك الله ـ ولاتكتمنا، فإنّك ممّن شهد وعاين ونحن مقلّدون ذلك [في] أعناقكم، والله شاهد عليكم في ما تأتون من النصيحة لامتكم، وصِدق الخبر عن نبيكم(صلّى الله عليه وآله).

فقام حذيفة وقال: أيّها الرّجل؟ أما اذا سألت وفصحت فاسمع وافهم ما أُخبِرَك به.

اما من تقدم من الخلفاء قبل أمير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام)، ممن تسمى بأمير المؤمنين فإنهم تسموا بذلك، وسماهم الناس به، وأما علي بن ابي طالب(عليه السلام)، فان جبرئيل(عليه السلام) سماه بهذا الإسم عن الله سبحانه وتعالى. وشهد له رسول الله(صلّى الله عليه وآله)، عن سلام جبرئيل له بإمرة المؤمنين، وكان اصحاب رسول الله(صلّى الله عليه وآله) يدعونه في حياة رسول الله(صلّى الله عليه وآله) بإمرة المؤمنين.

ثم قال الفتى: خبرنا كيف كان ذلك يرحمك الله.

قال حذيفة: فشرح ذلك مفصلاً في حديث طويل نعرض عنه روماً للاختصار[1].

فقال الفتى: سمّ لي القوم الاخرين الذين حضروا الصحيفة وشهدوا فيها، فقال حذيفة: هم ابو سفيان، وعكرمة بن ابي جهل، وصفوان بن أُميّة بن خلف، وسعيد بن العاص، وخالد بن الوليد، وعياش بن ابي ربيعة، وبشر بن سعد، وسهيل بن عمرو، وحكيم بن حزام، وصهيب بن سنان، وأبو الأعور الأسلميّ، ومطيع بن الاسود، وجماعة من هؤلاء ممن سقط عني احصاء عددهم.

قال الفتى: يا أبا عبد الله، ما هؤلاء في أصحاب رسول الله(صلّى الله عليه وآله) حتى انقلب الناس اجمعون بسببهم؟! فقال حذيفة، ان هؤلاء رؤوس القبائل واشرافها، وما من رجل من هؤلاء إلاّ ومعه [من الناس] خلق عظيم يسمعون له ويطيعونه، واشربوا في قلوبهم كما أُشرب قلوب بني اسرائيل من حب العجل والسامريّ حتى تركوا هارون واستضعفوه.

قال الفتى: فإني أُقسِمُ بالله حقاً حقاً إني لا ازال لهم مبغضاً، والى الله منهم ومن افعالهم متبرئاً، ولا زلت لأميرالمؤمنين علياً موالياً ولأعدائهم معادياً ولألحقن به، وإني أُؤمّل ان ارزق الشهادة معه وشيكاً ان شاء الله تعالى، ثم ودع حذيفة.

وقال: هذا وجهي الى أمير المؤمنين(عليه السلام) وخرج الى المدينة، واستقبله الإمام وقد شخص من المدينة يريد العراق، فسار معه الى البصرة، فلما التقى الإمام(عليه السلام) باصحاب الجمل كان ذلك الفتى أول من قتل من

---

(١) فمن اراد التفصيل فليراجع البحار والارشاد وكذلك كتاب معادن الحكمة للعلامة علم الهدى الكاشاني الجزء الاول ط ايران ص ٦٤ فما بعد وغيرها.

اصحاب امير المؤمنين(عليه السلام) حينما تقدم الى اصحاب الجمل رافعاً القرآن الكريم لتحكيم به بأمر من امير المؤمنين(عليه السلام)[١]

(وَمِنْ كِتَابٍ لَه (عليه السلام) إِلَى عَبدِ اللهِ بنِ العبَّاسِ) بَعدَ مَقتَلِ مُحَمَّدِ بنِ أَبي بَكرٍ

أَمَّا بَعدُ فإنَّ مِصْرَ قَدِ ٱفتُتِحت وَمحمَّدُ بنُ أَبي بَكرٍ رحمه الله قَدِ ٱستُشهِدَ. فَعِندَ اللهِ نَحتَسِبُهُ وَلداً نَاصِحاً[٢] وَعَامِلاً كَادِحاً وَسيفاً قَاطِعاً وَرُكناً دَافِعاً. وَقَد كُنتُ حَثَثتُ النَّاسَ علَى لَحاقِهِ وَأَمرتُهم بِغياثِهِ قَبلَ الوَقعَةِ، وَدعَوتُهُمْ سِرّاً وَجهراً وعَوداً وبَدءاً، فَمِنهُمُ الآتي كَارهاً، وَمنهُمُ المُعتَلُّ كَاذِباً، وَمِنهُمُ القَاعِدُ خَاذِلاً، أَسأَلُ اللهَ أَن يجعلَ لِي مِنهم فرَجاً عَاجِلاً، فوَ اللهِ لَولاَ طَمَعي عِندَ لِقَائي عَدُوِّي في الشَّهادةِ وتَوطِيني نَفسي عَلى ٱلمَنِيَّةِ لأَحببتُ أَن لا أَبقى مَعَ هـٰؤُلاءِ يوماً وَاحِداً وَلا ألتَقِي بِهم أَبداً.

(١) اللّهم اجمعنا وإيّاهم على الهدى، وزهدنا وإياهم الدنيا، واجعل الآخرة خيراً لنا من الاولى..

راجع ارشاد القلوب ج ٢ ص ١٤٩، والمجلد التاسع من بحار الأنوار.

(٢) احتسبه عند الله: سأل الأجر على الرزية فيه. وسماه ولداً لأنه كان ربيبا له، وأمه أسماء بنت عميس كانت مع جعفر بن أبي طالب وولدت له محمدا وعونا وعبد الله بالحبشة أيام هجرتها معه إليها. وبعد قتله تزوجها أبو بكر فولدت له محمداً هذا. وبعد وفاته تزوجها علي فولدت له يحيى. والكادح : المبالغ في سعيه.

(وَمِنْ كِتَابٍ لَه(عليه السلام) إِلَى عَقيلِ بنِ أَبي طالِبٍ فِي ذِكرِ جَيشٍ أَنفَذَهُ إِلى بَعضِ الأَعداءِ، وَهُوَ جوَابُ كِتَابٍ كتبه إِليهِ عَقيلٌ)

فَسَرَّحتُ إِليهِ جَيشاً كَثيفاً مِنَ المُسلِمِينَ، فَلمَّا بَلغَهُ ذٰلِكَ شَمَّرَ هَارباً وَنكَص نَادِماً، فَلحِقُوهُ بِبَعضِ الطَّرِيقِ وَقدْ طَفَّلَتِ الشَّمسُ لِلإِيَابِ[١] فَاقتَتَلُوا شَيئاً كَلاَ وَلاَ[٢]، فَمَا كَانَ إِلاَّ كَموقفِ سَاعَةٍ حَتّى نَجَا جَرِيضاً[٣] بعدَ مَا أُخِذَ مِنهُ بِالمُخَنَّقِ وَلَمْ يَبقَ مِنهُ غَيرُ الرَّمَقِ[٤]. فَلأْياً بِلأْيٍ مَا نَجَا[٥]. فَدعْ عَنكَ قُرَيشاً وَتَركَاضَهُمْ فِي الضَّلاَلِ، وَتَجوَالَهُمْ فِي الشِّقَاقِ[٦]، وَجِمَاحَهُمْ فِي التِّيهِ. فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجمَعُوا عَلَى حَربِي كإِجمَاعِهِمْ عَلى حَربِ رَسُولِ اللهِ(صلّى الله عليه وآله) قَبلِي، فَجَزَتْ قُرَيشاً عَنِّي الجَوَازِي[٧]، فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَسلَبونِي سُلطَانَ ٱبنِ أُمِّي[٨]. وَأَمَّا مَا سَأَلتَ عَنهُ مِنْ رَأيِي فِي القِتَالِ فَإِنَّ رَأيِي فِي قِتَالِ المُحِلِّينَ حَتّى ألقى اللهَ[٩] لاَ يَزِيدُنِي كَثرَةُ النَّاسِ

(١) طفلت تطفيلا أي دنت للغروب.

(٢) كناية عن السرعة التامة، قال أبو برهان المغربي:

وأسرع في العين من لحظة وأقصر في السمع من لا ولا

(٣) الجريض: الساقط لايستطيع النهوض.

(٤) المخنق: ما يوضع الخناق. والرمق ـ بالتحريك ـ : بغية النفس.

(٥) لأيا: ومعناه الشدة والعسر.

(٦) التركاض: مبالغة في الركض، والتيه: الضلال والغواية.

(٧) المكافأة، دعاءه عليهم بالجزاء على أعمالهم.

(٨) يريد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فإن فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين ربت رسول الله في حجرها فقال النبي في شأنها: فاطمة أمي بعد امي.

(٩) المحلون: الذين يحللون قتالي ويجوزونه.

حَولي عِزَّةً، وَلاَ تَفَرَّقُهُمْ عَنِّي وَحشَةً. وَلاَتَحسَبَنَّ ٱبنَ أَبيكَ ـ وَلَو أَسلَمَهُ النَّاسُ ـ مُتضرِّعاً مُتَخَشِّعاً، وَلاَ مُقِراً للضَّيمِ وَاهِناً، وَلاَ سَلِسَ الزِّمَامِ لِلقَائِدِ، وَلا وَطِيءَ الظَّهرِ لِلرَّاكِبِ المُتَقَعِّدِ، وَلكِنَّهُ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي سُلَيمٍ:

فَإِنْ تَسأَلِينِي كَيفَ أَنتَ فَإِنَّنِي ... صَبُورٌ عَلَى رَيبِ الزَّمانِ صَلِيبُ[1]

يَعِزُّ عَلَيَّ أَن تُرَى بِي كَآبَةٌ ... فَيَشمَتَ عَادٍ أَو يُسَاءَ حَبِيبُ

(وَمِن عَهدِهِ(عليه السلام) إِلَى مُحَمَّدِ بن أَبِي بَكرٍ حِينَ قَلَّدَهُ مِصرَ)

فَاخفِض لَهُم جَنَاحَكَ، وَأَلِنْ لَهُم جَانِبَكَ، وَٱبسُط لَهُم وَجهَكَ، وَآسِ بَينَهُم فِي ٱللَّحظَةِ وَالنَّظرَةِ حَتّى لايَطمعَ العُظَمَاءُ فِي حَيفِكَ لَهُم وَلا يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدلِكَ بِهِم، فَإِنَّ ٱللهَ تَعالَى يُسَائِلُكُمْ مَعشَرَ عِبادِهِ عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَعمَالِكُمْ وَالكَبِيرَةِ، وَالظَّاهِرَةِ وَالمَستُورَةِ، فَإِنْ يُعَذِّبْ فَأَنتُمْ أَظْلَمُ، وَإِنْ يَعفُ فَهُوَ أَكرَمُ.

وَٱعلَمُوا عِبادَ اللهِ أَنَّ المُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنيا وَآجِلِ الآخِرَةِ، فَشَارَكُوا أَهلَ الدُّنيَا فِي دُنيَاهُمْ، وَلَمْ يُشَارِكْهُم أَهلُ الدُّنيَا فِي آخِرَتِهِم. سَكَنُوا الدُّنيَا بِأَفضَلِ مَا سُكِنت، وَأَكَلُوهَا بِأَفضَلِ مَا أُكِلَتْ، فَحَظُوا مِنَ الدُّنيَا بِمَا حَظِي بِهِ المُترَفُونَ[2]، وَأَخذُوا مِنهَا مَا أَخذَهُ الجَبَابِرَةُ المُتَكَبِّرُونَ. ثُمَّ ٱنقَلَبُوا عَنهَا بِالزَّادِ المبلِّغِ وَالمَتجَرِ الرَّابِحِ. أَصَابُوا لَذَّةَ زُهدِ الدُّنيَا فِي دُنيَاهُمْ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُم جِيرانُ اللهِ غَداً فِي آخِرَتِهِم.

(١) شديد.

(٢) المنعمون:فان المتقي يؤدي حق الله وحقوق العباد ويتلذذ بما آتاه الله من النعمة. فيعيش سعيداً مترفاً.

لاتُرَدُّ لَهُم دَعوةٌ، وَلاَ يَنقُصُ لَهُمْ نَصيبٌ مِنْ لَذَّةٍ. فَاحذَرُوا عِبادَ اللهِ المَوتَ وَقُربَهُ، وَأَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ، فَإِنَّهُ يَأتِي بِأَمرٍ عَظِيمٍ وَخطبٍ جَلِيلٍ، بِخَيرٍ لايَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبداً، أَو شَرٍ لاَيَكُونُ مَعَهُ خَيرٌ أَبداً. فَمَنْ أَقرَبُ إِلَى الجَنَّةِ مِنْ عَامِلِهَا؟ وَمَن أَقرَبُ إِلَى النَّارِ مِنْ عَامِلِهَا؟. وَأَنتُمْ طُرَدَاءُ الموتِ إِنْ أَقَمتُم لَهُ أَخَذَكُمْ، وَإِن فَرَرتُم مِنهُ أدرَكَكُم. وَهُوَ أَلزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ. المَوتُ مَعقُودٌ بِنَوَاصِيكُم[1] وَالدُّنيَا تُطوى مِن خَلفِكُمْ. فَاحذَرُوا نَاراً قَعرُهَا بَعِيدٌ، وَحرُّهَا شدِيدٌ، وَعذَابُها جَدِيدٌ. دَارٌ لَيس فِيهَا رَحمَةٌ، وَلا تُسمَعُ فِيهَا دَعوةٌ، وَلاَ تُفَرَّجُ فِيهَا كُربَةٌ. وَإِنْ ٱستَطَعتُمْ أَن يشتَدَّ خَوفُكُمْ مِنَ اللهِ وَأَنْ يَحسُنَ ظَنُّكُمْ بِهِ فَاجمَعُوا بَينَهُمَا، فَإِنَّ العَبدَ إِنَّمَا يَكُونُ حُسنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ عَلَى قَدرِ خوفِهِ مِنْ رَبِّهِ[2]، وَإِنَّ أَحسنَ النَّاسِ ظَنّاً بِاللهِ أَشَدُّهُمْ خَوفاً لِلهِ.

وَٱعْلَمْ يَامُحَمَّدُ بن أَبِي بَكرٍ أَنِّي قَد وَلَّيتُكَ أَعظَمَ أَجنَادِي فِي نَفسِي أَهلَ مِصرَ، فَأَنتَ محقُوقٌ أن تُخالِفَ عَلَى نَفسِكَ[3]، وَأَنْ تُنَافِحَ عَنْ دِينِكَ وَلو لَمْ يَكُن لَكَ إِلَّاسَاعَةٌ مِنَ الدَّهرِ، وَلاَ تُسخِطَ ٱللهَ بِرِضَىٰأحدٍ مِنْ خَلقِهِ فَإِنَّ فِي اللهِ خَلَفاً مِنْ غَيرِهِ وَلَيسَ مِنَ اللهِ خَلَفٌ فِي غَيرِهِ.

صَلِّ الصَّلاةَ لِوقتِهَا المُوَقَّتِ لَهَا، وَلا تُعَجِّلْ وَقتَهَا لِفَرَاغٍ، وَلا تُؤَخِّرهَا عَنْ وَقتِهَا لاِشتِغَالٍ. وَٱعلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيءٍ مِنْ عَمَلِكَ لِصلاتِكَ.

(ومِنهُ) فَإِنَّهُ لاَ سَوَاءٌ إِمَامُ الهُدَى وإِمَامُ الرَّدَى، وَوَلِيُّ النَّبِيِّ وَعَدُوُّ النَّبِي. وَلَقَدْ قَالَ لِي رسول اللهِ(صلّى الله عليه وآله): إِنِّي لاَ أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤمِناً وَلاَ مُشرِكاً.

(١) النواصي ـ جمع ناصية ـ : مقدم شعر الرأس.

(٢) فان من خاف ربه عمل لطاعته وانتهى عن معصيته فرجا ثوابه بخلاف من لم يخفه.

(٣) أي مطالب بحق بمخالفتك شهوة نفسك. والمنافحة: المدافعة.

أمّا المُؤمِنُ فَيمنعهُ اللهِ بِإيمَانِهِ، وَأَمّا المُشرِكُ فَيَقمَعُهُ اللهُ بِشركِهِ، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيكُمْ كُلَّ مُنَافِقِ[1] الجَنَانِ عَالِمِ اللِّسَانِ، يَقُولُ ما تَعرِفُونَ وَيفعَلُ مَا تُنْكِرُونَ.

(وَمنْ كِتَابٍ لَه(عليه السلام) إِلَى طَلحَةَ وَالزُّبَيرِ)[2]

أَمَّا بَعدُ فَقد عَلِمتُمَا ـ وَإن كَتَمتُمَا ـ أَنِّي لم أُرِدِ النَّاسَ حَتّى أَرادُوني، وَلم أُبايِعهُمْ حَتّىٰ بَايَعُوني، وَإِنَّكُمَا مِمَّنْ أَرادَني وَبَايَعَنِي، وَإِنَّ العَامَّةَ لَمْ تُبَايِعني لِسُلطانٍ غَالِبٍ وَلا لِعَرَضٍ حَاضِرٍ[3]، فَإن كُنتُمَا بَايَعتُمَانِي طَائِعَينَ فَارجِعَا وَتُوبَا إِلى اللهِ من قَريبٍ، وَإن كُنتُمَا بَايَعتُمَانِي كَارِهَينِ فَقد جَعَلتُمَا لِي عَلَيكُمَا السَّبِيلَ[4] بِإظهَارِكُمَا الطَّاعَةَ وَإِسرارِكُمَا المَعصِيَةَ، وَلَعَمري مَا كُنتُمَا بِأَحَقِّ المُهَاجِرينَ بالتَّقيَّةِ والكِتمَانِ. وَإِنَّ دَفعَكُمَا هذا الأَمرَ مِنْ قَبلِ أَنْ تَدخُلاَ فِيهِ[5] كَانَ أَوسعَ عَلَيكُمَا مِنْ خُرُوجِكُمَا مِنهُ بعدَ إِقرارِكُمَا بِهِ.

وَقد زَعمتُمَا أَنِّي قَتلتُ عُثمَانَ، فَبيني وَبينكُمَا من تخلَّف عَنِّي وَعنكُمَا مِنْ أَهل

(١) منافق الجنان: من أسر النفاق في قلبه. وعالم اللسان: من يعرف أحكام الشريعة ويسهل عليه بيانها فيقول حقاً يعرفه المؤمنون ويفعل منكراً.

(٢) ذكره أبو جعفر الإسكافي في كتاب المقدمات في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام.

(٣) العرض: هو المتاع، أي ولا لطمع في مال حاضر.

(٤) السبيل: الحجة.

(٥) الأمر هو خلافته.

(وَمنْ وَصيَّة لَه(عليه السلام) وَصَّى بِهَا شُرَيحَ بنَ هَانِيءٍ لَمَّا جَعَلَهُ عَلَى مُقَدِّمَته إِلَى الشَّامِ)

اَتَّقِ اللهَ فِي كُلِّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ، وَخَفْ عَلَى نَفسِكَ الدُّنيَا الغرورَ وَلاَ تأمَنهَا عَلَى حَالٍ. وَاعلمْ أَنَّكَ إِن لم تَرْدَعْ نَفسكَ عَنْ كَثيرٍ مِمَّا تُحِبُّ مَخَافَةَ مَكرُوهِهِ سَمَت بكَ الأَهوَاءُ إِلىَ كَثيرٍ مِنَ الضَّرَرِ[1]، فَكُنْ لِنَفسكَ مَانِعاً رَادِعاً وَلِنزوَتِكَ عِندَ الحَفِيظَةِ وَاقِعاً قَامِعاً[2].

وَمنْ كَلامٍ لَه (عليه السلام) لما أَنْفَذَ عَبدَاللهِ بنْ العَباس إِلى الزبير يَومَ الجَملِ لِيَسْتَفِيئَهُ إِلىٰ طَاعَتِهِ)

لَا تَلقَيَنَّ طَلْحةَ، فإنَكَ إِنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَورِ عَاقِصاً قَرْنَهُ، يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَيَقُولُ: هُوَ الذَّلُولُ.

وَلَكِنْ ٱلْقَ الزُّبَيرَ، فَإِنَّهُ أَلْيَنُ عَرِيكَةً، فَقُلْ لَهُ: يقُولُ لَكَ ٱبْنُ خَالِكَ: عَرَفْتَنِي بالحِجَازِ وَأَنْكَرْتَنِي بِالْعِراقِ، فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا؟

(١) سمت أي ارتفعت والأهواء: جمع هوى وهو الميل مع الشهوة.

(٢) النزوة: أي وثب. والحفيظة: الغضب.

(وَمنْ كِتَابٍ لَه(عليه السلام)كَتبهُ لِشُريحِ بنِ الحَارثِ قَاضيهِ)

رُوى أَن شُريحَ بن الحَارثِ قَاضي أَمير المُؤمنينَ(عليه السلام) أشترَى عَلى عَهدِه دَاراً بِثَمَانين دِيناراً فَبلَغهُ ذلِكَ فاستدعَاهُ وَقالَ لَهُ.

بَلغَني أَنَّكَ ابتعتَ داراً بِثَمَانينَ دِيناراً وَكتبتَ كِتَاباً وأشهدتَ فِيهِ شُهُوداً، فَقالَ شُريحٌ: قَد كَانَ ذلِكَ يَا أَميرَ المُؤمنينَ. قَالَ فَنَظَر إِليهِ نَظرَ مُغضبٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَا شُرَيحُ أَما إِنَّهُ سَيأتيكَ منْ لاَ يَنظُرُ فِي كِتَابكَ، وَلاَ يَسألُكَ عَن بيِّنتِكَ حَتّى يُخرِجكَ مِنهَا شَاخِصاً[1]، وَيُسلِمَكَ إِلَى قَبرِكَ خَالِصاً. فَانظُرْ يَاشُريحُ لاَتَكونُ ابتَعتَ هٰذِهِ الدَّار مِن غَيرِ مَالِكَ، أَو نَقدتَ الثَّمنَ مِنْ غَيرِ حَلالكَ فَإِذاً أَنتَ قَد خَسِرتَ دَارَ الدُّنيَا وَدارَ الآخرَةِ. أَمَا إِنَّكَ لَو أَتيتَني عِندَ شِرائكَ مَا اشتَريتَ لَكتَبتُ لَكَ كِتاباً عَلَى هٰذه النُّسخَةِ فَلم تَرغب في شِراءِ هٰذهِ الدَّارِ بِدِرهَمٍ فَمَا فَوقُ. والنُّسخَةُ: «هٰذا ما اشتَرَى عَبدٌ ذَلِيلٌ مِنْ عبدٍ قد أُزعِج لِلرَّحيلِ، اشتَرَى مِنهُ دَاراً مِنْ دارِ الغُرورِ مِنْ جَانِب الفَانِينَ، وَخطَّةِ الهَالِكينَ، وَيجمَعُ هٰذهِ الدَّارَ حُدُودٌ أَربَعَةٌ: الحدُّ الأَوَّلُ يَنتهي إِلَى دَوَاعي الآفاتِ، وَالحدُّ الثَّاني ينتهي إلى دواعِي المُصيبَاتِ، وَالحدُّ الثَّالِثُ يَنتَهي إِلَى الهَوى المُردِي، وَالحدُّ الرَّابِعُ يَنتهِي إِلى الشَّيطَانِ المُغوِي، وَفِيهِ يُشرَعُ بَابُ هٰذهِ الدَّارِ. أَشتَرَى هٰذا المُغترُّ بِالأَمَلِ مِنْ هٰذا المُزعِجِ بِالأَجَلِ هٰذهِ الدَّارَ بِالخُرُوجِ مِنْ عِزِّ القَنَاعَةِ وَالدُّخُولِ فِي ذُلِّ الطَّلَبِ وَالضَّراعَةِ[2]، فَمَا أَدركَ هٰذا المُشتَرِي فِيمَا اشتَرَى مِنْ دَركٍ فَعلَى مُبلِلِ أَجسَامِ المُلُوكِ، وَسالِبِ نُفوسِ

(١) ذاهباً: مبعداً.

(٢) الضراعة: الذلة. والدرك: التبعة.

الجَبابِرة، وَمزيلِ مُلْك القَراعِنَةِ، مِثلِ كِسرى وَقيصَرَ، وَتُبَّعٍ وَحِميرَ، وَمن جمَعَ المَالَ عَلى المَالِ فَأَكثَرَ، وَبنَى وَشيَّدَ وَزَخرفَ، وَنَجَّدَ وَادَّخَرَ، وَاعتَقَد ونَظَرَ بِزَعمِهِ لِلولَدِ إِشخَاصُهُمْ جَمِيعاً إِلى مَوقِفِ العَرضِ وَالحِسَابِ، وَموضِعِ الثَّوَابِ وَالعِقَابِ. إِذَا وَقَع الأَمرُ بفصلِ القَضاءِ «وَخَسِرَ هُنَالكَ المُبطِلونَ» شَهِدَ عَلَى ذٰلِكَ العَقلُ إِذا خَرجَ مِنْ أَسرِ الهَوى وَسَلِمَ مِنْ عَلائِقِ الدُّنيَا».

(وَمنْ كِتَابٍ لَه(عليه السلام) إِلَى أَهلِ البَصرَةِ)

وَقد كَان مِنَ انتِشارِ حَبلِكُمْ وَشِقَاقِكُم مَالم تَغبوا عَنهُ فَعفوت عَن جُرمِكُمْ، وَرَفعت السَّيفَ عن مُدبِركُمْ، وَقَبلتُ مِنْ مُقبِلكُم. فَإِن خَطت بِكُم الأُمورُ المُرديةُ وَسَفهُ الآراءِ الجائرَةِ إِلَى مُنابَذتي وَخِلافِي فَهَا أَنَاذَا قَد قَرَّبتُ جِيادِي وَرَحلتُ رِكَابِي، وَلَئن أَلجَأتُموني إِلى المَسيرِ إِليكُمْ لأُوقِعنَّ بِكُمْ وَقعةً لا يَكونُ يَومُ الجَملِ إِليهَا إِلَّا كَلعقَةِ لاَعِقٍ، مَعَ أَنِّي عَارفٌ لِذي الطَّاعَةِ مِنكُمْ فَضلهُ وَلِذي النَّصيحَةِ حَقَّهُ، غَيرَ مُتجَاوزٍ مُتَّهماً إِلى بَرِيءٍ، وَلا ناكِثاً إِلى وَفِيٍّ.

(وَمنْ كِتَابٍ لَه(عليه السلام) إِلَى أَبي مُوسى الأَشعَرِيِّ)

(وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى الكُوفَةِ، وَقد بلغَهُ عَنهُ تَثبيطهُ النَّاسَ عَنِ الخُرُوجِ إِليهِ[1] لَما نَدَبهُمْ لِحَربِ أَصحَابِ الجَمَلِ)

مِن عبدِ اللهِ أَميرِ المُؤمنينَ إِلَى عبدِ اللهِ بنِ قَيسٍ.

(١) التثبيط: الترغيب في القعود والتخلف.

أَمَّا بَعدُ فَقد بَلغني عنكَ قَولٌ هُو لَكَ وعَليكَ، فَإِذَا قَدِمَ رَسولِي عليكَ فَارفع ذَيلكَ[1]، وَاشدُد مِئزَركَ، وَاخرُجْ مِنْ حُجَرِكَ، وَانْدُبْ مَنْ مَعكَ، فَإِن حَقَقْتَ فَانفُذ، وَإِن تَفَشَّلتَ فابعُد. وَايمُ اللهِ لَتُؤتَينَ حَيثُ أَنتَ، وَلاتُترَكُ حَتّى يُخلطَ زُبدُكَ بِخَاثِرِكَ، وَذَائِبُكَ بِجَامِدِكَ، وَحتّى تُعجلَ عَن قِعْدَتِكَ، وَتحذَرَ مِنْ أَمَامِكَ كَحَذَرِكَ مِنْ خَلفِكَ. وَمَاهِي بِالهُوَينىٰ التي ترجُو، وَلٰكِنَّهَا الدَّاهِيَةُ الكُبرَى، يُركَبُ جَمَلُهَا وَيُذَلُّ صَعبُهَا، وَيَسهُلُ جَبَلُهَا. فَاعقِل عَقلَكَ، وَامْلِكْ أمرَكَ وَخُذ نَصيبَكَ وَحظَّكَ، فَإِن كَرِهتَ فتنحَّ إِلى غيرِ رَحبٍ، وَلافِي نَجَاةٍ، فبِالحَرِيِّ لَتُكْفَيَنَّ وَأَنت نَائِمٌ حَتّى لا يُقَالَ أين فُلانٌ. واللهِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مَعَ مُحِقٍّ وَمَا نُبَالِي مَا صَنَعَ المُلحِدونَ. والسلامُ.

(وَمِنْ كِتَابٍ لَه(عليه السلام) إِلَى أُمراء البِلادِ فِي مَعنَى الصَّلاةِ)

أَمَّا بعدُ فَصلُّوا بِالنَّاسِ الظُّهرَ حَتّى تَفيءَ الشَّمسُ مِنْ مَربِضِ العنزِ وصَلُّوا بِهِمُ العَصرَ والشمسُ بيضاءُ حَيَّةٌ فِي عِضْوٍ مِن النَّهَارِ حِينَ يُسارُ فِيهَا فَرسَخانِ. وَصلُّوا بِهِمُ المَغرِبَ حِينَ يُفطِرُ الصَّائِمُ وَيدفَعُ الحَاجُّ وَصلُّوا بِهِمُ العِشَاءَ حِينَ يَتَوارى الشَّفقُ إِلىَ ثُلُث اللَّيلِ. وَصلُّوا بِهِمُ الغَدَاةَ والرَّجلُ يعرفُ وَجهَ صَاحِبِهِ. وَصلُّوا بِهِمْ صَلاةَ اضعَفِهِمْ وَلا تَكُونُوا فَتَّانِينَ.

* * *

(وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَه(عليه السلام) لِمعَقِلِ بنِ قَيسٍ الرِّيَاحِيّ حِينَ أَنفذَهُ إِلى الشَّامِ فِي ثَلاثَةِ آلافٍ مُقَدِّمَةً لَهُ)

اتَّقِ اللهَ الَّذِي لابُدَّ لَكَ مِنْ لِقَائِهِ وَلا مُنتَهَى لَكَ دُونَهُ. وَلا تُقَاتِلَنَّ إِلاَّ مَنْ قَاتَلَكَ. وسِرِ البَرْدَيْنِ[1]. وَغَوِّر بِالنَّاسِ. وَرفِّهْ بِالسَّيرِ. وَلاتَسِرْ أَوَّلَ اللَّيلِ[2] فَإِنَّ اللهَ جَعَلَهُ سَكناً وَقدَّرَهُ مُقاماً لاظَعناً. فأرِح فِيهِ بَدَنَكَ وَروِّح ظهرَكَ. فَإِذَا وَقفتَ حينَ ينبطِحُ السَّحرُ أو حينَ ينفجِر الفَجرُ فَسِر عَلَى بَركَةِ اللهِ. فَإِذَا لقيت العَدُوَّ فَقِفْ مِن أَصحابِك وَسطاً، وَلاتَدنُ مِنَ القومِ دُنوَّ مَن يُرِيدُ أَن يُنشب الحربَ، وَلاتَبَاعَد عَنهمُ تَباعُدْ مَن يَهابُ البأس حَتّى يأتيكَ أَمري، وَلايحمِلَنَّكُم شَنَآنُهم[3] عَلى قِتَالِهِمْ قَبلَ دُعَائهمْ والإعذارِ إِليهِم.

(وَمِنْ كِتَابٍ لَه(عليه السلام) إِلَى أُمراء مِن أُمراء جيشِهِ)

وَقد أَمَّرتُ عَليكُمَا وَعلى مَن فِي حَيِّزِكُمَا[4] مَالِكَ بنَ الحارِثِ الأَشترَ فاسمَعَا لَهُ وَأَطيعَا، وَاجعَلاهُ دِرعاً وَمِجَنّاً[5]، فَإِنَّهُ مِمَّن لايُخافُ وَهنُهُ وَلاَ سَقطتُهُ وَلابُطؤُهُ عَمَّا الإِسراعُ إِليهِ أَحزمُ، وَلاَ إِسراعُهُ إِلى مَا البُطءُ عنهُ أَمثلُ.

---

(١) الغداة والعشي.

(٢) وغوّر: أي أنزل بهم في الغائرة وهي القائلة. ونصف النهار أي وقت شدة الحر. ورفه: أي هون ولاتتعب نفسك ولا دابتك. والظعن: السفر.

(٣) الشنآن: البغضاء.

(٤) الحيز ما يتحيز فيه الجسم أي يتمكن.

(٥) الدرع ما يلبس من مصنوع الحديد للوقاية من الضرب والطعن. والمجن الترس أي اجعلاه حامياً لكما. والوهن: الضعف. والسقطة: الغلطة .

(وَمنْ وَصيَّةٍ لَه(عليه السلام) لِعسكرِهِ قَبل لِقاءِ العَدُوِّ بِصفِّينَ)

لاَتُقَاتِلُوهُمْ حَتّى يبدَأُوكُمْ فَإِنَّكُم بِحمدِ اللهِ عَلَى حُجَّةٍ، وَتركُكُمْ إِيَّاهم حَتَّى يبدأوكُمْ حُجَّة أخرى لكُم عَليهِمْ. فَإِذَا كانتِ الهَزِيمةُ بِإِذنِ اللهِ فَلا تَقتُلوا مُدبِراً، وَلاَ تُصيبُوا مُعوراً[1]، وَلا تُجهِزُوا عَلى جَرِيح. وَلا تَهيجُوا النِّسَاءَ بَأذى وإِن شَتمنَ أَعراضكم وسبَبنَ أُمراءكم، فَإِنَّهنَّ ضعيفات القُوىَ والانفُسِ وَالعُقُولِ. إِن كُنَّا لَنُؤمرُ بِالكفِّ عَنهُنَّ وإِنَّهنَّ لَمُشرِكَاتٌ[2]. وإِن كان الرَّجُلُ لَيتناوَلُ المَرأةَ في الجَاهِليَّةِ بالفِهرِ أو الهِرَاوَةِ[3] فَيعيَّرُ بِهَا وَعقِبَهُ مِنْ بعدِهِ.

(وَكَانَ(عليه السلام) يَقولُ إِذا لَقِيَ العَدُوَّ مُحارِباً)

اَللّهُمَّ إِلَيكَ أَفضتِ القُلُوبُ[4]. وَمُدَّتِ الأعنَاقُ. وَشخَصتِ الأبصارُ، وَنُقِلتِ الاقدامُ، وأُنضيتِ الأَبدانُ. اَللّهم قَد صَرَّحَ مَكتُومُ الشَّنَآنِ[5]. وَجَاشتْ مَراجِلُ الأضغانِ. اَللّهُمَّ إِنَّا نَشكُو إِليكَ غَيبَةَ نَبيِّنَا. وَكثرَةَ عَدُوِّنَا، وتَشتُّتَ أَهوائِنَا.

(١) المعور: الذي أمكن من نفسه وعجز عن حمايتها. وأجهز على الجريح: تمم أسباب موته.

(٢) هذا حكم الشريعة الاسلامية لامايتوهمه جاهلوها من اباحتها التعرض لأعراض الأعداء نعوذ بالله.

(٣) الفهر بالكسر الحجر على مقدار ما يدق به الحمور أو يملأ الكف. والهراوة: العصا أو شبه الدبوس.

(٤) أفضت: انتهت ووصلت. وأنضيت: أبليت بالهزال والضعف في طاعتك.

(٥) صرح القوم بما كانوا يكتمون من الغضاء. وجاشت: غلت. والمراجل: القدور. والأضغان: جمع ضغن، هو الحقد.

﴿رَبَّنَا اَفتح بينَنَا وبين قَومِنَا بِالحقِّ وَأنت خَيرُ الفَاتحِينَ﴾.

(وَمنْ كِتَابٍ لَه(عليه السلام) إِلَى بَعضِ عُمَّالِه)

أَمَا بعدُ فإِنَّكَ مِمَّن أَستَظهِرُ بِهِ على إِقامةِ الدِّينِ واقمع به نخوة الأثيم، وَأسُدُّ بِهِ لَهَاةَ الثَّغرِ المَخُوفِ. فَاستَعِن بِاللهِ عَلَى مَا أَهَمَّكَ، وَاَخلِطِ الشِّدةَ بِضِغثٍ مِنَ اللِّينِ. وَارفُق مَا كَانَ الرِّفقُ أرفقَ. وَاَعتَزِم بِالشِّدَّةِ حينَ لاَ يُغني عنكَ إِلاَّ الشِّدَّةُ. واخفِض لِلرَّعيَّةِ جَنَاحكَ، وَألِن لَهُمْ جَانِبَكَ. وَآسِ بَينَهُم فِي اَللحظَةِ وَالنَّظرةِ، والإِشارَةِ والتَّحِيَّةِ، حَتّى لاَيطمَعَ العُظَمَاءُ فِي حَيفِكَ، وَلا ييأس الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدلِكَ. والسَّلاَمُ.

(وَمنْ وَصيةٍ لَه(عليه السلام) وَصَّى بِهَا جيشاً بَعثهُ إِلَى العَدُوِّ)

فَإِذا نَزلتُم بِعدُوٍ أو نزَلَ بِكُم فَليكُنْ مُعسكَرُكُمْ فِي قُبَيلِ الأَشرافِ[1] أو سِفاحِ الجِبالِ، أَو أَثنَاءِ الأَنهارِ كَيمَا يَكُونَ لَكُم رِدءاً وَدُونَكُم مَرداً. وَلتَكُن مُقَاتلتُكم مِن وجهٍ وَاحدٍ أو اثنينِ. وَاجعلُوا لَكُم رُقبَاءَ فِي صَياصي الجِبَالِ[2] وَمَناكِبِ الهِضابِ لِئَلا يَأتيكُمُ العدُوُّ مِن مكَانِ مَخافةٍ أو أَمنٍ. وَاعلمُوا أَنَّ مُقدِّمةَ القَومِ عُيُونُهم، وعُيونُ المقَدِّمةِ طَلائِعُهم. وإِيَّاكُمْ والتَّفرُّقَ، فإِذا نَزلتُمْ فَانزلوا جميعاً، وإِذا ارتحلتُم فَارتَحِلُوا جَميعاً، وَإِذا غَشيكُمُ اللَّيلُ فَاجعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً[3]، وَلا تَذُوقُوا النَّومَ إِلاَّ غِراراً أو مضمضةً.

(١) قدام الجبال. وسفاح الجبال أسافلها. والأثناء: منعطفات الأنهار.

(٢) أعالي.

(٣) ككفة ميزان.

(وَمنْ وَصيَّةٍ لَه(عليه السلام) لِعسكرِهِ قَبل لِقاءِ العَدُوِّ بِصفِّينَ)

لاتُقَاتِلُوهُمْ حَتّى يبدَأُوكُمْ فَإِنَّكُم بِحمدِ اللهِ عَلَى حُجَّةٍ، وَتركُكُمْ إيَّاهم حَتَّى يبدأوكُمْ حُجَّة أخرى لكُم عَليهِمْ. فَإِذَا كانتِ الهَزِيمةُ بِإِذنِ اللهِ فَلا تَقتُلوا مُدبِراً، وَلاَ تُصيبُوا مُعوِراً[1]، وَلا تُجهِزُوا عَلى جَرِيح. وَلا تَهيجُوا النِّسَاءَ بَأذى وإن شَتمنَ أعراضكم وسبَبْنَ أُمراءكم، فَإِنَّهنَّ ضعيفات القُوىَ والانفُسِ وَالعُقُولِ. إن كُنَّا لنُؤمرُ بِالكفِّ عَنهُنَّ وإنَّهنَّ لَمُشرِكَاتٌ[2]. وإن كان الرَّجُلُ لَيتناوَلُ المَرأةَ في الجَاهِليَّةِ بالفِهرِ أو الهِرَاوَةِ[3] فَيعيَّرُ بِهَا وَعقِبُهَ مِنْ بعدِهِ.

(وَكَانَ(عليه السلام) يَقولُ إذا لَقِيَ العَدُوَّ مُحارِباً)

اَللّهُمَّ إلَيكَ أَفضتِ القُلُوبُ[4]. وَمُدَّتِ الأعنَاقُ. وَشخَصتِ الأبصارُ، وَنُقِلتِ الاقدامُ، وأُنضيتِ الأَبدانُ. اَللّهم قَد صَرَّحَ مَكتُومُ الشَّنَآنِ[5]. وَجَاشتْ مَراجِلُ الأضغانِ. اَللّهُمَّ إنَّا نَشكُو إليكَ غَيبَةَ نَبيِّنَا. وَكثرَةَ عَدُوِّنَا، وتَشتُّتَ أَهوائِنَا.

(١) المعور: الذي أمكن من نفسه وعجز عن حمايتها. وأجهز على الجريح: تمم أسباب موته.

(٢) هذا حكم الشريعة الاسلامية لامايتوهمه جاهلوها من اباحتها التعرض لأعراض الأعداء نعوذ بالله.

(٣) الفهر بالكسر الحجر على مقدار ما يدق به الحمور أو يملأ الكف. والهراوة: العصا أو شبه الدبوس.

(٤) أفضت: انتهت ووصلت. وأنضيت: أبليت بالهزال والضعف في طاعتك.

(٥) صرح القوم بما كانوا يكتمون من الغضاء. وجاشت: غلت. والمراجل: القدور. والأضغان: جمع ضغن، هو الحقد.

﴿رَبَّنَا اَفتح بيننَا وبين قَومِنَا بِالحقِّ وَأنت خَيرُ الفَاتحينَ﴾.

(وَمنْ كِتَابٍ لَه(عليه السلام) إلَى بَعضِ عُمَّالِه)

أمَا بعدُ فإنَّكَ مِمَّن أَستَظهِرُ بِهِ على إقامةِ الدِّينِ واقع به نخوة الأثيم، وَأسُدُّ بِهِ لَهَاةَ الثَّغرِ المَخُوفِ. فَاستَعِن بِاللهِ عَلَى مَا أَهَمَّكَ، وَاخلِطِ الشِّدةَ بِضِغثٍ مِنَ اللِّينِ. وَارفُق مَا كَانَ الرِّفقُ أرفقَ. وَاعتَزِم بِالشِّدَّةِ حينَ لاَ يُغني عنكَ إلاَّ الشِّدَّةُ. واخفِض لِلرَّعيَّةِ جَنَاحكَ، وَألِن لَهُمْ جَانِبَكَ. وَآسِ بَينَهُم فِي اَللّحظَةِ وَالنَّظرةِ، والإشارَةِ والتَّحيَّةِ، حَتّى لاَيطمَعَ العُظَمَاءُ فِي حَيفِكَ، وَلا ييأس الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدلِكَ. والسَّلاَمُ.

(وَمنْ وَصيةٍ لَه(عليه السلام) وَصَّى بِهَا جيشاً بَعثهُ إلَى العَدُوِّ)

فَإذا نَزلتُم بِعدُوٍ أو نزَلَ بِكُم فَليكُنْ مُعسكَرُكُمْ فِي قُبَيلِ الأَشرافِ[1] أو سِفاحِ الجِبالِ، أَو أَثنَاءِ الأَنهارِ كَيمَا يَكُونَ لَكُم رِدءاً وَدُونَكُم مَرَدّاً. وَلتَكُن مُقَاتلتُكم مِن وجهٍ وَاحدٍ أو اثنينِ. وَاجعلُوا لَكُم رُقبَاءَ فِي صَياصي الجِبَالِ[2] وَمَناكِبِ الهِضابِ لِئَلا يَأتيكُمُ العدُوُّ مِن مكَانٍ مَخافةٍ أو أَمنٍ. وَاعلمُوا أَنَّ مُقدِّمةَ القَومِ عُيُونُهمْ، وعُيونُ المقَدِّمةِ طَلاَئِعُهمْ. وإيَّاكُمْ والتَّفرُّقَ، فإذا نَزلتُمْ فَانزلوا جميعاً، وإذا ارتحلتُم فَارتَحِلُوا جَميعاً، وَإذا غَشيكُمُ اللَّيلُ فَاجعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً[3]، وَلا تَذُوقُوا النَّومَ إلاَّ غِراراً أو مضمضةً.

(١) قدام الجبال. وسفاح الجبال أسافلها. والأثناء: منعطفات الأنهار.

(٢) أعالي.

(٣) ككفة ميزان.

(وَمنْ كِتَابٍ لَه(عليه السلام) إِلَى بَعضِ عُمَّالِهِ وَقد بعَثهُ عَلى الصَّدقةِ)

آمرُه بِتقوى اللهِ فِي سَرائر أَمرِهِ وَخفِيَّاتِ عَمَلِهِ، حيثُ لاَشهيدَ غَيرُه وَلاوَكيلَ دُونَهُ. وآمُرُهُ أَن لايَعملَ بِشيءٍ من طاعةِ اللهِ فِيما ظهرَ فَيُخَالفَ إِلى غَيرِهِ فِيما أَسرَّ، وَمن لم يختلِف سِرُّهُ وَعلانِيتهُ وَفِعلُهُ وَمقَالتُهُ فَقَد أَدَّى الأَمانةَ وَأَخلصَ العِبادةَ.

وآمُرُهُ ان لايجبهُم[1] ولَا يَعْظَهُمْ[2]، وَلا يرغبَ عَنهُم تفضُّلاً بِالإِمارةِ عليهم، فإِنَّهمُ الإِخوانُ فِي الدِّينِ والأَعوانُ علىَ آستِخراجِ الحُقوق.

وإِن لَكَ فِي هٰذهِ الصَّدقَةِ نَصيباً مَفروضاً وَحقّاً مَعلُوماً، وَشُرَكَاءَ أَهل مَسكَنَةٍ وَضعَفَاءَ ذَوِي فَاقَةٍ، وَإِنَّا مُوفُّوكَ حقَّكَ فَوفِّهِم حُقُوقَهُمْ، وَإِلَّا تَفعَل فإِنَّكَ مِنْ أَكثَرِ النَّاسِ خُصُوماً يومَ القِيامةِ، وَبُؤساً لِمن خَصْمُهُ عِندَ اللهِ الفُقَراءُ والمَساكينُ[3] والسَّائلونَ والمدفُوعُونَ والغَارِمُ وَآبنُ السَّبيلِ. وَمَنِ آستهَانَ بالأَمانةِ ورَتعَ فِي الخيَانَةِ وَلَم يُنزِّهْ نَفسهُ وَدِينَهُ عَنهَا فَقد أَحلَّ بِنَفسهِ فِي الدُّنيَا الخِزيَ وَهُو فِي الآخِرَةِ أَذَلُّ وَأَخزى. وَإِنَّ أَعظمَ الخيَانَةِ خِيانَةَ الأُمَّةِ، وَأَفظعَ الغِشِّ غِشُّ الأَئمة. والسَّلاَمُ.

* * *

(١) نهى عن المهاشنة والتقريع. ولا يرغب عنهم: لا يتجافى.

(٢) يعظهُم: يرميهم بالعضيهة وهي الكذب والبهتان.

(٣) من كان خصمه الفقراء فلا بد أن ييأس لأنهم لا يعفون.

(وَمنْ وَصيَّةٍ لَه(عليه السلام))

(بِمَا يُعمَلُ فِي أَموَالِهِ كَتَبهَا بَعدَ مُنصَرفِهِ مِنْ صِفِّينَ)

هٰذا مَا أَمرَ بِهِ عَبدُ ٱللهِ عَليُّ بنُ أَبي طَالبٍ فِي مَالِهِ آبتِغَاءَ وَجهِ الله لِيُولِجَهُ بِهِ الجَنَّةَ[1] ويعطيهُ بِه الأَمنَةَ.

(مِنهَا) وَإِنَّهُ يَقومُ بِذٰلِكَ الحَسنُ بنُ عَليٍّ يَأكُل مِنهُ بِالمَعرُوفِ وَيُنفِقُ فِي المَعرُوفِ، فإِن حَدَثَ بِحَسَنٍ حَدَثٌ[2] وَحُسينٌ حَيٌّ قامَ بِالأَمرِ بَعدهُ وَأَصدَرَهُ مَصْدَرَهُ.

وإِنَّ لِابنَيْ فَاطمَةَ من صدَقَةِ عَليٍّ مِثلَ الَّذي لبني عليٍّ، وَإِنِّي إِنَّمَا جَعَلتُ القِيَامَ بِذٰلِكَ إِلى آبنَيْ فَاطِمةَ ابتغاءَ وجهِ اللهِ وَقُربَةً إِلى رَسُولِ اللهِ، وَتكريماً لِحُرمتِهِ وَتشريفاً لِوصلتِهِ.

وَيشتَرِطُ[3] عَلىَ الَّذي يَجعلُهُ إِليهِ أَنْ يترُكَ المَالَ عَلى أُصُولِهِ، وَيُنفِقَ مِنْ ثَمرِهِ حَيثُ أُمِرَ بِهِ وَهُديَ لَهُ، وَأَنْ لاَيَبيعَ مِنْ أَولاَدِ نَخلِ هٰذهِ القُرى وَدِيَّةً[4] حتّى تُشكِلَ أَرضُهَا غِرَاساً.

ومن كَان مِن إِمائي ٱللاَّتي أَطُوفُ عَليهِنَّ لَهَا وَلدٌ أَو هِي حَامِلٌ فَتُمسِكُ عَلَى

(١) يولجه: يدخله.

(٢) الحادث: أي الموت وأصدره: أجراه كما كان يجري على يد الحسن عليه السلام.

(٣) من يتولى المال بعد علي أو الحسن بوصيته. وترك المال على أصوله أن لا يباع. منه شيء ولا يقطع منه غرس.

(٤) الودية: أي صغار النخل وهو الفسيل.

وَلدِهَا وهِيَ من حظِّهِ، فَإِن مَاتَ وَلَدُهَا وهِيَ حَيَّةٌ فَهي عَتِيقةٌ قَد أُفرِجَ عَنهَا الرِّقُّ وحَرَّرَهَا العِتقُ.

(قَولهُ(عليه السلام) في هـٰذه الوصيَّةِ: أَن لاَيَبيعَ مِن نَخلِهَا وَدِيَّةً. الوَديَّةُ الفَسيلَةُ وَجمعُهَا وَدِيٌ. قولهُ(عليه السلام) حَتَّى تُشكِلَ أَرضُهَا غِراساً هُوَ مِن أَفصحِ الكلامِ. وَالمُرادُ بِهِ الأَرضَ يَكثُرُ فِيهَا غِراسُ النَّخلِ حَتَّى يَراهَا النَّاظِرُ عَلَى غيرِ تِلكَ الصِّفَةِ الَّتي عَرَفهَا بِهَا فيُشكِلَ عَليهِ أَمرُهَا وَيحسبُهَا غَيرهَا).

(وَمِنْ وصِيَّةٍ لهُ(عليه السلام) كَانَ يَكتُبُها لِمَنْ يستَعمِلهُ عَلَى الصَّدقَاتِ)

وَإِنَّمَا ذَكرنَا هُنَا جُملاً لِيُعلَمَ بِهَا أَنَّهُ كَانَ يُقِيمُ عِبَادَ
الحَقِّ وَيشرعُ أَمثلَةَ العدلِ فِي صغِيرَ الأُمُورِ وَكَبيرهَا وَدقيقهَا وجَليلهَا

أَنطلق عَلى تَقوَى اللهِ وَحدَهُ لاشَريكَ لَهُ. وَلا تُروِّعنَّ مُسلِماً[1] وَلاَ تَجتَازنَّ عَليهِ كَارِهاً، وَلا تأخُذنَّ مِنهُ أكثَر مِن حقِّ اللهِ فِي مَالِهِ، فَإِذا قَدمتَ عَلَى الحيِّ فَانزِل بِمَائِهِم مِن غَير أَن تُخَالِطَ أَبياتِهِمُ، ثُمَّ أَمضِ إِليهِم بِالسَّكينَةِ وَالوقَارِ حَتّى تَقُومَ بَينَهُم فَتُسَلِّمَ عَلَيهِم، وَلاتُخدِج بِالتَّحيَةِ لَهُم[2]، ثمَّ تَقولَ: عِبادَ اللهِ أَرسلني إِليكُم وليُّ اللهِ وخَليفتُهُ لِآخُذَ مِنكم حَقَّ اللهِ فِي أَموالِكُمْ، فَهل للهِ في أَموَالِكُم مِن حقٍ فَتُؤَدُّوهُ إِلى

(١) روَّعهُ: خوفه.

(٢) أي لاتبخل.

وليِّهِ؟ فَإِن قَالَ قائلٌ لا، فلاتُراجِعه، وإن أنعمَ لك مُنعِمٌ[1] فانطلق مَعَه من غَيرِ أَن تُخيفهُ أَو توعِدَهُ أو تَعسِفَهُ أَو تُرهِقهُ، فَخذ مَا أَعطاكَ مِن ذَهَبٍ أَو فِضَّةٍ. فَإِن كَانَ لَهُ مَاشيةٌ أو إِبلٌ فَلاَ تَدخُلْهَا إِلاَّ بِإِذنِهِ، فَإِنَّ أكثرَهَا لَهُ، فَإِذا أَتيتَهَا فَلاَ تَدخُل عَليهَا دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَليهِ وَلاَ عَنيفٍ بِهِ. وَلاَتُنفِّرنَّ بِهِيمةٍ وَلاَتَفزِعنَّهاَ وَلاتَسُوءَنَّ صَاحِبَهَا فِيهَا، واَصدعِ المَال صَدعينِ[2] ثم خيِّرهُ، فإِذَا اَختَارَ فَلاَ تَعَرَّضنَّ لِمَا اَختارهُ. ثُمَّ اَصدعِ البَاقِي صدعينِ ثُمَّ خَيِّرهُ، فإِذا اَختارَ فَلاَ تَعَرَّضَنَّ لِمَا اَختارَهُ. فَلا تَزالُ كذٰلِكَ حتى يبقى مَا فِيهِ وَفاءٌ لِحقِّ الله في مَالِهِ فاقبض حقَّ اللهِ منهُ. فَإِن اَستقَالَكَ فَأَقِلهُ[3] ثُم اَخلِطهُما ثمَّ اَصنع مِثلَ الَّذي صنَعتَ أَوَّلاً حتَى حَقَّ اللهِ في مَالِهِ. وَلاَتَأخُذنَّ عوداً[4] ولا هرمةً وَلا مَكسُورةً وَلاَ مهلُوسةً وَلاذَاتَ عوَارٍ، وَلاَ تأمنَنَّ عَليها إلاَّ من تثِقُ بِدينه رَافِقاً بِمَال المُسلِمينَ حَتّى يُوصِّلهُ إلى وَليِّهم فيَقسِمهُ بينهُمْ، وَلاَ تُوَكِّل بِهَا إِلاَّ نَاصحاً شفيقاً وأميناً حفيظاً، غير مُعنفٍ وَلامُجحفٍ[5]، وَلامُلغبٍ وَلامُتعبٍ، ثمَّ اَحدِر إِلينَا مَا اَجتمعَ عِندكَ[6] نُصَيِّرْهُ حيثُ أمرَ اللهُ بِهِ. فَإِذا أَخَذهَا أَمينُكَ فَأوعز إِليهِ الاَّ يَحُولَ بينَ ناقَةٍ وبينَ فَصيلِها[7] وَلا يُصَرِّ لَبنَها فيضرَّ ذٰلِكَ بِوليدِها، وَلا يجهدنَّها رُكُوباً. وَليعدلِ بينَ صواحباتِها في ذٰلِكَ وَبينَهَا؛

(١) قال لك نعم.

(٢) اقسمه قسمين ثم خير صاحب المال في أيهما.

(٣) أي فان ظن في نفسه سوء الاختيار وطلب الاعفاء من هذه القسمة فأعفه منها واخلط أعد القسمة.

(٤) العود: المسنّة من الابل. والهرمة: أسن من العود.

(٥) المجحف: من يشتد في سوقها حتى تهزل.

(٦) احدر: أي أسرع، والمراد سق الينا سريعاً.

(٧) فصيل الناقة: ولدها وهو رضيع، أي لايبالغ في حلبها حتى يقل اللبن في ضرعها.

وَليرفِّه على اللاغِب[١]. وليستأن بالنَّقيبِ والظَّالِع. وَليُوردِهَا مَا تَمُرُّ بِهِ منَ الغُدُرِ[٢] وَلا يعدِل بِها عَن نَبتِ الأَرض إلى جَوادِّ الطَّريقِ، وَليُرِوِّحْهَا في السَّاعَاتِ وَليُمهِلهَا عِند النِّطافِ[٣] والأعشاب حتى تأتينا بإذن الله بُدناً مُنقياتٍ غَيرَ مُتعبَاتٍ وَلامجهُوداتٍ[٤]، لِنقسِمهَا على كتاب الله وسنَّةِ نبيِّهِ(صلّى الله عليه وآله)، فإن ذلك أعظم لأجرك وأقرب لِرُشدِكَ إن شاء الله.

الى هنا نكتفي من كتب وخطب الإمام امير المؤمنين علي (عليه السلام) ونترك للمتتبع خوض غمار السِيَرْ والمسانيد لاستخراج الكنوز منها ـ ومن الله استمد العون والتوفيق.

* * *

(١) مالغب: أي أعياه التعب. ونقب خفه.

(٢) جمع غدير: ما غادره السيل من المياه.

(٣) النطاف: المياه القليلة، أي يجعل لها مهلة لتشرب وتأكل.

(٤) البدن: جمع بادنة أي سمينة.

الكلام في نهج البلاغة

نهج البلاغة: كتاب جمعه الشريف الرضي محمد بن أبي أحمد الحسين الهاشمي العلوي، واختاره وانتخبه من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وقال في خطبته: رأيت كلامه (عليه السلام) يدور علىٰ أقطاب ثلاثة:

أولها: الخطب والاوامر.

ثانيها: الكتب والرسائل.

ثالثها: الحكم والمواعظ.

وقال في خطبته أيضاً: وفيه حاجة العالم والمتعلم، وبغية البليغ والزاهد، ويمضي في اثنائه من عجيب الكلام في التوحيد والعدل وتنزيه الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ عن شَبه الخلق، ما هو بلال كل غلة، وشفاء كل علة، وجلاء كل شبهة.

ويمكن تقسيم محتويات هذا الكتاب إلىٰ اقسام.

١ ـ الكلام في التوحيد والعدل وصفات الباري تعالىٰ وتنزيهه عن شبه الخلق.

٢ ـ الخطب السياسية وخطب الحروب والتظلم.

٣ ـ الخطب الدينية في الوعظ والترهيب والترغيب وذمّ الدنيا وألاخلاقيات والوصايا، ومدح العلم.

٤ ـ الوصايا.

٥ ـ الأدعية.

٦ ـ الملاحم.

٧ ـ الصفات ـ كوصف الطاووس والخفاش والنملة والجرادة ووصف الجنة

وغيره ـ

٨ ـ الكتب والرسائل.

٩ ـ الحكم القصيرة والامثال.

وهذا الكتاب قد حوىٰ من نفائس الكلام ما استحق به أن يسمىٰ «نهج البلاغة» واشتهر في جميع الأقطار والأمصار والأعصار إشتهار الشمس في رابعة النهار، وشرح نيفاً وثلاثين شرحاً من أعاظم العلماء، وأول من شرحه علي بن الناصر المعاصر للشريف الرضي ـ جامع النهج.

* * *

أول من أمر بضرب السكة الاسلامية

نقل عن أحد العلماء المتتبعين في كرمنشاه بايران ـ وهو العلّامة الشيخ حيدر قليخان سنة ١٣٥٣ من الهجرة.

قال: رأيت في دائـرة المعـارف البريطانية ص٩٠٤ من الطبعة الثالثة والعشرين عند البحث عن المسكوكات العربية، ما تعريبه ملخصاً.

أن أول من أمر بضرب السكة الإسلامية في البصرة هو الخليفة علي بن أبي طالب سنة ٤٠ من الهجرة الموافق لسنة ٦٦٠ ميلادي مسيحي، ثم أكمل الأمر من بعده عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي سنة ٧٦ من الهجرة الموافق سنة ٦٩٥ ميلادي.

* * *

القِصار من حِكَمِهِ (ع)

وختاماً اخترت لك من قصار حِكَمْ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ومواعظه مائة وعشرة كلمات تيمناً بعدد أسمه الشريف علىٰ حساب الجمّل، لتكون في خاتمة المطاف ختام المسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

أرجوا أن يكون هذا الجهد اليسير ذخيرة لي في يوم معادي ـ يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حَمل حملها، وترىٰ الناس سكارىٰ ومـا هم بسكارىٰ ولكن عذاب الله شديد، يوم يفر المرء من أخيه وأُمه وأبيه، وصاحبته وبنيه وفصيلته التي تاويه، وفي يوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلّا من أتىٰ الله بقلبٍ سليم.

وإليك بند من حكم الإمام في الدنيا والمال:

١ ـ «إذا أقبلت الدنيا علىٰ أحدٍ أعارتهُ محاسنَ غيره وإذا أدبرت عنه سلبتهُ محاسن نفسه».

٢ ـ «أهل الدّنيا كركب يُسار بهم وهم نيام».

٣ ـ «مثلُ الدّنيا كمثل حيّة ليِّنٌ مَسُّها، والسمُّ الناقع في جوفِها يهوي إليها الغر الجاهل ويحذرها ذو اللبُ العاقل».

٤ ـ «والله لدنياكم هذه أهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم».

٥ ـ «المالُ مادة الشهوات».

٦ ـ «يا ابن آدم كُنْ وصيَّ نَفسكَ في مالك وأعمل فيه ما تؤثر أن يُعمل

فيه بعدك».

٧ ـ «من أصبح على الدنيا حزيناً فقد أصبح لقضاء الله ساخطاً... ومن أصبح يشكو مصيبة نزلت به فقد أصبح يشكو ربه، ومن أتى غنياً فتواضع لغناه ذهب ثلثا دينه».

٨ ـ «... من أصلح أمر آخرته أصلح الله له أمر دنياه».

٩ ـ «يا دنيا يا دينا، إليكِ عنّي، أبي تعرضتِ؟ أمْ إليَّ تَشوقتِ؟ لا حانَ حينك هيهات! غرّي غيري، لا حاجة لي فيك، قد طلقتكِ ثلاثاً لا رجعة فيها! فعيشك قصير وخطركِ يسير وأملكِ حقير، آهٍ آه من قلّة الزاد، وطول الطريق وبعد السفر، وعظيم المورد».

١٠ ـ «لا يترك الناس شيئاً من أمر دينهم لاستصلاح دنياهم إلّا فتحَ الله عليهم ما هو أضرّ منه.

١١ ـ «الدّنيا دارُ مَمر لا دارُ مقر، والناس فيها رجلان: رجل باع فيها نفسه فأوبقها، ورجل أبتاع نفسه فأعتقها».

١٢ ـ «يا ابن آدم ما كسبت فوق قوتك فأنت فيه خازن لغيرك».

١٣ ـ «مرارة الدنيا حلاوة الآخرة وحلاوة الدنيا مرارة الآخرة».

١٤ ـ «الناس أبناء الدنيا، ولا يُلام الرجل على حبّ أُمه».

الكلام وحفظ اللسان:

١٥ ـ «لسانُ العاقل وراء قلبه، وقلبُ الاحمق وراء لسانه».

١٦ ـ «اللسان سبع أن خلّي عنه عقر».

١٧ ـ «المرء مخبوء تحت لسانه».

١٨ ـ «من كتم سره كانت الخيرة بيده».

١٩ ـ «الكلام في وثاقك ما لم تتكلم به، فإذا تكلمت به صرت في وثاقه، فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك فرب كلمة سلبت نعمة وجلبت نقمة».

٢٠ ـ «لا تقل ما لا تعلم، بل لا تقل كل ما تعلم، فإن الله فرض على جوارحك فرائض يحتج بها عليك يوم القيامة».

٢١ ـ «تكلموا تُعرفوا فإن المرء مخبوءٌ تحتَ لسانه».

٢٢ ـ «... هانت عليه نفسه من أمّر عليها لسانه».

٢٣ ـ «قلب الاحمق في فيه، ولسان العاقل في قلبه».

٢٤ ـ «إذا تم العقل نقص الكلام».

٢٥ ـ «لا خير في الصمت عن الحكم كما أنه لا خير في القول بالجهل».

الامل والاماني:

٢٦ ـ «من جرى في عنان أمله عثر بأجله».

٢٧ ـ «من أطال الأمل اساء العمل».

٢٨ ـ «أشرف الغنى ترك المُنى».

٢٩ ـ «... والاماني تعمي أعين البصائر».

٣٠ ـ «لو رأى العبد الأجل ومصيره لأبغض الأمل وغروره».

الزهد والقناعة:

٣١ ـ «... الزهد ثروة».

٣٢ ـ «أفضل الزهد إخفاء الزهد».

٣٣ ـ «... من زهد بالدّنيا استهان بالمصيبات».

٣٤ ـ «طوبى لمن ذكر المعاد، وعمل للحساب، وقنع بالكفاف، ورضي عن الله».

٣٥ ـ «القناعة مال لا ينفد».

الانفاق:

٣٦ ـ «السخاء ما كان ابتداءً، فأما ما كان عن مسألة فحياء وندَم»

٣٧ ـ «استنزلوا الرزق بالصدقة».

٣٨ ـ «من أيقن بالخلف جاد بالعطية».

٣٩ ـ «لا تستحِ من إعطاء القليل فإن الحرمان أقل منه».

٤٠ ـ «سوسوا إيمانكم بالصدقة، وحصنوا أموالكم بالزكاة، وادفعوا أمواج البلاء بالدعاء».

٤١ ـ «الكرم أعطف من الرحم».

الطمع:

٤٢ ـ «الطمع رقّ مؤبد».

٤٣ ـ «أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع».

٤٤ ـ «الطامع في وثاق الذلّ».

٤٥ ـ «أن الطمع مُوردٌ غير مصدر، وضامن غير وفيّ».

الاجل:

٤٦ ـ «إذا كنت في إدبار والموت في إقبال فما أسرع الملتقىٰ».

٤٧ ـ «رُبّ مستقبل يوماً ليس بمستدبره ومغبوط أول ليلة قامت بواكيه في آخره».

٤٨ ـ «نفس المرء خطاه إلىٰ أجله».

٤٩ ـ «أيها الناس اتقوا الله الذي ان قلتم سمع وان أضمرتم عَلِم، وبادروا الموت الذي أن هربتم أدرككم، وان اقمتم أخذكم وإن نسيتموه ذكّركم».

٥٠ ـ «كفىٰ بالأجل حارساً».

العلم والعمل:

٥١ ـ «أوضع العلم ما وقف علىٰ اللسان، وأرفعه ما ظهر في الجوارح والاركان».

٥٢ ـ «لا يقل عمل مع التقوىٰ، وكيف يقل ما يُتَقَبَّلُ؟».

٥٣ ـ «رُبّ عالم قد قتله جهله، وعلمه معه لا ينفعه».

٥٤ ـ «شتّان ما بين عملين: عمل تذهب لذته وتبقىٰ تبعته، وعمل تذهب مؤونته ويبقىٰ أجره».

٥٥ ـ «من قصّر في العلم أبتُلي بالهم، ولا حاجة لله فيمن ليس لله في ماله ونفسه نصيب».

٥٦ ـ «كل وعاء يضيق بما جُعِلَ فيه إلّا وعاء العلم فإنه يتسع به».

٥٧ ـ «لا تجعلوا عملكم جهلاً، ويقينكم شكاً. إذا علمتم فأعملوا وإذا تيقنتم فأقدموا».

٥٨ ـ «قطع العلم عذر المتعلّلين».

٥٩ ـ «إذا أرذل الله عبداً حظر عليه العلم».

المشاورة:

٦٠ ـ «من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها».

٦١ ـ «من استقبل وجوه الاراء عَرَفَ مواقع الخطأ».

٦٢ـ «... والاستشارة عين الهداية، وقد خاطر من استغنىٰ برأيه».

المعاشرة:

٦٣ ـ «من أصلح ما بينه وبين الله أصلحَ الله ما بينه وبين الناس».

٦٤ ـ أعجز الناس من عجز عن إكتساب الأخوان، وأعجز منه من ضيّع من ظفر به منهم».

٦٥ ـ «خالطوا الناس مخالطةً إن متم معها بكوا عليكم، وإن عشتم حنّوا إليكم».

٦٦ ـ «من كفارات الذّنوب العظام إغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب».

٦٧ ـ «فقد الأحبة غربة».

٦٨ ـ «شرّ الاخوان من تُكلّف له».

٦٩ ـ «لا تضيّعنَّ حق أخيك أتكالاً علىٰ ما بينك وبينه. فإنه ليس لك بأخٍ من ضيّعت حقه».

٧٠ ـ «... البشاشة حبالة المودّة، والإحتمال قبر العيوب».

٧١ ـ «من أسرع إلىٰ الناس بما يكرهون قالوا فيه بما لا يعلمون».

٧٢ ـ «يا بنيّ، إيّاكَ ومصادقة الأحمق، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك،وإيّاك ومصادقة البخيل، فإنه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه، وإيّاك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالتافه، وإيّاك ومصادقة الكذاب فإنه كالسّراب: يقرّب عليك البعيد، ويبعد عليك القريب».

٧٣ ـ «قلوب الرجال وحشية فمن تألفها أقبلت عليه».

٧٤ ـ «لا يكون الصديق صديقاً حتىٰ يحفظ أخاه في ثلاث: في نكبته، وغيبته، ووفاته».

٧٥ ـ «عاتب أخاك بالاحسان إليه، واردد شرّه بالانعام عليه».

٧٦ ـ «أزجر المسيء بثواب المحسن».

٧٧ ـ «أحصد الشرّ من صدرِ غيرك بقلعه من صدرك».

٧٨ ـ «بئس الزاد إلىٰ المعاد، العدوان علىٰ العباد».

٧٩ ـ «من أطاع التواني ضيّع الحقوق، ومن أطاع الواشي ضيّع الصديق».

٨٠ ـ «أحبب حبيبك هوناً ما عسىٰ أن يكون بغيضك يوماً ما. وأبغض بغيضك هوناً ما عسىٰ أن يكون حبيبك يوماً ما».

٨١ ـ «لا تصحب المائق (الأحمق) فإنه يزيّن لك فعله، ويودّ أن تكون مثله».

٨٢ ـ «أصدقاؤكَ ثلاثة، وأعداؤكَ ثلاثة: فأصدقاؤك: صديقك وصديق صديقك وعدوّ عدوك. واعداؤك: عدوّك، وعدوّ صديقك وصديق عدوّك».

الصبر:

٨٣ ـ «ان صبرت جرىٰ عليك القدر وأنت مأجور، وأن جزعت جرىٰ عليك القدر وأنت مأزور».

٨٤ ـ «من لم ينجه الصبر أهلكه الجزع».

٨٥ ـ «أغض علىٰ القذىٰ وإلّا لم ترض أبداً».

٨٦ ـ «الصبر صبران: صبر علىٰ ما تكره وصبر عمّا تحبّ».

٨٧ ـ «... الصبر شجاعة».

٨٨ ـ «ينزل الصبر علىٰ قدر المصيبة، ومن ضرب يده علىٰ فخذه عند مصيبة حبط عمله».

٨٩ ـ «لا يعدم الصبور الظفر وإن طال به الزمان».

ومن عظيم ما قال (عليه السلام):

٩٠ ـ «كن في الفتنة كابن اللبون، لا ظهر فيُركب، ولا ضرع فيُحلب».

٩١ ـ «البخل عار، والجبن منقصة، والفقر يخرس الفَطِنَ عن حجته، والمِقلّ غريب في بلدته».

٩٢ ـ «اعجبوا لهذا الانسان ينظر بشحم، ويتكلم بلحم ويسمع بعظم ويتنفّس من خرم».

٩٣ ـ «قرنت الهيبة بالخيبة، والحياء بالحرمان، والفرصة تمرّ مرّ السحاب، فانتهزوا فرص الخير».

٩٤ ـ «قيمة كل امرؤٍ ما يحسنه».

٩٥ ـ «الفقيه كلّ الفقيه من لم يقنّط الناس من رحمة الله، ولم يؤيسهم من رَوحْ الله، ولم يؤمنهم من مكر الله».

٩٦ ـ «ان هذه القلوب تملّ كما تملّ الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكم».

٩٧ ـ «يأتي زمان لا يقرب فيه إلّا الماحل، ولا يظرّن فيه إلّا الفاجر، ولا

يضيعّن فيه إلاّ المنصف، يعدّون الصدقة فيه غرماً، وصلة الرحم منّا، والعبادة استطالة علىٰ الناس ...».

٩٨ ـ «إضاعة الفرصة غصة».

٩٩ ـ «لا يستقيم قضاء الحوائج إلاّ بثلاث: باستصغارها لتعظم، وباستكتامها لتظهر، وبتعجيلها لتهنوا».

١٠٠ ـ «أن لله ملكاً ينادي في كل يوم: لِدوا للموت، واجمعوا للفناء، وابنوا للخراب».

١٠١ ـ «قلّة العيال أحد اليسارين».

١٠٢ ـ «الهمّ نصف الهرم».

١٠٣ ـ «هلك امرؤٌ لم يعرف قدره».

١٠٤ ـ «كم من أكلة منعت اكلات».

١٠٥ ـ «الناس أعداء ما جهلوا».

١٠٦ ـ «آلة الرئاسة سعة الصدر».

١٠٧ ـ «الخلاف يهدم الرأي».

١٠٨ ـ «في تقلّب الأحوال علم جواهر الرجال».

١٠٩ ـ «ليست الرويّة كالمعاينة مع الإبصار؛ فقد تكذّب العيون أهلها، ولا يغشّ العقل من استنصحه».

١١٠ ـ «ان الله سبحانه فرض في أموال الاغنياء أقوات الفقراء: فما جاع فقير إلاّ بما متع به غني، والله تعالىٰ سائلهم عن ذلك».

الفصل الرابع

حواري الإمام علي (عليه السّلام)

لقد طغى معاوية وتجبّر واستفحل أمره بعد شهادة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السّلام) وأستطاع بواسطة المجرمين من أتباعه المرتزقة من الأمويين والمروانيين ومن سار على هواهم أمثال عمرو بن العاص، وسمرة بن جندب والمغيرة بن شعبة، والأشعث بن قيس وغيرهم وفي مقدمتهم دعيهم زياد بن أبيه وابن دعيهم ابن مرجانة عبيد الله، من مطاردة المؤمنين، الثائرين على الانحراف والفساد والظلم والجور، وتتبع معاوية بواسطة جلاوزته وجلّاديه آثار شيعة علي (عليه السّلام) وأنصاره، وحواريه وأصفيائه، ومن هم على هداه. تحت كل حجر وفي كل زاوية، محاولاً إبادتهم وتصفيتهم روحياً وجسدياً واستئصالهم عن بَكْرَةِ أبيهم بكل وسائل القمع والإرهاب من قتل، وصلب، وسجن، وتشريد، وقطع الأيدي، والأرجل، وسمل العيون، وقطع الألسن، وهدم الدور على أصحابها وحرقها، وتشريد أهلها وتهجيرهم من بلادهم إلى المجهول كل ذلك كان بسبب حبهم وولائهم للإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) حتى أصبح الرجل منهم يرضى أن يتهم بالقتل أو السرقة أو غيرها على أن يرمى بالتشيّع لعليّ وأهل بيته الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وعلى الرغم من تلكم الأعمال البشعة، والجرائم الموبقة التي يمارسها الحكام الأمويون بحق شيعة علي (عليه السّلام) ومحبيه لاسيما بعد شهادة الصحابي التابعي الجليل حجر بن عدّي رضوان الله عليه وأصحابه الكرام، وعلى رغم كل

ذلك تجد في صفوف الشيعة من يقف بوجه الحكام الظلمة مرفوع الرأس معلناً الولاء لعلي (عليه السّلام) ومعارضاً النظام التعسفي الفاسق بكل جرأة وثبات، ويحمل روح حجرٍ وأصحاب حجر بين جنبيه ويناضل بكل ما لديه من إمكانات، في قوة وعزمٍ وإيمانٍ ثابت مدافعاً عن مبدأ الحق ورسالة السماء المتمثلة في خط علي (عليه السّلام) وأنصاره حتى ولو أدّى ذلك إلى إبادته جسدياً واستئصاله ومن يتصل به ويقر برأيه.

وها نحن نقدم نموذجاً حياً من هؤلاء الأبدال الأبطال لإثبات هذه الحقيقة للتاريخ ولمن يتتبع الحق والدين.

وقد انتخبتُ عشرة أبدال من هذه الصفوة الذين عانوا العنت وتحملوا العذاب من حكام الجور بسبب تشيعهم وولائهم وحبهم لأهل البيت صلوات الله عليهم.

متمماً بترجمتهم المختصرة صفحات القسم الثاني من كتاب «علي المرتضى».

ومن الله سبحانه وتعالى استمد العون والتسديد والتوفيق فانه ارحم الراحمين.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين.

المؤلف

عمّـار بن ياسر

« صَبْراً آل ياسر فإنّ مَوعِدَكُمْ الجنّة »[١]

« ويح بن سميّة تقتله الفئة الباغية»[٢]

كانت مكّة مهجراً تهوى إليه الوفود اليمانية منذ أن تفرقوا أيدي سبأ.

وكانت لجرهُم حينذاك السطوة والزعامة عليها من غير منافس وبعدهم حكمت مكّة خزاعة، غالبين على أهلها من بني إسماعيل، حتى إستعادها «قصي» بن كلاب عام ٤٠٠ ميلادية وأعادها مضرية.

ولد (عمّار بن ياسر) في حي بني مخزوم من مكّة سنة ٥٧٠ ميلادية[٣] عام الفيل أو نحوها، فقد كان تِرباً لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كما يقول هو.

أمّا أمّه (سميّة بنت خياط) فلم يكن في إماء قريش مثلها في ذكاء القلب، وصحة العقل، وملاحة الوجه، وعفة النفس، وطهارة الذيل.

كان (عمّار بن ياسر) أسمر اللّون كأنّما عجنت طينته بالمسك الأذفر، مديد القامة، بعيداً ما بين المنكبين، مهيباً أشهلاً أصلعاً، كما قال عنه معاصروه، وكان طويل الصمت، سديد الرأي، لا يخدع عن الصواب، راجح العقل، زكي النفس، سخي اليد، هبّاباً للحق جريئاً.

درج الصبي (عمّار) في ربوع مكّة، يستبق الزمن إلى إكتمال الرجولة، واستيفاء الذكاء، وشب الصبي بعيداً عن طيش أترابه من الشباب ومجونهم، وكان

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٤٠٩، أخرجه من عدّة مصادر.
(٢) المستدرك للحاكم النيسابوري ج ٣ ص ٣٨٨، سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٤١٩.
(٣) المستدرك للحاكم النيسابوري ج ٣ ص ٣٨، سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٤٠٧.

هو وابوه حليف بني مخزوم بجوار ابي حذيفة.

وعندما ظهرت دعوة الإسلام في ربوع مكّة وانتشرت كالنار في الهشيم بعد أن أعلنها الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بأوّل شعارٍ أطلقه «قولوا لا إله إلّا الله تُفْلِحُوا» أطلقها صرخةً مدوّيةً في وجوه الكفّرة المشركين استيقظت على صداها بيوت مكّة وأنديتها، حتى شطرتها إلى شطرين، (وكان عمّار سابع من أسلم) وعلى أثر ذلك إجتمعت مشيخة قريش في «حجر إسماعيل» يتداولون فيما بينهم ما دهمهم من الأمر، وقد ضاقوا ذرعاً بأمر النبي محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وانتشار دعوته بين البيض والحمر، والأحرار والعبيد، وأصبح خطراً مؤكداً تخشاه طبقة النبلاء على مراكز نفوذها وزعامتها ومكانتها.

وكان الطاغية أبو جهل أشدّ المؤمرين على الدعوة والرسالة، وكان يحرّض بقيّة الزعماء على أخذ أتباع الرسول محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بالشدّة والحزم، وقال أبوجهل: دعوالي تعذيب العبيد والسفهاء وسترون غداً مايحل بآل سميّة من أبكار الكوارث.

كان «عمّار بن ياسر» قائماً يصلي في محراب مسجد بيته[1] عندما طرق الباب طارق، ولمّا انفتل عمّار من نافلته، وكان الوقت أصيلاً، نهض فحيا القادم زيداً ورحب به، فابتدره زيد: هل لك يا أبا اليقظان بالخروج إلى البيت (الحرم) لِنَلُمَّ بأندية قريش؟ وقد حملت إلينا بشارة، أرسلني سيدي «أبو القاسم» أتثبت منها وأتحقق، وأحببت أن تصاحبني لندخل البيت معاً، ثمّ ننقلب إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في «دار السلام» بالخبر اليقين.

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ج١ / ٤١١، المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن: أوّل من بنى مسجداً يصلي فيه عمّار بن ياسر، أخرجه ابن سعد في الطبقات ٣ / ١٧٨، والحاكم ج٣ / ٣٥٨.

قال عمّار: وأيّ بشارةٍ تعني؟ ومثلك من يبشر، هل من جديد في الإسلام؟ شدّ ما يصبر الله على هؤلاء المشركين.

قال زيد بن حارثة: جاءنا في «دار السلام» إن أبا عمارة حمزة بن عبد المطلب، ضرب أبا جهل على ملأ من قومه ضربةً بالقوس سقت الأرض من دمه وأنذره إن تعرض بعدها للنبيّ ابن أخيه ليحدثنّ به ما يحدث، وأعلن على مسمع من مشيخة قريش وزعمائهم إسلامه منذ اليوم، وكان رداً على أذاه لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

قال عمّار: مبتهجاً مسروراً ـ حمزة فعل ذلك؟! والله لطالما كنت أتوقعها من فتى العرب وفارسها، أن لا يقرّ لجهل أبي جهل، إنّ هذا الطاغية الخبيث نشط منذ أيام في إيذاء النبي ومناوأته والاعتداء عليه، وإغراء سفهاء قومه وصبيانهم، وأقل جزائه الموت.

قال زيد: ما تزال قوة مكّة بأيدي هؤلاء الطغاة المردة ولا يرى لنا «أبو القاسم» إلّا الصبر، وأن لا نحدث فيهم أمراً فإنّه مأمور بالسلم ما أمكن السلم وإلّا ما أيسر قتل أبي جهل وغيره.

وبآخر كلمة من زيد دخلا البيت فإذا ضربة حمزة لأبي جهل وإعلان إسلامه منعطفاً خطيراً في تطوّر الدعوة الإسلامية، وقد اتخذت أبعاداً وأشكالاً مختلفة، وتصورات متضاربة، فيها الذلّ والهوان، وأبو جهل ما يزال في مجلسه لم يفارقه، وهو يمسح الدم عن رأسه ووجهه وجسده.

وما إن رأى ابو جهل عماراً يدخل البيت يصاف زيد بن حارثة على ملأ من قريش حتى تنفس وانفجر كالبركان الثائر صارخاً بمن حوله أرأيتم أشد صلفاً من هذا المقبل الذي استله زيد من عبيد مخزوم، وأقبل به يسدّد إليّ ضربة أخرى، تالله ما رأيت كاليوم تغيراً في مكّة!

وأسرع غلمان أبي جهل يستبقون إلى «عمّار بن ياسر» يدعونه إلى سَيِّدهم، فأعترضهم زيد ممانعاً قائلاً لهم: ماذا يبغي أبو جهل من أبي اليقظان؟ فقال له: دعني يا أبا أسامة أكابد الرجل ولا تخشى عليَّ من بأس، وأقبل عمّار مع الغلمان إلى أبي جهل، وعندما إقترب منه قال: هل لأبي الحكم من حاجة إلى حليفه عمّاراً.

رفع أبو جهل رأسه وقال: وأنت يابن سميّة ويلك؟

فقاطعه عمّار قائلاً: الويل لي إذا أشركت وكفرت وعبدت غير الله، قال أبو جهل: صدق صخر إذ أخبرني إنك أفقت ذات صباح فوجدت نفسك بمعجزة محمّد سيداً فوق السادة، ولكن سأريك مكانك اللاّئق بك أيها العبد اللاجيء، فأمهلني حتى أعذر بك.

قال عمّار: وهل تعذرني؟! أو تملك عذراً لتعتذر، وأنت تعبد الأوثان.

قال أبو جهل: أترى إلى هذا الدم يخضب رأسي ووجهي ويسقي الأرض؟ ودار الحديث والنقاش طويلاً بينهما وأخيراً.

قال أبو جهل: ما رأيت كاليوم لجاجةً من عبد سوء! ويح أبي حنظلة[1] ما أعرفه بالناس، ويلك يابن سميّة ألست حليفاً لمخزوم تحارب من يحاربون، وتسالم من يسالمون؟

قال عمّار: وليس شيٌ أدلّ على وفائي لهذا الحلف من دعوتي إياك إلى الإسلام، فوالذي نفسي بيده لم أنصح إليك فيما مضى من عمري كما نصحت إليك اليوم.

قال أبو جهل متهكماً: أوَ تشفع لي عند محمّد إذا أتيته الليلة معك؟

(١) يعني أبا سفيان.

قال عمّار: لا تسخر يا أبا الحكم، ولا تأخذك العزة بالإثم، إنّ محمّداً (صلّى الله عليه وآله وسلّم) نبي رحمة، ورسول خير إليكم.

قال أبو جهل: ها أنت توفر لي العذر أيها الأحمق! أملوم أنا الآن إذا سلخت جلدك كما تسلخ النعاج؟ إنّما أنت سيئة من سيئات محمّد الذي أدار لسانك بمثل هذا السحر العجيب.

قال عمّار: وأين كانت هذه الشجاعة حين عمّك قوس أبي عمارة[1]؟ أم خشيت سطوة فتى العرب وفارسها، وأشبال عبد المطلب، وأمنت عمّاراً وياسراً الغريبين اللاجئين؟ لو كنت رشيداً لنهاك الإستخداء بين يدي حمزة بن عبد المطلب عن الاستفحال أمام عمّار، وحسبك من شريعتك أنّك تعق عمك وتحفر جواره وهو في قبره.

ثمّ التفت أبو جهل لغلمانه وقال: خذوا هذا الأحمق عسى أن يبدل رأيه إذا مسه السوط، وبينما كانت السياط تتلوى على ظهر عمّار بن ياسر بين يدي أبي جهل، كان الله سبحانه يبارك روحه وصبره في «دار الإسلام» حيث تنزل فيه وفي أبي جهل آية من القرآن: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

يقول ابن عبّاس: الرجل النيّر في هذه الآية إنّما هو عمّار بن ياسر، والرجل المظلم والكافر إنّما هو عمرو بن هشام، «أبو جهل»[3].

(١) يعني حمزة بن عبد المطلب.
(٢) (سورة الأنعام آية ١٢٢).
(٣) الاستيعاب للقرطبي ج ٢ / ٤٧٨.

محنة المستضعفين من المؤمنين

قالت (سميّة) لزوجها ياسر، بؤساً لهذا الطاغية لقد إمتلأت مكّة بحديث قسوته على عمّار وشِدَّتِه عليه، ويَلي لعمّار ولهفي عليه.

قال ياسر: إحتسبي يا أمة اللهِ عذاب عمّار عندَ الله، فقد أمرنا النبي(صلّى الله عليه وآله وسلّم) بالصبر، ووعدنا الجنّة، فما بالَكِ تقلقين على عمّار؟ وهو يعذَّب مع هذه الطليعة من المؤمنين، فله بهم أسوةً حسنةً، وحسبهم جميعاً أنهم بعين الله يرعاهم، ومضى هزيع من اللّيل ساهرين مناجين، وانسلّ كل واحدٍ منهم إلى محرابه يصلي لله راكعاً وساجداً، يذكر الآخرة، بتهجده وعبادته وقبل أن تنشر الشمس أشعتها طُرق عليها الباب طرقاً عنيفاً إهتزت لشدّته الجدران وتضعضعت الباب من الدفع وتداعت تحت أقدام الجلاوزة المهاجمين الذين دخلوا صحن الدار حاملين مشاعل تتوقد منها ألسنة النار، وآخرون ورائهم يحملون رزمات الحطب، وما أبصر الشيخان ذلك حتى أخذت ألسنة النار تأخذ اطراف الدار، وامتدت إليهما أيدٍ غلاظ شداد فاختطفتهما ورمتهما خارج الدار بأسرع من البرق وشدت وثاقهما بالحبال، ولا يشعران إلّا وهما يُسحَبان ويُجران من أرجلهما على الأرض المملوءة بالأحجار والصخور، ورأسيهما يعلوان ويهبطان على الصخور من عنف السحب، ولمّا قُدِّم الشيخان المؤمنان إلى جلادهما الطاغية أبي جهل قال: كيف وجدتما وعد محمد أيها الخائنان؟

فقال ياسر: هذا ما وعد الله ورسوله، وقالت سمية: صدق الله وصدق رسوله.

قال أبو جهل: أتلعنا محمّد وتثنيا على آلهتنا فتسلمان؟ أم تغدوان على عذابٍ لم تسمع بمثله الأذن، ولم تر مثاله العين؟

قال ياسر: هذا ما وعد الله ورسوله، وقالت سمية: صدق الله ورسوله.

قال أبو جهل: لا تطيلا اللجاجة، أنا أُخيرّكما بين عبوس العذاب، وبين إبتسامة السلامة، فكونا عاقلين، ولا تتبعان هذا الأحمق الذي ولدتماه شؤماً عليكما وعلى بني مخزوم.

قال ياسر: هذا ما وعدنا الله ورسوله، وقالت سمية: صدق الله ورسوله.

قال أبو جهل لغلمانه: أذيقوهما العذاب إذا اشتعلت الهاجرة، فَسُحِبَ الشيخان على الرمضاء الهاجرة والرمال الملتهبة، وامتدت الأيدي الغلاظ الشداد إليهم بالسياط لتتلوى على جسديهما النحيفين، وهما ثابتان صابران، وكأنّ السياط تئن من الوقع ولا يئن الشيخان، فإذا كلّت السواعد وغُلِب أبو جهل على أمره، استشاط غيضاً وأمر جلاوزته بسحبهما إلى مثوى ولدهما (عمار) فإذا صارا قريباً منه هش لهما وهشا له مغتبطين كأن ليس بهما إلّا العافية.

قال عمّار وهو في قيوده: كيف أنتما يا أبويَّ؟ فقالا بلسان واحد بل أنت كيف تجد نفسك يابنيَّ؟ قال إن كان إيماني وكنتما بخير كنت كذلك، فردا عليه بمثل ما قال.

قال ياسر هنيئاً لك يا عمّار: ألا أبشرك ببشارة تثبتك فيما أنت فيه؟ لقد بلغني إنّ الله أنزل قرآناً يذكرك عامراً لمسجدك الذي أحرقه المشركون، فقال تعالى: ﴿أَمَّن هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ ٱللَّيلِ سَاجداً وَقَائِماً يَحذَرُ الآخِرَة وَيَرجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمونَ والَّذِينَ لايَعْلَمُونَ إنّما يَتَذكَّرُ أُلُوا الألبَابِ﴾[1].

فاستقبل عمّار بشارة أبيه بعينين تفيضان بالدمع من الفرح والرحمة، وأوما بالسجود شكراً وامتناناً.

وصممت الأسرة الكريمة المؤمنة عزمها على الاستخفاف بكل ما ينتظرها

---

(١) سورة الزمر آية ٩.

من المحن والعذاب مهما بلغ من الشدّة والنكال.

خرج النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ذلك اليوم وقت الظهيرة، وكانت الشمس تسلط نار أشعتها على ربوع مكّة سعيراً، وترسلها في الهواء فإذا هي لهب لافح يشوي الوجوه، وتنشره على الرِّمال فإذا هو لظىٰ يؤجج بعضه بعضاً، وتبعث من توقدها سعيراً آخر أحمى من السعير، تقدم النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) نحو «البطحاء» بخطىٰ ثابتة حتى أشرف على الرمضاء ليرى ويالهول ما يرى، يرى فوق سعير الرمضاء ناراً مشبوبة، إلى جنبها أحواضاً من أُدم تتفايض بالماء، ويرى رماحاً مشرعةً بأيدي عصابة جبارة ومشاعل لاهبة بأيدي عصابة أُخرى، والعصابتان تدوران حولهم كحلقة المعصم، يتقدم أبو القاسم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) نحو الشيخين وأبنيها ثابت القدم راسخ الجنان حتى يخترق تلكم العصابة وذلك النطاق، ليرى الشيخين والكُهل مطروحين على الرمضاء عراة، مربّطين بالحبال وعلى صدورهم الصخور الثقيلة، والجلاوزة يدورون حولهم ويطعنونهم باطراف أسنة الحراب ويلدغونهم بأطراف المشاعل، وأبو جهل قائم على رؤوسهم ويقول لا ينجيكم ممّا أنتم فيه، إلا ثلاث، سبّ محمد والبراءة من دينه والرجوع إلى عبادة (اللاّت والعزى)، وهم أرسخ من الجبال، ثابتون صامدون يسبون آلهتَهُم ويذكرونهم بكل سوء، ويحمدون الله ويمجّدون رسوله بأطيب الذكر وأرضاه، ويستزيدون من عذاب أبي جهل.

فلمّا رأوا الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مقبلاً لزيارتهم ومواساتهم بنفسه، عقد الحب والإيمان، والإجلال لسان عمّار وأُمّه سميّة، وانطلق لسان ياسر بالسلام متوجهاً نحو الرسول الكريم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يهوِّن عليه ما نزل بهم من العذاب فيقول «هكذا الدهر» يارسول الله، ويجلس النبي القرفصاء عند رؤوسهم يمسحها بيده الكريمة ويقول: «**صبراً آل ياسر فإنّ موعدكم الجنّة**»، ثمّ يرفع طرفه إلى السماء ليقول: «**اللّهم إغفر لآل ياسر وقد فعل**» ثم ينهض لشأنٍ

من شؤون المسلمين، فيودعهم متجلداً صابراً وكان أبو جهل ينظر هذا المشهد من بعيد ولا يجرؤ أن يتقدم خطوة مع طغيانه وجبروته، إلّا أنّه بعدما أنصرف الرسول(صلّى الله عليه وآله وسلّم) جُنَّ جُنون أبي جهل واحتدم غيضاً، وكال على الشيخين شديد عذابه، فأمر بإزالة الصخور من على صدورهم، فاخلتفت السياط وانهالت الحراب والمشاعل **على رؤوسهم، وصدورهم وجنوبهم أينما** وقعت، فإذا كلّ الجلادون وعجزوا ولم يظفر أبو جهل من المجلودين بغير الصبر **والثبات، أمر بغطس رؤوسهم في بركة الماء لتخمد أنفاسهم غرقاً**، ويخرج آل ياسر رؤوسهم من الماء ليلتقطوا أنفاساً تلهج بحمد الله والثناء عليه وتصلي على رسوله الكريم، وعيب آلهتهم «اللاّت والعزى» وذِكْر أبي جهل بما يكره، عند ذلك فقد أبو جهل صوابه، وجَن جُنونه، فأخذ إحدى الحراب من غلمانه وغمدها في قلب (سميّة) في عدّة طعنات حتى قضى عليها، ثمّ انثنى هائجاً كالثور المحموم فرفس ياسر عدّة رفسات برجله حتى لفظ الشيخ آخر أنفاسه، كل ذلك جرى أمام ولدهم البار عمّار يسمع ويرى، وكانت سميّة وزوجها ياسر أوّل الشهداء في الإسلام، وطليعة القادمين على الله بشرف الشهادة وقد زف ياسر وزوجته إلى الجنّة بموكب ملائكي مهيب محاطين بالرضوان، وتحفّهم الملائكة الكرام. فسلام عليهما يوم ولدا ويوم أسلما، ويوم جاهدا، ويوم استُشهدا، ويوم يبعثا حيين.

بقي عمّار وحده للمحنة يكابد آلامها، وقد نسج من خيوطها بطولات خالدة صارت رمزاً للجهاد والشهادة مدى العصور والأزمان عِبرَ التاريخ، ليضرب بذلك المثل الأعلى في الصبر والتضحية، والإيمان الراسخ، وبقي عمّار نصب عتوّ أبي جهل، حيث صب على رأسه أنواع العذاب من حرّ الحديد، **ولفح** النار، وضغط الماء، وغيرها مبلغاً لا يعلمه إلّا الله، ولم يدر معه ما يقول: **فلمّا أطلقه أبو جهل، أقبل على النبي، كئيباً حزيناً، مسودَّ الوجه، منكسر النفس، دامع العين فقال له النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم): ما وراءك ياعمّار، قال شرٌ يارسول**

الله، والله ما تركوني حتى ذكرت آلهتهم بخير، وذكرتك بما تكره.

قال النبي: «فكيف تجد قلبك»؟ قال أجدهُ مطمئناً بالإيمان قال: «فإن عادوا فعد» ثم نزلت في عمّار هذه الآية: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللهِ من بعدِ إيمانه إلّا مَن أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطمَئِنٌّ بالإيمانِ وَلكنِ مَن شَرَحَ بالكُفر صَدْراً فَعَليهِم غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1].

لم يُنجه من مكر أبي جهل إلّا أمر الله بالهجرة إلى الحبشة، فكان من أهل القافلة الثانية إلى دار النجاشي، وظلَّ فيها ينعم بالدعة والإستقرار حتى عاد فيمن عاد إلى يثرب «المدينة المنورة» بعد هجرة النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إليها مباشرة.

كان لثبات «عمّار بن ياسر» تحت سياط التعذيب صدىً عظيماً في نفوس المؤمنين، وأصبح نضاله رمزاً للهداية والإيمان، لاسيّما بعدما توجّه الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بأحاديثه الخالدة.

عندما جاء قومٌ لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وقالوا: إن عمّاراً قد كفر، قال كلاّ: «**إنّ عمّاراً مليء إيماناً إلى مشاشه**»[2].

صلّى عمّار إلى القبلتين[3] وهاجر الهجرتين[4]، وهو من أهل بيعة الرضوان، وكان في طليعة الأبطال الذين دافعوا عن الإسلام وجاهدوا بين يدي رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ممّن أبلوا بلاءً حسناً في المواقع كلها لاسيّما في غزوة بدر الكبرى، وأحد، والخندق، وحنين، وكان من حملة راياته في بعض

(١) سورة النحل الآية ١٠٦.

(٢) المستدرك للحاكم النيسابوري ج٣ / ٣٩٢، سير أعلام النبلاء ج١ / ٤١٣، الإصابة ج٢ / ٥١٢، أعيان الشيعة ٨ / ٣٧٣، رجال بحر العلوم ٣ / ١٧٢.

(٣) القبلتان: بيت المقدس وبيت الحرام.

(٤) الهجرتان: هجرة الحبشة، وهجرة المدينة.

مواقعه (ص).

كما اشترك في صدر الإسلام في بناء مسجد قبا، ومسجد رسول الله، وحفر الخندق، بكل جدٍ ونشاط مع شيخوخته وكبر سنّه.

وعندما ولي إمارة الكوفة في عهد عمر بن الخطاب سار في أهلها سيراً لم تجده إلّا عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السّلام) من العدل وإحقاق الحق، ومكافحة الباطل، وما كان يهتم بأبّهة الولاية ولا بمظهر الدنيا، ويروي أحد معاصريه من أهل الكوفة، قال: رأيت عمّار بن ياسر وهو أمير الكوفة يشتري من قثائها ثم يربطه بحبل ويحمله فوق ظهره ويمضي به إلى داره!! ولم يكن عسيراً عليه أن يتمتع بنعيمها أو أن يتجبر ويتكبر، يمشي خلفه الخدم والحشم والحرس وهو والي الكوفة، وأمير جيشها، ولكنّه ترفّع عن هذا كلّه، وكان يأكل من كدّ يده ولا تطمع نفسه إلى بيضاء أو صفراء، وكان من أبرز معارضي عثمان حين انحرف ومن الثائرين عليه.

وكان عمّار من حملة راية الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) في حرب الجمل (الناكثين)، وفي حرب صفين (القاسطين) واستشهد فيها ـ وكان مصداق قوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): **تقتلك الفئة الباغية**.

وكان عمّار مصدراً من مصادر العلم والحديث، وقد أخذ عنه وروى ابن عباس، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن جعفر، وأبو الأوس الخزاعي، وأبو الطفيل، وأبو امامة، وجابر بن عبد الله، ومحمد بن الحنفية، وعلقمة، وأبو وائل، وهمّام بن الحارث، ونعيم بن حنظلة، وعبد الرحمن بن أتري، وناجيّة بن كعب، وأبو لاس الخزاعيّ، وعبد الله بن سملة المرادي، وابن الحوتكية، وثروان بن ملحان، ويحيى بن جعارة، والسائب والد عطاء، وقيس بن عباد، وصلة بن زفر، ومُخارق بن سليم، وعامر بن سعد بن أبي وقاص، وأبو البختري، وجماعة من التابعين.

أقدم النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) على بناء مسجده في المدينة فشمّر عمّار عن ساعد الجدّ والعمل في بناء المسجد مع سائر المسلمين.

وكانت أنشودة المسلمين حين العمل:

لَئِن قعدنا والنبي يـعمل لذاك منّا العمل المـضلل

كان يحمل كل مسلم لبنة واحدة لرصفها في البناء، أمّا عمّار فكان يحـمل لبنتين معاً كل مرة[1]، ويبذل كل مسلم جهداً واحداً ويأبى عـمّار إلّا أن يـبذل جهدين، فزاد أحدهم لبنة أُخرى فقال: يارسول الله قتلوني يحملّون عليَّ مـا لا يحملون، قالت أُمّ سلمة زوج النبي فرأيت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ينفض وفرته بيده وكان رجلاً جعداً وهو يقول: «**ويح ابن سميّة ليسوا يقتلونك إنّما تقتلك الفئة الباغية**» وتكرر قول النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لعمّار تقتلك الفئة الباغية في حفر الخندق وغيرها.

وارتجز علي بن أبي طالب (عليه السّلام) يومئذ هـذه الأنشـودة أثـناء العمل:

لايستوي من يعمّر المساجدا يـدأب فـيه قـائماً وقـاعدا

ومن يرى عن الغبار حـائدا

فجعل يرتجز فيها ويكثر من ذكرها فظن رجل مـن الصـحابة أنّ عـماراً يعرض به فقال[2]: قد سمعت مـا تـقول مـنذ اليـوم يـابن سمـيّة، واللهِ لا أراني سأعرض هذه العصا لأنفك، وكانت في يده عصا فغضب رسول الله (صـلّى الله عليه وآله وسلّم) ثم قال: «**مالهم ولعمّار يدعوهم إلى الجنّة ويـدعونه إلى**

(١) أعيان الشيعة ٨ / ٣٧٣، المستدرك للحاكم النيسابوري ٣ / ٣٨٧.

(٢) ما اشترك عثمان في باديء الأمر بالبناء، وحينما خرج من بيته صادف أن أنهدم الجدار فأثار الغبار، فتنحى عثمان عنه وأمسك بطرف ثوبه أنفة لذلكوظن أنّ عمّار تعرض له.

النار، انّ عمّاراً جلدة ما بين عيني وأنفي»[1].

وقد شهد عمّار بن ياسر مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) جميع غزواته ومواقفه وقد أبلى بلاءً حسناً في غزوة بدر الكبرى خاصة وقتل عدداً من صناديد قريش وشجعانهم من المشركين.

ويوم المواخاة آخى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بـين عـمّار وحذيفة بن اليمّان وكانا محافظين لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، كما كان عمّار ملازماً لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السّلام) ولطول الصـحبة توافقا روحياً، وتتبع أثره إلى آخر ساعة من حياته وبقي وفيّاً بمبادئه للإمام علي (عليه السّلام).

كان عمّار ملازماً للنبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) طيلة أيام حياته حتى آخر ساعات عمره الشريف ما فارقه أبداً ولا فارق ابن عمّه وخليفته من بعده، علي بن أبي طالب (عليه السّلام) ولمّا التحق الرسول الأعظم بالرفيق الأعـلى، كان ممّن تخلّف عن بيعة أبي بكر من وجوه المهاجرين والأنصار، ومالوا مع علي بن أبي طالب (عليه السّلام) ولم يبايعوا أبا بكر إلّا بعد شهادة السيدة فـاطمة الزهراء ورحيلها، وبعد ما بايع أمير المؤمنين علي (عليه السّلام) أبا بكر حفاظاً على وحدة المسلمين.

ولمّا ظهرت البوائق من حكم عثمان بن عفان وانحرافه عن حكم الإسلام وسيرة الشيخين، تصدّى عمّار له معلناً معارضته والدفاع عن الحق والإسـلام، وناشد علياً (عليه السّلام) بهذه الكلمات الرائعة .

أيا ناعي الإسلام قم فـانعه لقد مات عرفٌ وبـدا نكـر

أما والله لو أن لي أعواناً لقاتلتهم، والله لو قاتلهم واحد لاكونَنَّ ثانياً.

(١) ولقد نفذ عثمان وعيده لعمار حينما صار خليفة ـ حيث طرحه ارضاً وكسر ضـلعاً مـن اضلاعه.

وليس لجهاد عمّار وثباته غاية إلّا للدفاع عن بيضة الإسلام، وكلمة الحق.

قال ابن قتيبة: كتب بعض أصحاب النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كتاباً ذكروا فيه ما خالف عثمان من سنّة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وسنّة صاحبيه، وما كان من هبته خمس أفريقيا لمروان بن الحكم وفيه حق الله ورسوله، وأموراً أُخرى أرتكبها عثمان على خلاف الحق، وكان ممّن حضر الكتاب عمّار بن ياسر، والمقداد بن الأسود وكانوا عشرة، والكتاب في يد عمّار فدخل عليه وعنده مروان بن الحكم وأهله من بني أُميّة، فدفع إليه الكتاب فقرأه فقال له: أنت كتبت هذه الكتاب؟ فقال نعم: قال: ومن كان معك؟ قال: كان معي نفر تفرقوا خوفاً منك، قال: من هم؟ قال: لا أخبرك بهم. قال: فَلِمَ اجترأت عليَّ من بينهم؟ قال مروان بن الحكم يا أمير المؤمنين إن هذا العبد الأسود، (يعني عمّار) قد جرّأ عليك الناس وإنّك إن قتلته نكلّت به مَنْ وراءه، وقال عثمان اضربوه، فضربوه وكان حينذاك ينيف على الثمانين عاماً، واشترك عثمان بنفسه معهم في الضرب حتى فتقوا بطنه فغشي عليه فجروه حتى طرحوه على باب الدار، فأمرت به أُمّ سلمة زوج النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فأدخل منزلها لمعالجته، وغضبت فيه بنو مخزوم وكان عمّار حليفهم، واجتمعت بنو مخزوم وقالوا: والله لئن مات ما قتلنا به أحداً غير عثمان[1].

بلغ عمّار القمّة من ثقة المسلمين وتقديرهم، بفضل ما قال فيه الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من الثناء له في أحاديثه الشريفة، وما قدمه من التضحيات في مواقفه الرائعة في سوح الجهاد في سبيل الإسلام.

كما أبلىٰ بلاءً حسناً يوم الجمل ويوم صفين مع أمير المؤمنين (عليه السّلام) وكان حامل رايته.

(١) الإمامة والسياسة.

ولمّا شبت المعركة في صفين واحتدم القتال بين الحق والباطل «ليلة الهرير» زحف عمّار بن ياسر بكتيبته على الأعداء جيش الضلال جيش معاوية وحزبه من أهل الشام، ثم لكز حامل رايته هاشم المرقال وقال له تقدم فداك أبي وأمي والذي نفسي بيده لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعرفت إننا على الحق، وإنّهم على الباطل[1]، تلك الراية قاتلتها بين يدي رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ثلاث مرات وهذه الرابعة ثم انصب عليهم انصباب الصاعقة، فانهزموا أمامه إنهزام المعزى.

وقد علم أهل الشام حديث الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فيه وإنّه تقتله الفئة الباغية وهم اليوم الفئة الباغية التي قاتلهم عمّار بسيفه، كما إنّ خطر عمّار ما خفي على معاوية والمقربين من حزبه، ومن جهة أخرى يتقدم القائد مالك الأشتر ويغوص فيهم وينهزم جيش الضلال أمامه حتى كاد النصر يلوح بالافق لجيوش الإيمان لولا حيلة رفع المصاحف.

أعود فأقول تقدّم عمّار بكتيبته وحامل لوائه هاشم المرقال يجاهد الباغين، فلما مالت الشمس إلى المغيب ودخلت «ليلة الهرير» طلب عمّار ماءً ليفطر عليه وكان صائماً فجيء إليه بإناء فيه لبن، فتبسم قبل إفطاره واشرقت فيها نفسه وعلم أن أجله قد قرب فقال: قال لي حبيبي رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): **«آخر شرابك[2] من الدنيا ضياح من لبن وتقتلك الفئة الباغية»، أفطر عمّار** على اللبن وهو على جواده وكرّ بكتيبته على الباغين مقبلاً غير مدبر لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه، ودلف ساحة القتال غير مبالٍ، ثم وقف في وسط الميدان ينادي هل من مبارز؟ فبرز إليه فارس من السكاسك فتقدم إليه عمار فقتله، ثم برز إليه فارس آخر من حمير فقتله أيضاً، وجعل يقتل كل من يبرز إليه

(١) المستدرك للحاكم النيسابوري ٣ / ٣٨٤.

(٢) في رواية زادك.

وتقدم نحوه، وكان أبو الغادية الفِزاري الجهني يتتبعه أيام عثمان، ويبغي له الغوالي، وها هو الآن يكيد له ويتحيّن له الفرصة، حتى رأى انهماكه بالبراز وانحسار الدرع عن ركبته فطعنه طعنة نجلاء وقع على أثرها على الأرض وأطبق عليه فارسان كانا معه فأجهزا عليه، فقضى نحبه، ألا لعنة الله على أبي الغادية الفزاري ومن شاركه في قتل رجل طالما أفنى عمره في جهاد أعداء الإسلام واستشهد عمّار وله من العمر أربعة وتسعون عاماً.

ولمّا قتل أبو الغادية عمّاراً تصايح الناس من المعسكرين ويلك قتلت أبا اليقظان؟ قتلك الله وأخزاك وجعل النار مثواك.

عند ذلك اضطر معاوية وعمر بن العاص إلى خداع الناس في معسكرهم بالتأويل «إنّ الذي قتل عمّار هو الذي أخرجه إلى ساحة القتال».

لو صدق هذا الكلام لكان الرسول الكريم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) هو الذي قتل عَمَهُ حمزة سيد الشهداء وهو الذي قتل جعفر الطيار لأنّه هو الذي أخرجهم للقتال في أُحد وفي مؤته.

وشهد خُزيمة بن ثابت يوم الجمل ويوم صفين وهو لا يسل فيها سيفاً، فلمّا قتل عمّار وهو في صفوف الإمام قال: الآن بانت لي الضلالة من الهدى، ثمّ تقدّم بسيفه وقاتل أهل الشام وهو في صفوف الإمام حتى قتل.

قال: عمرو بن العاص، لقد سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يقول: «قاتل عمّار وسالبه في النار» فرد عليه معاوية كيف تقول ذلك، فيجيبه عمرو والله هو ذاك والله هو ذاك إنّك لتعلمه، ولوددتُ أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة.

لأنّ أي امرىءٍ من المسلمين لم يعظم عليه قتل عمّار بن ياسر، ولم تدخل به عليه المصيبة الموجعة لغير رشيد.

وقف أمير المؤمنين (عليه السّلام) على عمّار وهاشم المرقال وأبّنهما خير

تأبين وأمر أن يصف جثمانهما معاً فصلى عليهما معاً دون أن يغسلهما أو يكفنهما ودفنهما بملابسهما في أرض صفين، وذلك في شهر صفر من سنة سبع وثلاثين للهجرة.

فسلام عليك يا أبا اليقضان وعلى المستشهدين معك يوم ولدت، ويوم أسلمت ويو م عُذّبت ويوم جاهدت، ويوم أُستشهدت ويوم تُبعث حياً.

والسلام على شريكك هاشم المرقال، والبطل المغوار وياليتنا كنا معكم.

المصادر:

مسند أحمد ج ٤ ص ٢٦٢، ٣١٩.

طبقات ابن سعد ٣ / ١٧٦.

حلية الأولياء ١ / ١٣٩.

الاستيعاب ٢ / ٤٧٦، ٨ / ٢٢٥.

تاريخ بغداد ١ / ١٥).

تاريخ دمشق ١٢ / ٣٠٠.

أسد الغابة ٤ / ٤٣، ١٢٩.

تهذيب التهذيب ٧ / ٤٠٧.

تهذيب الكمال ٢١ / ٢١٥.

مالك الأشتر

« لله در مالك وما مالك؟! وهل قامت النساء عن مثل مالك؟! وهل موجود كمالك؟! رحم الله مالكاً فلقد كان لي كما كنت لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بهذه الكلمات الرائعة خلّد الإمام علي (عليه السّلام) مالك الأشتر.

هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث إلى أن يصل نسبه إلى يعرب بن قحطان في الظهر العاشر.

ولد مالك الاشتر بين عام ٢٥ ـ ٣٠ قبل الهجرة النبوية المباركة[١].

اعتنق مالك الاسلام كما اعتنق غيرهُ من عظماء هذا العهد المبارك فكان من المؤمنين الذين شهد لهم النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بذلك، ولم يره، حينما أخبر أبا ذر بأنّه سيلي تجهيزه [في الربذة] عصابة من المؤمنين، وكان على رأسهم مالك الأشتر، وحجر بن عدي.

وذُكر مالك عند النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقال فيه: **«إنّه المؤمن حقّاً»** وهذه الشهادة لا تعدلها شهادة الدنيا بأسرها، لأنّها صدرت من أعظم إنسانٍ في الدنيا، وهي دليل على أن مالكاً كان شاباً في عهد النبيّ له وزنه وله رأي في قومه.

كان مالك الاشتر من زعماء العراق الأشداء، فارساً صنديداً لا يشق له غبار، شديد البأس، رئيس أركان الجيش لعساكر أبي الحسن علي (عليه السّلام) في معاركه، وهو من زعماء مذحج الابطال المغاوير، وسيد قوم النخع وشجعانها

(١) أعيان الشيعة ج ٩ ص ٤١.

المساعير، ومن رواسي الجبال في الحلم، ومن السحاب الثقال في الكرم والسخاء.

أما في السياسة فكان من الأكياس الحازمين، يجمع بين اللّين والعنف فيسطو في موضع السطو، ويرفق في موضع الرفق، قد شهد له بذلك أمير المؤمنين (عليه السّلام) فقال عنه: «إنّه ممّن لا يخاف وهنه ولا سقطته، ولا بطؤه عمّا الإسراع إليه أحزم، ولا إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل».

وهو خطيب مفوّه، وقائد عسكري محنّك، وشاعر ألمعي، وثائر متكلّم، وقد استطاع أن يخمد بذلاقة لسانه من الفتن العمياء ما أعيى السيف اطفاؤها في كثيرٍ من المواقف والمشاهد التي نصر فيها الحق وحارب الباطل.

شارك مالك (رحمه الله) في معركة اليرموك، وقاتل قتال الأبطال حتى شترت فيها عينه، فصار يلقب بالأشتر.

بعد ذلك أرسل مدداً لمحاربة كسرى في القادسية وذلك في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، وبعد انتصار المسلمين في تلك الحروب عاد إلى أهله ووطنه في الكوفة، وكان زعيم مذحج ونخع.

ولمّا استاء الصلحاء من أهل الكوفة وضاقوا ذرعاً لتصرّفات الوليد بن عُقبة المستهتر الماجن المعلن للفسق والفجور، وشرب الخمور، شكوه إلى عثمان ـ الذي كان قد ولاّه الكوفة (٢٥ ـ ٢٩هـ) بعد سعد بن أبي وقاص ـ خاصة عندما صلّى بهم صلاة الصبح ست ركعات، ثمّ توجه إلى المصلين وهو سكران قائلاً: هل أزيدكم، وبعد أن تقيأ ما شرب من الخمر في المحراب وعلى المنبر، وانطرح ثملاً لا يشعر بما حوله تقدّم الأشتر ورفاقه فاستل الخاتم من يده وهو لا يحس أبداً وقصدوا به إلى الخليفة عثمان في المدينة يشكونه، ومع ذلك كلّه فلم يسمع عثمان شكواهم واتهمهم بالكذب حتى اضطر إلى جلبه من الكوفة إلى المدينة لمحاكمه، حتى أثبتوا ذلك بالبيّنة القاطعة والشهود العيان، عند ذلك وقف أمير

المؤمنين (عليه السّلام) وأقام عليه الحدّ وجلده وعزله تحت ضغط الثوار.

وهنا برز دور الأشتر بوضوح للوقوف بوجه الاستهتار الأموي وطغيانهم الذي وصل أوجه في الكوفة، وفي وغيرها من الأمصار الإسلامية.

كما أنّ أهل الكوفة ثاروا مرةً ثانية بوجه سعيد بن العاص حينما استبدّ بالحكم واستأثر قريش على سائر العرب والمسلمين بكلّ شيء وزعم ان السواد[1] بستان لقريش، فرجع سعيد بن العاص إلى عثمان مطروداً، فأرسل عثمان مكانه أبا موسى الأشعري، كلّ ذلك كان بزعامة الثائر مالك الأشتر.

وبسبب مواقفه السابقة الجريئة الصلبة الفعّالة، ومطالبته بالحقّ، نفاه عثمان مرتين عن الكوفة، مرة الى الشام، والأُخرى إلى حمص.

كان مالك الأشتر، وحجر بن عدي الكندي من الذين شهدوا وفاة أبي ذر وقاموا بتجهيزه بعد وفاته، لما مرّ ركبهم على الربذة بطريقهم إلى الحج، وبعد دفنه وقف مالك على قبره يؤبّنه، ورثاه بهذه الكلمات الرائعة:

«اللّهم هذا أبو ذر جندب بن جنادة بن سكن الغفاري، صاحب رسولك محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) اتّبع ما أنزلت [على رسولك] من آياتك، عَبَدك في العابدين، وجاهد فيك المشركين، ولم يغيّر ولم يبدّل، لكن رأى منكراً فأنكره بلسانه وقلبه فَحُقِّر وحُرِم حتى افتقر، وَضُيع حتى مات غريباً في أرض غربة.

اللّهم فاعطه من الجنّة حتى يرضى، واقصم من طرده وحرمه، ونفاه من مهاجره حرم رسولك محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

وما أن اشتدّ لهيب الثورة على عثمان في كلّ الأمصار الإسلامية حتى خرج مالك الأشتر بمائتين من أشراف أهل الكوفة قاصداً المدينة المنورة إلى عثمان،

(١) كانت أراضي العراق خصبة لاسيما الكوفة وماتبعها ولشدّة خضارها سميت بالسواد.

وكان رأي الأشتر إقناع عثمان بالعدول عن خطته أو الاعتزال عن منصبه، لأنّه ليس بكفء لذلك، ولأنّه فعل الأفاعيل وأعطى المواعيد القاطعة ولم يفِ بها للمسلمين، كما أنّه حمل بني أُميّة على رقاب المسلمين، واعتزل مالك عن محاصرة عثمان وعن قتاله، حتى حدث ما حدث.

ولمّا بويع الإمام علي (عليه السّلام) بالخلافة واستتب له الأمر وسار في أهله بالعدّل، لم يرق ذلك للبعض ممن بايعه، ومنهم طلحة والزبير الذين كانا أول من مدّ يد المبايعة، على أمل أن يمنحهم المراكز العالية، والأموال الطائلة، وبعد محاولات عديدة لم يحصلا على ما يطمحان إليه، خرجا إلى مكّة بحجة العمرة، وهناك التقيا بعائشة وبعض رؤساء الأمويين، وجمعوا الأموال والسلاح، بحجة الثأر لعثمان، وساروا الى البصرة، لأعلان الثورة على الخليفة وإمامهم علي بن أبي طالب (عليه السّلام) وقد تزعم الحركة والتمرد عائشة، وطلحة، والزبير، وتبعهم عبد الله بن الزبير، ومروان بن الحكم وبعض من هرب من المدينة من الأمويين.

وسار الإمام بجيوشه إلى البصرة، وقد بعث الإمام ولده الحسن (عليه السّلام) وابن عباس لتعبئة أهل الكوفة، والالتحاق بجيش الإمام الزاحف إلى البصرة لمحاربة الناكثين، وجيش الضلال، غير أنّ والي الإمام في الكوفة أبا موسى الأشعري خان الأمانة وأخذ يُثبّط أهل الكوفة عن اللّحوق بجيش الإمام، لأنّه كان عثماني الهوى، إستجابةً لطلب عائشة منه، حتى وصل مالك الأشتر بأمرٍ من الإمام، ومعه كتاب بخلع أبي موسى الأشعري، عن الولاية، وعندما دخل الكوفة توجه رأساً إلى دار الإمارة فاحتلها واستولى عليها وطرد حرّاسها ومن فيها، وبعدها أتى المسجد وكان أبو موسى يخطب الناس ويثبطهم، فهجم عليه وأنزله من المنبر وطرده من المسجد شر طردة، وعزله عن الولاية، عندها ثار الصلحاء من أهل الكوفة وأرادوا قتله فنعهم مالك الأشتر من ذلك، وصعد المنبر

فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على رسوله وآله، ثم أخذ يعظ الناس ويشحذ هممهم، لينفروا مع الإمام في مسيره إلى البصرة.

ثم عبّأ مالك أهل الكوفة بالمقاتلين والنجدات من المحاربين كتيبة تتلوها كتيبة، كما عبّأ عشيرته من مذحج عامّة ومن النخع خاصة لنجدة قوات الإمام (عليه السّلام) وسار معهم حتى التحق بجيوش الإمام في البصرة، فلمّا عبّأ الإمام جنده وصفّ عسكره قام فيهم خطيباً وبعد أن أنتهى الإمام من خطبته، قام مالك الأشتر فاستأذن الإمام في الكلام ثمّ قال:

«الحمد لله الذي مَنَّ علينا فأفضل، وأحسن إلينا فأجمل، قد سمعنا كلامك يا أمير المؤمنين، ولقد أصبت ووفقت، وأنت ابن عمّ نبيّنا، وصهره ووصيه، وأوّل مصدّق به ومصلّ معه، شهدت مشاهده كلّها...».

وفي حرب الجمل جعل الإمام (عليه السّلام) مالكاً على الميمنة، فقاتل صناديد العرب المغرّر بهم من جند الجمل وقتل الكثير منهم، واشتدّ القتال وحمي الوطيس وطاحت الرؤوس والأيدي حول الجمل والجمل ما يزال قائماً وعليه المرأة، فأمر أمير المؤمنين بعقر الجمل، لما رأى الإمام (عليه السّلام) إنّ الحرب لا يخمد ضرامها ما دام الجمل واقفاً وعائشة راكبة عليه تحرّض الناس على قتال الإمام(عليه السّلام).

عند ذلك هجم محمد بن أبي بكر، ومالك الأشتر، وعمّار بن ياسر على الجمل فعقروه ووقع الهودج على الأرض، وانهزم المدافعون عنه شر هزيمة كأنهم الجراد المنتشر، وولو الدبر، ووضعت الحرب أوزارها.

جاء الأشتر إلى عائشة بعد أن أنهزم عسكرها وقال لها:

الحمد لله الذي نصر وليّه، وكبت عدوه، ﴿جاءَ الحَقّ وَزَهَقَ البَاطل إنّ البَاطِلَ كان زَهُوقا﴾ كيف رأيت صنع الله بك يا عائشة؟

فقالت: من أنت ثكلتك امك.

فقال: أنا ابنكِ الأشتر.

قالت: كذبت، لست بأمك.

قال: بلى وإن كرهت.

فقالت: أنت الذي أردت أن تثكل اختي أسماء بابنها؟

قال: والله لولا أنني كنت شيخاً كبيراً، وطاوياً ثلاثة أيام لأرحتك وأرحت أمّة محمّد والمسلمين منه.

ثم أنشد هذه الأبيات:

أعائش لولا أنـني كـنت طـاوياً ... ثلاثاً لالفيت ابن اختـك هـالكا

غـداة يـنادي والرمـاح تـنوشه ... بآخر صـوت اقـتلوني ومـالكا

فـنجاه مـني شـبعه وشـبابه ... وخلوة جوفٍ لم يكـن مـتماسكا

وكان قد كتب الأشتر من المدينة إلى عائشة وهي لا تزال في مكّة قبل خروجها:

«أما بعد، فإنّك ظعينة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وقد أمرك أن تقري في بيتكِ، فإن فعلتِ فهو خيرٌ لكِ وأن أبيتِ إلّا أن تأخذي منسأتِكِ وتلقي جلبابكِ، وتبدي للناس شعيراتكِ، قاتلتكِ حتى أردّكِ إلى بيتكِ، والموضع الذي يرضاه لكِ ربكِ».

وفي صفين حينما سار جيش الإمام (عليه السّلام)، أجبر القائد مالك الأشتر أهل الرقة على إنشاء جسر على نهر الفرات ليعبر جيش الإمام عليه بطريقه لمقاتلة القاسطين، ففعلوا ذلك على كرهٍ وخوفٍ منه، وكان جلّ أهلها عثمانية الرأي.

كان مالك الاشتر اللولب والمحور المستمر الفعّال في إدارة الحرب في معركة

صفين.

وقد أزال هو والأشعث بن قيس، قوات أهل الشام وقائدها أبا الأعور السلمي عن الفرات بعد أن استولى عليها جنده، ومنعوا أصحاب الإمام الماء وورده.

قاد مالك الأشتر في حرب صفين جيشاً تعداده أربعة آلاف مقاتل من المشاة والفرسان، وذلك يوم الأربعاء ١ صفر من عام ٣٧ هـ لقتال حبيب بن مسلمة الفهري ـ من قواد جيش معاوية.

كما قاد الجند في الوقعة التي حدثت يوم الثلاثاء ٧ صفر ٣٧ هـ فهزمهم شر هزيمة.

وكان على رأس من قاتلوا في وقعة يوم الخميس ٩ صفر من نفس العام وقد قتل فيها حرس معاوية الخاص، المعمّمون بشقق الحرير الأخضر، المنعوتة بالكتيبة الخضراء، وهم صفوف خمسة نذروا أنفسهم أن يقاتلوا حتى يقتلوا.

واستمر القتال يوم الخميس إلى ليلة الجمعة ١٠ صفر، وهي ليلة الهرير، ولم يثنِ مالك الأشتر كل ذلك، واستمر بالقتال والزحف وقتل من جيش معاوية الكثير الكثير وتقدّم حتى انتهى إلى الدرع الواقي لمعاوية الكتيبة الخضراء، فطحن أربعة صفوف منها، وبقي الصف الخامس ولمّا قرب الأشتر من فسطاط معاوية بعد أن دحر جيوش الضلال من أهل الشام، وكان النصر قريباً... قاب قوسين أو أدنى، وأراد معاوية الهرب أو طلب الأمان، ظهرت مكيدة رفع المصاحف، وانخدع بها جيش الإمام (عليه السّلام)، وجاءه زهاء أربعة آلاف من جيشه يتقدّمهم الأشعث بن قيس، وهم شاكي السلاح وسيوفهم على عواتقهم وطلبوا من الامام اجابة القوم الى كتاب الله، وقالوا: فابعث إلى الاشتر ليأتيك، وكان الأشتر صبيحة ليلة الهرير قد أشرف على معسكر معاوية ليدخله، فأرسل إليه

يزيد بن هاني فأتاه فبلّغه، فقال الأشتر: قل له ليس هذه ساعة ينبغي أن أترك فيها موقعي إني قد رجوت أن يفتح الله بي فلا تعجلني.

ولما لم يكن بدٌّ من رجوع الأشتر فاقبل وصاح بهم: «يا أهل الذلّ والوهن، أحين علوتم القوم فظنوا أنكم لهم قاهرون، رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ...».

فسبّوه وسبّهم وضربوا بسياطهم وجه دابته، وضرب بسوطه وجوه دوابهم، فصاح بهم علي (عليه السّلام) فكفوا.

وحين اضطر الإمام (عليه السّلام) إلى قبول التحكيم اختار الأشتر حكماً من قِبَلِهِ، ولكن الأشعث بن قيس، الذي ترأس الغوغائية من الخارجين على الإمام عارض ذلك، وفرض أبا موسى الأشعري، لعلمه أنّه كان عثماني الهوى، ولجأ إلى معاوية بالشام بعد عزله من إمارة الكوفة وطرده.

وبعد التوقيع على صحيفة الصلح، عاد مالك الأشتر إلى عمله بالجزيرة على الموصل، ونصيبين، وسنجار، وهيت، وعانات، وما تحت سلطانه من تلك الربوع والمناطق من أرض العراق.

لقد استطاع معاوية وعمرو بن العاص أن يثيرا الشغب ويخلقا المتاعب في مصر لوالي الإمام محمد بن أبي بكر وقتله سنة ٣٨ هـ تمهيداً لاحتلالها.

فلمّا علم الإمام (عليه السّلام)بذلك، كتب إلى مالك الأشتر وهو في نصيبين بالجزيرة:

«أما بعد فإنّك ممّن استظهر به على إقامة الدين، وأقمع به نخوة الأثيم، وأسّد به ثغر المخوف، وقد كنت ولّيت محمد بن أبي بكر مصر، «فخرجت عليه الخوارج، فاقدِم للنظر فيما ينبغي واستخلف على عملك أهل الثقة والنصيحة من أصحابك والسلام»، وارفده بكتاب إلى اهل مصر.

ضاق معاوية بهذا النبأ، وجمع أهل الرأي من أصحابه بما فيهم عمرو بن العاص، ليوحّدوا رأيهم في هذا الموضوع، فإنّ تولية مالك الأشتر أشدّ عليه وأهم بكثير من أمر محمد بن أبي بكر.

وفكر طويلاً في السبيل إلى تبعيد الأشتر عن مصر، فلمعاوية فيها مطامع كثيرة، ولابدّ أن يجد السبيل إلى ذلك، ولماذا لا يشتري ضمائر المرتزقة؟

وأخيراً اهتدى ابن العاص لرأي شيطاني وصاح بفرح والخمرة تدب في رأسه قائلاً: أنّ فلاناً وهو صاحب حاجة عندك احمله على اغتياله فكتب معاوية الى الجايستار وهو من أهل الخراج، ودهقان القلزم، وأرسل إليه سماً قاتلاً وأمره أن يحتال على مالك الأشتر حين مروره عليه بطريقه إلى مصر، وإن يسقيه هذا السم، ووعده إن فعل ذلك أن يرفع عنه خراج تلك المنطقة ما دام حياً.

وعندما بلغ الأشتر القلزم وهي على ليلة من مصر احتال الجايستار فجعل السم في العسل وسقاه إياه، فاستشهد (رحمه الله) مسموماً من تلك الجرعة من العسل، كان ذلك عام ٣٨هـ على يد عدو الله والدين والإنسانية معاوية بن آكلة الأكباد.

فسلام عليه يوم ولد ويوم جاهد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.

وقد رثاه الإمام (عليه السّلام) بما لم يرثِ به أحداً من اصحابه فقد صعد الإمام (عليه السّلام) المنبر وخطب لناس ونعاهم الأشتر بعد الحمد لله والثناء عليه، والصلاة على رسوله وآله، ثمّ قال: ألا إنّ مالك بن الحارث قد قضى نحبه، وأوفى بعهده، ولقي ربّه، فرحم الله مالكاً، لو كان جبلاً لكان فنداً، ولو كان حَجَراً لكان صلداً، لله در مالك! وما مالك! وهل قامت النساء عن مثل مالك؟! وهل موجود كمالك؟! رحم الله مالكاً فلقد كان لي كما كنت لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وما أقول في رجلٍ هزمت حياته أهل الشام، وهزم موته أهل العراق، فسلام عليه يوم ولد، ويوم اسلم وجاهد، ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.

ميثم التمـار

ولد ميثم بن يحيى التمار بمدينة النهروان بالعراق، أَصبح عبداً لامرأةٍ من بني أسد، فاشتراه أمير المؤمنين (عليه السّلام) وأعتقه، وكان قد أسلم قبل ذلك، وقال له: ما اسمك؟ قال: سالم قال (عليه السّلام): «أخبرني رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أنّ اسمك الذي سماك به أبواك في العجم ميثم» قال: صدق الله ورسوله وصدقت يا أمير المؤمنين، والله إنّه لاسمي، قال: «فارجع إلى اسمك الذي سمّاك رسول الله (عليه السّلام) ودع سالماً» فرجع ميثم واكتنى بأبي سالم.

وكان ميثم يبيع التمر في محل له بالقرب من رحبة الكوفة لذا سمّي بـ «ميثم التمار».

وكان ميثم أحد الاشخاص الذين أوصى بهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) علياً (عليه السّلام).

لازم ميثم الإمام (عليه السّلام) منذ ذلك اليوم ملازمة الظل صاحبه ويحذو خلفه حذو الفصيل إثر أُمّه واكتسب من علومه ومعارفه ما لم يكتسبه إلّا القلة من حواري الإمام (عليه السّلام) على الرغم من قصر المدة حتى وصل إلىٰ درجات عالية من السموّ والكمال والفضيلة نظراً لما يتمتع به من الاستعداد الفطري، والنبوغ العقلي، وسعة الأفق، ونفاسة المعدن.

كان الإمام (عليه السّلام) يصطحب ميثم عندما يخرج في جوف الليل إلى الصحراء في الخلوة والتهجد والمناجاة، لثقة الإمام (عليه السّلام) بمواهبه وقابلياته وإخلاصه، حتى أطلعه على أسرارٍ عظيمة من مكنون العلوم، والمعارف، كما أطلعه على «علم الآجال، وعلم البلايا والمنايا، حتى أصبح صاحب سرّه»،

وكان الإمام (عليه السّلام) قد عَلَّمَ نخبة من أجلاء أصحابه وحواريه هذا العلم، منهم: عمّار بن ياسر، وحبيب بن مظاهر الأسدي، ورُشيد الهجري، وكمُيل بن زياد، وعمرو بن الحمق الخزاعي، ومحمد بن أبي بكر، وأويس القرني، وكان ميثم من هؤلاء الصفوة من المؤمنين الأخيار، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على مكانة هذه الصفوة ذلك لأن الإمام (عليه السّلام) ما كان يصطحب أحداً في ساعات خلوته بربّه، للمناجاة والتهجد والعبادة إلّا القلّة الذين امتحن الله قلوبهم ممّن كانوا يتحملون فعلاً صحبته والتعرف على أسراره، وهم الذين كانوا يتمتعون بإيمان راسخ ويقين صادق وروح عالية.

وقد سئل الإمام (عليه السّلام) يوماً عن «ميثم» فقال: «أين يوجد مثل ميثم؟ لو كان في الناس أمثال ميثم لكانت السعادة قد غمرت الدنيا جميعاً».

ولم يكن «ميثم» يعلم ما سيجري عليه من صلب، وقتل، وتقطيع، ولجم، ومن سيقتله، ومتى، وأين وكيف؟ فحسب، بل كان يعلم ما سيجري على الآخرين أيضاً.

فقد التقى ميثم ذات يوم (بحبيب بن مظاهر الأسدي» في مجلس (بني أسد) وجرى بينهما حوار وحديث طويل، والناس صامتون يستمعون لحوارهما، وأخيراً قال حبيب بن مظاهر الأسدي: كأني بشيخ أصلع ضخم البطن يبيع البطيخ عند دار الرزق قد صلب في حبّ أهل بيت نبيه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ويبقر بطنه على الخشبة وكان يقصد بذلك «ميثم التمار» ولم يكترث ميثم بذلك لعلمه مسبقاً.

فقال له ميثم: وإني لأعرف رجلاً احمر له ظفيرتان يخرج لنصرة ابن بنت نبيه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فيقتل ويجال برأسه في الكوفة، وكان يقصد بذلك حبيب بن مظاهر الأسدي، ثم افترقا.

وضحك منهما من كان حاضراً استهزاءً وسخريةً وقالوا: ما رأينا أكذب من هذين، ولم يفترق أهل المجلس حتى أقبل رشيد الهجري فسأل عنهما فقيل له إنّهما افترقا وكان من أمرهما كذا وكذا .. فقال رشيد الهجري: رحم الله ميثماً لقد نسيَ أن يقول بأن الشخص الذي سيحمل رأس حبيب بن مظاهر إلى الكوفة سيمنح جائزةً مقدارها مائة درهم.

فقال الجالسون: والله إن هذا الرجل أي رشيد الهجري أكذب منهما، فما ذهبت الليالي والأيام حتى وقع كل ذلك، وأدرك هؤلاء الجمع من الناس أن ما قاله، ميثم التمار، وحبيب بن مظاهر، ورشيد الهجري كان صحيحاً.

وقد نفذّ ابن مرجانه كل ما تنبأ به حبيب بن مظاهر ، وميثم التمار ، ورشيد الهجري.

كان الإمام (عليه السّلام) لا يأنس إلّا بهم ولا يستريح إلّا عندهم، وخاصة عندما يمرّ بالسوق ويجلس عند دكان «ميثم التمار» يحدّثه، ويرشده، ويعلّمه، ويعضه، وربّما يرسله لبعض شأنه فيجلس الإمام (عليه السّلام) مكانه يبيع التمر لمن يشتري، وذات يوم جاء رجل واشترى تمراً بدرهم بهرج ـ أي بنقود مزيفة ـ فلمّا رأى الإمام (عليه السّلام) ذلك، قال: سيجد هذا الرجل التمر مرّاً فيرجعه، وبعد قليل جاء الرجل ليرد التمر فرد عليه الإمام (عليه السّلام) نقوده المزيفة، ونصحه ووعضه أن لا يعود لمثله.

إن جلوس الإمام (عليه السّلام) في محل ميثم، وهو أمير المؤمنين، وخليفة رسول ربّ العالمين والحاكم على المسلمين يبيع التمر بدلاً من صاحبه لدليل قاطع على عظمته، وشدّة تواضعه وضربه المثل الأعلى بالمساواة بين المسلمين، وتعظيم العلم والعلماء الصالحين.

عجباً كيف لا يأخذ هذا الرجل العجب، ويتداخله الكبر والزهو وهو يرى

أنّ إمامه يعامله بهذه الصورة، وهو الذي كان عبداً مملوكاً لامرأة بالأمس؟.

هناك تشابه كبير بين «سلمان الفارسيّ، وميثم التمار» في بعض الأمور، منها مثلاً:

أ ـ كان سلمان مملوكاً لامرأة يهودية في المدينة فاشتراه النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وأعتقه، وقرّبه وأدناه، حتى صار من أهل البيت، وصار سلمان المحمدي.

وكان «ميثم التمار» مملوكاً لامرأة أسدية في الكوفة، فاشتراه الإمام (عليه السّلام) وأعتقه، وقرّبه وأدناه، حتى صار أقرب الناس إليه، ومن حواريّه وحملة سره.

ب ـ أخذ سلمان العلم عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حتى صار أعلم أصحابه ثم أخذ العلم من بعده عن أمير المؤمنين (عليه السّلام) .

وأخذ ميثم العلم عن إمامه أمير المؤمنين (عليه السّلام) حتى صار أعلم أصحابه وأفقههم ثمّ أخذ العلم من بعده عن ولديه الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام).

ج ـ كان أوّل عهد سلمان بالنبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في المدينة، وكان أوّل عهد ميثم بأمير المؤمنين في الكوفة، وكان العهد قصيراً في مصاحبة سلمان لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ومثله في مصاحبة ميثم لأمير المؤمنين (عليه السّلام).

والعجب من هذين الشخصين كيف اكتسبا هذه العلوم الجمّة في هذه الفترة القصيرة، أجل، لأن المعلّم بصير، والمعدن نفيس.

كان الإمام (عليه السّلام) يختصّه بنفيس علومه، ويطلعه على مكنون أسراره، حتى أنّه كان (عليه السّلام) يطلعه على ما سيجري عليه، وما سوف

يصنعه به أعداؤه. قال ميثم: ومن يصنع ذلك بي يا أمير المؤمنين؟ فقال: يأخذك العُتل الزنيم ابن الأمة الفاجرة ابن زياد، ويروي له نُبذاً من فضيع التعذيب الذي يلاقيه وهو يقول: «هذا في الله قليل» حتى قال له يوماً: إنّك تؤخذ بعدي فتصلب وتطعن بحربة، فإذا كان اليوم الثالث ابتدر منخراك وفمك دماً [عبيطاً] فيخضب لحيتك، فانتظر ذلك الخضاب، وتصلب على باب دار عمرو بن حريث عاشر عشرة وأنت أقصرهم خشبةً وأقربهم من المطهرة[1]، فامض معي حتى أُريك النخلة التي تصلب على جذعها، فأراه إياها.

وكان ميثم يأتيها فيصلي عندها ويقول: بوركتِ من نخلةٍ، لكِ خلقت ولي غذيتِ.

وحج ميثم في السنة التي قتل فيها، فدخل على أمّ المؤمنين، أم سلمة (رضي الله عنها).

فقالت: من أنت؟ قال: أنا ميثم التمار، قالت: والله لربّما سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يوصي بك علياً في جوف الليل، فسألها عن الحسين (عليه السّلام) قالت: هو في حائط[2] له ويذكرك دائماً، قال: أخبريه أني قد أحببت السلام عليه، ونحن ملتقون عند ربّ العالمين إن شاء الله، فدعت له بطيب فطيب لحيته، وقالت له: أما أنّها ستخضب بدم.

فقدم ميثم الكوفة بعد الحجّ، وقد اشتدّ ابن زياد بظلم أهل الكوفة وفرض الضرائب، وتعسف عامله على السوق، وما كان لميثم وأصحابه أن يصبروا على أساليب القوم الوحشيّة، واستهتارهم بالحكم فخرجوا في تظاهرةٍ قاصدين دار

---

(١) حوض فيه ماء يتطهّر منه الناس .

(٢) الحائط: البستان .

الإمارة، فتقدم ميثم المظاهرة من أهل السوق وخطب أمام ابن زياد، وهو يستمع إليه، ويعجب بفصاحته، فيأمر بحبسه وحبس المختار بن أبي عبيدة معه، فقال ميثم للمختار، إنّك تفلت من قبضة هذا الطاغية، وتخرج عليه ثائراً بدم الحسين (عليه السّلام) فتقتل هذا الذي يقتلنا، فلمّا دعا عبيد الله المختار ليقتله، طلع البريد بكتاب يزيد الى عبيد الله يأمره باطلاق سراح المختار وتخلية سبيله فخلاه، وذلك بشفاعة عبد الله بن عمر بن الخطاب لأنّه كان زوج أخت المختار.

ثم أدخل ميثم على عبيد الله بن زياد، فقيل له: هذا كان من آثر الناس عند علي، قال: ويحكم هذا الأعجمي؟! قيل له نعم قال ابن زياد: من ربّك؟ قال: بالمرصاد لكلّ ظالم، وأنت أحد الظلمة، قال: إنّك على عجمتك لتبلغ الذي تريد؟ ما أخبرك صاحبك أنّي فاعل بك؟

قال ميثم: قال إمامي علي (عليه السّلام) والله ليقطعن يديك ورجليك ولسانك، ولتصلبن عاشر عشرةٍ، أقصرهم خشبة، وأقربهم من المطهرة، وتعلّق على باب دار عمرو بن حريث، فقلت من يفعل ذلك بي يا أمير المؤمنين؟ قال: يأخذك العتل الزنيم ابن الأمَة الفاجرة عبيد الله بن زياد.

فاستشاط ابن زياد غضباً، واربدَّ وجهه واحتقن، ونطّت عروقه وصرخ قائلاً لنخالفه ونكذب صاحبك قال ميثم: كيف تخالفه؟ والله ما أخبرني إلّا عن الصادق الأمين رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، ولقد عرفت الموضع الذي أُصلبّ فيه، وإنّي أول خلق الله ألجم في الإسلام.

فقال ابن زياد: والله لأقطعّن يديك، ورجليك، ولأدعنّ لسانك حتى أكذبك، وأكذب مولاك، وصاح بجلاديه اقطعوا يديه ورجليه وأريحوني منه، وكان ما أراد، ثمّ أمر بإخراجه وصلبه على باب دار عمرو بن حريث، واحتشد الناس على ميثم، وهو بتلك الحالة يعالج جراحه، فالتف الناس حوله، يستمعون

إلى كلامه، وهو يتحدّث عن فضائل أهل البيت، ومساوىء بني أُميّة، حتى أبلغوا ابن زياد بأنّ هذا الرجل قد فضحك، وإذا بقي يتكلّم لعدّة ساعات، فإنّه سيحرك الناس ضدّك.

فأمر ابن زياد أن يوضع اللجام في فمه، ولكن ميثم لم يمنعه ذلك فأخذ يتكلّم بأي صورة يستطيع بها إفهام الناس قصده.

وهال ابن زياد هذا الأمر وجنّ جنونه، وأمر سيّافه أن يبادر فوراً إلى قطع لسانه، فأشرق وجه ميثم، وتهللت أساريره، وأعجب الحاضرون منه فشعر الجريح بهذا المعنى، فقال: لا تعجبوا لقد زعم ابن الأمَة الفاجرة ابن زياد أن يكذّبني ويكذّب مولاي الإمام (عليه السّلام) لقد خاب ظنه، وتاه فاله، هاك لساني يا سيّاف فاقطع، ونفذ فيه أمر أميرك، وسيجزي الله الصابرين.

ومضى ميثم على تلك الحالة يعالج فيها جراحه ونفسه، ورغم شدّة آلامه لم يتغيّر ولم ينهار بل ازداد صلابة وإصراراً.

وفي اليوم الثاني ابتدر منخراه وفمه دماً عبيطاً قبل غروب الشمس أو عندها فخضبت لحيته بالدماء، وفي اليوم الثالث جاء إليه رجل من أوباش أهل الكوفة وقد أشار إليه بالحربة وهو يقول: والله لقد كنت، ما علمتك إلّا قوّاماً، صوّاماً، ثمّ طعنه بالحربة في خاصرته فأجَافه[1]، فكبّر وفاضت روحه الزكية، وأسلم نفسه إلى ربّه شاكياً ظلم بني أُميّة، وجورهم، وطغيانهم، وبقي مصلوباً عدّة ليال ولم يسمح ابن زياد بإنزاله، حتى أخذت الحمية بعض التمّارين، ورأوا أن بقاء ميثم على هذه الحالة عار عليهم، فجاؤا إليه في ظلام الليل وأنزلوه من على خشبته، وأخذوه بعيداً فدفنوه غفلة من أعين الحراس، في جامع المراد وهو حي

(١) الإجافة: إدخال الحربة أو الرمح في الجوف.

بني مراد من مذحج محل مرقده الحالي.

اتفقت الروايات أن يوم قتله كان قبل قدوم الإمام الحسين (عليه السّلام) كربلاء بعشرة أيام، وكان قدومه (عليه السّلام) في الثاني من شهر محرم الحرام سنة ٦١ هجرية فتكون شهادة ميثم في الثاني والعشرين من ذي الحجة عام ٦٠ هجرية.

كان لميثم (رحمه الله)، صفوة منتخبة من الأولاد، والأحفاد، أنالهم ميثم شرفاً وفخراً، ومثلهُ من يحبو بنيه الفخر والشرف.

أما أولاده: فقد ذكروا أنّ له ستة أولاد، وهم: محمّد، وشعيب، وصالح، وعلي، وعمران، وحمزة.

فسلام عليه يوم ولد، ويوم اسلم وجاهد، ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.

* * *

كميل بن زيـاد

وُلِدَ كميل بن زياد (سنة ١٢) من الهجرة النبويّة في اليمن، وكانت عائلته واحدة من أكبر العائلات المعروفة باليمن، قدَّمت هذه القبيلة خدمات جليلة للإسلام، فمالك الأشتر، وهلال بن نافع، وسوادة بن عام، وغيرهم كلهم من قبيلة كميل بن زياد.

سكن معظم أفراد هذه القبيلة بعد الإسلام في الكوفة، يعتبر كميل بن زياد من التابعين، ومن حواريي أمير المؤمنين (عليه السّلام).

لقد بدأت حياة «كميل» الجهادية المشرقة في عهد الإمام علي (عليه السّلام) وقد أعتبر من كبار أنصاره ومؤيديه خلال فترة خلافته.

لقد بلغ قرب كميل من الإمام علي (عليه السّلام) إلى درجة أنّه كان يخرج معه في جوف الليل للمناجاة وتلقي بعض الحِكم والأسرار منه.

وعندما تسلّم الإمام (عليه السّلام) زمام أمور المسلمين، عزل بعض الولاة والقادة غير المؤهلين، وعيّن مكانهم من هو أهل لهذه المناصب، ضمن سلسلة التعيينات هذه، عيّن الإمام (عليه السّلام) كميلاً والياً وحاكماً على مدينة «هيت» التي تقع علىٰ نهر الفرات في العراق، وطلب منه أن يقف بحزم في وجه أطماع معاوية.

وقد بلغت ثقة الإمام (عليه السلام) بـ«كميل بن زياد» درجة أنّه كتب إلىٰ «عبيد الله بن أبي رافع كاتب بيت المال كتاباً» يقول فيه: سيصلك عشرة من الثقاة لإجراء تصفية الحسابات الخاصّة والمتعلقة ببيت المال، فلمّا استفسر عبيد الله عن أسمائهم، سماهم الإمام (عليه السّلام) وكان كميل بن زياد أحدهم، وكان لفترة

مسؤولاً عن بيت المال.

كما كان على مستوى رفيع من العلم والمعرفة والفضيلة، مع زهد، وعبادة، وحيطةٍ في كل أموره لا سيّما في عقيدته ودينه، وكان كثير السؤال من الإمام (عليه السّلام) في شتى الامور، وكان الإمام (عليه السّلام) يجيبه عنها ويهتم بها لا سيّما بأسئلته العلميّة والفقهيّة ضمن سلسلة من المواعظ والحِكَم، على مسمع من الحاضرين ليستفيدوا منه.

إن تعليم الإمام (عليه السّلام) الدعاء المشهور باسمه، وما جاء فيه من رفيع الأدب، وفنون التهجّد والعبادة، لدليل على ما كان يتمتع به (كميل) من المعرفة العالية، والمنزلة الرفيعة والقابليات الفذّة التي تستوعب ذلك، وكان دائم الحضور في مجلس الإمام (عليه السّلام) أيّام تواجده في الكوفة.

اصطحب الإمام (عليه السّلام) ذات ليلة كميلاً إلى خارج الكوفة، ولمّا أشرف على الصحراء، تنفس الصعداء وتأوّه ثمّ قال:

ياكميل: الناسُ ثَلاثَةٌ: عَالِمٌ رَبّانِي، وَمُتَعَلِّمٌ عَلى سَبيلِ نَجاة، وَهَمَجٌ رُعاعَ اتباع كلِ نَاعِق.

يا كميل: العِلمُ خيرٌ مِنَ المَالَ، وَالعِلمُ يَحرِسُكَ وأنتَ تَحرسُ المَال، المال تَنقُصُهُ النَفَقةُ، والعِلمُ يزكو عَلَى الإنفَاقِ، وَصنيعُ المَالِ يَزُول بزوالِهِ.

ياكميل: العِلْمُ دِين يُدانُ بِهِ، به يكسب الإنسان الطاعة في حَياتِهِ، وجميل الأُحدوثةِ بعد وفاتِهِ، وَالعِلْمُ حَاكِمٌ والمَالِ محكُومٌ عَلَيه.

يا كميل: هَلكَ خُزّانُ الأموال وَهم أحياء، والعُلمَاء باقون ما بَقيَ الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة [مشهودة][1] ها إن هٰهُنا لَعِلماً جَمّاً

(١) رحم الله الشاعر صالح الجعفري: حيث ترجم هذا المقطع بقوله:

وأرى المال كالرجال فبعض ... مات حياً وآخرٌ عاش ميتا

(وأشار إلى صدره) لو أَصبتُ لَهُ حَمَلَةً!

ياكميل: مرُ أهلَكَ أن يروحوا في كسب المكارم، ويُدلجوا في حاجةَ من هوُ نائم، فو الذي وَسعَ سَمعُهُ الأصوات، ما من أحدٍ أودع قلباً سروراً إلّا وخلق الله لَهُ مِن ذلك السرور لطفاً، فإذا نَزَلتَ به نائِبةٌ جرى إليها كالماء في إنحداره، حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الإبل.

عاد الإمام (عليه السّلام) يوماً من سفرةٍ له وكان بصحبتهِ كميل بن زياد، انتهز الفرصة وسأل الإمام (عليه السّلام) عن الحقيقة؟

فأجابه الإمام (عليه السّلام): إنّك لا تستطيع تحمّل كُنِه الحَقيقَةِ، ولكنه على ذلك، فشرح له الإمام (عليه السّلام) بعض تلك الحقائق، وطلب منه المزيد، فكان يشرح له ذلك بقدر استيعابه.

إن الأسرار التي تعلّمها كميل بن زياد من مولاه أميره المؤمنين (عليه السّلام) كثيرة قلّما يدركها، ويتعلّمها، ويعرفها من نخبة أصحابه (عليه السّلام) أمثال أبو ذر، وعمار، وأويس القرني، ومحمد بن أبي بكر، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وغيرهم من خواص أصحابه وحوارييه.

كان كميل يصاحب الإمام (عليه السّلام) مصاحبة الظل صاحبه، ويستوعب كل كلمة تصدر منه (عليه السّلام) بسهر معه ويجالسه في اللّيالي في مسجد الكوفة إلى ساعاتٍ متأخرة يستفيد من حِكمِهِ، ومواعظِهِ، وفي ذات ليلة خرج الإمام (عليه السّلام) من المسجد وتبعه كميل، وهما يتجولان بين الشوارع والأزقة، إذ سمع كميل قرآءة قرآنٍ بصوت خاشع، متأثراً بكلام الله، وهو يتلو

هذه الآية:

﴿ أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّيلِ ساجِداً وَقائِماً يَحذَرُ الآخِرَةَ وَيَرجُوا رَحمَةَ رَبِهِ ، قُلْ هَلْ يَستَوي الَّذينَ يَعلَمونَ وَالَّذينَ لا يَعلَمُون﴾، وقد تأثّر كميل بهذه القرآءة، وبهذا الصوت الشجي، وتمنى في نفسه أن يكون شعرة في جسم ذلك القارىء.

التفت الإمام (عليه السّلام) إلى كميل وقال: «لا تتأثر بهذا الصوت فإنّ صاحبه من أهل النار، وسأخبرك بهذا السِّر في المستقبل».

وقد أدهش كلام الإمام (عليه السّلام) كميلاً لسببين: أولاً معرفة الإمام بتأثّر كميل بصوت القارىء، والسبب الثاني علمه بالغيب، وإخباره بأن صاحب الصوت من أهل النار.

وتمر اللّيالي والأيام، وتَمرّد بعض القراء وأهل الجباه السود من السجود، وخرجوا على الإمام في النهروان، ونشب القتال مع الخوارج وانتهت المعركة بقتل الخوارج، ومرَّ الإمام (عليه السّلام) على القتلى، وكان معه كميل بن زياد، ووضع رأس سيفه على أحدهم، وقال لكميل: إن هذا المقتول هو ذلك الشخص الذي كان يقرأ القرآن في تلك الليلة، وأنت معجب به، فاهتز كميل من الأعماق، ورمى بنفسه على قدم الإمام (عليه السّلام) يعتذر ويطلب من الله العفو والمغفرة.

كان كميل إلى جانب عبادته وزهده، بطلاً مقداماً في معظم الميادين التي مرت على الإمام (عليه السّلام) ولم يقف مكتوف الأيدي تجاه الأحداث.

ذكر صاحب الإصابة في كتابه الجزء ٣ ص٣١٨ ما يلي:

١ ـ كميل بن زياد بن نهيك، التابعي الشهير ـ له إدراكٌ كامل.

٢ ـ مات سنة ٨٢ للهجرة، وهو ابن سبعين عاماً [بل استشهد على يد الطاغية الحجاج الثقفي فيمن استشهد من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السّلام)].

وعدّه الشيخ المفيد في الاختصاص، من السابقين المقرّبين من أمير

المؤمنين (عليه السّلام) عند ذكر السابقين المقرّبين وذكر قصته مع الحجاج واستشهاده.

ذكر صاحب الأعلام الزركلي ج ٥ ص ٢٣٤.

كميل بن زياد النخعي، تابعي ثقة، من أصحاب علي بن أبي طالب (عليه السّلام) كان شريفاً مطاعاً في قومه، شهد صفين مع علي وسكن الكوفة وروى الحديث، قتله الحجاج صبراً.

في كتاب الفتوح ج ٤ ص٢٢٧، ٢٢٨ وجّه معاوية برجل من أهل الشام يقال له عبد الرحمن بن اشم، في خيل من أهل الشام إلى بلاد الجزيرة، وبالجزيرة يومئذ شبيب بن عامر وفي بعض المصادر شبث بن ربعي، وكان من أصحاب أمير المؤمنين، ومن زعماء أهل الكوفة، وهو الذي صار فيما بعد على جناح من جيش بني أُمية لمحاربة الحسين (عليه السّلام) في كربلاء، وكان في ستمائة رجل مسلّح مقيماً بنصيبين لحراسة الجزيرة من قبل أمير المؤمنين، فكتب إلى كميل بن زياد، أما بعد، فإنّي أُخبرك أن عبد الرحمن بن اشم قد وصل إليَّ من الشام في خيلٍ عظيمة، ولست أدري أين يريد؟ فكن على حذر، والسلام. وكان كميل بن زياد عاملاً لأمير المؤمنين (عليه السّلام) في هيت.

فكتب إليه كميل: أما بعد، فقد فهمت كتابك وأنا سائر إليك بمن معي في الخيل، والسلام.

ثمّ استخلف كميل بن زياد رجلاً يقال له عبد الله بن وهب الراسبي، على رأس حراسة مسلحة.

وخرج من هيت في أربعمائة فارس وقيل في ستمائة فارس كلهم أصحاب بيض ودروع حتى سار إلى شبيب بنصيبين، وخرج شبيب من نصيبين في ستمائة رجل، فساروا جميعاً في ما ينيف على الألف فارس، يريدون عبد الرحمن بن اشم،

وكان يومئذ بمدينة يقال لها كفرتونا في جيش لجب من أهل الشام.

فأشرفت خيل أهل العراق على خيل أهل الشام، واختلط القوم فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقُتِلَ مِن أصحاب كميل رجلان، ومن أصحاب شبيب أربعة رجال! ووقعت الهزيمة على أهل الشام فقتل منهم بشر كثير، فولوا الأدبار منهزمين نحو الشام، وأمر كميل بن زياد أصحابه أن لا يتبعوا المنهزمين المدبرين، ولا يجهزوا على جريح.

ثمّ رجع شبيب بن عامر إلى نصيبين، ورجع كميل بن زياد إلى هيت وبلغ ذلك علياً (عليه السّلام) فكتب إلى كميل بن زياد.

أمّا بعد، فالحمد لله الذي يصنع للمرء كيف يشاء، وينزل النصر على من يشاء إذا شاء، فَنِعمَ المولى ربنا ونعم النصير، وقد أحسنت النظر للمسلمين ونصحت إمامك وقدماً كان ظنّي بك ذلك فجُزيت والعصابة التي نهضت بهم إلى حرب عدوّك خير ما جُزي الصابرون والمجاهدون.

ثمّ كتب إلى شبيب بن عامر بمثل هذه النسخة ليس فيها زيادة غير هذه الكلمات: واعلم يا شبيب أنّ الله ناصر من نصره وجاهد في سبيله، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

روى جُريرٌ عن المغيرة قال: لما وُلِّيَ الحجاج الكوفة طلب كميل بن زياد فهرب منه، فحرم قومه عطاءهم، فلمّا رأى كميل ذلك قال: أنا شيخ كبير فقد نفذ عمري، لا ينبغي أن احرم قومي عطياتِهم، فخرج فدفع بيده إلى الحجاج، فلمّا رآه قال له: لقد كُنت أُحِبُ أن أجد عليك سبيلاً، فقال له كميل: لا تصرف عليَّ أنيابك ولا تَهدَّم عليَّ، فو اللهِ ما بقي مِن عُمري إلّا مثل كواسل الغبار، فاقضِ ما أنت قاضٍ فإن الموعد الله وبعد القتل الحساب، ولقد خبّرني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السّلام) إنّك قاتلي، قال: فقال له الحجاج: الحجّة عليك إذن، فقال

كميل: ذاك إن كان القضاء إليك، قال: بلى قد كُنتَ فيمن قتل عثمان ابن عفان، اضربوا عنقه، فضربت عنقه[1]، فقتل صابراً محتسباً وصعدت روحه الطاهرة إلى مصاف أرواح الصدِّيقين والشهداء والصالحين وحسن أُولئك رفيقاً.

والسلام عليه يوم ولد، ويوم آمن وجاهد، ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله والطاهرين.

* * *

(١) الإصابة ٣ / ٣١٨، ونقله المجلسي في البحار ٤٢ / ١٤٨ ح ١٢.

حُجْر بن عَدِيّ

حُجر بن عَدي بن معاوية بن جبلة بن عَدي بن ربيعة، إلى أن ينتهي نسبه إلى معاوية بن كندة الكندي [الحضرمي اليماني] ثم الكوفي، كنيته: أبو عبد الرحمن، والمعروف بحجر الخير، هذا نسبه في أسدِ الغابة وغيره كما في طبقات ابن سعد.

حمل راية الإسلام، وجاهد مع المجاهدين، واشترك في واقعة اليرموك، وكان قائد الطليعة التي دخلت مرج عذراء ضمن الجيوش الإسلامية التي فتحت الشام، وأول من كبّر فيها ونبحته كلابها.

وفي مرآة الجنان في حوادث سنة ٥١ هـ قتل حجر بن عدي الكندي بأمرٍ من معاوية في مرج عذراء، وله صحبة ووفادة وسابق جهاد وعبادة، وكان مستجاب الدعوة، وماأحدث إلّا توضأ وما توضأ إلّا وصلى، وكان من العبّادالناسكين والتقاة العارفين.

وفي الاستيعاب: كان حُجر من فضلاء الصحابة مع صغر سنّه، وكان على كندة يوم الجمل ويوم صفين، وكان على ميسرة جيش الإمام يوم النهروان، وكان من خلّص شيعة علي (عليه السلام) وأبرزهم، وله ابنان عبد الرحمن، وعبد الله قتلهما مصعب ابن الزبير صبراً لتشيّعهما، غير همّام الذي استشهد مع أبيه في مرج عذراء.

في حرب الجمل:

ففي حرب الجمل قال ابن الأثير في الكامل، إنّه لما أرسل الإمام علي (عليه السلام) إلى أهل الكوفة يستنجدهم ليوم الجمل، قام حجر بن عدي فيمن قام فقال: أيها الناس أجيبوا أمير المؤمنين وانفروا خِفَافاً وثِقَالاً، مرو وأنا أوّلكم. ولمّا

نفر الناس إلى علي (عليه السلام) كان حجر على مذحج والأشعريين، وخرج بعده يتبعه رؤساء الجماعات من الكوفيين كلّ بأصحابه إلى البصرة للقاء أصحاب الجمل وأبلىٰ بلاءً حسنا في ساحات الجهاد حتى انتصر جيش الامام على الناكثين.

في صفين:

وفي حرب صفين روى نصر بن مزاحم في كتاب صفين أنّه لمّا أراد الإمام علي (عليه السلام) المسير إلى أهل الشام ودعا إليه من كان معه من المهاجرين والأنصار، خطب فيهم فحمد الله وأثنى عليه وقال: أما بعد فإنّكم ميامين الرأي مراجيح الحلم، مقاويل بالحق، مباركوا العقل والأمر وقد أردنا المسير إلى عدونا وعدوكم فأشيروا علينا برأيكم.

وقام إليه فيمن قام حجر بن عدي، وقال: يا أمير المؤمنين، نحن بنو الحرب وأهلها الذين تلقحها وتنتجها وقد صار سنتنا ولنا أعوان وذوّوا صلاح وعشيرة ذات عدد ورأي مجرب، وبأس محمود وأزّمتنا منقادة إليك بالسمع والطاعة، فإن شرّقت شرّقنا، وإنّ غرّبت غرّبنا، وما أمرتنا به من أمر فعلناه، فقال الإمام علي (عليه السلام): أكل قومك يرى مثل رأيك؟ قال: ما رأيت منهم إلّا حسناً وهذه يدي عنهم بالسمع والطاعة مبسوطة.

ثمّ عبّأ الإمام جيشه وجعل حجر بن عدي على كندة وحضرموت وقضاعة ومهرة، ثمّ عقد الإمام (عليه السلام) الألوية على رؤوس القبائل وأعيانهم وأمّرهم عليهم وقد قسم عسكره أسباعاً، وأمّر حجر بن عدي على سبع من الأسباع قائداً، فجعل كل أميرٍ وقائدٍ يخرج بجيشه وأصحابه ليواجه ما يقابله من جيش أهل الشام، فيقاتل ويدافع عن حياض الإسلام وعقيدته.

في معركة النهروان:

وفي حرب النهروان كان حجر بن عدي من جملة الذين قاموا مع علي (عليه السلام) لمّا استنفر الناس بالكوفة إلى حرب الخوارج بعد حكم الحكمين، وطلب من الرؤساء أن يكتب له كل رئيس ما في عشيرته من المقاتلة، فقام إليه جماعة من الرؤساء وقالوا: سمعاً وطاعة، وكتبوا له ما طلب.

ثمّ إنّ علياً (عليه السلام) عبّأ أصحابه يوم النهروان فجعل حجر بن عدي على ميمنة جيشه.

مع الضحاك:

وأمّا خبَرُهُ مع الضحاك فقال ابن الأثير في تاريخ سنة ٣٩ هـ فيها وجه معاوية الضحاك بن قيس في ثلاثة آلاف [فارس]، وأمره أن يمرّ بأسفل واقصة، ويغير على كل من مرّ به ممّن هو في طاعة علي من الأعراب، فسار وأخذ الأموال ومضى إلى الثعلبية، وقتل وأغار على مسلحة علي (عليه السلام) وانتهى إلى القطقطانة، فلمّا بلغ ذلك علياً (عليه السلام) أرسل إليه حجر بن عدي في أربعة آلاف فارس فلحق الضحاك بتدمر فقتل من جنده تسعة عشر رجلاً، وقُتِل من أصحاب حجر رجلان، وحجز بينهما الليل، فاستتر به الضحاك فولّى هارباً بجيشه، ورجع حجر ومن معه.

مع الاشعث بن قيس:

روى الشيخ المفيد وغيره، أن ابن ملجم، وصاحبيه وردان التيمي وشبيب بن بجرة الأشجعي، لمّا عزموا على قتل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ألقوا إلى الأشعث بن قيس ما في نفوسهم فواطأهم عليه، وحضر الأشعث في تلك الليلة

المسجد لمعونتهم على ما أجمعوا عليه، وكان حجر بن عدي في تلك الليلة بائتاً في المسجد، فسمع الأشعث يقول لابن ملجم: النجاء النجاء بحاجتك، فقد فضحك الصبح، فأحس حجر بما أراد الأشعث وقال له قتلته يا أعور، وخرج من المسجد مبادراً ليمضي إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) ليخبره بالخبر ويحذره من القوم، فخالفه الإمام في الطريق، فدخل المسجد، فسبقه ابن ملجم فضربه بالسيف، فأقبل حجر والناس يقولون قتل أمير المؤمنين.

مع المغيرة بن شعبة:

وذكر ايضاً بأن معاوية كتب إلى عامله على الكوفة المغيرة بن شعبة ليُلزم حجر بن عدي، وسليمان بن صُردُ وجماعة من وجهاء شيعة علي (عليه السلام) بالصلاة في الجماعة، فكانوا يحضرون معه الصلاة، وإنّما ألزمهم ذلك [ليسمعهم شتم علي وشيعته] لأنّهم من شيعة علي.

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: إنّ المغيرة بن شعبة وهو يومئذ أميرٌ على الكوفة من قبل معاوية، أمر حجر بن عدي أن يقوم في الناس فيلعن علياً (عليه السلام) فأبى ذلك، فتوعده، فقام وقال: أيها الناس: إنّ أميركم أمرني أن ألعن علياً فالعنوه، فقال أهل الكوفة لعنه الله، وعاد الضمير إلى المغيرة بالنية والقصد.

وروى ابن عساكر في تاريخ دمشق، أن معاوية كتب إلى عامله على الكوفة المغيرة بن شعبة، أنّي قد احتجت إلى مال فأمددني بالمال، فجهز المغيرة إليه عيراً تحمل المال، فلمّا وصلت العير بلغ حجراً وأصحابه ذلك فجاء حتى أخذ بالقطار فحبس العير وقال: والله لا تذهب حتى تعطي كل ذي حق حقه، فبلغ ذلك المغيرة، فقام إليه شباب ثقيف وقالوا: ائذن لنا حتى نأتيك برأسه الساعة، فقال: لا والله ماكنت لاقتل حجراً أبداً، فبلغ ذلك معاوية فعزله واستعمل زياداً على الكوفة.

مع زياد بن أبيه:

وأخيراً مع زياد اختلف المؤرخون في سبب سعي زياد بن أبيه لقتل الصحابي الجليل حجر بن عدي مع اتفاقهم بأن السبب الحقيقي هو صلابة إيمانه، وإنكاره المنكر على الحكم القائم بصورة عامّة على استبداد زياد ومطاردة شيعة علي (عليه السلام) بصورة خاصة واستهانته بأصول الإسلام.

كانت بين زياد وبين حجر بن عدي صداقة ومودّة بحكم الانتماء والولاء للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام).

وتمضي الليالي والأيام، ويلتحق زياد بمعاوية فيقربه إليه، وتقتضي المصلحة أن ينسبه إلى أبي سفيان ويصحّح نسبه ويدعيه أخاً له، على الرغم مما عرف به بـ«ابن سمية» العاهرة المشهورة من صاحبات الرايات الحمر في مكّة والطائف حينذاك، وكان معروفاً بابن أبيه لأنّه كان مجهول الأب والنسب.

ودخل زياد الكوفة أميراً عليها من قبل معاوية الطاغية فتجبّر وطغى هو أيضاً، وصار يتتبع المؤمنين من شيعة الإمام علي (عليه السلام) ويطاردهم وينكل بهم تحت كل حجر ومدر، ولم يكتف بذلك ولم يبرد حقده وغليله حتى تتبعهم تتبع الخبير العارف بهم، فقتّل بعضهم وقطع أيديهم وأرجلهم وسمل عيونهم وهدم «دورهم وحبس وعذّب نساءهم وشيوخهم وأطفالهم، وهجّرهم من أوطانهم، وفعل الأفاعيل ـ التي يندى لها جبين الإنسانية ـ بالمصلحين المؤمنين وليس لهم أي جرم أو ذنب سوى ثباتهم على عقيدتهم وولائهم للإسلام ولإمامهم وللقيم والأخلاق.

ولمّا أنكر عليه زميله القديم حجر بن عدي الكندي ذلك، استدعاه، فوجه إليه من يحضره ثم قال له: تعلم يا حجر أنّي أعرفك، وقد كنت وإياك على ما قد علمت ـ يعني حبّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ـ وإنّه قد جاء

غير ذلك، ثم أخذ يتهدده ويتوعده ويمنّيه بالمال والمنزلة لديه لو لزمَ لسانه وداره.

روى الطبري في تاريخه بإسناده عن هشام عن محمد بن سيرين قال: خطب يوماً زياد على منبر الكوفة الجمعة فأطال الخطبة وأخّر الصلاة فقام حجر بن عدي وقال له: الصلاة، فمضى زياد في خطبته، ثمّ قام وقال: الصلاة، فمضى في خطبته فلمّا خشي حجر فوت الصلاة ضرب بيده، إلى كفّ من الحصىٰ وثار إلى الصلاة وثار الناس معه، فلمّا رأى زياد ذلك نزل من المنبر فصلى بالناس، فلمّا فرغ من صلاته دخل القصر وكتب إلى معاوية في أمره.

وجاء في الدرجات الرفيعة أن زياد صعد المنبر فخطب وقال: أما بعد فإنّ غبّ[1] البغي وخيم وايم الله لئن لم تستقيموا لاداوينّكم بدوائكم، ولست بشيءٍ إن لم أمنع الكوفة من حجر بن عدي وأدعه نكالاً لمن بعده، فأرسل جموعاً من الشرطة للقبض على حجر ووقعت اشتباكات عنيفة بين الطرفين، في قصّة طويلة مؤسفة ذكرها العلاّمة السيد محسن الأمين مفصّلة في الجزء الرابع من موسوعته أعيان الشيعة: فلمّا أعجزهم ذلك دعا زياد محمد بن الأشعث الكندي فهدده، وقال: أما والله لتأتيني بحجر بن عدي أو لا أدع لك نخلةً إلّا قطعتها، ولا داراً إلّا هدمتها، ثمّ لا تسلم مني بذلك حتى أُقطّعك إرباً إرباً.

ثمّ أن حجر بن عدي لمّا علم بذلك بعث إلى محمد بن الأشعث وقال: إنّه قد بلغني ما استقبلك به هذا الجبار العنيد فلا يهولنّك شيء من أمره فإنّي خارج إليك بعد أن تسأله أن يؤمنني حتى يبعثني إلى معاوية فيرى فيَّ رأيه.

فخرج محمد بن الأشعث إلى وجوه الكوفة من كندة مثل حجر بن يزيد، وجرير بن عبد الله، وعبد الله أخي مالك الأشتر، فدخلوا على زياد واستأمنوا

---

(١) الغب: العاقبة، وكان يعني بذلك حجراً.

لحجر بن عدي على أن يرسله إلى معاوية فأجابهم إلى ذلك، فأرسلوا إلى حجر فحضر عند زياد، فأمر به إلى السجن فحبس فيها عشرة أيام حتى تمّ القبض على رؤوس أصحابه في العقيدة والولاء من شيعة علي (عليه السلام) ووجهائهم، وقد بلغوا اثني عشر رجلاً فأودعهم السجن.

وفي طبقات ابن سعد: لمّا أودع زياد حجر بن عدي وأصحابه السجن جمع سبعين رجلاً من وجوه أهل الكوفة فقال لهم: اكتبوا شهادتكم على حجر وأصحابه ففعلوا ثمّ وفدهم مع حجر وأصحابه على معاوية.

وأفاد أصحاب السير والتاريخ، بان الحراس مضوا بهم حتى انتهوا الى مرج عذراء فَحُبِسوا بها.

ولما وصلوا سأل حجر ما إسم هذه القرية؟ قيل مرج عذراء، قال: الحمد لله أما والله إنّي لأوّل المسلمين كبّر في نواحيها، وإنّي لأوّل من نبحته كلابها في سبيل الله، ثمّ إنّي اليوم مصفودٌ.

ويبدوا أن مرج عذراء كانت إحدى المراكز العسكرية للرومان خلال معاركهم مع المسلمين، وكان حجر أحد القادة الذين كانوا يديرون المعارك ويسيِّرون دفة الجيش المتجه إلى دمشق الشام، واستطاع بشجاعته وخبرته أن يقهر الحامية الرومانية ويحتلها في منطقة مرج عذراء.

وشاء الله أن يؤتى به إليها مصفّداً ويقتل ويستشهد مع إبنه وأصحابه في سبيل العقيدة والولاء بأمر معاوية، وتكون مقره الأخير، الذي سوف يحشر منه ليخاصم ابن هند بين يدي جبّار عادل.

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «سيقتل في عذراء أناس يغضب الله لهم وأهل السماء» صدق الرسول الأكرم.

«خاتمة المطاف»:

قال ابو الفرج في اغانيه، والطبري وابن الاثير في تاريخيهما، وابن سعد في طبقاته، ان معاوية لما أُخبر بوصول حجر واصحابه الى مرج عذراء دفع كل رجل منهم الى رجل من أهل الشام ليقتله، ودفع حجر بن عدي إلى رجل من حمير فقدمه ليقتله، فقال: دعوني أصلي ركعتين لله، فتركوه فتوضأ وصلى ركعتين فطوّل فيهما [حسب زعمهما] فقيل له: طولت أجزعت؟ فلمّا أنصرف من صلاته قال: ما توضأت قط إلّا صليت وما صلّيت صلاةً قط أخف من هذه، ولئن جزعت فلقد رأيت سيفاً مشهوراً، وكفناً منشوراً، وقبراً محفوراً، ثمّ عرض عليه هدبة الأعور البراءة من علي أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال: لقد أعدّ لك معاوية جميع ما تريد [من متاع] إن فعلت! فقال: ألم أقل لك إني لا أقول ما يسخط الربّ، ثمّ قال: إن كنت أمرت بقتل ولدي فقدمه، فقدمه الجلاد وضرب عنقه، وتدحرج رأس ولده هماء أمامه، فقيل له تعجلّت الثكل فقال: خفت أن يرى ولدي هول السيف على عنقي فيرجع عن ولاية أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ولم يجتمع بعد ذلك في حضيرة القدس معي، ثمّ رفع حجر يديه إلى السماء وقال اللّهم إنا نستعيذك على أمتنا فإنّ أهل الكوفة قد شهدوا علينا، وأن أهل الشام يقتلوننا، أما والله لئن قتلتموني بها فإنّي لأوّل فارس من المسلمين سلك في واديها، وأوّل رجل من المسلمين نبحته كلابها، ثمّ قال لمن حوله ممّن بقي من أصحابه: لا تطلقوا عني حديداً ولاتغسلوا عني دماً وادفنوني في ثيابي فإنّي مخاصم، فقُدِّمَ وَضُرِبَ عُنقه.

وهكذا اتكون حياة الأبطال، كلها عطاء، وعظة، وأسى وحسرة.

فسلام عيه يوم ولد، ويوم اسلم وجاهد، ويوم استشهد، ويوم يبعث حياً.

ندم القاتل:

روى الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير ملخصاً قال: ما دخلنا على معاوية إلّا ذكر قتل حجر بن عدي، قال المرزباني: قيل إن معاوية عند موته، [كان يقول] أي يومٍ لي من حجر وأصحاب حجر، ثمّ يقول يومي من حجر بن عدي يوم طويل ويردد قوله هذا حتى هلك.

ذكر الطبري، وابن الاثير في تاريخهما، وأبو الفرج في مقاتل الطالبيين بأسنادهم، إن أول ذلّ دخل الكوفة موت الحسن بن علي، وقتل حجر بن عدي وأصحابه، وإدعاء معاوية زياد بن سميّة.

محمد بن أبي بكر

محمد بن ابي بكر، أمّه أسماء بنت عميس الخثعمية، المرأة المؤمنة الصالحة المجاهدة، وكانت من المسلمات الأوّليّات المهاجرات.

هاجرت اسماء بنت عميس مع زوجها الأول جعفر بن أبي طالب إلى الحبشة قبل الهجرة، فولدت له عبد الله، ومحمداً، وعوناً، وقَدِمَ بها جعفر وأولاده إلى المدينة أيام فتح خيبر.

روى ابن سعد في طبقاته أنّ أبا بكر تزوّج أسماء بنت عميس بعد شهادة جعفر الطيار بن أبي طالب، فولدت له محمداً وذلك في حجة الوداع بذي الحليفة، «مسجد الشجرة اليوم» في حجة الوداع ثم توفي عنها أبو بكر وترك محمداً طفلاً، فتزوجها بعده الإمام علي (عليه السلام) فولدت له يحيى وعوناً.

فعبد الله، ومحمد، وعون، أبناء جعفر الطيار، ومحمد بن أبي بكر، ويحيى وعون أبناء الإمام علي بن أبي طالب، كلّهم إخوة لأمٍّ واحدة، تكفّل تربيتهم الإمام علي (عليه السلام).

وعدّ البرقي محمد بن أبي بكر من شرطة الخميس، ومن الحواريين للإمام علي (عليه السلام) وأصفيائه ومن السابقين المقربين، وكان ذا فضل وعبادة.

كان محمد ممن حضر دار عثمان بن عفان، ودخل عليه ليقتله، فقال له عثمان: لو رآك أبوك لساءه فعلك، فتركه وخرج.

شهد محمد بن أبي بكر مع الإمام علي (عليه السلام) وقعتي الجمل بالبصرة، وصفين، ففي حرب الجمل بالبصرة خاض محمد بن أبي بكر حرب ضارية ضد أُخته «عائشة بنت أبي بكر» وطلحة، والزبير الناكثين، وكان على

الرجالة في جيش الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ولمّا اشتدّ القتال، واستعر أُوار الحرب، وحصدت الرؤوس، وقطعت الأيدي نادى الإمام (عليه السلام) ما أراه يقاتلكم غير هذا الهودج اعقروا الجمل فإنّه شيطان، وإلّا فنيت العرب، ولا يزال السيف قائماً وراكعاً يحصد الرؤوس حتى تقدّم عمّار بن ياسر، ومالك الأشتر، ومحمد بن أبي بكر، فضربا عجز الجمل فوقع لحينه، وضرب بجرانه الأرض، وعجّ عجيجاً لم يسمع بأشدّ منه، وما أن صُرِعَ الجمل حتى فرّ الرجال من حوله فرار المعزى من الأسد، وطاروا كالجراد في الرياح العاتية الشديدة، وسقط الهودج، فصاح الإمام (عليه السلام): اقطعوا البطان، فقطعه محمد بن أبي بكر «أخو عائشة» وأخرج الهودج.

فقالت عائشة: من أنت؟

فقال محمد: أبضغ أهلِكِ إليكِ.

فقالت ابن الخثعمية؟

فقال محمد: نعم ولم تكن دون أُمهاتك.

فقالت عائشة: لعمري بل هي شريفة، دع هذا، الحمد لله الذي سلّمك.

فقال محمد: قد كان ذلك ما تكرهين.

فقالت عائشة: يا أخي لو كرهته ما قلت الذي قلته.

فقال محمد: كنت تحبين الظفر وإني قتلت؟

فقالت عائشة: قد كنت أحبّ ذلك، ولكنه لمّا صرنا إلى ما صرنا إليه أحببت سلامتك لقرابتي منك، فاكفف، ولا تعقب الأمور، وخذ الظاهر ولا تكن لومة ولا عذلة.

وجاء الإمام (عليه السلام) وقرع الهودج برمحه وقال: يا حميراء بهذا أوصاكِ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

فقالت: يا ابن ابي طالب ملكت فاصفح، وظفرت فاسجع.

فقال الإمام (عليه السلام): والله ما أدري متى أشفي غيظي؟ أحين أقدر على الإنتقام يقال لي لو غفرت؟ أم حين أعجز من الانتقام فيقال لي: لو صبرت، بلى أصبر، فإنّ لكل شيءٍ زكاة، وزكاة القدرة والمكنة العفو والصفح، ثمّ التفت (عليه السلام) إلى محمد بن أبي بكر وقال: شأنك بأختك فلا يدن منها أحدٌ سواك وأمر الإمام فاحتملت عائشة بهودجها إلى دار عبد الله بن خلف في البصرة، وأمر الجمل أن يحرق، ثمّ يذر رماده في الريح، وأشار إلى الجمل وقال: لعنه الله من دابة، فما أشبهه بعجل بني إسرائيل.

وفي آخر كتاب بعثه الإمام علي (عليه السلام) الى أهل مصر لما ولاه عليها، جاء فيه: ومحمد بن أبي بكر احسنوا أهل مصر مؤازرة محمد أميركم، واثبتوا على طاعته، تردوا حوض نبيكم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أعاننا الله وإيّاكم على ما يرضيه، والسلام[1].

ولمّا وُلِيَّ محمد بن أبي بكر مصر، بعث إليه معاوية عمرو بن العاص بجيش جرار من أهل الشام فاقتتلوا قتالاً شديداً، وضارياً، اندحر جيش محمد بن أبي بكر بعد مقتل قائده كنانة بن بشر، وانهزم الباقون، فوجد محمدً نفسه وحيداً في الميدان إلّا القلّة، فانسحب ودخل في مكمن، فأخرج منها، وجيء به إلى عمرو بن العاص، فقتل صبراً ووضع جسده في جوف حمار ميت وأحرق، وقد قتله قائد جيش أهل الشام معاوية بن خديج السكوني بأمر أميره عمرو بن العاص لعنهما الله، وكان ذلك في سنة ثمان وثلاثين هجرية في خلافة الإمام علي (عليه السلام) الموافقة لسنة ٦٥٨ ميلادية وكان عمره الشريف ثمانية وعشرين سنة، ومدة

(١) أمالي الشيخ المفيد المجلس ٣١ حديث ٣.

ولايته خمسة أشهر[1].

فلمّا بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعاً شديداً، وقنتت عليه دبر الصلاة تدعو على معاوية، وعمرو بن العاص، ومعاوية بن خديج.

ثمّ قبضت عيال محمد إليها، فكان القاسم بن محمد بن أبي بكر في عياله صغيرا.

فسلام عليه يوم ولد، ويوم آمن وجاهد، ويوم استشهد، ويوم يبعث حياً، ويحشر مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

* * *

(١) الولاة والقضاة: ٢٦ ـ ٣١، وابن الاثير في تاريخه: ٣/ ١٤٠، والطبري في تاريخه ٦/ ٥٣.

عمرو بن الحمق الخزاعي

عمرو بن الحمق الخزاعي بن كاهل بن حبيب صحابي جليل القدر ومن خواص أمير المؤمنين (عليه السلام) وحواريه، شهد معه المشاهد كلّها.

روى الكشي في رجاله عن الحسن بن محبوب، عن معاوية بن عمار مرفوعاً قال: أرسل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) سرية فقال لهم: إنكم تضلون ساعة كذا من اللّيل فخذوا ذات اليسار فإنّكم تمرّون برجل في شأنه [كذا] فسترشدونه فيأبى أن يرشدكم حتى تصيبوا من طعامه فيذبح لكم كبشاً فيطعمكم ثمّ يقوم فيرشدكم فأقرؤه منّي السلام وأعلموه إنّي قد ظهرت بالمدينة، فمضوا فضلوا الطريق فقال قائل منهم: ألم يقل لكم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) تياسروا؟ ففعلوا، فمروا بالرجل الذي قال لهم رسول الله قال: فقال لهم الرجل وهو عمرو بن الحمق الخزاعي: أظهر النبيّ بالمدينة؟ فقالوا: نعم، فلحق به [بعد أن أطعمهم وسقاهم ودلّاهم الطريق] ولبث ما شاء الله.

ثمّ قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): إرجع إلى الموضع الذي منه هاجرت فإذا تولّى أمير المؤمنين (عليه السلام) [الخلافة] بالكوفة فأتِه، فانصرف الرجل [عمرو بن الحمق] حتى إذا تولّى أمير المؤمنين (عليه السلام) الكوفة أتاه [والتحق به] وأقام معه، وشهد المشاهد كلّها معه.

روى نصر بن مزاحم في كتاب صفين [مع بعض التقديم في العبارة]، سمع أمير المؤمنين (عليه السلام) حجر بن عدي وعمرو بن الحمق ـ وهو يتجهز إلى صفين ـ يظهران البراءة واللعن من أهل الشام فأمرهما بالكف، فقالا: ألسنا محقّين؟ قال: بلى، ولكن كرهت لكم أن تكونوا لعّانين شتّامين، ولكن لو وصفتم

مساوىء أفعالهم لكان أصوب في القول وأبلغ في العذر وقلتم مكان لعنكم إياهم وبراءتكم منهم: «اللّهم احقن دماءنا ودماءهم واصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالهم» كان هذا أحبّ إليّ وخيراً لكم، فقالا: يا أمير المؤمنين نقبل عِظتكَ ونتأدب بأدبك.

قال عمرو بن الحمق يوماً لأمير المؤمنين معرباً عن ولائه وإخلاصه: والله ما أحببتك للدنيا ولا لمنزلة تكون لي بها، وإنّما أحببتك لخمس خصال ... ثم ذكرهن.

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): اللّهم نوّر قلبه بالتقى واهده إلى الصراط المستقيم ليت في جندي مائة مثلك [أيها الخزاعي] فقال حجر بن عدي: إذاً والله يا أمير المؤمنين صلح جندك وقلّ فيهم من يغشك.

أمَرهُ الإمام (عليه السلام) يوم صفين على خزاعة، ولمّا رفعت المصاحف، قال عمرو بن الحمق: يا أمير المؤمنين إنا والله ما اخترناك ولا نصرناك عصبية على الباطل، ولا أحببناك إلّا للهِ عزّ وجلّ، وقد بلغ الحق مقطعه وليس لنا معك رأي.

وعن ميمون بن مهران أن عمرو بن الحمق سقىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لبناً فقال: اللّهم متّعه بشبابه، فمرت عليه ثمانون سنة ولم ير شعرة بيضاء.

قال عمرو بن عبد البر في (الاستيعاب) أسلم عمرو بن الحمق بعد الحديبية وصحب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مدة وكان يحفظ الأحاديث، وسكن الشام ثمّ نزل الكوفة واتخذها وطناً له، وهو أحد الأربعة الذين اقتحموا على عثمان بن عفان الدار، وكان من شيعة علي بن أبي طالب (عليه السلام) وشهد معه جميع حروبه من الجمل، وصفين، والنهروان، ولمّا توفي علي (عليه السلام) قام

مع حجر بن عدي في منع بني أُميّة من سبّ علي بن ابي طالب.

ولمّا أمر زياد بن سميّة بالقبض على حجر هرب عمرو بن الحمق إلى الموصل واختفى في غار فلدغته حيّة به فمات، ولمّا وصل إليه الجماعة الذين بعث بهم زياد لعنه الله وجدوه ميتاً في الغار فقطعوا رأسه وذهبوا به إلى زياد، فبعث به إلى معاوية وهو أول رأس حمل من بلدٍ إلى بلد.

روى الكشي في رجاله انّ أمير المؤمنين (عليه السلام) قال لعمرو بن الحمق: ألك داراً؟ قال: نعم، قال: بعها واجعلها في الأزد، فإنّي غداً لو غبت لطلبت فمنعك الأزد حتى تخرج من الكوفة متوجهاً إلى جسر الموصل فتمر برجل مقعد فتقعد عنده ثمّ تستسقيه فيسقيك ويسألك عن شأنك فأخبره وادعه إلى الإسلام فإنّه يسلم وامسح بيدك على وركيه فإنّ الله يمسح به وينهض قائماً فيتبعك، وتمر برجل أعمى على ظهر الطريق فتستقيه فيسقيك ويسألك عن شأنك فأخبره وادعه إلى الإسلام فإنّه يسلم وامسح بيدك على عينيه فإنّ الله تعالى يعيده بصيراً فيتبعك، وهما يواريان بدنك في التراب، ثمّ تتبعك الخيل فإذا صرت قريباً من الحصن في موضع كذا وكذا رهقتك الخيل فانزل عن فرسك ومر إلى الغار فإنّه يشترك في دمك فسقة من الجن والإنس، ففعل ما قال أمير المؤمنين (عليه السلام).

قال المحدّث: فلمّا انتهى إلى الحصن، قال للرجلين: اصعدا فانظرا هل تريان شيئاً؟ قالا: نرى خيلاً مقبلةً فنزل عن فرسه ودخل الغار، وغار فرسه فلمّا دخل الغار ضربه أسود سالخ[1] فيه، وجاءت الخيل فلمّا رأوا فرسه غائراً قالوا: هذا فرسه وهو قريب، فطلبه الرجال فأصابوه في الغار ميتاً فأخذوا رأسه فأتوا به

(١) أسود سالخ: أي أفعى سوداء.

زياداً فنصبه على رحم، وهو أوّل رأس نصب في الإسلام.

وكان قتل عمرو بن الحمق بالموصل سنة إحدىٰ وخمسين هجرية وهي السنة التي قُتِلَ فيها حجر بن عَدي.

وروي أيضاً في مقتله أنه حينما تولى زياد بن أبيه الكوفة وراح يتتبع الشيعة ويلاحق زعماءهم بالقتل والحبس والتعذيب والتنكيل، كان عمرو بن الحمق في طليعة أُولئك المطلوبين. فجعل زياد يلاحقه ويطارده ففر إلى المدائن ومعه رفاعة بن شداد، فاعتقل زوجته آمنة بنت الشريد ووضعها في حبسه ثمّ أرسلها إلى معاوية فأمر بحبسها، ومكث هو ورفيقه رفاعة في المدائن مدة من الزمن، وحينما علم زياد بمكانهما أرسل جلاوزته إلى المدائن في طلبهما، وحينما عرفا بأنّ زياد أرسل في طلبهما خرجا من المدائن ليلاً باتجاه الموصل إلى جبل في ضواحي الموصل فأقاما فيه أيّاماً، وبلغ عامل معاوية على الموصل بلتعة بن أبي عبد الله[1] أن رجلين يكمنان في ذلك الجبل ويتجنبان الناس، فسار إليهما مع جماعة من أصحابه، فلمّا انتهوا إلى الجبل خرج إليهما عمرو ورفاعة، وكان عمرو يعاني من مرض ألّم به من آثار سم دسه إليه جماعة من أنصار معاوية، ولم يكن باستطاعته أن يقاوم أو يهرب منهم فاستسلم للقوم، وأمّا رفاعة فقد كان شاباً فركب فرسه والتفت إلى عمرو وقال: إنّي سأدافع عنك، فنهاه عن ذلك وقال له: إن دفاعك لا يجديني نفعاً، وأرى لك أن تنجو بنفسك إن استطعت، فهجم رفاعة بسيفه على القوم فأفرجوا له ولم يتمكنوا من أسره، واعتقلوا عمراً وهم لا يعرفونه، وامتنع من أن يعرّفهم بنفسه ونسبه وقال لهم: أنا من إن تركتموه كان أسلم لكم، وإن قتلتموه كان أضرّ عليكم، ولمّا امتنع أن يعرّفهم عن نفسه أرسلوه إلى حاكم

(١) في الغدير ج١١ ص٤١ عبيد الله بن أبي بلتعة.

الموصل عبد الرحمن بن عبد الله الثقفي وكان يعرفه، فأرسل رسالة إلى معاوية بن هند يخبره بأمره، فأجابه برسالة جاء فيها:

«لقد قيل بأنه طعن عثمان بن عفان تسع طعنات بمشاقص كانت معه، ونحن لا نريد أن نعتدي عليه فاطعنه تسع طعنات كما طعن عثمان»، فأخرجه من سجنه وأمر بطعنه تسع طعنات، فمات من الطعنة الأُولى أو الثانية كما جاء في تاريخ الطبري، ثمّ احتزّ رأسه وأرسله إلى معاوية بالشام، فأمر أن يطاف به في الشام وغيرها على حد تعبير صاحب الاستيعاب[1].

ثمّ أمر معاوية أن يرسلوا رأسه إلى زوجته آمنة بنت الشريد، وكان قد وضعها معاوية في السجن لأنها لم تتبرأ من علي بن أبي طالب، فوضعوا رأس زوجها في حجرها وهي لا تعلم من أمره شيئاً، فلمّا نظرت اضطربت وكادت أن تموت لهول الصدمة، وصاحت بصوت يزعزع العدو والصديق، واحزناه غيبتموه عنّي طويلاً واهديتموه إليّ قتيلاً فأهلاً وسهلاً بمن كنت له غير قالية وأنا له اليوم غير ناسية.

والتفتت إلى الرسول والألم يقطّع أحشاءها وقالت له: إرجع إلى معاوية وقل له: أيتم الله ولدك، وأوحش منك أهلك، ولا غفر لك ذنبك، ولمّا بلّغه الرسول مقالتها غاظه كلامها وأمر بإحضارها لمجلسه، فلمّا حضرت قال لها:

«أنتِ يا عدوة الله صاحبة الكلام الذي بلغني عنكِ؟»، فأجابته غير مكترثة به ولا هيّابة لسلطانه قائلة: نعم، لا نازعة عنه ولا معتذرة منه، ولا منكرة له، وقد اجتهدت في الدعاء عليك إن نفع الدعاء، وإن الحق لمن وراء العباد وما بلغت شيئاً من جزائك.

(١) الاستيعاب / ابن عبد البر ٢ / ١٥٧.

فالتفت إليه إياس بن حسل أحد المرتزقة وقال له: أُقتل هذه المرأة يا أمير المؤمنين، فو الله إن زوجها لم يكن أحق بالقتل منها، فردت عليه قائلة له: تباً لك ويلك إن بين لحييك كجثمان الضفدع، ثمّ أنت تدعوه إلى قتلي كما قتل زوجي بالأمس، إن تريد إلّا أن تكون جباراً في الأرض، وما تريد أن تكون من المصلحين.

واستمر الحوار الحاد بينها وبين معاوية بشجاعة قلّ نظيرها في تاريخ المرأة التي لا ترى للحياة وزناً ولا قيمة بعد زوجها، وظلت تحاوره بلهجة الساخرة منه، ومن سلطانه وجلاديه وأعوانه، حتى أمر بإخراجها من مجلسه.

وجاء في بعض المرويات أنّه أمر بقتلها بعد أن عرض عليها البراءة من علي (عليه السلام) فامتنعت عليه، وتبرأت منه ومن جلاديه ومن يحابيه بفعل أو قول.

وأي فرق بين قتلها بالسيف وبين وضعها مكبّلة في سجون دمشق ليفاجئها برأس زوجها الصحابي الجليل ابن الثمانين بعد أن طاف برأسه في البلدان، وقد اقتدى به ولده يزيد من بعده فطاف برأس الحسين (عليه السلام) ونساءه في البلدان وانتهى به المطاف ليضعه في قصر الحمراء بين يديه وينكث ثناياه بمخصرته بحضور نساءه وشقيقاته وأطفاله.

وقد أحس المسلمون بصدمة عنيفة لما جرى لعمرو بن الحمق وزوجته وأيقنوا بأن كرامة خيارهم قد أصبحت تحت أقدام معاوية وزياد بن سميّة وأمثالها من المردة والمرتزقة، وأرسل الإمام أبو عبد الله الحسين رسالة إلى معاوية يعبّر فيها عن سخطه من هذا الحادث وأمثاله من الأحداث الخطيرة مثل قتل حجر بن عدي وأصحابه قبله بأشهر، جاء فيها:

«أولست قاتل عمرو بن الحمق، العبد الصالح صاحب رسول الله (صلّى الله

عليه وآله وسلّم) الذي أبلته العبادة فنحل جسمه واصفّر لونه بعد ما أمنته وأعطيته من عهود الله ومواثيقه ما لو أعطيته طائراً لنزل إليك من رأس الجبل، ثمّ قتلته جرأةً على ربّك واستخفافاً بتلك العهود التي أعطيته إياها».

وخلاصة القول كانت شهادة الصحابي الجليل عمرو بن الحمق الخزاعي في الموصل سنة إحدى وخمسين هجرية، في السنة التي قُتِلَ فيها الصحابي الجليل حجر بن عدي وأصحابه في مرج عذراء بأمر معاوية وطيف برأسه إلى دمشق الشام تركت الاثر العميق في نفوس المسلمين عامة، والمؤمنين خاصة.

هذه خلاصة ما عثرنا عليه من ترجمة الصحابي الجليل عمرو بن الحمق الخزاعي رضوان الله عليه وختمت أو انطفأت بشهادته شعلة من قبسات الإيمان، وصارم من صوارم الإسلام.

فسلام عليه يوم ولد، ويوم أسلم وجاهد، ويوم استشهد، ويوم يبعث حيّاً ليلتحق بالركب الميمون من أرواح الشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

صعصعة بن صوحان العبدي

صعصعة بن صوحان العبدي [أبو طلحة، ويكنّى أيضاً بأبي عمر]، من سادات عبد القيس، ينتهي نسبه إلى ربيعة بن نزار، سكن الكوفة، كان مولده في دارين «قرب القطيف» قبل الهجرة باربعة عشر عاماً تقريباً، كان خطيباً، بليغاً، عاقلاً، له شعر، شهد (صفين) مع الامام علي (عليه السلام) وله مع معاوية مواقف ومواقف، قال الشعبي: كنت أتعلم منه الخطب، نفاه المغيرة بن شعبة من الكوفة إلى جزيرة «أوال» في البحرين بأمرٍ من معاوية، فمات فيها سنة ٥٦ هـ عن عمر يناهز السبعين عاماً.

كتب أديب من البحرين (في جريدة الخليج العربي ٢٦ / ١٠ / ١٣٧٩ هـ) أن قبره لا يزال معروفاً في بلدةٍ تسمى «الكلابية» بالبحرين.(١)

وقيل: مات بالكوفة [زمن معاوية] وفي تاريخها أن مسجده لا يزال معروفاً [باسمه خلف مسجد السهلة في الكوفة] إلى الآن(٢).

قال صعصعة: دخلت على عثمان بن عفان في نفر من المصريين فقال عثمان: قدموا رجلاً منكم يكلمني، فقدموني، فقال عثمان هذا؟ وكأنّه استحدثني، فقلت له: إن العلم لو كان بالسن لم يكن لي ولا لك فيه سهم، ولكنه بالتعلّم، فقال عثمان: هات فقلت: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الذينَ إن مَكّنّاهُم في الأرض أقَامُوا الصَلاةَ﴾ الآية فقال عثمان: فينا نزلت هذه الآية؟ فقلت له: فأمر بالمعروف وانه عن المنكر،

(١) الأعلام للزركلي ج ٣ ص ٢٠٥.
(٢) الإصابة ٤١٢.

وفي رواية الحافظ عن حميد بن هلال العدوي قال: قام صعصعة إلى عثمان وهو على المنبر فقال: يا أمير المؤمنين ملت، فمالت أمتك، إعدل تعتدل أمتك.

ولمّا وَلّي الكوفة سعيد بن العاص «الأموي» من قبل عثمان، أنكر أعماله جماعة من القرّاء والزعماء والأخيار من أهل الكوفة على عثمان، وفي طليعتهم: مالك الأشتر، وزيد بن صوحان، وصعصعة بن صوحان، وعدي بن حاتم الطائي، ومالك بن حبيب بن خراش، وغيرهم من وجوه أهل الكوفة.

وراح سعيد بن العاص يندد بهم ويهددهم، وقابلوه بالغلظة في الكلام، فكتب إلى عثمان في أمرهم، فأجابه أن سيّرهم إلى الشام فَسُيّروا اليها، فخاف معاوية أن يُهيجوا عليه أهل الشام، فكتب في أمرهم إلى عثمان فكتب إليه أن سيّرهم إلى حمص وكان واليها عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة.

ولصعصعة بن صوحان إخوة عرفوا بصدق إسلامهم وإيمانهم وجهادهم وإخلاصهم في العقيدة، هم زيد، وسيحان.

كانت راية أمير المؤمنين (عليه السلام) بيد سيحان يوم الجمل يحملها، طاعن بها حتى قتل، فحملها من بعده أخوه زيد، وراح يقاتل ويجالد بين يدي إمامه حتى أدى حقها، فتعطف عليه أشرار أهل البصرة أصحاب الجمل وقتلوه، فأخذ الراية أخوهما صعصعة(١).

عن عبد الله بن عوف الأحمر، قال: لمّا قدمنا على معاوية وأهل الشام بصفين وجدناهم قد نزلوا منزلاً اختاروه، وأخذوا الشريعة في أيديهم، ففزعنا إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فأخبرناه بذلك، فدعا صعصعة بن صوحان العبدي، فقال: ائت معاوية فقل: إنا سرنا مسيرنا هذا وأنا أكره قتالكم قبل الاعذار

(١) ابن سعد في طبقاته ج ٦ ص ٢٢١، ابن قتيبة الدينوري في المعارف ص ١٧٦ ط ١٣٥٣ هـ

إليكم ...الخ.

فقال معاوية لاصحابة: ما تقولون؟

فقال الوليد بن عقبة: امنعهم الماء كما منعوا ابن عفان، اقتلهم عطشاً قتلهم الله.

وقال عمرو بن العاص: خلّ بين القوم وبين الماء، فإنّهم لن يعطشوا وأنت ريان.

وقال عبد الله بن سعد بن أبي سرح أخو عثمان بالرضاعة: امنعهم الماء إلى الليل فإنّهم إن لم يقدروا عليه رجعوا، وكان رجوعهم هزيمة، امنعهم الماء منهم الله يوم القيامة[1].

فقال صعصعة بن صوحان، إنّما يمنعه الله يوم القيامة الكفرة الفجرة شربة الخمر، ضَرْبك وضرب هذا الفاسق، وأشار إلى الوليد بن عقبة، فوثبوا إليه يشتمونه ويتهددونه، فقال معاوية: كفوا عن الرجل فإنّه رسول.

ثمّ رجع صعصعة، وأخبر الإمام بما كان فقيل: وما رد عليك معاوية؟!

قال: سيأتيكم رأيي، قال: فو الله ما راعنا إلّا تسوية الرجال والخيل صفوفاً واستعداد أبي الأعور للحرب ومنع الماء، فجهّز الإمام (عليه السلام) حملةً بقيادة مالك الأشتر، فازاحهم عن الشريعة، واستولوا عليها.

عن أحمد بن النضر قال: قال لي أبو الحسن الثاني (عليه السلام): يا أحمد إنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) عاد صعصعة بن صوحان في مرضه، فقال: يا صعصعة لا تتخذ عيادتي لك أبّهةً على قومك، قال: قال صعصعة: بلىٰ واللهِ أُعدها مِنةً مِن اللهِ عليَّ وفضلاً، قال: فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): إني كنت ما

(١) البدء والتاريخ ج ٥ ص ٢٢٢، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٥٦.

علمتك إلّا خفيف المؤونة حسن المعونة قال: فقال صعصعة: وأنت والله يا أمير المؤمنين ما علمتك إلّا بالله علياً وبالمؤمنين رؤوفاً رحيماً[1].

لمّا أُلحد أمير المؤمنين (عليه السلام)[2] وذلك قبل طلوع الفجر من ليلة إحدى وعشرين من شهر الصيام في قبره بالغري، وقف أولاده وخلّص أصحابه على ضريحه الطاهر وهم في حالة حزن وبكاء، وقد ارتجّ الوادي من بكائهم، وكان من جملة أصحابه صعصعة بن صوحان العبدي، فوقف على شفير قبره وألقى كلمة أبّن بها إمامه الراحل (عليه السلام) ثمّ وضع إحدى يديه على فؤاده والأخرى قد أخذ بها التراب وقال: بأبي أنت يا أمير المؤمنين، ثمّ قال: هنيئاً لك يا أبا الحسن فلقد طاب مولدك، وقوي صبرك وعظم جهادك، وظفرت برأيك وربحت تجارتك، وقدمت إلى خالقك فتلقاك ببشارته، وحفتك ملائكته، واستقررت في جوار المصطفى، فأكرمك الله وألحقك بدرجته وشربت بكأسه الأوفى، فاسأل الله أن يمنّ علينا باقتفاء أثرك، والعمل بسيرتك، والمولاة لأوليائك والمعادات لأعدائك، وأن يحشرنا في زمرة أوليائك الصالحين.

فلا حرمنا الله أجرك ولا أذلنا بعدك، فواللهِ لقد كانت حياتك مفاتح الخير ومغالق الشر، وإن يومك هذا مفتاح كلّ شر ومغلاق كل خير، ولو أن الناس قبلوا منك، لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ولكنهم آثروا الدنيا على الآخرة، ثمّ بكى بكاءً شديداً، وبكى كل من كان معه.

وروي أن معاوية حين قدم الكوفة دخل عليه رجال من أصحاب الإمام علي (عليه السلام) وكان الإمام الحسن (عليه السلام) قد أخذ الأمان لرجالٍ

(١) معجم رجال الحديث للسيد الخوئي ج ٩ ص ١٠٥، ١٠٦
(٢) المجلسي في البحار ج ٩ ص ٦٧٥.

منهم مسمين بأسمائهم وأسماء آبائهم وكان ذلك بعد شهادة الامام علي في الصلح وكان صعصعة من جملة الذين طلب لهم الامان، وعدم التعرض لهم بسوء ومكروه، ولكن معاوية لم يفِ بذلك، فقد روّعه، وأفزعه، وأودعه في سجنه، كما روّع غيره من الزعماء، وأن المغيرة نفاه أخيراً إلى جزيرة أوال كما مرّ عليك، فمات بها معتقلاً منفياً بعيداً عن أهله ووطنه.

يحدثنا المسعودي في مروجه[1] عن الحارث بن مسمار البهراني، قال: حبس معاوية صعصعة بن صوحان العبدي، ورجالاً آخرين من أصحاب علي (عليه السلام) مع رجال آخرين من قريش، فدخل عليهم معاوية يوماً، فخطب فيهم متبجحاً الخ ...

ثمّ تكلّم صعصعة، فقال: تكلّمت يا ابن أبي سفيان فأبلغت ولم تقصّر عمّا أردت، وليس الأمر على ما ذكرت، أنى يكون الخليفة من ملك الناس قهراً ودانهم كِبراً، واستولى بأسباب الباطل كذباً ومكراً؟! أما واللهِ ما لك يوم بدر مضرب ولا مرمى، وما كنت فيه إلّا كما قال القائل «لا حل ولا سير»[2]، ولقد كنت وابوك في العير والنفير[3] فمن أجلب علىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وإنّما أنت طليق وابن طليق، أطلقكما رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، فأنّى تصلح الخلافة لطليق؟ فقال معاوية: لولا أنّي أرجع إلى قول ابن أبي طالب حيث يقول: قابلت جهلهم حلماً ومغفرة، والعفو عن قدرة ضرب من الكرم، لقتلتكم.

ذكر الاندلسي في عَقدِه قال: ودخل صعصعة بن صوحان على معاوية، وكان عمر بن العاص جالساً معه على سريره، فقال: وسع له على ترابيّةٍ فيه، فقال

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٤٠.
(٢) مثل يضرب به.
(٣) مثل يضرب به.

صعصعة: إنّي واللهِ لترابي، منه خلقت وإليه أعود ومنه أبعث، وإنّك لمارج من نار[1].

قدم وفدٌ من العراق على معاوية، وكان فيهم عدي بن حاتم الطائي، وصعصعة بن صوحان، من الكوفة، والأحنف بن قيس من البصرة، فقال عمرو بن العاص لمعاوية: هؤلاء رجال الدنيا وهم شيعة علي الذين قاتلوا معه يومي الجمل وصفين فكن منهم على حذر، فأمر لكل رجلٍ منهم بمجلس سري واستقبل القوم بالكرامة فلمّا دخلوا عليه قال لهم معاوية: مرحباً بكم يا أهل العراق، قدمتم أرض الله المقدسة أرض الأنبياء والرسل منها المنشر وإليها المحشر، قدمتم على خير أمير يبركم ويرحم صغيركم ولو أن الناس كلهم ولد أبي سفيان لكانوا حلماء عقلاء.

فأشار الوفد إلى صعصعة بن صوحان، فقام فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ ثمّ قال: أما قولك يا معاوية، إنّا قدمنا إلى الأرض المقدسة، فلعمري ما الأرض تقدس الناس ولا يقدس الناس إلّا أعمالهم وأمّا قولك أرض الأنبياء والرسل فمن بها من أهل النفاق والشرك والفراعنة والجبابرة أكثر من الأنبياء، وأمّا قولك إن منها المنشر وإليها المحشر، فلعمري ما ينفع قربها كافراً، ولا يضرّ بُعدها مؤمناً، أمّا قولك لو أن الناس كلهم ولد أبي سفيان لكانوا حلماء عقلاء، فقد ولدهم من هو خير من أبي سفيان، آدم (عليه السلام) فأولد الأحمق والمنافق، والفاسق، والمعتوه، والمجنون ولمّا كَلَّ معاوية عن الجواب اتخذ القوّة والقهر سبيلاً لفشله وذريعة لقهره وهكذا يفعل الجبابرة. فقال معاوية: لاجفينك عن الوسادة، ولاشردنّ بك في البلاد، فقال صعصعة غير مكترث، والله إنّ في الأرض لسعة،

(١) العقد الفريد ج ٣ ص ١٣٢.

وإن في فراقك لدعة، فقال معاوية، لاحبسنّ عطاءك، قال: إن كان ذلك بيدك فافعل، إن العطاء وفضائل النعماء في ملكوت من لاتنفذّ خزائنه، ولا يبيد عطاؤه، ولا يحيف في قضيته، فقال معاوية: لقد استقتلت؟ فقال له صعصعة: مهلاً لم أقل جهلاً، ولم استحل قتلاً، ﴿ولا تَقْتلوا النفسَ التي حَرّمَ الله إلّا بالحَق﴾، ﴿مَن قُتِلَ مَظْلوماً﴾ كان الله لقاتله مقيا، يرهقه أليماً ويجرّعه حميماً، ويصليه جحيماً، فقال معاوية لعمرو بن العاص: اكفناه، فقال له عمرو: وما يجهمك لسانك؟ فقال له صعصعة: ويلي عليك [يا ابن النابغة] يا مأوى مطردي أهل الفساد، ومعادي أهل الرشاد، فسكت عمرو ولم يجبه بشيء خوفاً من سليط لسانه.

وذكر المسعودي في عرض دخول عقيل بن أبي طالب على معاوية والمفاخرة معه، ولمّا ظهر عليه وأفحمه، قال معاوية: وإنّما أردت أن أسألك عن أصحاب علي فإنّك ذو معرفةٍ بهم، فقال عقيل: سل عمّا بدا لك، فقال: ميّز لي أصحاب علي، وابدأ بآل صوحان فإنّهم مخاريق الكلام، قال: أمّا صعصعة فعظيم الشأن، عضب اللسان، قائد الفرسان، قاتل الأقران، يرتق ما فتق ويفتق ما رتق، قليل النظير، وأمّا زيد وعبد الله، [أي سيحان] فإنّهما نهران جاريان، يصب فيهما المخلجان، ويغاث بهما البلدان رجلا جدٍّ لا لعب معهما ... وبنو صوحان كما قال الشاعر:

إذا نزل العدوُّ فإنّ عندي ... أسوداً تخلس الأسدَ النفوسا

فسلام عليه يوم ولد، ويوم اسلم وجاهد، ويوم مات، ويوم يبعث حياً.

رُشَيد الهجري

وما أدراك ما رُشَيد الهَجَري، ما لانت له قناة، وما تضعضعت عقيدته ولا ضعفت ولا وهن امام تلك المصائب والمحن التي تنهد لهولها الجبال الرواسي.

وبقي صامداً كالجبل الأشم في حُبِّهِ وولائهِ لإمامه، ما زعزعته العواصف ولا زالته القواصف عن موقعه، حتى اسلم روحه الطاهرة المطمئنة الى خالقه ثابت الإيمان، مرفوع الرأس.

(لم أعثر على تاريخ ولادته ولا شهادته).

لقد طارد الدعي زياد ابن أبيه (ابن سمية) «رُشَيد الهجري»[1] مطاردة لا هوادة فيها، كما طارد الأبدال من حواري الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) والصفوة من اصحابه البررة المخلصين ونكّل بهم شر تنكيل، حيث قتل منهم من قتل وعذب المؤمنين وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون، وهدم الدور على رؤوس اصحابها، وهجّر الكثير منهم، ونكل بهم بكل وسائل البطش والإبادة، والتصفية الجسدية والروحية، لدفعهم واجبارهم على البرائة من علي (عليه السلام) وحبه، والإنحراف عن شريعته التي هي شريعة الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وشريعة السماء.

كما بذل معاوية، وزياد الاموال الطائلة والوعود الخلابة المعسولة والأماني لمن ينحرف عن خط علي (عليه السلام) وحبه، ومَن ثمّ البراءة منه وسبه، وشتمه.

وعلى الرغم من تلكم الأعمال الموبقة التي مارسها الحكام الأمويون بحق شيعة علي (عليه السلام) ومحبيه لاسيما بعد شهادة الصحابي التابعي الجليل حجر

(١) وذكر الكشي في رجاله ـ كان عبيد الله بن زياد ـ.

بن عدي رضوان الله عليه وأصحابه الكرام، وعلى رغم كل ذلك تجد في صفوف الشيعة من يقف بوجه الحكام الطغات الظلمة مرفوع الرأس معلناً الولاء لعلي (عليه السلام) ومعارضاً النظام التعسفي الفاسق بكل جرأة وثبات، ويحمل روح حجرٍ وأصحاب حجر بين جنبيه ويناضل بكل ما لديه من إمكانات، في قوة وعزيمة وإيمان ثابت مدافعاً عن مبدأ الحق ورسالة السماء المتمثلة في خط علي (عليه السلام) وأنصاره حتى ولو أدّى ذلك إلى إبادته جسدياً واستئصاله ومن يتصل به ويقر برأيه.

وها نحن نقدم نموذجاً حياً من هؤلاء الأبدال الأبطال لإثبات هذه الحقيقة للتاريخ ولمن يتتبع الحق والدين.

فمن هؤلاء الأبطال «رُشَيدٍ الهَجَري» الذي هو أحد حواريّ الإمام علي (عليه السلام) وأصفيائه، وأحد أعلام عصره، في ولائه، ودينه وعلمه، وتقواه، وثباته على المعاناة، حتى لقبه الإمام (عليه السلام) وسماه «رُشَيدِ البَلايا».

صحب هذا التابعي العظيم «رشيد الهجري» إمامه أمير المؤمنين (عليه السلام) واتّبعه اتّباع الفصيل إثر أمه، والظل لصاحبه، برهةً من الزمن حتى التحق بالرفيق الأعلى، ولم يتح لغيره إلّا نادراً مثل هذه الفرصة، وكانت له عند إمامه منزلةً مقربة رفيعة ليست لأحدٍ سواه، إلّا للحواريين أمثال ميثم التمار، ومالك الأشتر وكميل بن زياد، وحجر بن عدي، ومحمد بن أبي بكر، وأمثالهم وقد بلغ الإمام (عليه السلام) من الاطمئنان به أن جعله موضع بعض أسراره وقد كشف له بعض الأمور المهمة التي ربما لا يتحملها غيره منها (علم المنايا والبلايا)، وما سيجري عليه وعلى أصحابه من أمور عظام وما يلاقيه من معاناة وتعذيب وإبادة.

وأول عمل قام به الدعي زياد بن أبيه، حينما دخل الكوفة أميراً عليها بعد البصرة، تتبع شيعة علي ومطاردتهم بكل ما يملك من سبل البطش والتنكيل، لأنّه

المخبير بهم، حيث كان من أصحاب الإمام علي (عليه السلام)، حتى وصل الدور إلى البطل الصامد «رشيد الهجري»، فقد وظّف الطاغية جميع أجهزة الدولة بما فيها جواسيسه وعيونه والمرتزقة الذين يلحسون قصاعه لمطاردة «رشيد الهجري» والقبض عليه وجلبه مخفوراً إليه للتنكيل به وقتله، وإلّا لم يكن يهدأ له بال ولا يقرّ له قرار.

فصار «رَشَيد الهَجَري» ينتقل من دار إلىٰ دار بين اصحابه مستتراً بهم ومعرضاً لهم للقتل والإبادة من قِبَل السلطة الغاشمة.

ومضت الأيام تلو الأيام، وزياد ابن أبيه ما انفك يبحث عن رشيد ولا يلين له قناة عن مطالبة شرطته وجلاوزته، بالتفتيش عن رُشَيدِ الهَجَري ومطاردته والقبض عليه، هذا الإنسان الذي أقَضّ مضجعه وأعتبره خَطراً على الحكم الأموي، وأخيراً وفي غسق الليل انقضّت عليه أيدي الجلاوزة وأُلقيّ القبض عليه حينما كان رشيد يحاول أن يغيّر مكانه، وانتشر الخبر وتسابق الناس إلى مجلس زياد مع إشراقة الشمس لتعرف ما يكون من مصير هذا المعارض الصلب والبطل العنيد.

أُدخِلَ رُشَيد الهجري على زياد بن أبيه مقيداً بالحديد وقد امتدت الاعناق، واتجهت الأبصار تستقبل هذا الإنسان الذي ما وهن ولا استكان لأرهاب الطاغية الجبّار زياد ولمّا أُوقف بين يديه، ساد سكون عميق، وَحُبِستِ الأنفاس، وكادت الرهبة تمزق النفوس.

وبعد حوار لم يدم طويلاً نظر زياد إلى رشيد وكادت نظراته أن تبتلعه من شدّة الحقد عليه، ثمّ قال وهو يصك أسنانه من الغيظ: إيه يارُشيد قم واخطب الناس واذكر فضائل بني أُميّة واعلن براءتك من عَليٍّ ودينه ومن معارضتك لآل أبي سفيان، وإلّا فبيني وبينك السيف.

طفرت على ثغر رشيد ضحكة ساخرة، مزقت هيبة زياد وكبرياءه، فامتعض منها زياد واستشاط غضباً، وصرخ به، ما يضحكك ياكافر؟

أجابه رشيد بكل جرأة وهدوء، يضحكني يازياد طلبك مني أن أتبرأ من سيدي علي بن أبي طالب ابن عمّ الرسول، وزوج البتول الطاهرة، والكاشف عن وجهه الكربة، والحاكم بالسوية والعدالة.

وقطب زياد جبينه مغتاظاً، وصرخ محتدماً: كفى، كفى لا تثقل أسماعنا بذكر من لا نحب، إذا كنت مصراً على قولك فسوف تقتل، فأمعن رشيد في ضحكة ساخرة مرة ثانية، مزقت قلبه.

ثمّ التفت رشيد إلى زياد رابط الجأش ثابت الجنان وقال: يازياد إنّ الذي يبلغ به هذا الحدّ من المعارضة، يحسب لموقفه ألف حساب، وأن العقاب الذي ستنزله بي من قتل وتعذيب قد وضعته نصب عيني من الساعة التي رأيت فيها معاوية يتربع على سدّة الحكم، فيمسخ معالم الإسلام ويشوّه حقائقه، ليعيدها جاهليةً بأحكامه التي لا تستند إلى قرآن ولا سنة، فالموت أهون عليَّ من أن أرى هذا الوضع الفاسد الذي تتحكمون به، وسنقف غداً بين يدي الجبّار الحكم العدل ليفصل بيننا، وسترى لمن الفلج يومئذٍ، (يا ابن سمية).

ويصك كلام رشيد أسماع زياد، ويضيق به ذرعاً، ثمّ يلتفت زياد إلى أحد جلاوزته وجلاديه، والحقد والغيظ يمزق قلبه، قائلاً له وبلهجةٍ كلها قَسوة وحنق يأمره أن يقطع يدي أسيره رشيد ورجليه، ليتلذذ بتعذيبه، ويأنس بصرخاته وأنينه، ثمّ يلتفت إلى جلسائه المرتزقة ويقول لهم لا أُريد أن يموت هذا الرجل براحة، فليعذب بأشدّ العذاب، حتى أشفي غليلي بأنينه وصرخاته أليس كذلك؟ فترتفع الأصوات الناقة المنافقة المثقلة بالخزي والعار من هنا وهناك من أطراف مجلس زياد وتهز رؤوسها منحنية بذل العبودية، مؤيدةً الظلم والتعسف والغدر،

طمعاً بما عنده من مال ومنصب، وهي تردد كلمات النفاق بتأييد الأمير، نعم فلتعذب محبّ أبي تراب كما تشاء.

ولم يسكت رشيد الهجري على رغم ما ألم به من أذى وتعذيب روحي وجسدي، بل كان يستقبل كل ذلك بصبر وثبات وطول أناة، واستمر يمزق الأمويين ويذكر مثالبهم ويظهر مخازيهم وموبقاتهم وأعمالهم السيئة وحقدهم على الرسول الكريم وآله الطاهرين، وعداءهم الصارخ للإسلام وهو يشخب دماً من أعضائِه المقطّعة.

وعلى مقربة من هذا المنظر المفجع تقف امرأة وقورة لا تتجاوز الثلاثين من عمرها تشاهد مع المشاهدين التعذيب الوحشي والحُكم الجائر ينصب على أبيها، واللّوعة لا تفارقها، لكنها كانت ثابتة الجنان، وتقدّمت بكل وقار ورزانة لم تزعزعها الأهوال ولم تذهلها جسامة الحادث، فهوت على البقيّة الباقية من جسد أبيها تقبله وتقبل رأسه الشريف ثمّ هوت إلى الأرض تلتقط أعضاءه المقطّعة الواحدة بعد الأخرى التي فرقها زياد الدعي لتجمعها إلى صدرها وبين يديها وتقبلها قائلة: يا أبتاه، هل تجد ألماً ممّا أصابك؟ فيجيبها الأب الصابر الصامد الثابت على الإيمان والذي يعاني من ألم أعضائه المقطّعة: لا يا بنيّة أبداً إلّا كالزحام بين الناس، ثمّ حَملت البقيّة الباقية من ذلك الجسد المقطّع، قربان العقيدة، لتخرجه من دار الإمارة وقصر الطاغية الدعيّ زياد.

وما أن وقعت أبصار الناس عليه، حتى تجمعوا حوله ينظرون إليه ويسألونه عمّا جرى عليه، فيحدّثهم الجريح ما شاء الله من الزمان، وهو يعاني من آلامه ويشخب من جراحه دماً عبيطاً، فكشف لهم حقيقة أساليب الحكم الأموي، ومروقهم من الدين، وأظهر مثالبهم ومخازيهم، حتى وصل الخبر إلى الدعي زياد لعنه الله وشق عليه ذلك، فأمر بقطع لسانه وصلبه، ليمنعه من الحديث، ويمعن في

تعذيبه. ويحقق بذلك ما أنبأه به أمير المؤمنين (عليه السلام) من أنّ كل هذا يجري عليه. ويبقى البطل الصابر بعد ذلك فترة قصيرة ـ إلى الليل ـ حتى صعدت روحه الطاهرة إلى ربّها تشكو ظلم الظالمين وجور الحاكمين من بني أُميّة.

ذكر ابن الاثير في اسد الغابة[1] في سيرة «رشيد الهجري» ويقال: الفارسي، مولى بني معاوية الفارسي الانصاري، ثم الاوسي.

شهد رُشَيد مع النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أُحداً، وكناه أبا عبدالله.

وقال الواقدي في غزوة أُحد: كان رشيد مولى بني معاوية الفارسي الانصاري، لقي [برز] رجلاً من المشركين من بني كنانة مقنعاً في الحديد يقول: انا ابن عويف، فتعرض له سعد مولى حاطب فضربه [المشرك] ضربةً جزَّ له باثنتين، ويقبل عليه رُشَيد فيضربه على عاتقه، فقطع الدرع حتى جزّله باثنتين، ويقول: خذها وأنا الغلام الفارسي، ورسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يرى ذلك ويسمعه، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «**هلا قلت: خذها وانا الغلام الانصاري**»، فتعرض له اخوه يعدو كأنه كلب، قال: انا ابن عويف ويضربه رشيد على رأسه وعليه المغفر ففلق رأسه وهو يقول: خذها وانا الغلام الانصاري، فتبسم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وقال: أحسنت يا «ابا عبد الله» فكناه يومئذ ولا اولادله.

وذكرابن حجرالعسقلاني في الإصابة[2] عن البغوي، والواقدي بلفظ مقارب.

وفي الاختصاص، للشيخ المفيد ص٣ ان رُشَيدِ الهَجَري كان من شرطة الخميس، منهم عمرو بن الحمق الخزاعي، وميثم التمار، ورُشَيدِ الهَجَري، وحبيب ابن مظاهر الأسدي، ومحمد بن ابي بكر، وغيرهم وكانوا ستة آلاف رجل.

(١) اسد الغابة ج٢ ص٢٢٢ ط القاهرة حديث ١٦٧٨.
(٢) الاصابة ج٢ ص٤٨٥ حديث ٢٦٥٧ ط بيروت.

خرج أمير المؤمنين (عليه السلام) يوماً الى بستان البرني ومعه اصحابه، فجلس تحت نخلة، ثم أمر بنخلة فلقطت فانزل منها رطب، فوضع بين أيديهم فأكلوا فقال رشيد الهجري: يا أمير المؤمنين ما أطيب هذا الرطب، فقال: يا رشيد اما انك تصلب على جذعها، فقال رشيد: فكنت اختلف اليها طرفي النهار أسقيها، ومضى أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: فجئتها يوماً وقد قطع سعفها، قلت: اقترب أجلي، ثم جئت يوماً، فجاء العريف، فقال: أجب الأمير، فأتيته، فلما دخلت القصر فاذا بخشبٍ ملقى، ثم جئت يوماً آخر فاذا النصف الآخر جعل زرنوقاً، يستقي عليه الماء، فقلت: ما كذبني خليلي، فجئت حتى ضربت الزرنوق برجلي، ثم قلت: لك غذيت ولى أنبّت، ثم أُدخِلتُ على زياد، فقال هات من كذب صاحبك؟! فقلت: والله ما انا بكذّاب ولا هو، ولقد اخبرني انك تقطع يدي ورجلي ولساني فقال الدعي: إذاً والله تكذّبه؟! اقطعوا يده ورجله واخرجوه، فلما حمل الى أهله اقبل يحدث الناس بالعظائم ـ من الأمور ـ وهو يقول: ايها الناس سلوني! فان للقوم عنده طلبة لم يقضوها، فدخل رجل على زياد، فقال له ما صنعت؟ قطعت يده ورجله، وتركت لسانه وهو يحدث الناس بالعظائم! قال فارسل اليه الحجام فقطع لسانه وأمر بصلبه.

اترك بقية الحديث الى ابنته السيده قنواء.

عن قنواء بنت رشيد الهجري بعِدة طُرق ما لفظه لما سئلت عن مقتل ابيها ومصابها فيه.

قالت سمعت ابي يقول: اخبرني امير المؤمنين (عليه السلام) فقال: يارُشَيد كيف صبرك اذا ارسل اليك دعي بني اميه فقطع يديك ورجليك ولسانك؟ قلت يا أمير المؤمنين آخر ذلك الى الجنة؟ فقال: يارشيد أنت معي في الدنيا والآخرة، قالت: فوالله ما ذهبت الأيام حتى ارسل اليه زياد الدَعِيّ فدعاه الى البراءة من

أمير المؤمنين (عليه السلام)، فأبى أن يبرأ منه، فقال له الدعي، فبأي ميتة قال لك تموت؟ قال له: اخبرني خليلي انك تدعوني الى البراءة فلا ابرء منه، فتقدمني، فتقطع يدي ورجلي ولساني، فقال: والله؟ لأُكذِّبنَ قوله فيك، فقدموه، فقطعوا يديه ورجليه، فحملت اطرافه يديه ورجليه، فقلت يا أبه؟ هل تجد ماً؟ فقال: لا يابنية! إلّا كالزحام بين الناس، فلما احتملناه واخرجناه من القصر إجتمع الناس، فقال: إيتوني بصحيفة ودواة اكتب لكم ما يكون الى يوم الساعة، ذلك مما علمني به واخبرني خليلي أمير المؤمنين (عليه السلام) فلما اتوه بالصحيفة والدواة اخذ يملي عليهم، علم المنايا والبلايا.

فارسل الدعيّ زياد ـ الحجام حتى قطع لسانه فمات ـ من ليلته (رحمه الله).

وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يسميه «رُشَيد البلايا» وكان قد القى اليه علم البلايا والمنايا، فكان في حياته اذا لقي الرجل قال له: فلان أنت تموت ميتة كذا!! ويقول لآخر انت تقتل يا فلان بقتله كذا!! فيكون كما قال رشيد.

فسلام عليه يوم ولد، ويوم أسلم وجاهد، ويوم استشهد، ويوم يبعث حياً، ليلتحق بركب الشهداء والصديقين وحسن أولئك رفيقا.

اهم المصادر:

في معجم رجال الكشي للشيخ الطوسي ص ٧٥.
وفي الاختصاص ـ للشيخ المفيد ص ٧٧.
وفي قاموس الرجال ـ للشيخ التستري ج ٤ ص ٣٦٨.
وفي اعيان الشيعة ـ للسيد محسن الأمين ج ٧ ص ٦.
وفي معجم رجال الحديث ـ للسيد الخوئي ج ٨ ص ١٩٧.
وغيرها من امهات المصادر الرجالية والمعاجم بعدة طرق، ما لفظه.

هاشم المرقال

ولد هاشم بن عتبة بن ابي وقاص الزهري ـ ابن اخ سعد بن ابي وقاص الزهري، في بيت رفيع من بيوتات قريش من بني، زهرة بمكة.

اسلم يوم فتح مكة، وحسن اسلامه وكان من الفضلاء الاخيار.

يكنى بابي عمر. نزل الكوفة واستوطن فيها بعد الشام.

فقئت عينه يوم اليرموك فسمي بالأعور.

فتح جلولاء في معركة ضاربة مع الاكاسرة، وعقد له عمه سعد اللواء، وكانت تسمى هذه المعركة بفتح الفتوح لأهميتها بعد فتح المدائن بتسعة أشهر وذلك في سنة ١٧هـ وقيل ١٩هـ.

وشهد مع الامام علي (عليه السلام) الجمل، وصفين، وكان قائداً على الرجالة، وأبلى فيها بلاءً حسناً، وكانت الراية بيده، حتى استشهد في آخر ايام معركة صفين.

اليك شذرات مما كتبه العلماء والمؤرخون واصحاب السير عن حياة البطل المجاهد هاشم المرقال باشعارهم وكتبهم منهم: ملخصة في سطور.

١ـ معجم رجال الحديث للسيد الخوئي[1].

أ ـ عد من اصحاب امير المؤمنين، سمي بالمرقال لانه كان يرقل (يركض في الحرب).

ب ـ كان صاحب الراية في ليلة الهرير بصفين.

---

(١) معجم رجال الحديث للسيد الخوئي ج ١٩ ص ٢٤٥.

ج ـ هاشم بن عتبة المرقال: كان احد الخمسة من قريش الذين كانوا مع امير المؤمنين (عليه السلام) وهم: محمد بن ابي بكر، وخالد بن سعيد بن العاص، وهاشم بن عتبة المرقال، وجعدة بن هبيرة المخزومي، ومحمد بن ابي حذيفة.

هـ ـ خرج حمزة بن مالك الهمداني من عسكر معاوية قائلاً لهاشم المرقال:

يا أعور العين وما فينا عور نبغي ابن عفان ونلحي من عذر

فتصاولا وتطاعنا فطعنه هاشم وقتله، فهجم اصحابه على المرقال فقتلوه.

٢ ـ الاعلام ـ خير الدين الزركلي.[1]

أ ـ هاشم بن عتبة بن ابي وقاص: صحابي، خطيب، من الفرسان، يلقب بالمرقال، وهو ابن اخ سعد بن أبي وقاص، اسلم يوم فتح مكة، ونزل الشام بعد فتحها، وشهد القادسية مع سعد، وأُصيب عينه يوم اليرموك، فقيل له «الاعور»، وفتح جلولاء، وكان مع علي بن ابي طالب(ع) في حروبه، وتولى قيادة الرَجَّالة في صفين، وقتل في آخر أيامها.

٣ ـ الأستيعاب على هامش الاصابة: لابن حجر العسقلاني[2] كما ذكرنا ذلك بتغير في العبارة.

٤ ـ ذكر ابن الاثير ـ في كتابه اسد الغابة كما سبق في الاعلام.

٥ ـ في تاريخ الطبري في واقعة صفين:

أ ـ يكنىٰ بأبي عمر.

ب ـ اسلم يوم الفتح وحسن إسلامه وكان من الفضلاء الاخيار.

ج ـ فقئت عينه يوم اليرموك فسمي بالأعور.

(١) الاعلام للزركلي ج٨ ص٦٦ ط بيروت.

(٢) الاستيعاب على هامش الاصابة لابن حجر العسقلاني المتوفي سنة ٤٦٢ هـ ج٣ ص٦١٦ ط بيروت ـ دار صادر.

د ـ فتح جلولاء في معركة ضارية مع الاكاسرة، وعقد له عمه سعد اللواء، وكانت تسمىٰ هذه المعركة فتح الفتوح لأهميتها بعد فتح المدائن بتسعة أشهر وذلك في سنة ١٧ وقيل ١٩ هـ

هـ ـ نزل الكوفة واستوطن فيها بعد الشام وبقىٰ فيها، ولما قتل عثمان، صار يحث الناس على بيعة الإمام علي (ع)، وما ان سمع إن الإمام (عليه السلام) خرج الى العراق لحرب اصحاب الجمل في البصرة، حتى زحف اليه بجيشه، فاعتمد الامام عليه في مراسلاته وحربه، ووقف الى جنبه حتى القت الحرب اوزارها وانتهت بنصر الامام، وكسب المعركة.

وعاد مع الامام (عليه السلام) الى الكوفة ولازمه.

وما أن تظاهر معاونه بالعصيان وخرج على امام زمانه، ولم تنفع معه نصائح الامام (عليه السلام) ومراسلاته.

دعا الإمام الخلص من اصحابه وقواد جيشه للاجتماع واستشارتهم في الأمر، كان هاشم أحد الذين اعتمد عليهم.

و ـ وشهد مع الامام (عليه السلام)، الجمل، وصفين، وكان قائداً على الرجالة، وابلىٰ فيها بلاءً حسناً، وكانت الراية بيده، حتى استشهد في آخر ايام معركة صفين.

قال ابو مخنف: وحدثني ابو سملة، ان هاشم بن عتبة الزهري دعا الناس عند المساء، ثم اقبل في عصابة معه من القراء، فقاتل قتالاً شديداً هو واصحابه حتى رأوا بعض ما يسرون به من الظفر، فقتل يومئذ تسعة أو عشرة من عسكر اهل الشام فحمل عليه الحارث بن المنذر التنوخي فطعنه [في بطنه فشقها] وارسل اليه الامام علي (عليه السلام) ان اقدم لواءك فقال لرسوله: انظر الى بطني، فاذا هو قد شق.

وهاشم واحد من اولئك الذين اختصوا بالامام علي (عليه السلام) وعُرفوا بصلتهم القوية به، وعدّ من اقطاب مدرسته الفذة، كما هو شأن عمار، والأشتر، ومحمد بن أبي بكر وغيرهم، لذا فإن كلام الإمام علي (عليه السلام) عن هذه الشخصية مبني على المعرفة التامة.

ويروى لمّا حوصر النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والهاشميون في شعب أبي طالب، قدم هاشم بن عتبة ببعير محمّلاً بالطعام من تمر وزبيب وغيره، ولمّا وصل إلى مدخل الشعب، وجد رجلين من قريش يحرسان مدخل الشعب حتى لا تصل المؤونة إلى سكان الشعب، فأغراهما بالمسابقة وجعل جائزة لمن يسبق صاحبه إلى مكّة ذهاباً وأياباً، وعندما ذهبا للمسابقة أرسل البعير المحمّل إلى داخل الشعب ورجع من حيث جاء وتوارى عن الأنظار، وهذا مالا يقوم به إلّا رجل كامل يحمل روح الإنسانية والشهامة وهو على شركه ظاهراً.

ولما أعلن الجهاد لغزو الشام ودّع المسلمون جيشهم العظيم، يتقدمه أبو عبيدة، وعلى يمينه هاشم بن عتبة، قد امتطى جواده، وعلى قسماته تشع روائع الفروسية والبطولة.

واطل الجيش على الشام، وسار يفتح المدينة تلو المدينة حتى حط الجيش إلى جوار مدينة (الرستن) وكانت هذه المدينة حصينة للغاية، فإذا سقطت بيد المسلمين هان أمر بقيّة الحصون بعدها. وكان هذا الحصن على أتم استعداد للمقاومة، وعلى أحسن ذخيرة.

وبقي المسلمون حيال هذه المدينة، وقد ضيقوا عليها الحصار، ولكن لم ينفع معها أي شيء، فعقد أبو عبيدة اجتماعاً لكبار قادته يستشيرهم، وكان هاشم معهم يستمع، وقد غاب في شبه تفكير، ولم يشارك الجالسين في رأي، حتى إذا ما طال بهم المقام التفت إليه أبو عبيدة قائلاً:

ما بالك يا أبا عمر لا تشاركنا الرأي؟! هل وضعت لنفسك مخططاً تنفذ به جيشك؟

وسكت الجميع، واتجهوا بعيونهم إلى هاشم، وباسماعهم إلى حديثه.

وقال: لقد فكرت في فتح هذا الحصن كثيراً، فلم أجد طريقاً إلّا ودرسته حتى توصلت إلى ان خير وسيلة لفتحه هي الخطة التي أرسمها لكم، وهي: أن نهيىء عشرين صندوقاً خشبياً، يكمن فيه عشرون بطلاً من أبطالنا بكامل معداتهم فنتركها في معسكرنا، ونترك عندها رجلين من المسلمين حارسين عليها، ونتظاهر بمغادرة المكان، وكأننا تراجعنا عن فتح الحصن، ويزحف الجيش إلى أقرب قرية فيه وذلك قبل الغروب، وما أن يختلط الظلام تعود كوكبة من الفرسان إلى مقربة من الحصن، تكمن عنده في ظلام الليل، وعندما يعرف أهل الحصن أن المعسكر قد ترك موقعه، وترك صناديق فسيهرعون إلى أخذها، ونقلها إلى قائدهم، وعند ذاك تكون المعركة، فإذا ما أدخلت الصناديق والاسيران إلى القائد يكبّر الاسيران فينتفض الابطال من صناديقهم، ويكبّرون فيجيبهم المسلمون من الخارج، ويفتحون الحصن.

وتهيأت الصناديق، وصاح القائد في ضبّاطه: من يبذل نفسه لهذه المهمّة؟ وردد صدى ندائه الفضاء، وكاد المشروع يفشل لولا يقظة هاشم، وحنكته، وبطولته فقد اختار أحدى الصناديق، وتوارى فيه.

وما إن رأى القادة هاشماً، وهو يتوارى في أحد الصناديق حتى امتلأت وأحكمت أقفالها، وتبرع إثنان من شجعان المسلمين أن يكونا حرساً عليها، وإذا ما تمت هذه العملية، والشمس قد مالت للمغيب تظاهر المسلمون بمغادرة المكان، وأبو عبيدة قلق، وأشعر قائد الأعداء بأن المسلمين رحلوا عن الحصن فأرسلوا عيوناً إلى معسكرهم، فرأوا صناديق وحارسين.

وصاح الضابط: ياجنود أسّروا هذين المسلمين، واحملوا هذه الصناديق معهما إلى «نقيطاس» قائدهم الأعلى، وكان ما أراد، ونقل الحارسان والصناديق إلى الحصن، حيث مقر القائد داخل الحصن، ووضعت هذه الغنيمة بين يديه.

وامتد الليل والقائد يسأل من الحارسين المسلمين عن أمور المسلمين وعدتهم واتجاههم، وهما مرة يصدقانه وأُخرى يراوغانه متقصدين اطالة المقام معه .. حتى إذا اعتقدا انه لم يبق مع القائد إلّا ثلة من العساكر، كبّر الحارسان، فضحك القائد، وكانت الصناديق قد وضعت في ساحة بمقر القيادة، وما ان استمع المختبئون صدى التكبير حتى انتقض الجميع بسيوفهم، مكبّرين مرة واحدة بحيث إرتج المكان له، وهجم عشرة منهم على مقر القائد وعشرة على باب الحصن، وردد المسلمون من الخارج صدى التكبير، وكان قتال اعقبه تخاذل من الكفار، فقد اضطربوا وماجوا، وفوجئوا بالهجوم، وحاول القائد الفرار، ولكن دخل عليه هاشم فعاجله بضربة، أردته صريعاً، وسقط الحصن وانتهت المعركة مع الفجر، وما ان قفز النور إلى السماء حتى كان المسلمون قد تم لهم فتح الحصن، وتهاوت الشام بعد ذلك بيد المسلمين.

وكانت المعركة حامية الوطيس مع «هرقل» ملك الروم ولكن هاشم هو بطل ذلك اليوم وهو الذي كان يصول بين الجيوش ويجول، يزهو بعزيمة لا تعرف الملل ولا الكلل، حتى عرف عنه المسلمون الشيء الكثير، ورأت القيادة الإسلامية البطولة المتجسمة في المرقال، فسلمت له إمرة المشاة في جيش المسلمين، وجيش المشاة أساس الحرب، ومدار القتال.

وما أن تسلم هاشم مركزه الجديد، حتى زحف بعدته نحو جيش هرقل، يرقل براية الإسلام، وينتقل بين الصفوف، وصار على مقربة من سرادق قائد الكفّار، وكانت لحظات حاسمة، تزأر فيها العقيدة، وتصرخ في وسطها البطولة،

وزحف المسلمون وراء هاشم، وهو المقدام، وانتفض الروم وهم في حملتهم الأخيرة، ودارت رحى الحرب قاسية وشديدة.

وفي حملة واحدة من الجانبين، وجه جيش الروم نبالهم يرشقون أبطال المسلمين، فما هي إلّا جولة حتى أصيب سبعمائة مسلم، من قائد وزعيم بأعينهم، ومنهم هاشم، وشاع في الناس الذعر، حتى قيل عن ذلك اليوم «يوم التعوير».

ولكن هاشم، وهو القائد المغوار لم تلهه دماؤه التي تسيل من عينه، ولا تلك الظلمة التي أحاطت بدنياه، فما هي إلّا برهة حتى تحسس إنّ أحدى عينيه سالمة، فشدّ على نفسه، وطاف بصحبه، وهو يشجع بهم، ويمنيهم بقرب النصر، وإنّها الجولة الأخيرة، ثم هجم على الروم بقوة، لا تعرف السأم ولا الضجر ولم يرجع إلّا وهو متوج بالنصر في معركة «اليرموك»، فقد اندحرت أمامه جيوش الاعداء.

ولم يستقر المرقال من أتعاب هذه الحرب، حتى ورد عليه كتاب عمر بن الخطاب، يطلب فيه أن يتوجه فوراً إلى القادسية ليساعد عمه سعداً في حرب القاسية مع الفرس.

وانتقل هاشم بجيش كثير العدد من الشام الى العراق وكان له في فتح القادسية، ومن بعدها من مراكز العراق الأثر التام.

واعتزل هاشم الحرب وسكن الكوفة، فقد ساعدته الظروف لأن يختار الكوفة على المدينة وخاصة ان عمه ووالد زوجته سعد ابن أبي وقاص كان والياً عليها.

ولما قتل عثمان أيّد المرقال بيعة الإمام، وهتف بأحقيتهِ من غيره فهو لا لكونه من صحابته فحسب، وإنّما لعلمه أن علي بن أبي طالب سيقيم العدل، وإنّه خَيرُ من يصلح للأمر، لا تأخذه في الله لائمة، لهذا ما ان سمع نبأ خلافته، حتى هرع

وصاح الضابط: ياجنود أسّروا هذين المسلمين، واحملوا هذه الصناديق معهما إلى «نقيطاس» قائدهم الأعلى، وكان ما أراد، ونقل الحارسان والصناديق إلى الحصن، حيث مقر القائد داخل الحصن، ووضعت هذه الغنيمة بين يديه.

وامتد الليل والقائد يسأل من الحارسين المسلمين عن أمور المسلمين وعدتهم واتجاههم، وهما مرة يصدقانه وأخرى يراوغانه متقصدين اطالة المقام معه .. حتى إذا اعتقدا انه لم يبق مع القائد إلّا ثلة من العساكر، كبّر الحارسان، فضحك القائد، وكانت الصناديق قد وضعت في ساحة بمقر القيادة، وما ان استمع المختبئون صدى التكبير حتى انتقض الجميع بسيوفهم، مكبّرين مرة واحدة بحيث إرتج المكان له، وهجم عشرة منهم على مقر القائد وعشرة على باب الحصن، وردد المسلمون من الخارج صدى التكبير، وكان قتال اعقبه تخاذل من الكفار، فقد اضطربوا وماجوا، وفوجئوا بالهجوم، وحاول القائد الفرار، ولكن دخل عليه هاشم فعاجله بضربة، أردته صريعاً، وسقط الحصن وانتهت المعركة مع الفجر، وما ان قفز النور إلى السماء حتى كان المسلمون قد تم لهم فتح الحصن، وتهاوت الشام بعد ذلك بيد المسلمين.

وكانت المعركة حامية الوطيس مع «هرقل» ملك الروم ولكن هاشم هو بطل ذلك اليوم وهو الذي كان يصول بين الجيوش ويجول، يزهو بعزيمة لا تعرف الملل ولا الكلل، حتى عرف عنه المسلمون الشيء الكثير، ورأت القيادة الإسلامية البطولة المتجسمة في المرقال، فسلمت له إمرة المشاة في جيش المسلمين، وجيش المشاة أساس الحرب، ومدار القتال.

وما أن تسلم هاشم مركزه الجديد، حتى زحف بعدته نحو جيش هرقل، يرقل براية الإسلام، وينتقل بين الصفوف، وصار على مقربة من سرادق قائد الكفّار، وكانت لحظات حاسمة، تزأر فيها العقيدة، وتصرخ في وسطها البطولة،

وزحف المسلمون وراء هاشم، وهو المقدام، وانتفض الروم وهم في حملتهم الأخيرة، ودارت رحى الحرب قاسية وشديدة.

وفي حملة واحدة من الجانبين، وجه جيش الروم نبالهم يرشقون أبطال المسلمين، فما هي إلّا جولة حتى أصيب سبعمائة مسلم، من قائد وزعيم بأعينهم، ومنهم هاشم، وشاع في الناس الذعر، حتى قيل عن ذلك اليوم «يوم التعوير».

ولكن هاشم، وهو القائد المغوار لم تلهه دماؤه التي تسيل من عينه، ولا تلك الظلمة التي أحاطت بدنياه، فما هي إلّا برهة حتى تحسس إنّ أحدى عينيه سالمة، فشدّ على نفسه، وطاف بصحبه، وهو يشجع بهم، ويمنيهم بقرب النصر، وإنّها الجولة الأخيرة، ثم هجم على الروم بقوة، لا تعرف السأم ولا الضجر ولم يرجع إلّا وهو متوج بالنصر في معركة «اليرموك»، فقد اندحرت أمامه جيوش الاعداء.

ولم يستقر المرقال من أتعاب هذه الحرب، حتى ورد عليه كتاب عمر بن الخطاب، يطلب فيه أن يتوجه فوراً إلى القادسية ليساعد عمه سعداً في حرب القاسية مع الفرس.

وانتقل هاشم بجيش كثير العدد من الشام الى العراق وكان له في فتح القادسية، ومن بعدها من مراكز العراق الأثر التام.

واعتزل هاشم الحرب وسكن الكوفة، فقد ساعدته الظروف لأن يختار الكوفة على المدينة وخاصة ان عمه ووالد زوجته سعد ابن أبي وقاص كان والياً عليها.

ولما قتل عثمان أيّد المرقال بيعة الإمام، وهتف بأحقيتهِ من غيره فهو لا لكونه من صحابته فحسب، وإنّما لعلمه أن علي بن أبي طالب سيقيم العدل، وإنّه خَيرٌ من يصلح للأمر، لا تأخذه في الله لائمة، لهذا ما ان سمع نبأ خلافته، حتى هرع

إلى أبي موسى الاشعري، وهو في الكوفة من قبل عثمان، وهجم عليه قائلاً: «بايع يا أبا موسى لخير هذه الأمة، علي بن أبي طالب».

وبقي في الكوفة، يحث الناس على بيعة علي، وما ان سمع أنّ إمامه خرج إلى العراق لحرب الجمل، حتى خف إليه، فاعتمد عليه الإمام في مراسلاته وحربه ووقف إلى جنبه حتى أنتهى الأمر، وكسب الإمام النصر.

وعاد مع الإمام، ولازمه، تظاهر معاوية بالعصيان ولم تنفع معه مراسلة الإمام (عليه السلام) ونصحه، حتى جمع الإمام اصحابه وأخذ يستشيرهم في الأمر، وكان هاشم من أولئك النفر الذين اعتمد عليهم أبو الحسن في مشورته وتثبيت دولته.

وزحف الإمام بجيشه إلى قتال أهل الشام، وفي «صفين» عسكر الفريقان، الحق والباطل، وحجزت الأشهر الحرم بين الطرفين، كان في أثنائها يلتمس الإمام الأمل بالنصح والمراسلة، عسى أن يلين معاوية، ولكن كانت إجابتهُ بالنهاية: «السيف بيننا وبينك، أو يهلك الأعجز منا».

ويئس الإمام من عودتهم إلى حظيرة الحق والخير، وصمم على مقاتلتهم، ودفع رايته العظيمة إلى هاشم المرقال بعدما وقع اللواء الى قائد جيوشه مالك الأشتر، وصف جيشه وتقابل الطرفان، ودارت الحرب بأشد ما شاهدها هاشم في حياته من قسوة وعنف، وامتد الليل بظلامه، والقتال بعد قائم لم تخف سورته، ومع الفجر اجتمع الإمام بقادة جيشه: الأشتر، وعمّار، والمرقال، يشرح لهم خطته العسكرية، ووجه هاشم إلى القلب.

وتقدّم إلى الميدان، وهو يقتحم صفوف أهل الشام، فوقف معاوية مشدوهاً ذاهلاً بهذا المنظر، وصاح بدون شعور: أعور بني زهرة قاتله الله ... وهاشم يرقل بالراية ارقالاً نحو معسكر طاغية أهل الشام والشمس قد مالت إلى المغيب.

ودب الذعر في أهل الشام، وخاف معاوية على أمره وكان أن فاجأ أحد من الشاميين هاشماً بطعنة في بطنه فشقها، ولكن بطولة هاشم طغت عليه، فقبض على طعنته بإحدى يديه وبيده الأُخرىٰ اللواء، وقاوم أهل الشام مقاومة عنيفة حتى وقعت عينه على ولده عبد الله فطلبه فقال له ولده: لماذا لم تتقدم يا أبتاه بالجيش؟

وكان جواب المرقال أن رفع يده عن بطنه، فخرجت أمعاؤه فسقط، وكادت تحدث النكسة، لولا موقف ولده عبد الله، فقد تناول الراية، وقفز على أعدائه، وهو يصبّر إخوانه وصحبه.

وهكذا قفز عبد الله بن هاشم إلى قمة البطولة، يستمد من جهاد أبيه وإخلاصه، ومن بطولة أبيه وفدائه، ومن عقيدة أبيه ودعوته، ما دفعه إلى هذا الموقف.

ويقف الإمام في النهايه على أجساد عمّار وهاشم وأويس القرني، وصحبه وصلّى عليهم ويودعهم بدموعه الحارّة النقيّة، ويرثيهم بعواطفه الكبيرة وهو يقول: «رحم الله هاشماً وصحبه، رجال عرفوا الحقّ فجاهدوا في سبيله، وماتوا دونه».

وهكذا كان أبطال مدرسة الإمام علي (عليه السلام) أفذاذاً وعمالقةً في جهادهم، وحياتهم.

عبد الله بن هاشم المرقال

على ذكر عبد الله بن هاشم المرقال (رضوان الله عليهما)، فقد ذكر السيد هاشم معروف في كتابه الانتفاضات الشيعية بقوله:

لقد كان عبد الله بن هاشم المرقال في طليعة اولئك الأبدال الذين خطط لهم معاوية ودعيه ابن سميّه لإستئصال شيعة علي (عليه السلام) لأنّه كان من أعيانهم وزعمائهم الأبطال الذين لم يخضعوا لغير الحق، ولا يهابون أحداً على حساب المبدأ والعقيدة، وممن يرون ان البراءة من علي وآل علي (عليه السلام) يعني البراءة من الإسلام ومن محمد(صلّى الله عليه وآله وسلّم) ورسالته، رسالة السماء.

لقد كانت الشهادة تنتظر عبد الله بن هاشم المرقال كما ينتظرها هو بنفسٍ مطمئنة، وعزيمة ثابتة صادقة، كما كان أبوه هاشم المرقال ينتظرها بنفس الروح والعزيمة.

وجاء في الرسالة التي كتبها معاوية إلى زياد ابن سمية: أما بعد فانظر عبد الله بن هاشم المرقال فشدّ يده الى عنقه وأبعثه إليَّ ولمّا وصلته رسالة معاوية أوعز إلى جلاوزته بالبحث عنه في كل زاوية وإلقاء القبض عليه، وحينما أحس عبد الله بن هاشم بذلك التجأ إلى حي من أحياء الكوفة واختفى في أحد بيوته، ولمّا علم معاوية بمكان عبد الله بن هاشم كتب إلى زياد ابن سميّه جاء فيه:

أما بعد فإذا أتاك كتابي فاعمد إلى حي من بني مخزوم وفتشه بيتاً بيتاً حتى تأتي دار فلانه المخزومية فاستخرج عبد الله بن هاشم المرقال منها وأحلق رأسه وألبسه جبة من الشعر وغل يده إلى عنقه وأحمله إليَّ على قتب بغير وطاء ولا غطاء.

وعندما وصل إليه الكتاب قام زياد بتفتيش الحي بيتاً بيتاً وظفر به في أحد

بيوته فارسله إلى معاوية على الكيفية التي أرادها، ووصل عبد الله إلى دمشق في يوم الجمعة، اليوم الذي يجتمع فيه أشراف قريش ووجوه أهل الشام والعراق، وأدخل ابن هاشم على معاوية مكبلاً بالحديد ووقف بين يديه فعرفه لأوّل نظرة، ولم يعرفه ابن العاص، فقال معاوية: هذا الذي كان أبوه في صفين يقول:

إني شريت النفس لما اعتلا ... وأكثر اللوم وما أقلّا
أعور يبغي أهله محلّا ... قد عالج الحياة حتى ملّا
لاخير عندي في كريم ولى

فتمثل عمرو بن العاص حينما عَرَّفهُ به معاوية بقول القائل:

وقد ينبت المرعىٰ علىٰ دمن الثرىٰ ... وتبقى حزازات النفوس كما هيا

والتفت عمر بن العاص إلى معاوية قائلاً: دونك الضب المضب فاشخب أوداجه على إثباجه، ولا تَرِّدهُ إلى أهل العراق فإنّه لا يصبر على النفاق، وهم أهل غدرٍ وشقاق وإنّ له هوى سيؤديه ورأياً سيطغيه وبطانة ستغويه.

فانبرى إليه عبد الله كالأسد الغضبان غير هيّاب ولا وجل قائلاً: يا عمرو إن أقتل فرجل اسلمه قومه، وأدركه يومه.

واستمر الحوار الحاد بين ابن العاص وابن المرقال، وابن العاص ينهزم بين يديه ويراوغ، ثمّ يحاول أن يستعيد مكانته بالتضليل والإحتيال والافتراء على عبد الله وأبيه، ولكن عبدالله كان يطارده إينما ذهب ليكشفه على واقعه الكريه الممقوت أمام ذلك المجتمع الذي ضم أشراف قريش ووجهاء أهل العراق، والشام وقال له:

ياعمرو إنا قد بلوناك ومقالتك فوجدنا لسانك كذوباً غادراً، خلوت بأقوام لا يعرفونك، وجنوداً لا يساومونك، ولو رمت المنطق في غير أهل الشام

لجحظ عليك عقلك، وتلجلج لسانك، واضطرب فخذاك اضطراب القعود الذي أثقله حِملهُ.

وهنا أدرك معاوية ان ابن العاص ساعده الأيمن قد أنهار وانكشف على حقيقته، ورأى الجماهير تتطلع إلى ابن هاشم بإعجاب وإكبار فقطع عليهما الحوار قائلاً: أيها عنكما وأمر بإرجاع عبد الله بن هاشم إلى السجن وبقي فيه يتعرض لاسوأ أنواع التعذيب النفسي والجسدي والإرهاق حتى لفظ أنفاسه الأخيرة.

فسلام عليه وعلى أبيه يوم ولدا ويوم جاهدا ويوم استشهدا ويوم يبعثا أحياء.

* * *

الفصل الخامس

كلمات الصحابة والتابعين في الإمام علي (عليه السلام)

من المعيب ان نستدل علىٰ فضل علي بن أبي طالب (عليه السلام) بأقوال الصحابة والتابعين، وهم لولا جهاده وآثاره لكانوا في طي النسيان، وعالم الأهمال، وما قيمة ما ذكروه بعد قول الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله) له: «يا علي وَما عَرفك إلّا الله وأنا»، وناهيك بهذا شرفاً وفخراً.

نعم، إيراد كلمات هؤلاء الأعلام تعطينا صورة صادقة عن إكبار المخالف والمؤالف لعلي بن أبي طالب، وهيام الجمَيع بحبه، وحفظهم لفضائله.

وقد استغنينا بكلمات الصحابة والتابعين عن إيراد كلمات العلماء والعظماء لكثرتها، فهي فوق الحصر، فلا يوجد كتاب في التاريخ الاسلامي أو التراجم والسِيَر، إلّا واسم علي بن أبي طالب يلمع في كل فصل من فصوله، ولم يترجم أحد للخالدين إلّا وصَدّره باسم علي بن أبي طالب. وكل فضيلة لهم هي عيال عليه. وقد أنتخبنا أربعين كلمة.

نذكر من كلماتهم:

أبو بكر

١ ـ قال أبو بكر لأمير المؤمنين (عليه السلام): أمسيت يا ابن أبي طالب مولى كلِ مؤمن ومؤمنة[1].

---

(١) الفتوحات الاسلامية٢/٤٧٠. قالها بعد أن قال النبي (صلّى الله عليه وآله): من كنت مولاه فعلي مولاه.

عمر بن الخطاب

٢ ـ قال عمر بن الخطاب: لولا علي لهلك عمر[١].

وقال أيضاً: لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن[٢].

وقال ايضاً: لا يفتين أحد في المسجد وعلي حاضر[٣].

وقال ايضاً: لا ابقاني الله بعد ابن أبي طالب[٤].

وقال ايضاً: علي اقضانا[٥].

وقال ايضاً: اللّهم لا تبقني لمعضلة ليس لها ابن أبي طالب[٦].

عثمان بن عفان

٣ ـ قال عثمان بن عفان: لولا علي لهلك عثمان[٧].

ابن مسعود

٤ ـ قال عبد الله بن مسعود: كنا نتحدث أنّ أقضىٰ المدينة علي بن أبي طالب[٨].

ابن المسيب

٥ ـ قال سعيد بن المسيب: ما كان أحد من الناس يقول سلوني غير

(١) شرح نهج البلاغة ٦/١. تذكرة الخواص ص٨٧.

(٢) شرح نهج البلاغة ٦. أسد الغابة ٢٢٠/٤. تهذيب التهذيب ٣٣٧/٧.

(٣) شرح نهج البلاغة ٦/١.

(٤) تذكرة الخواص/٨٨.

(٥) تهذيب التهذيب ٣٣٧/٧.

(٦) تذكرة الخواص/ ٨٧.

(٧) الغدير ٢١٤/٨ عن زين الفتىٰ في شرح سورة هل أتىٰ.

(٨) أسد الغابة ٢٢/٤. الأئمة الاثنا عشر لابن طولون/٥٠.

علي بن أبي طالب[١].

سعد بن أبي وقاص

٦ ـ قال سعد بن أبي وقاص لمعاوية لما سأله: ما يمنعك أن تسب أبا تراب؟

قال: أمّا ما ذكرت ثلاث قالهن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فلن أسبه، لأن يكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمر النعم: سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول لعلي وقد خلّفه في بعض مغازيه فقال له علي: يا رسول الله تخلفني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «أما ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ إلاّ أنه لا نبي بعدي»؛ وسمعته يقول له يوم خيبر: «لأ عطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»، فتطاولنا إليها، فقال: «ادعوا عليا»: فأتاه وبه رمد، فبصق في عينيه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه؛ وانزلت هذه الآية: ﴿**فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم**﴾ دعا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عليا وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «اللّهم هؤلاء أهلي»[٢].

زيد بن أرقم

٧ ـ قال زيد بن أرقم: أوّل من صلىٰ مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) علي بن أبي طالب[٣].

الحسن بن علي

٨ ـ خطب الحسن بن علي بعد وفاة أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال:

(١) أسد الغابة ٢٢/٤. الأئمة الاثنا عشر لابن طولون/٥١.

(٢) أسد الغابة ٢٦/٤.

(٣) الاستيعاب بهامش الاصابة ٣٢/٣.

لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الاولون بعمل، ولا يدركه الآخرون بعمل، ولقد كان يجاهد مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فيقيه بنفسه، ولقد كان يوجهه برايته فيكتنفه جبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتّىٰ يفتح الله عليه[١].

عائشة

٩ ـ قالت عائشة: ما رأيت رجلا أحب إلىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) منه[٢].

وقالت ايضاً: اما إنّه لأعلم الناس بالسنّة[٣].

أبو سعيد الخدري

١٠ ـ قال أبو سعيد الخدري: كنا نعرف المنافقين ببغضهم علياً[٤].

قيس بن سعد بن عبادة

١١ ـ قال قيس بن سعد بن عبادة لمعاوية بن أبي سفيان: أن الله بعث محمداً (صلّى الله عليه وآله) رحمة للعالمين، فبعثه إلىٰ الناس كافة، إلى الجن والانس، والأحمر والأسود والأبيض، اختاره لنبوته، واختصه برسالته، فكان أول من صدقه وآمن به ابن عمه علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وأبو طالب يذب عنه ويمنعه، ويحول بين كفار قريش وبين أن يردعوه أو يؤذوه، وأمره أن يبلغ رسالة ربه، فلم يزل ممنوعاً من الضيم والاذىٰ حتّىٰ مات عمه أبو طالب، وأمر ابنه بمؤازرته، فآزره ونصره، وجعل نفسه دونه في كل شديدة وكل ضيق وكل

(١) مقاتل الطالبيين/٣٥.

(٢) العقد الفريد ٢/٢١٦.

(٣) الاستيعاب بهامش الاصابة ٢/ ٤٠.

(٤) الأئمة الاثنا عشر لابن طولون/٥٦.

خوف؛ واختص الله بذلك علياً من بين قريش، وأكرمه من بين جميع العرب والعجم. ونعم ما قال الشاعر:

ولولا أبو طالب وابنه ... لما مُثُل الدين شخصاً وقاما
فذاك بمكة آوىٰ وحامىٰ ... وهذا بيثرب جسّ الحماما
فلله ذا فاتحاً للهدىٰ ... ولله ذا للمعالي ختاما

فجمع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) جميع بني عبد المطلب، منهم أبو طالب، وأبو لهب، وهم يومئذ أربعون رجلاً، فدعاهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وخادمه علي، ورسول الله (صلّى الله عليه وآله) في حجر عمه أبي طالب فقال: أيكم ينتدب أن يكون أخي ووزيري ووصيي وخليفتي في أُمتي، وولي كل مؤمن بعدي؟ فسكت القوم، حتّىٰ اعادها ثلاثاً، فقال علي: أنا يا رسول الله (صلّى الله عليك)، فوضع رأسه في حجره وتفل في فيه، وقال: اللّهم املأ جوفه علماً وفهماً وحكماً، ثم قال لأبي طالب: يا أبا طالب أسمع الآن لابنك وأطع، فقد جعله الله من نبيه بمنزلة هارون من موسىٰ؛ وآخىٰ صلى الله عليه وآله بين علي وبين نفسه[١].

ابن عباس

١٢ ـ قال عبد الله بن عباس لقوم يتناولون علياً: ويحكم أتذكرون رجلاً كان يسمع وطأ جبرئيل (عليه السلام) فوق بيته، ولقد عاتب الله اصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في القرآن ولم يذكره إلّا بخير[٢].

وقال أيضاً: اعطي علي (رضي الله عنه) تسعة اعشار العلم، وواللّه لقد

(١) الغدير ٢/١٠٧.

(٢) تذكرة الخواص/٩٠، الاستيعاب بهامش الاصابة ٣/٤٠.

شاركهم في العشر الباقي[١].

وقال أيضاً: لعلي أربع خصال ليست لأحد غيره: وهو أوّل عربي وأعجمي صلىٰ مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وهو الذي كان لواءُه معه في كل زحف، وهو الذي صبر معه يوم فرّ غيره، وهو الذي غسّله وأدخله قبره[٢].

عبد الله بن عمر

١٣ ـ قال عبد الله بن عمر لنافع بن الأزرق ـ لما قال: إنّي أبغض علياً ـ أبغضك الله، اتبغض رجلاً سابِقة من سوابقه خير من الدنيا وما فيها[٣].

وقال ايضاً: ما كنت آسىٰ علىٰ شيء إلّا أنّي لم أقاتل مع علي الفئة الباغية[٤].

سعيد بن العاص

١٤ ـ قال سعيد بن العاص: أما إنّه ما كان يسرني أن يكون قاتل أبي غير ابن عمه علي بن أبي طالب[٥].

معاوية

١٥ ـ كان معاوية يكتب فيما ينزل به ليسأل له علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) عن ذلك، فلما بلغه قتله قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب.

فقال له أخوه عتبة: لا يسمع هذا منك أهل الشام.

---

(١) الأئمة الاثنا عشر لابن طولون/٥٢.

(٢) الاستيعاب بهامش الاصابة٣/٢٧.

(٣) المناقب ١/٢٤٠.

(٤) الاستيعاب بهامش الاصابة ٣/٥٣.

(٥) أعيان الشيعة ٣ق١/٣٦.

فقال له: دعني عنك[١].

جابر بن عبد الله

١٦ ـ قال جابر بن عبد الله الأنصاري: ما كنا نعرف المنافقين إلّا ببغض علي بن أبي طالب (عليه السلام)[٢].

ضرار

١٧ ـ قال ضرار بن ضمرة الكناني لما طلب منه معاوية أن يصف له عليا: كان والله بعيد المدىٰ، شديد القوىٰ، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته، وكان غزير الدمعة، طويل الفكرة، يقلب كفه، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب، وكان فينا كأحدنا، يدنينا إذا أتيناه، ويجيبنا إذا سألناه، ويأتينا إذا دعوناه، وينبئنا إذا استنبئناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا، وقربه منا، لا نكاد نكلمه هيبة له، فإن ابتسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين، ويقرّب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله. وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخىٰ الليل سدوله، وغارب نجومه، قابضاً علىٰ لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، فكأني اسمعه الآن وهو يقول: يا ربنا، يا ربنا، يا ربنا، يتضرع إليه، ثم يقول: يا دنيا غري غيري، إليَّ تعرضتِ، أم إليَّ تشوقتِ هيهات هيهات، قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعمركِ قصير، وخطرك كبير، وعيشك حقير، آهٍ آه من قلة الزاد وبعد السفر، ووحشة الطريق.

فبكىٰ معاوية ووكفت دموعه علىٰ لحيته ما يملكها، وجعل ينشفها بكمه،

---

(١) الاستيعاب بهامش الاصابة ٣/٤٥.

(٢) الاستيعاب بهامش الاصابة ٣/ ٤٦.

وقد اختنق القوم بالبكاء، وقال: رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟

قال: حزن من ذبح ولدها بحجرها، فهي لا ترقأ عبرتها، ولا يسكن حزنها[١].

القعقاع

١٨ ـ قام القعقاع بن زرارة علىٰ قبره فقال: رضوان الله عليك يا أمير المؤمنين، فوالله لقد كانت حياتك مفتاح الخير، ولو أنّ الناس قبلوك لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ولكنهم غمطوا النعمة، وآثروا الدنيا[٢].

الحسن البصري

١٩ ـ قال الحسن البصري: كان والله سهماً صائباً من مرامي الله علىٰ عدوه، وربّاني هذه الأمة وذا فضلها وذا سابقتها وذا قرابتها من رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، لم يكن بالنومة عن أمر الله، ولا بالملومة في دين الله، ولا بالسرقة لمال الله، اعطىٰ القرآن عزائمه ففاز منه برياض مونقة، وذلك علي بن أبي طالب[٣].

عطاء

٢٠ ـ سُئل عطاء: أكان في أصحاب محمّد أحد أعلم من علي؟ قال: لا والله لا أعلمه[٤].

(١) صفة الصفوة ١/ ٣١٥، تذكرة الخواص/ ٧٠، أعيان الشيعة ٧/ ٤٠٤.

(٢) تاريخ اليعقوبي٢/١٩١.

(٣) عقد الفريد ٢/٢٧١. الاصابة ٣/٤٧.

(٤) أسد الغابة ٤/٢٢.

عبد الله بن عياش

٢١ ـ قال عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة لسعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص ـ لما سأله: يا عم لم كان صفو الناس إلىٰ علي؟ ـ قال: يا ابن أخي إنّ علياً كان له ما شئت من ضرس قاطع في العلم، وكان له البسطة في العشيرة والقدم في الاسلام، والصهر لرسول الله (صلّى الله عليه وآله)، والفقه في السنة، والنجدة في الحرب والجود بالماعون[١].

عامر بن عبد الله بن الزبير

٢٢ ـ قال عامر بن عبد الله بن الزبير لابن له ينتقص علياً: يا بني إياك والعودة إلىٰ ذلك، فإن بني مروان شتموه ستين سنة، فلم يزده الله بذلك إلّا رفعة، وإنّ الدين لم يبن شيئاً فهدمته الدنيا، وإنّ الدنيا لم تبن شيئاً إلّا عاودت علىٰ ما بنت فهدمته[٢].

محمد بن أبي بكر

٢٣ ـ كتب محمد بن أبي بكر بن أبي قحافة إلىٰ معاوية بن أبي سفيان: فكان أوّل من أجاب وأناب وآمن وصدق وأسلم وسلّم أخوه وأبن عمه علي بن أبي طالب، صدقه بالغيب المكتوم، وآثره علىٰ كل حميم، ووقاه بنفسه كل هول، وحارب حربه، وسالم سلمه، فلم يبرح مبتذلاً لنفسه في ساعات الليل والنهار، والخوف والجزع، حتىٰ برز سابقاً لا نظير له فيمن اتبعه، ولا مقارب له في فعله، وقد رأيتك تساميه وأنت أنت وهو هو؛ أصدق الناس نية، وأفضل الناس ذرية، وخير الناس زوجة وأفضل الناس ابن عم، وأخوه الشاري بنفسه يوم هجرته، وعمه

(١) تهذيب التهذيب ٧/٣٣٨. أسد الغابة ٤/٢٢.

(٢) الاستيعاب بهامش الاصابة ٣/٥٥.

سيد الشهداء يوم أُحد، وأبوه الذاب عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وعن حوزته.. فكيف يا لك الويل تعدّ نفسك بعلي وهو وارث رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ووصيه، وأبو ولده، أوّل الناس له اتباعاً وأقربهم به عهداً، يخبره بسرّه ويطلعه علىٰ أمره[١].

الشعبي

٢٤ ـ قال الشعبي: كان علي بن أبي طالب في هذه الأمة مثل المسيح بن مريم في بني إسرائيل؛ أحبه قوم فكفروا في حبه، وأبغضه قوم فكفروا في بغضه[٢].

وقال أيضاً: كان أسخىٰ الناس، وكان علىٰ الخلق الذي يحبه الله: السخاء والجود، ما قال: لا لسائل قط[٣].

عمر بن عبد العزيز

٢٥ ـ قال عمر بن عبد العزيز: ما علمنا أنّ أحداً من هذه الامة بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أزهد من علي بن أبي طالب، وما وضع لبنة علىٰ لبنة، ولا قصبة علىٰ قصبة[٤].

معاوية بن يزيد

٢٦ ـ خطب معاوية بن يزيد بن معاوية علىٰ المنبر فقال: ألا إنّ جدي معاوية قد نازع في هذا الأمر من كان أولىٰ به منه ومن غيره، لقرابته من رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، واعظم فضله وسابقته، اعظم المهاجرين قدرا، واشجعهم قلبا، وأكثرهم علما، وأولهم إيمانا، وأشرفهم منزلة، وأخوه، زوّجه رسول

(١) مروج الذهب ٢/٤٣.
(٢) العقد الفريد ٢ ـ ٢١٦.
(٣) شرح نهج البلاغة ١/٧.
(٤) أسد الغابة ٤/٢٤. تذكرة الخواص/٦٤.

الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ابنته فاطمة، وجعله لها بعلاً بإختياره لها، وجعلها له زوجة بإختيارها له، أبو سبطيه سيدي شباب أهل الجنة، وأفضل هذه الامة، تربية الرسول، وابني فاطمة البتول، من الشجرة الطيبة الطاهرة الزكية، فركب جدي معه ما تعلمون، وركبتم معه مالا تجهلون[١].

أبو قيس الاودي

٢٧ ـ قال أبو قيس الاودي: أدركت الناس وهم ثلاث طبقات: أهل دين يحبون علياً، وأهل دنيا يحبون معاوية، وخوارج[٢].

ابن شبرمة

٢٨ ـ قال ابن شبرمة: ليس لأحد من الناس أن يقول علىٰ المنبر سلوني غير علي بن أبي طالب[٣].

ابن إسحاق

٢٩ ـ قال ابن إسحاق: أوّل ذكر آمن بالله ورسوله علي بن أبي طالب وهو يومئذ ابن عشر سنين[٤].

صعصعة بن صوحان

٣٠ ـ قال صعصعة بن صوحان: الولي التقي، الجواد الحيي، الحليم الوفي، الكريم الخفي، المانع بسيفه، الجواد بكفه، الوري زنده، الكثير وفده، الذي هو من ضئضئي أشراف أمجاد ليس بأقعاد ولا أنكاد، ليس في أمره ولا في قوله فند، ليس بالطايش النزق، ولا بالرايث المذق، كريم الابناء، شريف الآباء، حسن

(١) حياة الحيوان الكبرىٰ ١/٥٧.
(٢) الاستيعاب بهامش الاصابة ٣ ـ ٥١.
(٣) أعيان الشيعة ٣ق١/١٠٣ عن نقض العثمانية للاسكافي وشرح نهج البلاغة.
(٤) الاستيعاب بهامش الاصابة ٣/٣١.

البلاء، ثاقب السناء، مجرب مشهور، وشجاع مذكور، زاهد في الدنيا، راغب في الآخرة[١].

سفيان بن عيينة

٣١ ـ قال سفيان بن عيينة: ما بنىٰ علي (رضي الله عنه) لبنة علىٰ لبنة، ولا قصبة علىٰ قصبة[٢].

الأحنف بن قيس

٣٢ ـ قال الاحنف بن قيس لمعاوية: لله در ابن أبي طالب، لقد جاد من نفسه بما لم تسمح به أنت ولا غيرك[٣].

خالد بن معمر

٣٣ ـ قال خالد بن معمر لمعاوية ـ لما سأله: علىٰ ما أحببت علياً؟

قال: علىٰ ثلاث خصال: علىٰ حلمه إذا غضب، وعلىٰ صدقه إذا قال، وعلىٰ عدله إذا حكم[٤].

ثابت بن قيس بن شماس

٣٤ ـ قال له ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري بعد ما بويع (عليه السلام) بالخلافة: والله يا أمير المؤمنين لئن كانوا تقدموك في الولاية فما تقدموك في الدين، ولئن كانوا سبقوك أمس لقد لحقتهم اليوم، ولقد كانوا وكنت لا يخفىٰ موضعك، ولا يجهل مكانك، يحتاجون إليك فيما لا يعلمون وما احتجت إلىٰ أحد مع عملك.

(١) تذكرة الخواص/٦٩.

(٢) الائمة الاثنا عشر لابن طولون/٥٢.

(٣) تذكرة الخواص/٦٤.

(٤) الفصول المهمة/١١١.

خزيمة بن ثابت

٣٥ ـ قال خزيمة بن ثابت الأنصاري ـ ذو الشهادتين ـ بعد ما بويع (عليه السلام) بالخلافة: يا أمير المؤمنين ما أصبنا لأمرنا غيرك، ولا كان المنقلب إلاّ إليك، ولئن صدقنا انفسنا فيك لانت أقدم الناس إيماناً، وأعلم الناس بالله، وأولىٰ المؤمنين برسول الله (صلّى الله عليه وآله)، لك ماالهم وليس لَهُم مالك[١].

مالك الأشتر

٣٦ ـ قال مالك الأشتر بعدما بويع (عليه السلام) بالخلافة: أيها الناس هذا وصي الأوصياء، ووارث الأنبياء، العظيم البلاء، الحسن العناء، الذي شهد له كتاب الله بالإيمان ورسوله...الخ[٢].

أنس بن مالك

٣٧ ـ سُئل أنس بن مالك من كان آثر الناس عند رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فيما رأيت؟

قال: ما رأيت أحداً بمنزلة علي بن أبي طالب، إن كان يبعث في جوف الليل إليه فيستخلي به حتىٰ يصبح؛ هذا كان له عنده حتىٰ فارق الدنيا.

وقال: ولقد سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وهو يقول: يا أنس تحب علياً؟

قلت: والله يا رسول الله أني لأحبه كحبك إياه.

فقال: «أما إنّك إن أحببته أحبك الله، وإن أبغضته أبغضك الله وإن

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٧٩.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٧٩.

أبغضك الله أولجك النار»[1].

أمّ سلمة

٣٨ ـ قالت أمّ سلمة: والله إنّ علي بن أبي طالب لعلىٰ الحق قبل القوم، عهداً معهوداً مقضيّاً[2].

أحمد بن حنبل

٣٩ ـ أخرج السلفي في الطيوريات عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال سألت أبي عن علي ومعاوية فقال: إعلم أن علياً كثير الاعداء ففتش له اعداؤه شيئاً فلم يجدوه فجاؤا إلىٰ رجل قد حاربه وقاتله فاطروه كيداً منهم له.

حكيم من العرب

٤٠ ـ لما دخل الكوفة دخل عليه حكيم من العرب فقال: والله يا أمير المؤمنين لقد زينت الخلافة وما زينتك ورفعتها وما رفعتك وهي كانت أحوج إليك منك إليها.

* * *

(١) كشف الغمة/١١٨.

(٢) الكنىٰ والاسماء للدولابي ٢/٨٩.

الفصل السادس

شذرات من النظم

إليك شذرات مما نقله ابن الصباغ المالكي المكي في فصوله المهمة ص٢٢ و٢٣ طبع النجف وطهران، من شعر الامام الشافعي في مناقب أهل البيت (عليهم السلام):

حكىٰ الشيخ المحدث بالحرم الشريف جمال الدين محمد بن يوسف الرواندي في كتابه درر السمطين في فضائل المصطفىٰ، والمرتضىٰ، والسبطين، أن الامام المعظم والحبر الفهامة محمد بن أدريس الشافعي، لما صَرّح بمحبة إهل البيت (عليهم السلام) قيل فيه ما قيل، فقال مجيباً عن ذلك شعراً:

إذا نحن فضلنا علياً فاننا ... روافض بالتفضيل عند ذوي الجهل
وفضل أبي بكر إذا ما ذكرته ... رميت بنصب عند ذكري للفضل
فلا زلت ذا رفضٍ ونصبٍ كلاهما ... بحبهما حتىٰ أوسد في الرمل

وقال أيضاً:

قالوا ترفضت قلت كلا ... ما الرفض ديني ولا اعتقادي
لكن توليت دون شك ... خير إمام وخير هادي
إن كان حب الوصي رفضاً ... فإنني أرفض العباد

وقال أيضاً:

يا راكباً قف بالمحصب من منىٰ ... واهتف بقاعد خيفها والناهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلىٰ منىٰ ... فيضاً كملتطم الفرات الفائض
إن كان رفضاً حب آل محمد ... فليشهد الثقلان إني رافضي

وحكىٰ ابـو بكـر البيهقي في الكتـاب الـذي صنفه في مناقب الامام الشافعي، قال: إن الامام الشافعي قيل له إنّ أناساً لا يصبرون علىٰ سماع منقبة أو فضيلة تذكر لأهل البيت قط، وإذا رأوا احداً يذكر شيئاً عن ذلك قالوا: تجاوزوا عن هذا فهذا رافضي فأنشأ الشافعي يقول:

إذا في مجلس ذكـروا علياً ... وسـبـطيه وفـاطـمـةالـزكية
يقـال تجاوزوا يا قوم عنـه ... فهـذا من حديث الـرافـضـية
برئـت إلىٰ المـهيمـن من أنـاس ... يرون الـرفض حب الـفـاطـمية

وإليك مقتطفات من القصائد الهاشميات لشاعر أهل البيت الكميت الأسدي والعلويات للعلّامة ابن أبي الحديد المعتزلي، ومن قصيدة الشيخ محمد كاظم الأزري البغدادي.

زيارة المرقد المطهر، في النجف الأشرف

مقـطع من قصيدة المرحوم الشيخ محمد كاظم الأزري البغدادي المتوفى سنة ١٢٠١ يخاطب الزائرين:

أيهـا الـراكـب المـجـد رويداً ... بقـلوب تقـلبـت في جواهـا
أن تراءت أرض الغـريين فاخضـع ... وأخـلع النعـل دون وادي طواهـا
وإذا شمـت قبـة العـالم الأعـلىٰ ... وأنـوار ربهـا تغـشـاهـا
فتـواضـع فثـمّ دارة قدس ... تتـمـنـىٰ الافـلاك لثم ثراهـا
قل له والـدمـوع سفـح عقـيق ... والجـوىٰ تصـطلي بنـار غضـاهـا
يا بن عم الـنـبـي أنـت يد الله ... الـتي عم كل شيء نداهـا
حسـبـك الله في مآثـر شتـىٰ ... هي مثـل الاعـداد لا تتـنـاهـىٰ
ليت عينـاً بغـير روضـك ترعىٰ ... قذيت واسـتـمـر فيهـا قذاهـا

إلىٰ أن قال:

يا أبـا الـنـيرين أنـت سماء ... قد محا كل ظلمـة قمـراهـا
لم يزل بانـتـظارك الـدين حتـىٰ ... جردت كف عزمـتـيك ظبـاهـا

العلويات السبع

للعلّامة ابن أبي الحديد المعتزلي، «شارح كتاب نهج البلاغة» قصائد سبعة «سماها العلويات»[1] والقصائد كلها رائعة ومطولة تكاد تكون من عيون الشعر، يمدح فيها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

اقتطفت بعض المقاطع من قصيدته السادسة العينية التي مطلعها:

يا رسـمُ لا رسمتـك ريح زعـزع ... وسـرَت بليل في عراصـك خروع
لم أُلـفِ صدري من فؤادي بلقـعـاً ... إلّا وأنـتَ مِنَ الأحـبَّـةِ بلقَـعُ

وإليك هذه الأبيات كنموذجاً، طاوياً بذلك عن البقية روماً للأختصار:

قد قلت للبرق الـذي شق الـدُجىٰ ... فكـأن زنـجـياً هنـاك يجدَّعُ
يا برق ان جئت الغـريَّ فقـل له ... أتـراك تعـلم من بأرضـك مودعُ؟
فيك ابـن عمـران الكليم وبعـده ... عيسـىٰ يُقَـفِّـيهِ وأحمـد يتـبـعُ
بل فيك جبريلٌ واسـرافـيل ... والمـلأ المـقـدس أجمـعُ
بل فيك نور الله جلَّ جلالـه ... لذوي البصـائـر يُستشفُ ويلمعُ
فيك الإمـام المرتضىٰ فيك الوصي ... المـجـتـبىٰ فيك البـطين الأنـزعُ

(١) القصيدة الاولىٰ: في غزوة خيبر، والثانية: فتح مكّة، والثالثة: وصف النبي (صلّى الله عليه وآله)، والرابعة: في وقعة الجمل، والخامسة: وصف علي (عليه السلام)، والسادسة: في مدح علي، والسابعة: في أوصافه كذلك (عليه السلام).

الضَّـارب الهامِ المقبع في الوَغىٰ ... بالخـوف للبهـم الكـماة يقنّـعُ
والسَّـمهَـريَّة تسـتقيم وتنحني ... فكـأنها بين الأضـالـع اضـلعُ
والمـترعُ الحـوضِ المـدَعْدِعِ حيث ... لا وادٍ يفـيض ولا قليب[1] يترعُ
ومبـدد الابـطال حيث تألبـوا ... ومـفـرق الأحـزاب حيث تجمّـعُ
والحـبر يصـدع بالمـواعظ خاشعاً ... حتىٰ تكـاد لها القلوب تصـدَّعُ
حتىّ إذا استعـر الـوغىٰ متلظِّياً ... شرب الـدمـاء بغـلّةٍ لا تنـقـعُ

إلىٰ أن قال:

هذا هو النـور الـذي عذبـاتـه ... كانـت بجـبـهـة آدمٍ تتـطلّعُ
وشهـاب موسىٰ حيث اظلم ليله ... رُفـعـتْ له لألاؤه تتـشـعـشـعُ
يامـن له ردت ذكـاءُ ولم يَفـز ... بنـظيرهـا من قبـل إلاّ يوشـعُ
يا هازم الأحـزاب لا يثـنيه عن ... خوض الحـمام مدجـج ومـدَّرعُ
يا قالـع الباب الـذي عن هزهـا ... عجـزت أكـفٌّ أربـعـون وأربـعُ
لولا حدُوثـك قلت إنـك جاعـل ... الارواح في الأشبـاح والمستنـزع
لولا مماتـك قلت إنـك باسط ... الأرزاق تَقـدِرُ في العـطاء وتـوسعُ
ما الـعـالم الـعـلويّ إلاّ تربـة ... فيهـا لجثتـك الشـريفـة مضجعُ
ما الـدهـر إلاّ عبـدك القن الـذي ... بنفـوذ أمـرك في الـبرّية مولـعُ
أنـا في مديحـك ألكنٌ لا أهتـدي ... وأنـا الخـطيب الهـزبـريُّ المصقـعُ
أأقـول فيك سُمَـيدَعٌ كلا ولا ... حاشـا لمثـلك أن يقـال سُمَـيْدعُ
بل أنـت في يوم الـقـيامـة حاكـمٌ ... في العـالمـين وشـافـعٌ ومُشَفَّـعُ

(١) القليب البئر.

ولـقـد جهلتُ وكنتُ أحـذق عالمٍ ... اغـرار عزمـك أم حسـامـك أقـطعُ
وفقـدتُ معـرفتي فلست بعـارف ... هل فضـل علمـك أم جنابُك أوسعُ
لي فيك معـتـقـدٌ سأكـشـف سِرّهُ ... فليصـغ أربـاب النُّهىٰ وليسمعـوا
هي نفثـة المصـدور يطفئ بردُهـا ... حرَّ الـصبـابة فاعـذلوني أو دَعوا
واللهِ لولا حيدرٌ ما كانت الـ ... ـدنيـا ولا جمع الـبرية مجمـعُ
من أجله خُلقَ الـزمـان وضـوئت ... شهـب كنـسـنَ وجـنّ ليلٌ أدرعُ
علم الـغـيوب إليه غير مدافـع ... والصبـح أبيض مسفـر لا يدفـعُ
وإليه في يوم المعـاد حسـابـنـا ... وهـو المـلاذ لنـا غداً والمـفـزعُ
هذا اعـتـقـادي قد كشفت غطاءه ... سيضـرُّ معـتـقـداً له أو ينـفـعُ
يا من لهُ في أرض قلبـي منـزلٌ ... نعم المـراد الـرَّحب والمسـتربـعُ
أهـواك حتىٰ في حشـاشـة مهجتي ... نار تشـبُّ علىٰ هواك وتـلذعُ
وتكـاد نفسي أن تذوب صبـابـة ... خلقـاً وطبعـاً لا كمن يتـطبـعُ

بلىٰ والله أقول آمين وألف آمين.

* * *

الهاشميات ـ للكميت

ولشاعر أهل البيت الكميت بن يزيد الأسدي قصائد عصماء، رائعة نظمها في مناسبات عديدة متحدياً فيها السلطات الغاشمة حينذاكٰ ويعده العلّامة الأميني (قدس سره) من شعراء الغدير.

إليك شذرات منها انتقيتها من هنا وهناك.

المطلع:

طَرِبتُ ومَا شَوقاً إلىٰ البِيض أطرَبُ
ولا لَعِباً منّي وذو الشوق يلعَبُ
ولم يلهني دارٌ ولا رسمُ منزلٍ
وَلَم يتطرّبني بنان مخضبُ
ولكن إلى أهل الفضائل والنهى
وخير بني حَوّاء والخير يطلبُ
إلى النفر البيض الذين بحبهم
إلى الله فيما نالني أتقربُ
بني هاشم رهط النبي فأنني
بهم ولهم أرضىٰ مراراً وأغضبُ
خَفِضْتُ لهم مني جَناحِي مودَّةٍ
إلى كنف عطفاهُ اهلٌ وَمَرحب
وكنت لهم من هؤلاء وَهَؤلا
مُجَنَّباً علىٰ أني أُذَم وَأُقصَبُ

يُشيرون بِالأيدي إليَّ وقَولُهم
ألا خابَ هذا والمُشيرون أخيَبُ
فَطائفةٌ قد كفَّرتني بِحُبِّكُم
وطَائفةٌ قالوا مُسِيءٌ ومُذنِبُ
فما سَاءني تكفِيرُ هَاتِيك مِنهُمُ
ولا عَيبُ هَاتِيك الَّتِي هِيَ أعيَبُ
يعيبونَني مِن خِبِّهم وَضَلالِهم
علىٰ حُبَّكم بَل يسخرون وأعَجبُ
وقالوا ترَابِيٌّ هَواهُ ورأيُهُ
بذلك أُدعَىٰ فِيهِمُ وَألقَّبُ

إلىٰ آخر القصيدة البائية الأُولىٰ والتي تربوا علىٰ مائة ونيف وثلاثين بيتاً وهي من قصائده الرائعة الهاشميات.

وأما قصيدته البائية الثانية التي مطلعها:

أنيّ وَمِنْ أينَ آبَك الطَّرَبُ
من حَيثُ لا صَبوةٌ وَلاَ رِيَبُ

إلىٰ أن قال:

يا صاحب الحوض يوم لا شرب للـ
ـوارِدِ إلاّ مَا كان يضطربُ
نفسي فدت أعظماً تضمّنها
قبرُك فيه ألعَفافُ والحسبُ

ومن قصيدته العينية التي مطلعها:

نَفَىٰ عن عَينِك الأرقُ الهُجُوعَا
وَهمٌّ يَمتَري منها الدُّمُوعَا
دَخِيلٌ في الفُؤَاد يَهيجُ سُقماً
وَحُزناً كانَ من جَذَلٍ مَنوُعَا
بِفِقدَانِ الخضارم من قُريشٍ
وَخَيرِ الشافِعِينَ مَعاً شَفِيعَا

حتّىٰ أتىٰ في قصيدته إلى غدير خم فقال:

وأصفاه النبي علىٰ اختيارٍ بما أعيىٰ الرُّفوض له المذيعَا
ويوم الدَّوح دوح غدير خُمٍّ أبانَ لَهُ الوِلاَيَة لو أُطيعَا
ولكِنَّ الرِّجال تَبايَعُوها فلم أر مِثلَهَا خَطَراً مبيعَا
فلم أبلغ بها لَعناً ولكن أساءَ بذاك أوَّلهم صنيعَا
فصار بذاك أقربَهُم لِعَدلٍ إلى جَورٍ وأحفظَهُم مُضيعَا
أضَاعُوا أمرَ قائِدِهم فضلّوا وَاقومِهم لدىٰ الحَدَثانِ ريعَا
تَناسوا حَقَّهُ وبغوا عَلَيهِ بِلاَ تِرَة وكان لَهُم قريعَا

إلىٰ آخر قصائده المذكورة في كتاب الهاشميات والعلويات نشريات الأعلمي بيروت فراجع.

وحُكي عن الشافعي، انّه قيل له ما تقول في عليّ (عليه السلام) قال: ما تقول في حقّ من أخفىٰ أولياؤه فضائله خوفاً، وأخفىٰ أعداؤه فضائله حسداً، وشاع من بين ذين ما ملأ الخافقين.

ولقد أجاد مادح أهل البيت الشيخ الأزري (قدس سره) في قوله:

لا فتىٰ في الجود إلّا علي ذاك شخصٌ بمثله الله باهى

لا ترم وصفه ففيه معانٍ لم يصفها إلّا الذي سوّاها
ما حوىٰ الخافقان أنس وجنٌّ قَصَبَات السبق الّتي قد حواها
إنّما المصطفىٰ مدينةُ علم وهو البابُ من أتاه أتاها
وهما مقلتا العوالم يسرا ها عليٌّ وأحمد يمناها
هل أتىٰ هل أتت بمدح سواه لا ومولىٰ بذكره حلاها
فتأمل بعمَّ[1] تُنبئك عنه نبأً كل فرقة أعياها
وبمعنىٰ أحبّ[2] خلقك فانظر تجد الشمس قد أزاحت دجاها
وتفكّر بأنت منّي[3] تجدها حكمة تورث الرقود[4] انتباها
أو ما كان بعد موسىٰ أخوه خير أصحابه وأعظم جاها
ليس[5] تخلو إلّا النبوة منه ولهذا خير الورىٰ استثناها
وهي في آية[6] التباهل نفس المصطفىٰ ليس غيره إياها
ثمّ سل إنما وليكم الله ترىٰ الاعتبار في معناها
آية خصّت الولاية لله ولطهر حيدرٍ بعد طه
لك في مرتقىٰ العلىٰ والمعالي درجات لا يرتقىٰ أدناها

---

(١) أي بسورة عم وهي سورة النبأ.

(٢) إشارة إلىٰ حديث الطير المشوي حيث قال (صلّى الله عليه وآله وسلم): «اللّهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي».

(٣) إشارة إلىٰ حديث المنزلة حيث قال (صلّى الله عليه وآله وسلم): «أنت مني بمنزلة هارون من موسىٰ».

(٤) الرقود جمع راقد.

(٥) يعني إنّه (صلّى الله عليه وآله وسلم) استثنىٰ من تنزيله في ذاك الحديث. النبوة والاستثناء دليل تعميم المماثلة.

(٦) آية المباهلة هي قوله تعالىٰ ﴿قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ...﴾.

يا أخـا المـصـطفىٰ لديَّ ذنـوب هي عين القـذىٰ[1] **وأنت جلاهـا**
كيف تخشىٰ العصـاة بلوىٰ المعاصي وبـك الله منـقـذ مبـتـلاهـا

وقال سبط بن الجوزي في التذكرة **سمعت جدي** ينشد في مجالس **وعظه** ببغداد (سنة ٥٩٦ هـ) بيتين ذكرهما في كتاب **تبصرة المبتدي** وهما:

أهـوىٰ علياً وإياني محبـتُـه كم مشـرك دمُـه من سيفه وكفا
إنّ كنت ويحـك لم تسمع فضـائله فاسمع منـاقبه من هل أتىٰ وكفىٰ

وقال الشافعي:

بآل محمـد عُرفَ الـصّـوابُ وفي أبـياتهـم نزلَ الـكـتـابُ
وهـم حجـجُ الإلـه علىٰ الـبرايا بهم وبـجـدّهـم لا يسـترابُ
ولا سيما أبـو حسـن عليٌّ له في الحـرب مرتـبـةٌ تُهابُ
طعـامُ سيوفـه مهجُ[2] الاعـادي وفـيضُ دمِ الـرقـابِ لهُ شرابُ
وضـرْبَـتُـه كبـيعـتِـهِ بخـمٍّ معـاقـدهُـا من القـوم الرِّقـابُ
عليٌّ الـدرّ والـذهـب المـصفّـىٰ وبـاقـي الـنـاس كلهـمُ ترابُ
هو الـبَّـكـاء في المـحـراب ليلاً هو الضحـاك إذا اشتـدّ الضّـراب
هو الـنـبـأ العـظيم وفلك[3] نوح وبـاب الله وأنـقـطع الخـطاب

(١) القذىٰ ما سقط علىٰ العين.

(٢) جمع مهجة وهي الدم.

(٣) إشارة إلىٰ الحديث الوارد عن النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) حيث قال فيه «مَثل أهل بيتي كمَثل سفينة نوح».

وقال الشاعر ميرزا اسماعيل الشيرازي المتوفىٰ سنة ١٣٠٥ هـ في موشحته التي ذكرها العلامة الاميني (رحمه الله) في كتابه «الغدير» ج٦ ص٢٩ ـ ٣١.

رغـد الـعـيش فزده رغـداً بسـلافٍ منـه تشـفي سَقمي

طَربَ الصبُّ على وصـل الحـبيب وهنى العـيش عـلى بُعد الرقـيب
وفنىٰ مـن أكـؤس الراح النـصيب وأنـتـنى تـوماً بهـا لا مـفردِ
فالهنـا كـلّ الهنـا فـي التّوءمِ

آتني الصهبـاء نـاراً ذائبـة كـلتهـا قـبساتٌ لاهـبه
واستفيها والنـدامىٰ قـاطبة فـلعمري إنهـا رَيّ الصّـدى
لـفؤادٍ بالتصـابي مضـرم

حبّـذا آنـاء أُنس أقـبـلتْ أدركـت نفـسـي بها ما أمّـلتْ
وضـعـت أُمُّ الـعُـلى ما حملتْ طاب أصـلاً وتـعـالىٰ محتـدا
مالـكـاً ثقـل ولاء الأُمـمِ

آنـست نفـسي من الـكعبـة نورْ مثـل ما آنس موسـىٰ نار طورْ
يوم غشـىٰ المـلأ الأعـلىٰ سرورْ قرع الـسّـمـع نداءٌ كنـدا
شاطـئ الـوادي طوىٰ من حرمِ

ولـدت شمس الضحىٰ بدر التـمامْ فانجلت عنّـا دياجـير الـظلامْ
نادِ: يا بشـراكُـم هذا غلامْ وجـهـه فلقـة بدرٍ يهتـدىٰ

بسنا أنواره في الظّلمِ

هذه فاطمةُ بنت أسدْ أقبلت تحملُ لأهوت الأبدْ
فاسجدوا ذلّاً له فيمن سجدْ فله الأملاك خرّت سُجّدا
إذ تجلّىٰ نوره في آدمِ

كُشف الستر عن الحقّ المبين وتجلّىٰ وجه ربّ العالمينْ
وبدا مصباح مشكاة اليقينْ وبدت مشرقة شمس الهدىٰ
فانجلىٰ ليل الضّلال المظلمِ

نُسخ التأبد من نفي ترىٰ فأرانا وجهه ربُّ الورىٰ
ليت موسىٰ كان فينا فيرىٰ ما تمنّاه بطورٍ مُجهدا
فانثنىٰ عنه بكفّي مُعدمِ

هل درت أمّ العلىٰ ما وضعتْ أم درت ثدي الهدىٰ ما أرضعتْ؟
أم درت كفُّ النّهىٰ ما رفعتْ أم درىٰ ربُّ الحجىٰ ما ولدا؟
جلَّ معناه فلمّا يُعلمِ

سيِّدٌ فاق عُلًا كلّ الأنامْ كان إذ لا كائنٌ وهو إمامْ
شرّف الله به البيت الحرامْ حين أضحىٰ لعُلاه مولدا
فوطا تربته بالقدمِ

إن يكن يُجعل للهِ البنونْ وتعالىٰ الله عمّا يصفونْ
فوليد البيت أحرىٰ أن يكون لوليِّ البيت حقّاً ولدا
لا عزيرٌ لا ولا ابن مريمِ

هو بعد المصطفىٰ خير الورىٰ من ذرىٰ العرش إلىٰ تحت الثرىٰ
قد كست عليائه أمّ القرىٰ غرّةً تحمي حماها أبدا
حيث لا يدنوه من لم يحرمِ

سبق الكون جميعاً في الوجودْ وطوىٰ عالم غيبٍ وشهودْ
كلّما في الكون من يمناه جودْ اذ هو الكائن للهِ يدا
ويد الله مدرُّ الأنعمِ

سيِّد حازت به الفضل مضرْ بفخارٍ فسما كلّ البشرْ
وجهه في فلك العليا قمرْ فبه لا بالنجوم يُهتدىٰ
نحو مغناه لنيل المغنمِ

هو بدرٌ وذراريه بدورْ عقمت عن مثلهم أمُّ الدُّهور
كعبة الوفّاد في كلّ الشّهورْ فاز من نحو فناها وفدا
بمطافٍ منه أو مُستلمِ

ورثوا العلياء قدماً من قُصيْ ونزار ثمّ فهرٍ ولويْ
لا يباري حيّهم قطُّ بحيّ وهمُ أزكىٰ البرايا محتدا
وإليهم كلُّ فخر ينتمي

أيها المرجي لقاهُ في المهات كلُّ موت فيه لقياك حياة
ليتما عَجّلَ بي ما هو آت عَلّني ألقىٰ حياتي في الرّدىٰ
فايزاً منه بأوفى النّعمِ

الفصل السابع

ما قيل في النجف قديماً وحديثاً

منهم العلّامة الشيخ جعفر النقدي المتوفى سنة ١٣٧٠ هـ له قصيدة يتشوق بها إلىٰ الغري مطلعها:

خفقت علىٰ ذكرىٰ (الغري) ضلوعه ... فغدت تسيل علىٰ الخدود دموعه

وإلىٰ ربوع العلم بات فؤاده ... يشكو الغرام وأين منه ربوعه

إلىٰ أن قال:

يا منزلاً قد ابعدته يد النوىٰ ... حياك من غيث السماء مريعه

بين الضلوع هواك سرٌّ كامن ... لولا الدموع الجاريات تذيعه

إني لينعشني بربعك صيفه ... وشتاؤه وخريفه وربيعه

يا حبذا شمس السماء غروبها ... بحماك والبدر المنير طلوعه

أدرت مهاد العلم أن وليدها ... بلغ الفطام من السلو رضيعه

يا جيرة الذكوات أذكىٰ بعدكم ... قلباً لقربكم شجاه ولوعه

ومنهم العلّامة السيد علي نقي النقوي الهندي اللكنهوي له قصيدة طويلة في وصف النجف وتربتها ومدح علمائها مطلعها:

نجف وما أدراك ما نجف ... للناس والأملاك معتكف

حرم إذا لاذ الطريد به ... يرعاه عن صرف الردىٰ كنف

وحديقة تزهو الورىٰ طرباً ... إذ فاح طيباً روضها الانف

روض سقاه فضل بارئه ... بصبيب هاطلة لها وطف

فتهدلت أغصانه وغدت ... أفنانه للاجئين تكتنف

وأتت لها الأثمار مونعة ... برضا المهيمن حيث تقتطف

ومنها:

المجد خيم في مرابعه ... وعلىٰ فناه طنّب الشرف

وبه الهدىٰ ألقىٰ عصاه فلا ... حول له عنه ومنصرف

العلم أودعه الإله به ... كمصون در ضمه الصدف

ذا شيخنا الطوسي شيد به ... لربوع شرع المصطفىٰ شرف

فهو الذي اتخذ «الغري» له ... مأوىٰ به العلياء تعتكف

فتهافتوا لسراج حكمته ... مثل الفراش إليه تزدلف

وقفتهم الابناء ضامنة ... تجديد ما قد شاده السلف

وقيل أيضاً:

يا زائراً جدث الوصي المرتضىٰ ... لذ في حماه وقف بجانب بابهِ

وأخضع لعز جنابه وألثم ثرىٰ ... أعتابه وأنشق عبير ترابهِ

وأدخل بآداب السكينة وأستلم ... أركانه عند الطواف ببابه

وقل السلام عليك يا من حبّه ... كل الخطايا في غد تمحىٰ بهِ

وسليك فازعة المعاد إيابه ... وحسابه وثوابه وعقابهِ

* * *

سبب إخفاء قبره (عليه السلام)

ان علياً (عليه السلام) قد وتر الأبعدين والأقربين بمشاهده ومواقفه في الحرب التي أذل بها صناديد قريش خاصة والعرب عامة في حياة رسول الله (صلّى الله عليه وآلـه) وبعد وفاته، إقامةً لدعائم الدين وتثبيتاً للإسلام ودفاعاً عن بيضته وبالطبع كانت تغلي مراجل قلوبهم حقداً ويعضون الأنامل عليه غيظاً وهم مُجهزُون عليه بما يتمكنون لأول فرصة سنحت لهم.

وكانت الخوارج من بين أعدائه تتدين ببغضه وسبه وقتل من ينتمي إليه كما جرىٰ لعبد الله بن خباب بن الأرث وزوجته ويعدّون بغضه من فروضهم الدينية.

ولا يغب عنك ما عليه معاوية وبنو أُمية من النصب والعداء لأمير المؤمنين (عليه السلام) فهل ينسون أسلافهم وماضيه ينطف من دمائهم وزاد في شحناتهم وأضرم نار الحقد والغضب في صدورهم موقفه في الجمل، وصفين، والنهروان، وإنما كانت بسالته تمنعهم عن أخذ أوتارهم وشفاء صدورهم ولكن يا هل ترىٰ كيف تجدهم يصنعون بقبره لو كان ظاهراً معلوماً وقد ملكوا أزمة الحكم وخفقت علىٰ رؤوسهم راياته ـ ولعلمه (عليه السلام) بمصير أمر الامة واجتماعها علىٰ أعدائه ومناوئيه أوصىٰ باخفاء قبره (عليه السلام) وفي إخفائه حقن لدماء ولده وإبقاء علىٰ شيعتـه وإخمـاد لنار الفتنة إذ لو كان بارزاً مشهوراً لتعدىٰ عليه أعداؤه ونبشوه فيحمل ذلك بنيه وشيعتهم علىٰ الحرب وإهراق الدماء.

وغير خاف علىٰ أحد ما ارتكبه منه معاوية وبنوا أُمية من وضع الأحاديث الكـاذبة والفظائع المفتعلةالتي بذلوا علىٰ وضعها الألوف ومئاتها وما درسّوا به نشأهم من السب والشتم حتىٰ شب علىٰ بغضه صغيرهم وهرم عليه كبيرهم وترىٰ

الحجـاج يمشي وراء بني أُمية بخـطىٰ واسعة ويحمر جبينه ضغناً وعداوة لعلي وشيعته وكذلك زياد بن أبيه من قبله وانحرافه عن أمير المؤمنين (عليه السلام) وتتبعه لشيعته معلوم ولعلمه (عليه السلام) بهذا كله أوصىٰ بإخفاء قبره فجرىٰ أولاده علىٰ ما أوصىٰ به فلم يطلعوا عليه إلّا من وثقوا به من شيعتهم ولمّا اطمأن أولاده وذهب ما كان يتوقعونه من أعدائهم دلوا عليه وأظهروه فلم يتوجه إليه إلا التعظيم والتبجيل.

وإليك عزيزي القارئ هذهِ الأمثلة علىٰ ذلك:

في شرح النهج لابن أبي الحديد طبع مصر ص٣٥٨ ج١ أنّ معاوية حمل قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين علىٰ رواية أخبار قبيحة في علي تقتضي الطعن والبراءة منه وجعل لهم علىٰ ذلك جعلاً يرغب في مثله فاختلقوا ما أرضاه، منهم عمرو بن العاص ، وأبو هريرة، والمغيرة بن شعبة ومن التابعين عروة بن الزبير.

في شرح النهج لابن أبي الحديد ج١ ص٣٦١ عن الاسكافي أنّ معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتىٰ يروي أنّ هذه الآية نزلت في علي: **﴿وَمِنَ الناس مَنْ يَعجُبُكَ قَوْلُهُ في الحياة الدّنيا وَيشهد الله عَلىٰ ما في قَلْبهُ وهو ألد الخِصام * وإذا تولىٰ سعىٰ في الأرض لِيُفْسدَ فيها ويُهلك الحرث والنسل والله لا يحبُ الفساد﴾**. وإنّ الآية الثانية نزلت في ابن ملجم (لعنه الله): **﴿ومن الناس مَنْ يَشري نَفسَهُ إبتغاءَ مَرضات الله﴾**. فلم يقبل فبذل له مائتي ألف فلم يقبل فبذل له ثلثمائة ألف فلم يقبل فبذل له أربعمائة ألف فقبل.

* * *

ظهور القبر الشريف وما طرأ عليه من العمارة والإصلاح

لم يزل القبر الشريف سراً مكتوماً وكنزاً مصوناً لم يطلع عليه غير أولاد الامام (عليه السلام) والخواص من شيعتهم وبقي علىٰ هذا الحال من حين دفنه سنة أربعين من الهجرة حتىٰ انقضىٰ دور السلطة الأمويةوانطوت صحائف أعمالها بما فيها من فضائح ومخازٍ مما ارتكبوه من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة فمذ قامت الدولة العباسية ظهر السر المكتوم وعرف موضع الكنز المصون وذهب ما كان يحذره العلويون من أعدائهم وشانئيهم فدلوا عليه بعض شيعتهم وجعلوا يترددون إليه ويتعاهدونه ليلاً ونهاراً زرافات ووحدانا وهو لم يكن إذ ذاك إلاّ أكمة ماثلة أو ربوة قائمة فصار في معرض الظهور والخفاء يثبته قوم وينفيه من لا خبرة له ولا وجدان حتىٰ وردت في ذلك الحين أخبار كثيرة في تعيينه وتحديد موضعه فزاره بعض العلويين والعباسيين علىٰ تلك الحالة وفي ذلك الوقت. ولما رأىٰ داود بن علي العباسي (المتوفىٰ سنة ١٣٣) إقبال الناس علىٰ موضع القبر الشريف وتهافتهم عليه أراد أن يقف علىٰ الحقيقة ويكشف المخبأ فبعث غلاماً له ليحفر موضع القبر الذي يقال «بزعمه» أنه قبر علي بن أبي طالب (عليه السلام) ولما بدت تلك الكرامة الباهرة والمعجزة الفاخرة طم موضع الحفر وعمل عليه صندوقاً[1] وبقي ماثلا هذا الصندوق أمام الانظارأياما ـ وفي أيام الامام جعفر

(١) عن إسماعيل بن عيسىٰ العباسي قال لما رأىٰ داود بن علي إقبال الناس علىٰ هذا القبر وتهافتهم عليه أمر بعض حاشيته وأحضروا الفعلة وبعث معهم غلاماً له أسود وكان قوياً شديداً البطش إسمه الجمل قال لهم امضوا إلىٰ هذا القبر الذي افتتن الناس به ويقولون أنه قبر علي بن أبي طالب حتىٰ تنبشوه وتجيئوني بأقصىٰ ما فيه فمضينا إلىٰ الموضع فقلنا دونكم وما أمر به ←

بن محمد الصادق (عليه السلام) حينما جاء إلىٰ الحيرة وزار النجف كان بها ثلاث قبور (محاريب) أحدها قبر أمير المؤمنين (عليه السلام) والثاني موضع رأس الحسين (عليه‌السلام)[1] والثالث موضع منبر القائم (عجل‌الله‌فرجه)[2] ذكر ذلك العلاّمة المجلسي في تحفة الزائر والسيد ابن طاوس في فرحة الغري.

ولّما تبدلت نيات العباسيين وقلبوا للعلويين ظهر المجن هُجِرَ القبر الشريف فعفي أثر ذلك الصندوق وانطمس رسمه حتىٰ جاء عصر الرشيد فاظهره ولم يزل مناراً يقصد.

وقد طرأت علىٰ القبر الشريف بعد وضع هذا الصندوق عدة عمارات واصلاحات حصرناها في خمس عمارات ونقصد بالعمارة ما كان مغيراً للشكل والهيئة ونذكر كل اصلاح ونلحقه بتلك العمارة التي حدث عليها.

→ فحفر الحفارون وهم يقولون لا حول ولا قوة إلاّ بالله في أنفسهم حتىٰ نزلوا خمسة أذرع فلما بلغوا الصلابة قال الحفارون قد بلغنا إلىٰ موضع صلب وليس نقوىٰ علىٰ نقره فأنزلوا الحبشي فأخذ المناقر فضرب ضربة سمعنا لها طنيناً شديداً في البر ثم ضرب ثانية فسمعنا طنيناً أشد من الاولىٰ ثم ضرب ثالثة فسمعنا أشد مما تقدم ثم صاح الغلام صيحة عظيمة فقمنا وأشرفنا عليه وقلنا للذين كانوا معه سلوه ما باله فلم يجبهم وهو يستغيث ولا يكلمنا ولا يحير جواباً فحملناه‌علىٰ بغل ورجعنا فلم يزل لحم الغلام ينتثر من عضده وشقه الأيمن وسائر جسده حتىٰ انتهيت إلىٰ عمي (داود) فقال ايش وراءكم فقلنا ما ترىٰ وحدثناه بالصورة فالتفت إلىٰ القبلة فتاب عما هو عليه ورجع إلىٰ المذهب وركب بعد ذلك في الليل إلىٰ علي بن مصعب بن جابر فسأله أن يعمل علىٰ القبر صندوقاً ولم يخبره بشيء مما جرىٰ، ووجه من طم الموضع وعمر الصندوق عليه ومات الغلام الأسود من وقته: عن فرحة الغري ص٦١.

(١) وتسمىٰ بـ (الحنانة) لأنها حنت وأنّت لما وضع رأس الحسين فيها.

(٢) لا يزال موضع مقام المهدي (عجل الله فرجه) معروف بالنجف.

العمارة الأُولىٰ

عمارة الرشيد بنىٰ علىٰ القبر الشريف قبة وجعل لها أربعة أبواب وهي من طين أحمر وطرح علىٰ رأسها جرة خضراء وأما نفس الضريح فانه بناه بحجارة بيضاء ـ كما ذكر ذلك الديلمي في إرشاد القلوب. وكانت هذه العمارة سنة ١٥٥ كما في رياض السياحة لزين العابدين الشيرواني ص٣٠٩: وفي نزهة القلوب[1] لحمد الله المستوفي ص١٣٤ انها كانت في حدود سنة ١٧٠ وكان السبب في بناء الرشيد، هذا كما ذكر في عمدة الطالب طبع سنة ١٣١٨ ص٤٣ ان هارون الرشيد خرج ذات يوم إلىٰ ظاهر الكوفة يتصيد وهناك حمر وحشية وغزلان فكان كلما القىٰ الصقور والكلاب عليها لجأت إلىٰ كثيب رمل هناك فترجع عنها الصقور والكلاب فتعجب الرشيد من ذلك ورجع إلىٰ الكوفة وطلب من له علم بذلك فأخبره بعض شيوخ أهل الكوفة أنه قبر علي بن أبي طالب (عليه السلام). وحكي أنه خرج ليلاً إلىٰ القبر الشريف ومعه علي بن عيسىٰ الهاشمي وأبعد أصحابه عنه وقام يصلي عند الكثيب ويبكي ويقول والله يا ابن عم أني لأعرف حقك ولا أنكر فضلك ولكن ولدك يخرجون عليّ ويقصدون قتلي وسلب ملكي إلىٰ أن قرب الفجر وعلي بن عيسىٰ نائم فلمّا قرب الفجر أيقظه هارون وقال قم وصل عند قبر ابن عمك قال وأي بني عمي هو قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فقال: فتوضأ وصلىٰ وزار القبر ثم أن هارون أمر فبني عليه قبة وأخذ الناس في زيارته والدفن لموتاهم حوله.

---

(١) وفيه ذكر قصة ظهور القبر الشريف علىٰ يد هارون وانه حفر الأرض ووجد الأمير (عليه السلام) مجروحاً فيحننذٍ أمر فبنىٰ عليه وبعد سنة ١٨٠ جاوره الناس.

وكانت في الحضرة المقدسة مما يلي الرأس الشريف تحت الطاق صورة رجل وبيده قوس وأمامه غزال قد وجّه نحوه قوسه، وهي من أبدع الصور اليدوية، وهذه الصورة رمز إلىٰ حادثة الرشيد وقد قلعت مع الأخشاب المزوقة سنة ١٣٦٤ هـ وأعيدت إلىٰ غير مكانها.

وما يظهر من عمدة الطالب وارشاد القلوب للديلمي وغيرهما من الكتب من ان الرشيد هو أول من أظهر القبر الشريف لا بد أن يراد انه أول من عمّره عمارة عالية وجعله مناراً وأذن في زيارته ورخص بها وإلّا فان داود عمل عليه صندوقاً وهو أقدم عهداً من الرشيد.

والذي ساعد علىٰ ضياع أثر ذلك الصندوق الذي وضعه داود وانعدامه إهماله وعدم تعاهده خوفاً من السلطة العباسية القاسية وضغط السفاح والمنصور علىٰ العلويين فان هذه الدولة (العباسية) كانت في بدء أمرها تتقرب إلىٰ العلويين وشيعتهم وتعيرهم أذناً سامعة ووجهاً باسماً وانما قام دعامها وشيد سلطانها لقرابتها من علي (عليه السلام) وبراءتها من أعدائه.. وكان دعاة العباسين عند اختلال كلمة بني مروان أول ما يظهرونه فضل علي بن أبي طالب (عليه السلام) وولده ومالحقهم من القتل والخوف والتشريد فلما استتب لهم الأمر تتبعوهم قتلا وسماً وكذلك شيعتهم فهجر القبر الشريف ولم يعرس به أحد إلّا خلسة فمكث علىٰ هذا الحال عشرات من السنين لا يزوره زائر ولا يطرقه طارق. وساعد علىٰ ضياعه أيضاً موضع القبر الشريف فانه في منخفض الوادي معرضاً لجري السيول ومهاب الرياح.

* * *

العمارة الثانية

عمارة ابن زيد الـداعي[1] فانـه بنىٰ علىٰ القبر الشريف قبة وحائطاً وحصناً فيه سبعون طاقاً وهذا البناء هو احدىٰ معجزات الامام الصادق (عليه السلام) فأنه أخبر به قبل وقوعه، وفي تحفة العالم عن مدينة المعاجز.. انه قال (عليه السلام) لا تذهب الليالي والأيام حتىٰ يبعث الله رجلاً ممتحناً في نفسه في القتل يبني عليه حصناًفيه سبعون طاقاً. وقد ذكر هذه العمارة ابن أبي الحديد في شرحه ج٢ ص٤٥ و٤٦ ولكنه اقتصر علىٰ ذكر القبة فقط. وفي تاريخ طبرستان الفارسي ج١ ص٩٥: إن المتوكل العباسي خرب عمارة النجف كما خرب عمارة الحسين (عليه السلام) وأعادها محمد بن زيد الداعي وأعاد جميع القبور الدارسة للطالبيين. وقد طرأت علىٰ هذه العمارة عمارة الرئيس الجليل عمر بن يحيىٰ القائم بالكوفة فانه عَمّر مرقد جده أمير المؤمنين (عليه السلام) من خالص ماله وكان يحيىٰ هذا من أصحاب الامام الكاظم موسىٰ بن جعفر (عليه السلام) قتل سنة ٢٥٠ وحمل رأسه في قوصرة إلىٰ المستعين العباسي ذكر ذلك المحدث النوري في مستدرك الوسائل ج٣ ص٤٣٥، وذكر ابن حوقل في كتاب صور الارض القسم الاول الطبعة الثانية ص٢٤٠ عمارة أُخرىٰ قبل عمارة عضد الدولة فقال عند ذكر الكوفة وظهور القبر الشريف.

وقد شهد أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان هذا المكان وجعل عليه حصاراً

(١) هو محمد بن زيد بن محمد بن إسماعيل جالب الحجارة بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط (عليه السلام) المعروف بالداعي الصغير ملك طبرستان سبع عشرة سنة وسبعة أشهر بعد أخيه الحسن.

منيعاً وابـتنىٰ علىٰ القبر الشريف قبة عظمية رفيعة الاركان من كل جانب لها أبواب وسترها بفاخر الستور وفرشها بثمين الحصر السليماني (السليماني) وقد دفن في هذا المكان المذكور جلة أولاده وسادات آل أبي طالب من خارج هذه القبة وجعلت الناحية مما دون الحصار الكبير تربا لآل أبي طالب.

العمارة الثالثة

عمارة عضـد الدولة[1] هذه العمارة من أجّل العمارات ومن أحسن ما وصلت إليه يد الانسان في ذلك الوقت بذل عليها الأموال الجزيلة وجلب إليها الـرازة والنجـارين والعملة من سائـر الاقطار.. وقد ذكر في رياض السياحة ص٣٠٩ ان هذه العـمارة كانت سنة ٣٣٨ هـ، وقال الشيخ العارف محمد بن الحسن الديلمي في كتابه ارشاد القلوب ج٢ ص١٤٨ طبع ايران سنة ١٣١٨هـ: جاء السلطان عضد الدولة وأقام في ذلك الطرف قريباً من سنة هو وعساكره وبعث فأتي بالصناع والاساتذة من الاطراف وخرب تلك العمارة وصرف اموالاً كثيرة جزيلة وعمّرَهُ عمارة جليلة حسنة وهي العمارة التي كانت قبل اليوم، وذكرها في تأريخ طبرستان الفارسي ج١ ص٢٢٤ وذكر أنها باقية إلىٰ عصره وهو سنة ٧٥٠، وذكر انه بنىٰ ناحية وسوراً ودوراً وسوقاً. أقول: كان عصره موافقاً لعصر صاحب «العمدة» فانه ذكر الحوادث الواقعة سنة ٧٥٠ هـ.

(١) هو السلطان عضد الدولة فناخسرو بن الحسن بن بويه الديلمي وكان معدوداً في الفقهاء والمحـدثين والشعراء والسلاطين والفرسان والدهاة والنحاة والشيعة ولد بإصبهان يوم الأحد الخامس من ذي القعدة الحرام سنة ٣٢٤ هـ وتوفي في بغداد يوم الاثنين الثامن من شوال سنة ٣٧٢ هـ.

وقال في عمدة الطالب ص٤٤ عند ذكره لهذه العمارة: وعين له أوقافا ولم تزل عمارته باقية إلىٰ سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة، وكان قد ستر الحيطان بخشب الساج المنقوش فاحترقت تلك العمارة وجددت عمارة المشهد علىٰ ما هي عليه الآن ولم يبق من عمارة عضد الدولة إلا القليل وقبور آل بويه هناك ظاهرة مشهورة لم تحترق وكانت معروفة بقبور سبع سلاطين ـ كما يقول النسابة النجفي محمد حسين كتابدار... وفي هذا الحريق احترق مصحف في ثلاث مجلدات بخط الأسير (عليه السلام) كما في العمدة ويزعم النسابة السالف الذكر ان هذاالمصحف احترق منه مجلدان وبقي مجلد منه واحد ذهبت حواشيه وبقي المتن لم يحترق إلىٰ سنة ١٠٩٥ هـ.

وفي فرحة الغري ص٥٧ وتاريخ فراغه منها مكتوب علىٰ حائط القبة مما يلي الرأس الشريف يعلو قدر قامة انسان عن الارض.

وقد شاهد هذه العمارة الرحالة ابن بطوطة الشهير حين وروده النجف سنة ٧٢٧ قبل احتراقها فانه وصف البلدة وذكر ما فيها من أسواق ومدارس إلىٰ أن وصف الروضة المقدسة فقال: والخوانق معمورة أحسن عمارة وحيطانها بالقاشاني وهو شبه الزليج عندنا لكن لونه أشرق ونقشه أحسن[1] ثم ذكر المرقد المطهر وما فيه من فرش ومعلقات وما يصنعه السدنة وقوام المشهد مع الزائرين فقال: ثم يأمرونه بتقبيل العتبة وهي من الفضة وكذلك العضادتان ثم يدخل القبة وهي مفروشة بأنواع البسط من الحرير وسواه وبها قناديل الذهب والفضة. منها الكبار والصغار وفي وسط القبة مسطبة مربعة مكسوة بالخشب عليه صفائح الذهب المنقوشة المحكمة العمل مسمرة بمسامير الفضة قد غلبت علىٰ الخشب

(١) ابن بطوطة ج١ ص١٠٩.

لا يظهر منه شيء وارتفاعها دون القامة وفوقها ثلاثة من القبور يزعمون ان احدها قبر آدم (عليه السلام) والثاني قبر نوح والثالث قبر علي رضي‌الله‌عنه[1] وبين القبور طشوت ذهب وفضة وفيها ماء الورد والمسك وأنواع الطيب يغمس الزائر يده في ذلك ويدهن بها وجهه تبركا وللقبة باب آخر عتبته أيضاً من الفضة وعليه ستور الحرير الملون يفضي إلىٰ مسجد مفروش بالبسط الحسان مستورة حيطانه وسقفه بستور الحرير وله أربع ابواب عتبها فضه وعليها ستور الحرير.

وهذه العمارة وان كان لعضد الدولة يرجع تأسيسها وتشكيلها بذلك الشكل ولكن طرأت عليها اصلاحات كثيرة وتحسينات ثمينة من البويهيين ووزرائهم والحمدانيين وبعض العباسيين المتشيعين فان المستنصر العباسي عمر الضريح المقدس وبالغ فيه وزاره مراراً[2] ومن المسلمين من بني جنكيزخان وغيرهم حتىٰ وصلت إلىٰ ذلك الشكل وتلك العظمة من الاثاث والزينة التي شاهدها هذا الرحالة كما هو الشأن في كل مخترع وعمارة من التدرج في العمران والتطور في الصنعة. ويشهد لذلك ما ذكره زين العابدين الشيرواني في بستان السياحة فارسي مطبوع في ايران سنة ١٣١٥ قال ص٥٧١ ما ترجمته: وبنىٰ غزان خان دار السيادة وأسس فيه السلطان محمد خدابنده وابنه أبو سعيد مدرسة، وخانقاه «تكية الصوفية» واجريا فيه آثاراً حسنة وابوابا من البر ومثله حرفيا في رياض السياحة له أيضاً[3]

(١) في زيارته المأثورة: السلام عليك وعلىٰ ضجيعيك آدم ونوح، وعلىٰ جاريك هود وصالح.

(٢) حتىٰ جنكيز خان التتري الفتاك السفاك، عمّر حرم أمير المؤمنين (عليه السلام) وأشاد بناءه، لكن صدام الجريمة التكريتي هدّم الحرم والصحن الشريف بالدبابات وضربها بمدافعه الثقيلة، وعاث في مدينة النجف الأشرف الفساد وقتل كل من وجده بصورة عشوائية عامة، وقتل كل

العمارة الرابعة

هي التي حدثت في سنة ٧٦٠ هـ بعد احتراق عمارة عضد الدولة وقد ذكرها علماء القرن الثامن وغيرهم فان صاحب عمدة الطالب المتوفى سنة ٨٢٨ ذكر تجديدها بعد الاحتراق. وكذلك الديلمي[1] صاحب ارشاد القلوب فانه قال عند ذكره لعمارة عضد الدولة: وعَمرّها عمارة جليلة حسنة وهي التي كانت قبل اليوم وذكرها محمد بن سلمان بن زوير السليماني كما في رسالة نزهة أهل الحرمين فقال: اخبرت ان العمارة الكائنه بعد احتراق عمارة عضد الدولة وقبل هذه العمارة «يشير إلىٰ العمارة الحاضرة اليوم وهي عمارة الشاه صفي» كان علىٰ القبر الشريف ميل مثل عمارة الصاحب (عجل الله فرجه). وهذه العمارة كل من ذكرها لم ينسبها إلىٰ أحد انتهىٰ ما في النزهة.

قلت ويظهر من تتبع أحوال الايلخانيين وما أوجدوه في حكومتهم من الابنية والعمارات من مدارس ومساجد ورباطات وقنوات في النجف وغيرها أن

من كان متواجداً أو لاجئاً أو زائراً في الحرم المقدس والصحن الشريف من شيوخ ركّع وأطفال رضّع ونساء مخدرات حتىٰ جعل الأشلاء أكواماً بعضها فوق بعض ولم يسمح بدفنها حتىٰ تفسخت.

ولم يكتفِ بذلك حتىٰ أمتدت يد الجريمة وشملت مدينة كربلاء المقدسة، وحرم سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) وأخيه أبي الفضل العباس (عليه السلام) وذلك في شهر شعبان من سنة ١٤١١ هـ. المؤلف

(١) كان محمد بن الحسن الديلمي هذا معاصراً أو مقارباً في العصر للعلامتين الشهيرين الحلي والشهيد الاول ويروي عنه ابن فهد الحلي صاحب عدة الداعي المتوفى سنة ٨٤١.

هذه العمارة لهم فان للشيخ حسن آثار جليلة في النجف وكربلاء فنعتقد أن هذه العمارة لهم وفي عصرهم حدثت. ويقول محمد حسين كتابدار النجفي النسابة أن هذه العمارة لسلاطين كثيرة ورأيت فيها بقية عمارة عضد الدولة.

وأصلح هذه العمارة الشاه عباس الاول فانه عمّر الروضة المنورة والقبة المطهرة والصحن الشريف كما في ملحق روضة الصفا الفارسي لرضا قلي المتخلص بهداية طبع ايران سنة ١٢٧٠ فانه عدّ مآثره الخيرية وذكر منها هذا الاصلاح. ومثله في المنتظم الناصري تأليف محمد حسن خان صنيع الدولة ج٢/١٧٩.

العمارة الخامسة

عمارة الشاه صفي حفيد الشاه عباس الأوّل. وهي العمارة الحاضرة فانه بعد تعاقب الدهور ومرّ عشرات من السنين علىٰ العمارة المتقدمة تضعضعت القبة المنورة وكانت ساحة الصحن الشريف ضيقة ولم تكن بهذه السعة الموجودة اليوم فأمر الشاه المذكور بهدم بعض جوانب الصحن الشريف وتوسيعه وتوسيع ساحة الحرم العلوي المطهر. وقد ذكر هذه العمارة رضا قلي في كتابه ملحق روضة الصفا ج١ عند ذكر الشاه صفي المذكور فقال ما ترجمته: صدر الامر اللازم بتجديد عمارة القبة والمرقد لحضرة سلطان الاولياء والأوصياء سلطان السلاطين مسند الامامة والولاية والهادي إلىٰ طريق السعادة والهداية أسد الله الغالب علي بن أبي طالب (عليه السلام):

رب السلاهب والقواضب ... والمقانب والخمس
والبيض والبيض القواطع ... والغطارفة الخمس
والجامحات الشامخات وفوقها ... الصيد الشمس

الحضرة العلوية

سلام الله عليه وعلىٰ أبنائه أجمعين، بعد مرور الدهور وتعاقب الأعوام والشهور حصل تكسر وشقوق في القبة الشريفة وأراد الشاه صفي حفيد الشاه عباس توسعة ذلك الحرم الذي هو توأم مع الجنة وكان الذي تصدىٰ لهذه الخدمة وزيره ميرزا تقي المازندراني وأقام في هذا العمل ثلاث سنين جمع المعمارين والمهندسين في النجف.

وفي المنتظم الناصري ج٢ ص١٨٢ ذكر في حوادث سنة ١٠٤٢ ما ترجمته جيء بماء الفرات إلىٰ أرض النجف بحكم الشاه صفي فانه حين ما جاء زائراً القبة المنورة وذلك المرقدالطاهر رأىٰ بعض النقصان في بناء المرقد أمر وزيره ميرزا تقي المازندراني بإصلاح تلك الاماكن المشرفة فجاءبالمعمارين والمهندسين إلىٰ النجف ومكث فيها ثلاث سنين مشغولاً بهذا العمل ووجدوا معدن صخر في غاية الصفاء والجودة في حوالي النجف فنقل منه ما يحتاجون إليه وذكرها معاصرها محمد حسين كتابدار النجفي النسابة فقال والعمارة الموجودة الآن (سنة ١٠٩٥) هي عمارة السلطان المرحوم شاه صفي أحد سلاطين الصفوية عمارة عظيمة جليلة ولكن أكثرها باقية علىٰ النصف. ويظهر من مصباح الزائر لابن طاووس عند ذكر زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) إن العمارة العلوية في عصره كانت علىٰ هذه الحالة من الصحن والرواق وباب القبة ويظهر منه أن الباب الاول (باب الرواق) كان في الصحن ولم يكن له هذا البهو (الطارمة).

* * *

وصف المرقد العلوي

العمارة الحاضرة اليوم سنة ١٣٥٣[1] هي عمارة الشاه صفي وهي بديعة الشكل فخمة الصنعة يعجز عن تخطيطها أكبر مهندس في العصر الحاضر بما أوجد بها من معرفة أوقات الزوال وعدم اختلافه صيفاً وشتاء وما تقف عنده أساتذة الفن من تحكيم بزوغ الشمس في الضريح المقدس وما التزم بها من المقابلة والمجانسات الفنية.

العمارة هذه هي عبارة عن الضريح المقدس وما أحاط به من الاسوار الثلاثة (السور الاول للصحن) ارتفاعه ١٧ متراً وهو مستطيل الشكل. يكون من الجنوب إلىٰ الشمال ٧٧ متراً ومن الشرق إلىٰ الغرب ٧٢ متراً ويتقوم من طبقتين وفي كل طبقة من الأواوين والغرف مثل ما في الطبقة الثانية ومجموع ما فيهما من الغرف يقرب من مائة غرفة. وهذا السور قائم علىٰ رحبة واسعة مفروشة بالرخام الابيض وهي المعروفة بالصحن ومما يستلفت النظر إليه بداعة الفن ونفاسة النقش وجمال الريازة[2] وله خمسة أبواب وجدارنه مكسوّة بالحجر القاشاني الملون وعلىٰ حواشي جدرانه العليا مكتوب بعض السور القرآنية بأحرف عربية جلية، وكان الطابق الأعلىٰ قديماً مسكناً لحملة العلم ورجال الدين وحتىٰ اليوم تعرف بعض الغرف بنسبتها إلىٰ أصحابها كغرفة المقدّس الاردبيلي وهي أول غرفة من الساباط المواجهة للقبلة.

(والرحبة) هذه تحيط بالرواق من جميع الجهات إلّا من الغرب فانه يظلها

---

(١) وكذلك هي الحاضرة اليوم سنة ١٤١٢ لكن صدام هدم جزءاً منها بمدافعه ودبابته.

(٢) الراز البناء والريازة حرفته.

ساباط مرتفع تتوسطه فرجة واسعة مستديرة وكان في القديم هناك باب يفضي إلىٰ الرواق. وفي هذه الرحبة من جهة الشرق الطارمة الذهبية وهي ترتفع عن أرض الصحن قدرمتر ويبلغ طولها٣٣ متراًوفيها الإيوانالذهبي غير مسقف وسقفه وجدرانه مكسوّةبالذهب الابريزالخالص. وفي ركنيه مأذنتان مصفحتان بالذهب. ارتفاع الواحدة[1] منهما ٣٥ متراً وقد كتب في أعلاهما آيات من سورة الجمعة[2]. كتب في وسط الايوان الذهبي علىٰ جانبي الباب قصيدة فارسية بحروف ذهبية بارزة في مدح الأمير (عليه السلام) للسيد عرفي الشاعر المتوفى سنة ٩٩٩ وتعرف بهراس وىماس ـ مطلعها:

اين بارگاه كيست كه كويند بيهراس كاي أوج عرش سطح حضيض تو راىماس

ومختومة باسم كاتبها محمد جعفر الاصفهاني ومؤرخه سنة ١١٥٦هـ وهناك أبيات عربية أربعة اثنان منها علىٰ يمين المتوجه إلىٰ الباب المذكور واثنان علىٰ يساره أما ما علىٰ اليمين فهما:

لا تقبل التوبة من تائب إلّا بحب ابن أبي طالب
حب علي واجب لازم في عنق الشاهد والغائب

وأما علىٰ اليسار فهما:

لي خمسة اطفي بهم نار الجحيم الحاطمة
المصطفىٰ والمرتضىٰ وابناهما وفاطمة

(١) ومحيط قاعدة كل واحدة منها ما يقرب من ثمانية أمتار وقطرها متران ونصف ولكل واحدة منها أربعة آلاف (٤٠٠٠) طابوقة من الذهب الابريز.

(٢) وفي القرون الأربع ص٩٦ عند ذكر محمد باشا الخاصكي المتولي حكومة بغداد سنة ١٠٦٧ والمنتهي حكمه سنة ١٠٧٠ أنه أضاف منارة إلىٰ مشهد النجف أقول: لم نقف لهذه المنارة علىٰ أثر.

وفي أعلىٰ الايوان علىٰ جبهته كلمات عربية وحروفها ذهبية بارزة وفيها تاريخ لتذهيب القبة والمأذنتين والايوان بامر السلطان نادر شاه ـ دفن في هذا الايوان كثير من العلماء والأعيان وكانت أسماؤهم مكتوبة علىٰ صخور جدرانه وقد ضاعت اليوم بقلع الصخور وفي النية تعويضها بشكل أحسن. وفيه مقبرة لبعض الملالي خزنة الحرم. وأشهر ما فيه من العلماء العلّامة الحلي (رحمه الله) فانه في غرفة كائنة علىٰ يمين الداخل إلىٰ الرواق منه وينقل عن العلّامة السيد بحر العلوم انه كان يقرأ له الفاتحة وسط الرواق بين البابين. وفيه المقدّس الاردبيلي وهو في غرفة كائنة علىٰ يسار الداخل الىٰ الرواق وهي اليوم مخزن لبعض النفائس الثمينة.

(السور الثاني) الرواق ارتفاعه مثل ارتفاع سابقه وهو في وسط الساحة «الصحن» يحيط به السور الاول وهو مستطيل الشكل وساحته من الشمال إلىٰ الجنوب ٣١ متراً ونصف ومن الشرق إلىٰ الغرب ٣٠ متراً وجدرانه وسقفه مزدانة بالمرائي الملونة ذات الاشكال الهندسية المختلفة البديعة وله ثلاثة أبوب. بابان متقابلان أحدهما من جهة الشمال مقابل لباب الصحن المعروف بباب الطوسي. والثاني من جهة الجنوب مقابل لباب الصحن من جهة القبلة. والثالث في الايوان الذهبي.

(السور الثالث المحيط بالضريح المطهر): ارتفاعه مثل ارتفاع سابقيه وهو مربع الشكل محيط بالقبر الشريف وهو المعروف «بالروضة المقدسة» وتكون ساحتها من الشمال إلىٰ الجنوب ثلاثة عشر متراً ومن الشرق إلىٰ الغرب ثلاثة عشر متراً وجدرانها مغشاة بالمرائي الملونة والنجارة الهندسية البديعة والفسيفساء. وأرضها مفروشة بالرخام الصقيل وكذلك جدرانها من الارض إلىٰ ذراع فوق القامة فانها مغشاة بالصخور الثمينة. ولها خمسة أبواب اثنان من جهة

الغرب وهما عند رأس الامام (عليه السلام) لا ينفذان إلىٰ الرواق[1] خلفهما شباك من النحاس الاصفر واثنان من جهة الشرق عند رجلي الامام (عليه السلام) وهذه الابواب من الفضة. والخامس[2] من النحاس الأصفر وهو خلف الامام (عليه السلام) ومن هذه الثلاثة الدخول والخروج إلىٰ الحضرة المقدسة. وفي وسط الحضرة القبر الشريف الذي ضم البدن الطاهر وقد وضع عليه صندوق من الخشب الساج الثمين المرصّع بالعاج المنقوش عليه بعض الآيات القرآنية محاط بشباكين (الاول) مما يلي الصندوق الخشبي من الحديد الفولاذي. (والثاني) من الفضة[3] وقد كتبت في أعلاه أبيات من قصيدة ابن أبي الحديد المعتزلي التي يقول في أولها:

يا رسم لا رسمتك ريح زعزع ... وسرت بليل في عراصك خروع

وأبيات من قصيدة الحميري التي يقول في أولها:

لأم عمرو باللوىٰ مربع ... طامسة أعلامه بلقع

وأبيات من قصيدة الشيخ إبراهيم صادق العاملي المتوفى سنة ١٢٨٣ التي هي في مدح الامير (عليه السلام) يقول في أولها:

هذا ثرىٰ حط الأثير لقدره ... ولعزه هام الثريا يخضع

وضريح قدس دون غاية مجده ... وجلاله خفض الضراح الأرفع

(١) قلعا سنة ١٣٦٦ وجعل مكانهما بعض المشبك الفضي القديم الذي كان علىٰ القبر الشريف.

(٢) قلع سنة ١٣٦٦ وجعل مكانه البابان اللذان كانا عند رأس الامام (عليه السلام).

(٣) قال عبد الباقي العمري البغدادي الشاعر الشهير المتوفي سنة ١٢٧٨ يصف الصندوق العلوي:

إلا أن صندوقاً أحاط بحيدر ... وذي العرش قد أربىٰ إلىٰ حضرة القدس

فإن لم يكن لله كرسي عرشه ... فإن الذي في ضمنه آية الكرسي

انىٰ يقاس به الضراح علا وفي ... مكنونه سرُّ المكوّن مودع

جدث عليه من الجلال سرادق ... ومن الرضا واللُّطف نور يلمع

ومكتوب علىٰ جوانبه بعض الآيات القرآنية والاسماء الشريفة وأبيات فارسية وعلىٰ أركانه الاربع رمان من الذهب الخالص الابريز وعلىٰ هذا السور تكون القبة[1] المعظمة ظاهرها مصفح بصفائح الذهب الخالص ومرتفعة إلىٰ علو شاهق[2] مكتوب في ظاهرها سورة ﴿إنا فتحنا﴾ ومختومة باسم كاتبها محمد علي الاصفهاني ومؤرخة سنة ١١٥٦هـ والكتابة كالنطاق لها وباطنها مزدان

(١) قد أكثر الشعراء في وصف القبة المنورة المباركة منهم الأديب الشاعر عبد الباقي العمري فإن له شعراً كثيراً في وصفها منه القصيدة التي يقول في أولها:

قبة المرتضىٰ (علي) تعالىٰ ... شأنها عن موازن وعديل

من نضار صيغت بغير نظير ... في مثال منزه عن مثيل

فوقها كالاكليل لاح هلال ... رمقته السها بطرف كليل

كبرت فاستقلت الفلك السدوا ... ر عنها بأن يرىٰ ببديل

إلىٰ أن يقول:

هي باء مقلوبة فوق تلك ... النقطة المستحيلة التأويل

ومنهم الأديب الكامل وزير المعارف الاسبق في العراق الشيخ محمد حسن أبو المحاسن الحايري المتوفى سنة ١٣٤٤ قال رحمه الله:

يا قبة تتجلىٰ من أشعتها ... سنا ضياء علىٰ الظلماء منقد

شمس رأت ذلك المأوىٰ لها شرفاً ... فلازمت من (علي) دارة الأسد

(٢) القبة من قاعدتها إلىٰ فوق رأس المخروط منها ٣٥ متراً ومحيط قاعدتها ٥٠ متراً وقطرها ما يقرب من ستة عشر متراً ومن رأس القبة إلىٰ سطحي الصحن ٤٢ متراً وعدد طابوقها (١٣٠٠٠) ثلاثة عشر ألف طابوقة. وقد كان تعيين هذه الارتفاعات بالاسطرلاب في اليوم الحادي عشر من جمادي الثانية سنة ١٣٦٧ علىٰ يد الشيخ مرتضىٰ الكيلاني النجفي.

بالفسيفساء وفيه ثلاث كتابات: (العليا) سورة الجمعة مؤرخة سنة١١٥٦ وفي آخرها اسم كاتبها (مهر علي) و(الوسطىٰ) سورة عم يتساءلون وقد اضيف إليها أبياتاً من قصيدة ابن أبي الحديد العينية التي يقول في أولها:

يا رسم لا رسمتك ريح زعزع ... وسرت بليل في عراصك خروع
قد قلت للبرق الذي شق الدجى ... فكأنَّ زنجياً هناك يجدَّعُ
يا برق إن جئتَ الغريَّ فقل له ... أتراك تعلم من بأرضك مودع
فيك ابن عمران الكليم وبعدهُ ... عيسى يُقفِّيهِ واحمد يتبع
بل فيك جبريلٌ وميكالٌ وإسـ ... ـرافيل والملأُ المقدَّس أجمعُ
بل فيك نورُ الله جلَّ جلالُه ... لذوي البصائر يُستشفُّ ويَلمعُ
فيك الإمام المرتضى فيك الوصيّ ... المجتبى فيك البطين الانزع
الضَّارب الهامِ المقنع في الوغى ... بالخوف للبهم الكماة يُقنِّعُ
يا هازم الأحزاب لا يثنيه عن ... خوْض الحمام مدجج ومدرَّع
يا قالع الباب الذي عن هزِّها ... عجزتْ أكفٌّ اربعون وأربع
ما الدهرُ إلَّا عَبدُكَ القِنُّ الذي ... بنفوذ امرك في البريَّةِ مولعُ
أنا في مديحك ألكنٌ لا أهتدي ... وأنا الخطيب الهبزريُّ المصقع

و(السفلىٰ) وهي تعلو ذراعا فوق القامة سورة هل أتىٰ وفي آخرها اسم كاتبها عبد الرحيم وتاريخها سنة ١١٢١ وهي أقدم كتابة في الحرم العلوي. تكون مواجهة لمن يقصد الرأس الشريف من خلف الضريح المقدس[1].

(١) قلعت هذه الكتابات الثلاثة وابدلت بالحجر القاشي سنة ١٣٧٠ هـ ولم تعد حتىٰ هذا التاريخ.

ابواب الصحن الشريف

كان علىٰ عهد الشاه عباس للصحن الشريف أربعة أبواب احداها من جهة القبلة والآخر عكس القبلة واثنان من جهة الشرق: احدهما الكبير الموجود اليوم عليه الساعة والآخر صغير ينتهي الخارج منه إلىٰ خان دار الشفاء[1] كما ذكر في لؤلؤ الصدف.

وللصحن اليوم خمسة أبواب. الاول الباب الكبير وهو من جهة الشرق ينتهي الخارج منه بخط مستقيم إلىٰ خارج البلد وفيه عدة تواريخ لبناء القاشي القديم. منها ما هو موجود داخل الصحن الشريف علىٰ دعامة الباب علىٰ يسار الخارج منه فان هناك آيات قرآنية. مكتوبة بالقاشاني بقلم اصفر مؤرخة سنة ١١٩٨ في آخرها اسم كاتبها محمد رضا. وتحتها كتابة اخرىٰ بقلم أبيض دقيق مؤرخة سنة ١٢٣٤ في آخرها اسم الباذل (الحاج عبد الحسين بهادر خان). ويوجد في خارج الباب آيات قرآنية وبعض الأحاديث وفيه تاريخ الفراغ من عمارة القاشاني الحاضر سنة ١٣٢٧ مع أبيات فارسية وأبيات عربية. منها البيت المشهور:

خير البرية بعد أحمد حيدر ... والناس أرض والوصي سماء

ومنها بيتان للعلّامة الزاهد الشيخ حسين نجف الكبير طاب ثراه هما:

أيا علة الايجاد حار بك الفكر ... وفي كنه معنىٰ ذاتك التبس الامر
لقد قال قوم فيك والستر دونهم ... بأنك رب كيف لو كشف الستر

وهناك أبيات أخر يأتي ذكرها وعلىٰ هذا الباب الساعةالتي أرسلها من

(١) وهو بناية كلية منتدىٰ النشر اليوم. وأخيراً أزيحت البناية لتوسعة المحيط الخارجي للصحن.

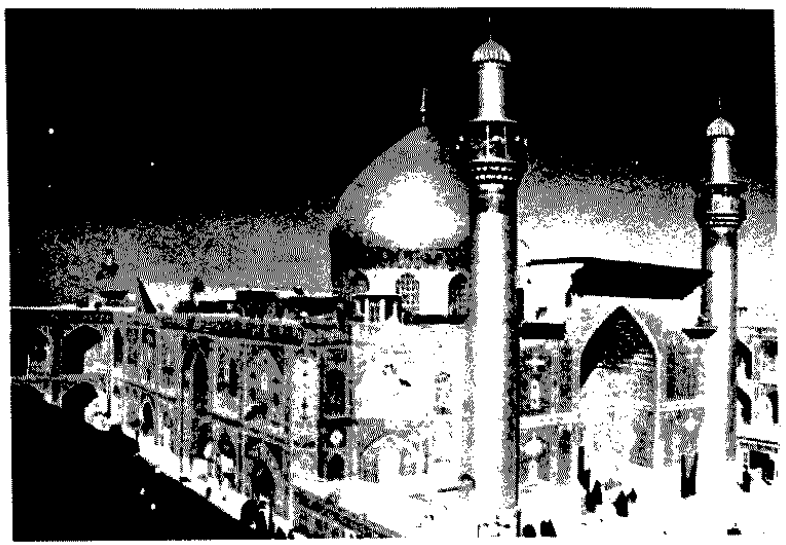

الحرم المطهر الشريف

ايران الوزير أمين السلطان سنة ١٣٠٥ وقد أرخ هذا العام الشاعر الشهير السيد ابراهيم الطباطبائي طاب ثراه بقصيدة يمدح بها الوزير المذكور ويصف الساعة ـ مطلعها:

الـوىٰ يخاتلهـا بالجـد واللعب ظبي بملعب ذاك الربرب السرب

إلىٰ ان يقول مؤرخاً بعد وصف الساعة بعدة أبيات:

بمنتهىٰ ارب[1] تم الحبور لنا ارخ بساعة انس العيش والطرب

سنة ١٣٠٥هـ

(١) فيه إشارة إلىٰ إضافة عددين لمجموع اعداد التاريخ.

وقد وضع الذهب في اعلاها رجل تبريزي سنة ١٣٢٣.

(الباب الثاني) باب الطوسي من جهة الشمال. وسبب تسميته بهذا الاسم هو ان الخارج منه ينتهي إلىٰ قبر العلّامة المؤسس الكبير شيخ الطائفة الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (المتوفى سنة ٤٦٠) فسمي الباب باسمه وتوجد أبيات عربية علىٰ هذا الباب من خارج الصحن الشريف وهي:

يا زائـراً جدث الوصي المرتضىٰ لُذْ في حماه وقف بجانب بابه

واخضع لعز جنابه والثم ثرىٰ أعتابه وانشق عبير ترابه

وادخل بآداب السكينة واستلم أركانه عند الطواف بغابه

وقل السلام عليك يا من حبه كل الخطايا في غد تمحى به

ومليك فازعة المعاد آيا به وحسابه وثوابه وعقابه

وفي آخرها ما نصه (نمقه الراجي ناجي) و(الثالث) باب القبلة وكان قديماً صغيراً منخفضاً من جذع النخل الأشرسي وفي أيام (شبلي) باشا (وهو أحد ولاة بغداد المشهورين) جدد ووسع علىٰ ما هو عليه اليوم بأمر ابنته (فاطمة) خاتون وقد عملت حوضاً[1] في الصحن الشريف للاستقاء منه وهو جهة القبلة مقابل للايوان الكبير الذي دفن فيه العلّامة الكبير السيد محمد

(١) وهو غير حوض نجيب باشا الذي أنشأه سنة ١٢٦١ كما أرخه الشاعر الشهير عبد الباقي العمري بقصيدة مثبتة في ديوانه يقول فيها أولها:

أجرىٰ محمد نجيب الوزير حوضاً لساقي الحوض يحكي الكوثرا

إلىٰ أن قال في آخرها مؤرخاً:

ومن جرىٰ يبغي مجاراة له بحلبة يرجع عنه القهقرى

يا سائلاً عما جرىٰ انظر ما ترىٰ تاريخه هذا أرق ما جرىٰ

(سنة ١٢٦١ هـ).

سعيد الحبوبي (رحمه الله) وقد هدم في الأزمنة الاخيرة. أرخ الشعراء هذا التجديد، منهم الشاعر الشهير السيد ابراهيم آل بحر العلوم بقصيدة مثبتة في ديوانه المطبوع مطلعها:

لقد فتح الشبلي للمرتضىٰ بابا ... علا بعلي ذروة العرش أعتابا

إلىٰ أن يقول مؤرخاً:

وقد وقع (شبلي) في باب حيدر ... وجيز خطاب قد تضمن أطنابا

ترصع بالسبع السواري[1] فارخوا ... نعَم فتح الشبلي لحيدرة بابا

سنة ١٢٩١ هـ

ويوجد شطر من تاريخ مشهور ينسبه البعض إلىٰ الشاعر الكبير الشيخ محمد سعيد بن محمود سعيد الاسكافي النجفي الحايري ـ المتوفى به سنة ١٣١٩ وهو ـ أثر الشبل علىٰ باب الأسد. ورأيت في ديوان الخضري النجفي «المطبوع سنة ١٣٦٦» هذا التاريخ منسوباً إليه وقد صدره فقال:

هتف البلبل في تاريخها ... أثر الشبل علىٰ باب الأسد

سنة ١٢٧٦ هـ

ومنهم الشاعر الاديب الشيخ أحمد قفطان وهو مكتوب علىٰ جبهة الباب من خارج الصحن الشريف قال:

ان هذا الباب قد جدده ... ملك الدهر السري ابن السري

شاده (شبلي) باشا واسعاً ... بعد أن جاوز حد الصغر

وسعىٰ في (الجواد) بن (الرضا) ... خادم الروضة سامي المفخر

فاتىٰ من ذا وهذا شامخاً ... في علو ورتاج مبهر

(١) فيه اشارة إلىٰ اضافة سبعة اعداد لمجموع التاريخ.

قال شبلي ولم يرض الذي ... ارخته فيه أهل السير

أنت يا شبلي أرخه وقل ... باب شبلي لمثوىٰ حيدر

سنة ١٢٩١هـ

وربما ينسب هذا التاريخ لابنه الشيخ حسون. ووقفت علىٰ أبيات للسيد محمد علي ابن السيد أبي الحسن الموسوي العاملي النجفي يؤرخ فيها فتح باب لأمير المؤمنين (عليه السلام) ويذكر مشيدها الأبيات:

لو أن رضوان أبواب الجنان درىٰ ... بجنة القدس باباً للرضا فتحت

ما عاد يفخر في أبواب جنته ... بل عاد يغبط بابا بالوصي علت

أشاد فيها (مشير الملك) رافعها ... من المليك هو السلطان قد نصبت

وذي يد من أياديه الجسام علىٰ ... أهل الغري وكل المسلمين بدت

أما ترىٰ قد علت نادىٰ مؤرخها ... حيّا هي الباب للسلطان قد فتحت

سنة ١٢٧٢هـ

(الباب الرابع) في جهة الغرب فتح في ايام السلطان عبد العزيز العثماني سنة ١٢٧٩ ويعرف بالباب السلطاني من حيث ان السلطان المذكور فتحه ويعرف بباب الفرج من جهة ان الخارج منه ينتهي إلىٰ مقام الحجة (عجل الله فرجه) وقد أرخه العلّامة الشهير الشيخ عباس ابن الشيخ حسن آل كاشف الغطاء طاب ثراه بأبيات مكتوبة بالقاشاني علىٰ جبهة الباب من خارج الصحن ـ يقول فيها:

«عبد العزيز» أعز الله جانبه ... والدين حصّن فيه أي تحصين

والي الرقاب إمام الخلق كلهم ... خليفة الله في فرض ومسنون

هذي السلاطين في أبوابه وقفت ... ترجو النوال علىٰ زي المساكين

وذي الحوادث أمست كالعبيد له ... تكون مهما دعاها هكذا كوني

رأىٰ علىٰ البعد ضيق الداخلين إلىٰ مثوىٰ الامام أبي الغر اليامين
فجاد في فتح باب أورثت سعة لزائري قبر باب العلم والدين
فقف بها خاضعاً واسمع مؤرخها جلت علت[1] باب سلطان السلاطين

وللعلّامة المذكور ابيات أخر فيها التاريخ المذكور ولكنها لم تكتب علىٰ الباب يقول فيها:

قد فتح السلطان من يمينه لدىٰ البرايا باب حصن امين
باب حمىٰ حامي الجوار الذي من حلّه كان من الآمنين
ان تدخلوها فادخلوا مسجدا فتلك باب حطة المذنبين
ألم تكن من حرم للرضا تفتح بالعفو عن المذنبين
جرىٰ علىٰ فوق (الرضا) فتحها فنال منه كل فضل مبين
أكمل نظمي الفرد[2] تاريخها ذا باب سلطان الورىٰ اجمعين

وقد أرخه أيضاً الشاعر الشهير الحاج جواد بدقت الحائري ـ بقوله:

حضيرة القدس ومثوىٰ حيدر لكل خير شرعت ابوابها
طاولت الافلاك بارتفاعها وإنما أملاكها حجابها
تنتابها من كل فج أُمة تلوي لها منيبة رقابها
فافتتح «العزيز» باب رحمة للوفد إذ ضاقت بهم رحابها
باب سما علىٰ السماء سمكه كأنما دعامه أسبابها

(١) هكذا وجد بالتاء في الفعلين والصحيح علا لأن الباب مذكر ولكن لا يوافق تاريخ العام المذكور والعامة تعتبره مؤنثاً وقد جرىٰ النظم وفقاً للمشهور عندهم.
(٢) فيه إشارة إلىٰ إضافة عدد واحد لمادة التاريخ.

ذو شرفات قاب قوسين غدا دنوها للعرش واقترابها
إني لها مؤرخ لما أتىٰ[1] مدينة العلم علي بابها
(سنة ١٢٧٨)

وعند فتح هذا الباب حدث السوق المعروف بالسوق الصغير، ويعرف بسوق باب الفرج باضافته إلىٰ هذا الباب. وموقع السوق كان يعرف قديماً بمحلة الرباط وتنتهي المحلة إلىٰ مسجد الشيخ الكبير صاحب «كشف الغطاء» وتنتهي من جهة القبلة إلىٰ مسجد المقدس الأردبيلي، ومقبرة آل ياسين المجاورة له كما يحكيه صكها المؤرخ ١١٦٢هـ.

وللصحن الشريف باب خامس ليس هو من الابواب الرئيسية العامة ينتهي الخارج منه إلىٰ محل الخياطين «القيسارية»[2] موقعه في جهة الباب الكبير الشرقي علىٰ يمين الداخل منه إلىٰ الصحن الشريف وهذا الباب يفتح ويسد مع المحل المذكور وعلىٰ هذا الباب أبيات عربية مكتوبة علىٰ الطاق من داخل الصحن الشريف وهي:

يا علي يا أمير المؤمنين أنت باب الله والحق المبين
خصك الله وصياً وأخاً للنبي المصطفىٰ طه الأمين
كل من مات من الناس رأىٰ عنده شخصك في عين اليقين
تورد الحوض موالیك غدا يا مقيلا عثرات المذنبين
لك من بين الوصيين حمىٰ روضة العافين أمن الخائفين
جنة جنة عدن دونها فادخلوها بسلام آمنين

(١) هذا التاريخ ينقص عدداً واحداً عن السنة المذكورة.
(٢) ذهب أكثر هذه القيسارية سنة ١٣٦٨ عند انشاء الشارع العام المحيط بالصحن الشريف.

وتوجد هذه الابيات أيضاً علىٰ الباب الشرقي الكبير من خارج الصحن الشريف. فتح هذا الباب أيام الخازن ملا يوسف في شهر رجب سنة ١٢٥٢ كانت هذه القيسارية اليوم محلا للضيافة علىٰ عهد الصفويين وتعرف بالشيلان ـ كما تحكيه الصكوك القديمة، ومجموع آل الشيخ يونس، فلما آلت إلىٰ الخراب اشـتراه الملا يوسف من الشيخ صاحب الجواهر وبناه قيسارية وفتح لها هذا الباب، وكان في موضعه قديماً «سقاخانه» محل سقي الماء.

* * *

تذهيب القبة والايوان والمأذنتين

لم تزل عمارة الشاه للقبة المنورة والايوان وسائر الصحن الشريف بالحجر القاشاني حتىٰ زمن السلطان نادر شاه سنة ١١٥٦ فانه لما ورد النجف زائراً أمر بقلع الحجر القاشاني عن القبة المعظمة والايوان والمأذنتين وتذهيبها فبذل عليه أمـوالاً طائلة ووضـع في الخـزانة الغروية تحفاً جسيمة حتّىٰ كان يعده بعض المعاندين إسرافاً.

وصار يضرب المثل في تبذير نادر شاه في النجف حيث ضبط ما صرف لهذا المشروع مبلغ خمسين ألف تومان شاهي، وكل تومان شاهي يساوي مائة تومان بالحساب الدارج، وان التومان الواحد يساوي عشرة الآف دينار وكل دينار يساوي ستة دراهم، فتصور ضخامة المبلغ.

وقد أحال حساب ذلك إلىٰ أمير المؤمنين (عليه السلام)[1].

وفي بستان السياحة ص٥٧٢ قال عند ذكره النجف ما ترجمته: وتصدىٰ نادر شاه لتذهيب القبة والمأذنتين والايوان وزاد في عمارة ذلك البلد. ومثله في المنتظم الناصري ج٢ ص٢٨٨ وضبط مصروفاته كما في التاريخ النادري.

وتوجد آثار تاريخية لهذا العمل الخطير كثيرة. منها ما هو مكتوب بالحروف الذهبية علىٰ جبهة الايوان الذهبي ونصه: الحمد لله قد تشرف بتذهيب هذه القبة المنوّرة والروضة المطهّرة الخاقان الأعظم وسلطان السلاطين الافخم أبو المظفر المؤيد بتـأييد الملك القاهر السلطان نادر أدام الله ملكه وأفاض علىٰ العالمين

---

(١) أراد مدحت باشا بيع خزائن النجف وانفاقها علىٰ الاشغال العامة فلم ينجح، عن القرون الاربع ص٣٢٣.

سلطنته وبرّه وعدله واحسانه، وقال في تأريخه «خلده الله ودولته» سنة ست وخمسين ومائة وألف = ١١٥٦هـ ومنها ما هو مكتوب في الرواق خلف البابين اللذين هما عند الرأس الشريف فان هناك قصيدة فارسية ومعها تأريخ[1] ومنها ما هو في ظاهر القبة «كما تقدم ذكره» وقد أرخ عام وضع الذهب علىٰ القبة المقدسة الشاعر المجيد المعاصر لهذا السلطان العلّامة السيد حسين بن مير رشيد النقوي الهندي الحايري النجفي المتوفى سنة ١١٧٠ بقصيدة قال فيها:

امطلع الشمس قد راق النواظر ام ... نار الكليم بدت من جانب الطور
أم قبة المرتضىٰ الهادي بجانبها ... منارتا ذكر تقديس وتكبير
وصدر ايوان عز راح منشرحا ... صدر الوجود به في حسن تصدير
بشائر السعد ابدت من كتائبها ... آي الهدىٰ ضمن تشطير وتحرير
قد بان تذهيبها عن أمر معتضد ... بالنصر للحق عالي القدر منصور
غوث البرايا شهنشاه الزمان علاً ... النادر الملك مغوار المغاوير
ادامه الله ذو العرض المجيد لنا ... كهفاً ودافع عنه كل محذور
فحين تمت وراقت بهجة وأتت ... علىٰ المرام بسعي منه مشكور
ثنىٰ الثناء ابتهاجاً عطفه وشدا ... شخص السرور بلحن منه مأثور
يا طالباً عام ابداء البناء لها ... أرخ تجلىٰ لكم نور علىٰ نور[2]

سنة ١١٥٥هـ

وفي المأذنة الشمالية المجاورة لقبر العلّامة الحلي (رحمه الله) أبيات فارسية وفيها تأريخ تذهيبها وفي آخرها إسم كاتبها محمد جعفر ومؤرخه سنة ١١٥٦هـ.

(١) قلعت الأبواب والقصيدة سنة ١٣٦٨ ووضع مكانها المشبك الفضي.

(٢) هذا لا ينافي التواريخ الاخر لأنه تاريخ لعام الشروع في البناء كما هو صريح البيت والتواريخ الاخر للفراغ من البناء.

وفي المأذنة الجنوبيه المجاورة لقبر المقدس الأردبيلي (رحمه الله) خمسة أبيات عربية وفيها تأريخ تذهيبها. والأبيات تعلو ذراعاً فوق قامة الانسان عن الارض يبتدي بها الذهب وهي:

ويعجب كل نور من سناه ... كما شمس الضحىٰ بل صار انور
تنور عسجدا بمنار عز ... يدوم بقاؤه والليل ادبر
نهار مسرة الامثال اضحىٰ ... بذلك صبح افق المصر اسفر
وفاز بذاك «نادر» كل عصر ... فسبح ثم هلل ثم كبر
وقام مؤذن التأريخ فيه ... يكرر اربعاً «الله أكبر»

سنة ١١٥٦هـ

وقال السيد محمد بن أمير الحاج «صاحب شرح قصيدة أبي فراس الحمداني المطبوع» يؤرخ عام الشروع في تذهيب القبة المنورة كما في ديوانه المخطوط:

الله أكبر لاح قر ... ص الشمس في أرض الغري
أم قبة الفلك الذي ... فيها اضاء المشتري
أم طور سيناء الكلـ ... ـيم به كبدر نير
بل قبة النبأ العظيم ... وزير طه الأطهر
قد ريم في تذهيبها ... زيا وحسن المنظر
وبها يسر الناظرين ... سناه قبل الانظر «كذا»
منها الشعاع اضاء أبـ ... ـيض من قديم الاعصر
والآن راقتنا بقـ ... ـضبان الشعاع الاصفر
رفعت لتقبيل الكوا ... كب كفها والازهر
هي رأس جنات العلا ... يا كون فيه تعطر

هي قطب دائـرة الـوجـو د وشـمس كل الادهـر
فلذا دعـا تاريخـهـا الـشـمس قبـة حيدر
(سنة ١١٥٥)

وفي المـأذنتـين شبابيك منقوشة بالتخريم وبعضها تأريخ التذهيب. في المـأذنة الجنوبية الشباك الاسفل «سعدا عظيما» هو تأريخ عام التذهيب وفي المأذنة الشمالية الشباك الاعلىٰ مكتوب فيه «حمداً علىٰ إتمامها» وفي الثاني «قل مؤرخاً يا مقيم»[1].

وللسيد نصر الله الحايري الشاعر الشهير قصيدة بمدح الأمير (عليه السلام) ويصف القبة المنورة ويؤرخ عام تذهيبها ـ مطلعها:

إذا ضامـك الـدهـر يومـا وجـارا فلذ بحـمـىٰ أمـنـع الخلق جارا

إلىٰ أن قال:

تبـدي سنـاهـا عيانـا فأرخـت آنـسـت من جانـب الـطور نارا

وهذا التذهيب من أشهر الآثار التأريخية وأجلها ذكراً وهو عمل خطير قام به أكثر من مائتي صائغ ونحاس وقد جمعهم من سائر الاقطار ويوجد فيهم «الصيني» والهندي والتركي والفارسي والعربي وأكثرهم مكتوبة أسماؤهم علىٰ الطابق النحاسي وراء الذهب وقد طليت كل قطعة «علىٰ ما ذكر بعض الصاغة المباشرين لاصلاحه اليوم» بمثقالين من الذهب الخالص.

* * *

(١) هذه الكلمة تنقص كثيراً عن سنة ١١٥٦ فلا تكون وحدها تاريخاً.

إصلاح القبة المطهّرة

أُصلحت القبة المباركة بعد التذهيب مرتين «الاولىٰ» في ذي الحجة سنة ١٣٠٤ حدث بها شق لارتفاعها ومقاومتها الهواء ولبعد عهد عمارتها فقلعوا الذهب وأصلحوها وجعلوا لها طوقاً من حديد واعادوا إليها الصفايح الذهبية وذلك بنظارة المعمار الاستاذ الشهير الحاج محسن والاستاذ النجار الشهير «حسين الشمس» وكان الفراغ من العمل آخر ربيع الاول من النسة المذكورة[1] و«المرة الثانية» سنة ١٣٤٧ فانه تضعضعت بعض الصفايح الذهبية وحدثت بها فرج حتىٰ صار المطر ينفذ منها إلىٰ باطن القبة المنورة فقلع الطابق الذهبي واصلح المتصدع منه وبنيت الفرج التي حدثت واعيد إليها الذهب وكان ذلك بنظارة الاستاذ الشهير الحاج سعيد ابن الاستاذ الحاج محسن المذكور وكان الفراغ منه في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٤٨.

* * *

(١) اليتيمة الغروية للبراقي مخطوط وتحفة العالم للعلامة السيد جعفر آل بحر العلوم.

إصلاح المأذنيتن

عقيب تذهيب (النادر) لها حدث تضعضع وميل في بعض جوانبها وسقط الصفيح الذهبي فاصلح بأمر الحاج محمد حسين خان الاصفهاني وزير فتح علي شاه سنة ١٢٣٦ كما ذكره البراقي[1] وأُصلحت المأذنة الجنوبية المجاورة للمرقد المقدس الأردبيلي سنة ١٢٨١ قلع ما عليها من الذهب وهدمت إلىٰ الأرض وأُعيدت علىٰ ما هي عليه اليوم وكان ذلك بأمر السلطان عبد العزيز خان العثماني كما ذكره السيد البراقي (رحمه الله) والسيد جعفر آل بحر العلوم في تحفة العالم.

وقد أرخها السيد محمد علي ابن السيد أبي الحسن العاملي النجفي بقصيدة طويلة مثبتة في يتيمته المخطوطة وذكر منها السلطان المذكور والخازن الملا محمود، والمؤذن عليها، والمعمار الاستاذ: محسن ـ مطلعها:

شمخت في الحمىٰ منارة قدس ... حيث شقت قلب الفضاء صعودا
تتسامىٰ قصدها النجم ما إن ... تتسامىٰ أم تنتحي المعبودا
أم لنار علىٰ الكواكب نارت ... فتعالت لتدرك المقصودا
بعلي علت ولولاه حتماً ... ما انحنت هيبة وخرت سجودا

إلىٰ أن قال مؤرخاً:

أترىٰ مذ رقت وراقت منارا ... وأعيدت كالبدر خلقاً جديدا
قلت تمت منارة القدس ارخ ... فتباركت مبدئاً ومعيدا

سنة ١٢٨١هـ

(١) لم يذكر هذا الاصلاح عند عدّ آثار هذا الرجل غير البراقي (رحمه الله).

وأُصلحت المأذنة الشمالية المجاورة لمرقد العلّامة الحلي (رحمه الله) سنة ١٣١٥ بأمر السلطان عبد الحميد خان العثماني قلع ماعليها من الذهب وهدم نصفها وأُعيدت علىٰ ما هي عليه اليوم وكان الانتهاء من العمل في عاشر جمادي الثانية سنة ١٣١٦، وفي أوائل سنة ١٣٦٧ قلع الصفيح الذهبي منها أجمع وهدم أعلاها وأُعيدت علىٰ حالتها السابقة وكان الفراغ من العمل آخر شهر رجب من تلك السنة. وفي شهر جمادي الأُولىٰ سنة ١٣٥٢ قلع الصفيح الذهبي عن المأذنة المجاورة لقبر المقدس الأردبيلي (قدس سره) أجمع وهدم اعلاها فقط واصلح وأُعيد إليها الصفيح الذهبي ونفقة هذا العمل علىٰ الاوقاف. عينت الحكومة العراقية مبلغاً وافراً لعمارة الطارمة (البهو) والمأذنة هذه ومسجد الخضراء ومسجد الرأس وتعبيد ساحة الصحن الشريف وقد بلغت المصروفات إلىٰ نهاية مارس سنة١٩٣٤ (السادس عشر ذي الحجة) سنة ١٣٥٢ الفين وستمائة وخمس وثمانين ديناراً وخمس وأربعين فلساً عدا أربعمائة وخمسين ديناراً فانها صرفت في عمارة مسجد الشيخ صاحب الجواهر (رحمه الله) وتوقف العمل مدة ثم رصدت الحكومة المصروفات اللازمة لاتمام العمل سنة١٣٥٣ وتم العمل في هذا العام وأرخه الكامل الاديب الشيخ حسن سبتي (رحمه الله) بأبيات:

أقاصد قبر حيدرة تمسك ... بمن فيه تنل خيراً وتؤجر
كأن ضريحه غاب وفيه ... أقام المرتضىٰ الاسد الغضنفر

إلىٰ أن قال:

وداعي الحق أرخ في هداها ... يؤذن فوقها الله أكبر[1]

سنة١٣٥٣هـ

(١) يتم التاريخ بقراءة يوذن بالواو ـ كما قال الناظم.

إصلاح الروضة المقدّسة

كانت الحضرة المطهرة مبنية بالحجر القاشاني ولم توجد فيها هذه المرايا الملونة والنجارة البديعة وكلها حدثت بعد عصر الشاه صفي وبها انطمس أكثر التأريخ القديم لعمارة الحضرة المعظمة، وأقدم أثر موجود بها ما هو مؤرخ سنة ١١٢١. ولما قلعوا الكتابات المحيطة بالروضة المقدّسة من داخلها العليا والوسطىٰ والسفلىٰ ذهب هذاالتاريخ ولم يعد،هذه «الكتيبات» الثلاث كانت من الجص مصبوغة بألوان الصبغ الزائل فأبدلت بالحجر القاشي الثمين الجيد وكان الباذل لتجديدها رجل من أهالي خراسان بسعي الحاج السيد أحمد مصطفوي وتم العمل سنة ١٣٧٠ وقد رقم اسم الكاتب والباذل والساعي علىٰ دعامة تكون مقابل وجه الامام (عليه السلام). وقد زيد علىٰ ما كان مكتوب فيها سورة عم يتساءلون، وقد أُضيف لها جديداً أبياتٌ لابن أبي الحديد من قصيدته العينية المشهورة: كتبه الحقير المذنب الحاج ميرزا محمود محمد علي التبريزي الغروي عُفي عنهما سنة ١٣٧٠[1]. وأُعيد الصفيح الذهبي للبهو بعد تعطيله سنتين باشروا باعادته يوم الجمعة تاسع عشر من شهر ربيع الاول ١٣٧٠ وتم في هذه السنة وقامت بنفقته حكومة العراق.

الحضرة سقفها مزان بالفسيفساء وجدرانها بالزجاج الملون ذي الاشكال الهندسية المختلفة وأعلا الجدران ملون بالوان مختلفة ومكتوب فيه السور القرآنية الصغيرة والاحاديث الشريفة ولم يعلم الباذل لها غير أن بعضها يرجع تأريخه إلىٰ زمن (النادر) ويوجد في الحرم من جهة الرأس الشريف في الدعامة التي تكون

(١) المرحوم والد صديقنا الحاج حسن الكاتب المعاصر لنا (المؤلف).

مقابلة للقبلة بيت تأريخ يوافق سنة ١٢٠٤ ـ البيت:

قل لمن يسأل عن تأريخها (هي صرح من قوارير ممرد)
سنة١٢٠٤هـ

وهو تأريخ لوضع المرايا الموجودة عند الرأس الشريف ـ قلع مع الزجاج سنة ١٣٦٨ ولم يعد. وفي سنة ١٣٥٩ قلعت صخور أرض الروضة المقدسة وجدرانها وأُبدلت بصخور صقيلة إيطالية بديعة وكان الباذل لنفقتها إمام البهرة سيف الدين وقد أرخ هذا العمل كثير من الادباء ونظم في تاريخه[1]:

وسيف الدين إذ وافىٰ سريعاً يقبل غاية الاسد الهصور
علي ذي العلا من قد تسامىٰ به الركن الحطين مع الستور
فعمر ما تقادم من صخور بها رفع الثرىٰ فوق الاثير
واصلح ساحة الحرم المعلىٰ وجدرانها تفوق علىٰ البدور
فبانت غاية[2] الاصلاح أرخ كساها بالصقيل من الصخور
سنة١٣٥٩هـ

وفي سنة ١٣٦٩ في شهر شعبان بدأ العمل بوضع الزجاج البديع النقش الباهر في الصنعة في داخل الحرم العلوي علىٰ نفقة شاه إيران محمد رضا شاه واستمر العمل إلىٰ اليوم السادس والعشرين من جمادى الأُولىٰ سنة ١٣٧٠، وقد تبارىٰ في تاريخ هذا العمل أكثر من عشرين شاعراً أطوي عن ذكرهم روماً للأختصار.

وقد أفرغ مكان آخر للتاريخ العربي يكون علىٰ يمين الخارج من الحرم

(١) وقد أدركت ذلك وأنا شاب، وشاهدت امام البهرة سيف الدين لما زار النجف الاشرف. (المؤلف).

(٢) وفي قوله فبانت غاية: إشارة إلىٰ إسقاط ثمان من مجموع أعداد التاريخ فان فيه زيادة ثمان.

العلوي إلىٰ الرواق، ووردت علىٰ القائمين بالعمل أكثر من ثلاثين تأريخاً عربياً وحتىٰ الآن لم يقع الاختيار علىٰ وضع واحد منها ـ ومن التواريخ ما قاله الامام العلّامة سماحة الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء فقال:

لرضا شاه كم تبدت أياد ... خالدات مثل الكواكب تزهر
مرقد المرتضىٰ كساه مرايا ... نيرات من غرة الشمس أزهر
طاء طه الامين قد اكملتها ... أرخوها يد من الشاه تشكر

وفي سنة ١٣٥٨ أيام قائم مقام النجف حسن التكريتي عمرت «الهزارات» الداخلية في الاروقة والحرم الشريف وبدلت بعض المرايا والاخشاب المزينة الموجودة في الرواق وتعمير أرض الصحن الشريف وتبليطها وكانت كلفة هذه الاصلاحات ما يقارب الالفي دينار علىٰ حساب مديرية الاوقاف العامة.

وفي سنة ١٣٥٩ أيام قائم مقام النجف عبد الرحمن جودت أكملت بعض نواقص الزينة الباقية من العام السابق مع ترميم الفراغات المتكونة في السقوف.

وفي سنة ١٣٦٠ عمرت اسس الروضة الحيدرية المنهارة التي كانت تنذر بالخطر فعمرت بحزم قائم مقام النجف حيث قام بعمل خطير يشكر عليه فانه أحكم اسس الرواق والحرم المقدس وكانت نفقة هذا العمل علىٰ حساب الأوقاف الخاصة.

وفي سنة ١٣٧٠ رصدت حكومة العراق علىٰ حساب ميزانيتها «٢٥٥٠٠ ديناراً» لاصلاحات كثيرة في الحرم والرواق والصحن الشريف منها قلع الصفائح الذهبية من جانبي المدخل العمومي والجبهة الأمامية وتسوية الجدران وإصلاح الشقوق وجلاء القطع الذهبية وإعادتها في أماكنها مجدداً، ومنها عمل شبابيك للقبة المنورة من خشب الساج مع الحديد والزجاج، ومنها إصلاح «هزارة» أواوين غرف الصحن الشريف من المرمر الواقي، ومنها إصلاح الشقوق الموجودة في

الفراغات بين العقادات، ومنها تركيب المرايا للأروقة الثلاثة وإصلاح كل ما في الحرم والرواق والصحن الشريف من نقائص وقد انتهىٰ العمل سنه ١٣٧١ وكان العمل بإشراف قائم مقام النجف السيد ضياء شكارة والاعضاء المقررين لهذا العمل السادن السيد عباس الرفيعي وحاكم البداية عبد الفتاح العامري والوجيه رشاد عجينة عضو مجلس ادارة قضاء النجف ورئيس البلدية الحاج محمد سعيد شمسة والمعمار الحاج سعيد.

* * *

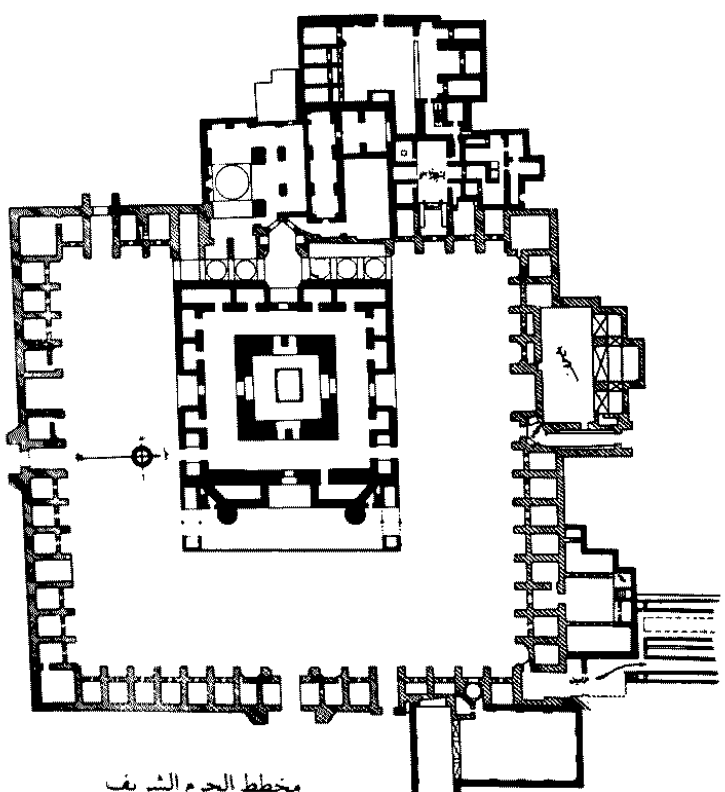

مخطط الحرم الشريف

وضع الشباك الفضي علىٰ القبر الشريف

يوجد علىٰ القبر الشريف صندوق من الساج المنبت بالعاج وقد كتبت عليه سورة هل أتىٰ وبعض الأحاديث النبوية المروية عن الأئمة الواردة في حق الأمير (عليه السلام) وهو من أبدع ما وصلت إليه يد الفن واتقن. صرفت عليه أموال كثيرة وأوقات طويلة. وكتابته محفورة ومثبتة فيها الحروف وهي من أجود الخطوط العربية، وعليه إسم الباذل والكاتب وإسم النجار، وهذا نص ما فيه: قد تشرف ووفق بإتمام هذا الصندوق الرفيع خالصاً لوجه الله تعالىٰ واخلاصاً لوليه وأوليائه كلب عتبة علي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) محمد جعفر بن محمد صادق الزند أدام الله تأييده في سنة ١٢٠٢ وفي آخره عمل: بندة خاكسار محمد حسين نجار شيرازي. هذه الكتابة من جهة الرأس الشريف وتوجد فيه من جهة الوجه مانصه.. كتبه محمد بن علاء الدين محمد الحسيني سنة ١١٩٨.

وفوق هذا الصندوق وضع الشباك الفولاذي وبعده وضع الشباك الفضي وقد عرضت عليه اصلاحات كثيرة من حين وضعه حتىٰ اليوم منها ما كان سنة ١٢٠٣ وقد أرخه الاديب البارع السيد صادق الفحام النجفي بأبيات مثبتة في ديوانه المخطوط ـ قال:

لله صندوق بديع صنعه ... ليس له في الحسن من مضاهي
أودعه صانعه عجائبا ... تجل عن حصر وعن تناهي
يرمقه الطرف فيغدو حائرا ... فيه فيرتد حسيراً ساهي
جل عن المثل جلال من به ... جل عن الانداد والاشباه
عيبة علم جددت قد حوت العـ ... ـلم الجليل الكامل الالهي
لذاك قد قلت به مؤرخاً ... قد جددت عيبة علم الله

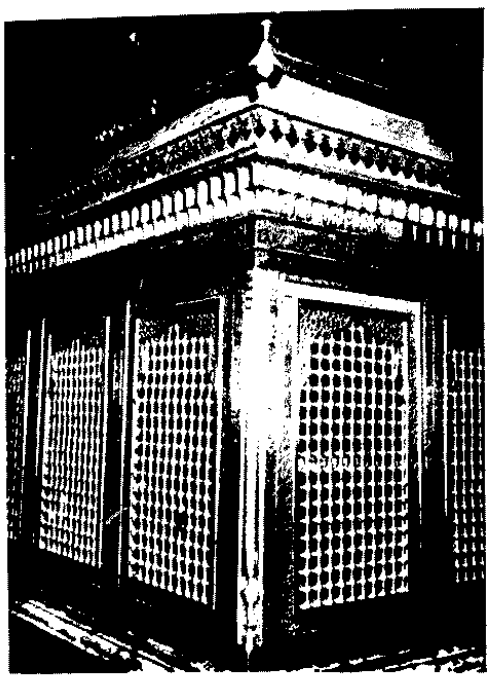

الشباك الفضي القديم

وجدد مرة ثانية علىٰ يد السلطان محمد شاه القاجاري كما ذكره في المنتظم الناصري ج٣ ص٦٣ في حوادث سنة ١٢١١ عند عدّ مآثر السلطان محمد شاه القاجاري ـ صنع هذا الصندوق في ايران وأُرسل مع الفقيه الآغا محمد علي الهزار جريبي كما في تحفة العالم. وجدد مرة ثالثة سنة ١٢٦٢ بأمر المعتمد عباس قلي خان وزير محمد شاه ابن عباس شاه بن فتح علي شاه كما ذكره الخبير البراقي وجدد علىٰ ما هو الموجود قبل اليوم سنة ١٢٩٨ علىٰ نفقة السيد محمد الشيرازي ويعرف بالمشير واسمه مع تأريخ الفراغ من العمل مكتوب علىٰ باب الشباك.

وفي سنة ١٣٦١ في أواخر شهر ربيع الأول ابتدأوا بقلع هذا الشباك ووضع مشبكاً جديداً أغلىٰ من الاول وأثمن علىٰ نفقة امام البهرة سيف الدين وقد صيغ

في الهند بمدة تزيد علىٰ خمس سنين، بلغ مجموع ما صرف عليه ثمانين ألف دينار كان مبلغاً كبيراً في وقته، وهو غاية في الضخامة وحسن المنظر، وقد كتبت عليه قصيدة للسيد طاهر سيف الدين «الرئيس الديني للبهرة». وقد كان يوم رفع الستار عن هذا الشباك وهو يوم ثالث عشر رجب سنة ١٣٦١ هجري يوماً عظيماً خطيراً حضره رئيس الوزراء نوري السعيد والسيد عبد المهدي المنتفكي وزير الاشغال وكثير من الاعيان والامراء والزعماء.

وهذا الشباك أكثر ذهباً وفضة من الشباك الأول ولكن ذاك أبدع صناعة وأكثر نقشاً وأغلىٰ صياغة وكان فيه من الآيات القرآنية والاحاديث الشريفة شيء كثير وفيه من الشعر الجيد القوي لابن أبي الحديد والشيخ إبراهيم صادق العاملي. وقد أرخ هذا الشباك كثير من الشعراء منهم الكامل الاديب الشيخ صالح قفطان فقال:

قبر علي تعالىٰ في فلك القدس أقدس
شباكه كان أرخ كنز الضريح المقدس

سنة ١٣٦١

ومنهم الخطيب السيد علي الهاشمي أرخه بأبيات فقال:

يد «لسيف الدين» مشكورة سجلها باللوح رب العلا
وكل من والىٰ أبا شبر آي التهاني لعلاه تلا
نال بها مكرمة لم تكن تنالها قبل ملوك الملا
أهدىٰ ضريحاً من لجين لهم لولا يد الرحمن ما أكملا
لاح بآفاق العلا مشرقا سنا ضريح المرتضىٰ قد علا
وردد القمري تأريخه «ضريح قدس لعلي حلا»

سنة ١٣٦١ هجري

أبواب الفضة

الابواب الموجودة قبل اليوم ستة (الاولىٰ) موقعها وسط الايوان الذهبي ويدخل الداخل منه إلىٰ الرواق وقد نصب في حدود سنة ١٢١٩ وهو من آثار الحاج محمد حسين خان الإصفهاني الصدر الاعظم ـ كما هو مكتوب عليه. غير هذا الباب وجدد ووضع بمكانه باب أوسع وهو من الابواب الثمينة المتقنة، نصب صباح يوم الاثنين الثامن من شهر شعبان سنة ١٣٧٣ هجري قام بنفقته ثلاثة رجال من محبي الخير والصلاح من أهالي طهران وهم الحاج ميرزا مهدي مقدم وابنا أخيه الحاج كاظم آغا توكليان والحاج ميرزا عبد الله، رصدوا له نصف مليون تومان، صاغه أمهر صاغة ايران واستمر عمله ثلاث سنين وعند انتهاء عمله جاءوا به لوحة فنية وقد كتبت عليه الآيات القرآنية الشريفة والاحاديث المناسبة والشعر الرائق، وأعد لهم الوجيه الحاج صالح حلبوص مكاناً للعمل وتهيئة ما يلزم له علىٰ نفقته الخاصة واشترك معهم في مصرف التاج الذي وضع علىٰ الباب، ولما نصب في هذا اليوم أُقيم مهرجان عظيم في الاسواق والصحن الشريف استمر أكثر من أربع ليال وفتح وسمح منه الدخول والخروج يوم الخميس الحادي عشر من شعبان بعد أن أُقيم حفلٌ في الصحن الشريف اشترك فيه أهل العلم وعموم الطبقات النجفية وأُنشدت قصيدة عصماء للشاعر الشيخ عبد المنعم الفرطوسي. مطلعها

نشيدي وأنتَ له مطلعُ من الشمس يعنو له مطلعُ
وقدرك أرفع أنَّ الثناء ولو بالمثاني به يرفعُ
ومجدك جاوز أُفقِ الخلود سَمواً ونفسك لا تقنعُ

إلى أن قال:

حياتك جدبٌ من المُغريات ... وعيشك من وردها بَلقعُ
وخَصبٌ من الحِكَمِ القاريات ... بِحَيثِ العقول به تُرفَعُ
وروض مريع من العاطفات ... قلوب اليتامىٰ به ترتع
وعهدي من العدل في الحقوق ... تُصان بأمنٍ فلا تفزعُ
يؤرِّقُ عَينَيك للنائمين ... ضميرٌ يقضّ به المضجعُ
عَىٰ باليمامة أو بالحجاز ... عيونٌ من الجوع لا تَهجعُ

وقد كتب علىٰ هذا الباب عدة تواريخ منها تأريخ الاستاذ الشيخ محمد علي اليعقوبي ـ التأريخ:

وباب صيغ من ذهب تجلىٰ ... وجلل نور قدس ليس يطفىٰ
وقد سدل الجلال عليه بردا ... كما أرخىٰ الجمال عليه سجفا
وشع علىٰ مطالعه هلال ... ترصفه يد الابداع رصفا
«يصد الشمس انىٰ واجهته» ... فيحجبها الحيا فتميل خلفا
يضوع شذا الامامة من ثراه ... بأطيب من نسيم الخلد عرفا
وإن وراءه للعلم بابا ... حوىٰ مكنونه حرفا فحرفا
أبو الحسن الذي حارت عقول ... الورىٰ عن كنهه نعتا ووصفا
توسلت الملائك فيه قدماً ... فقربها له الرحمن زلفىٰ
ولم تطق الولوج بغير اذن ... إذا ابتدرت له صفاً فصفا
فكيف وعنده الحاجات يلفىٰ ... قضاها والنوائب فيه تكفىٰ
إذا ما الدهر عفىٰ كل باب ... فباب الله باق ليس يعفىٰ
ولا يبقىٰ مع (التأريخ) إلّا ... علي الدر والذهب المصفىٰ

سنة١٣٧٢هـ

وقد أنشد الشيخ عبد المهدي مطر قصيدة رائعة يوم الاحتفال بافتتاح الباب الذهبي الذي أهداه بعض الإيرانيين لمقام أمير المؤمنين في النجف سنة ١٣٧٣هـ:

لَعلِع بباب علي أيها الذهب ... واخطف بأبصار من سروا ومن غضبوا
وقل لمن كان قد أقصاك عن يده ... عفواً إذا جئت منك اليوم أقترب
لعل بادرة تبدو لحيدرة ... أن ترتضيك لها الأبواب والعتب
فقد عهدناه والصفراء منكرة ... لعينه وسناها عنده لهب
ما قيمة الذهب الوهاج عند يدٍ ... علىٰ السواء لديها التبر والترب
ما سره أن يرىٰ الدّنيا له ذهباً ... وفي البلاد قلوب شفها السغب
ولا تضجر أكباد مفتتة ... حتىٰ يذوب عليها قلبه الحدب
أو يسقط الدمع من عيني موله ... أجابها الدمع من عينيه ينسكب
تهفو حشاه لأنات اليتيم بلا ... أُم تناغي ولا يحنو عليه أب
هذي هي السيرة المثلىٰ تموج بها ... روح الوصي وهذا نهجه اللحب
فاحذر دخول ضريح أن تطوف به ... إلّا بإذن علي أيها الذهب

إلىٰ أن يقول:

يا قالع الباب والهيجاء شاهدة ... من بعد ما طفحت كأس بمن هربوا
بابان لم ندرِ في التبريح أيهما ... أشهىٰ إليك حديثاً حين يقتضب
باب من التبر أم باب يقومّه ... مساره وجذوع النخل والخشب
هذا يشع عليه التبر ملتهباً ... وذاك راح بنار الحقد يلتهب
وأي داريك أحرىٰ أن نطوف بها ... وأن تجللها الأستار والحجب
دار تحج بها الدّنيا لمجدك أم ... دار عليك بها العادون قد وثبوا
هذي تدال بها للحق دولته ... زهواً وفي تلك فيء الحق يغتصب

حتىٰ إذا جاءت الدّنيا مكفّرة ... عمّا جنته وجاء الدّهر يتهب
شادت عليك ضريحاً تستطيل علىٰ ... هام السماء به الأعلام والقبب
وتلك عقبىٰ صراع قد صبرت له ... وذا فديتك مظلوماً هو الغلب
بلّغ معاوية عني مغلغلة ... وقل له وأخو التبليغ ينتدب
قم وأنظر العدل قد شيدت عمارته ... والجور عندك خزي بيته خرب
تبني علىٰ الظلم صرحاً رن معوله ... بجانبيه وهدت ركنه النوب
أبت له حكمة الباري بصرختها ... أن لا يخلد مختال ومرتكب
قم وانظر الكعبة العظمىٰ تطوف بها ... حشد الألوف وتجثو عندها الركب
تأتي له من أقاصي الأرض طالبة ... وليس إلّا رضا الباري هو الطلب
قل للمعربد حيث الكأس فارغة ... خفض عليك فلا خمر ولا عنب
سموك زوراً أمير المؤمنين وهل ... يرضىٰ بغير (علي) ذلك اللقب
هذا هو الرأس معقود لهامته ... تاج الخلافة فأخسا أيها الذنب

إلىٰ آخر قصيدته الرائعة.

وفتح باب جديد ينفذ إلىٰ الرواق سنة ١٣٧٣ يمر علىٰ مرقد العلاّمة الحلي (رحمه الله) وكان مستوراً في الرواق وعند نفوذ هذا الباب برز مرقده المطهر لدىٰ الرائح والغادي.

(الثاني) و(الثالث) البابان اللذان يدخل منهما الداخل من الرواق إلىٰ الحرم المطهر فالذي يكون علىٰ يمين الداخل إلىٰ الحرم المقدس نصب سنه ١٢٨٣ في زمن السلطان عبد العزيز وكان الباذل لنفقته لطف علي خان الايراني كما هو مسطور علىٰ الباب مع تاريخه الموافق لمادة «ألا بامر الله عز وجل فادخلوا الباب سجدا» والباب الثاني الذي يكون علىٰ يسار الداخل إلىٰ المرقد المعظم نصب في سنة زيارة السلطان ناصر الدين شاه القاجاري سنة ١٢٨٧ ـ كما هو

مكتوب عليه مع إسم السلطان المذكور.

وفي سنة ١٣٧٦ قلع هذان البابان وابدلا ببابين ذهبيين علىٰ غاية من الصنعة والاتقان وكان الباذل لنفقتهما الحاج محمد تقي الاتفاق الطهراني وبمسعىٰ فضيلة العلاّمة السيد محمد كلانتر.

وقد كتب فيها كثير من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية وكتب علىٰ اطار كل منهما أبيات فارسية مع التأريخ.

* * *

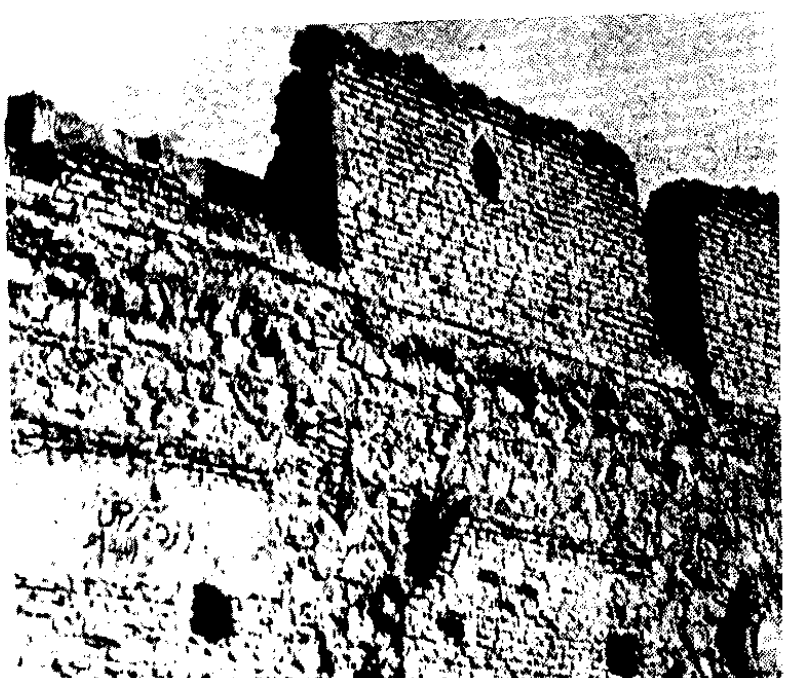

سور النجف القديم

تاريخ بناء أسوار النجف الأشرف

لمّا كانت النجف علىٰ طرف الصحراء المتصلة ببر الشام والجزيرة العربية الحجاز، وكان يخشىٰ عليها من غزو أعراب البادية وغيرهم، اجتهد ملوك وأمراء الشيعة في حفظها ورد العاديات من الغزاة عنها، فبنوا حولها سوراً عالياً وجددوه كلما اقتضىٰ الحال، وذلك نظراً لضعف الحكومات التي حكمت العراق حينذاك، وبُعد النجف عن مراكزها.

السور الأول

بناه الملك عضد الدولة، فناخسرو بن بويه الديلمي ملك العراق، حين عمر الحضرة الشريفة بين سنتي ٣٦٧ و٣٧٢ هـ كما مر ذكره.

السور الثاني

بناه الحسن بن مسهلان وزير سلطان الدولة بن بويه الديلمي سنة ٤٠٠هـ، كما ذكره ابن الأثير وغيره، وذلك أنه مرض فنذر أن عوفي يبني عليها سوراً، [أي علىٰ النجف] فعوفي فأمر ببنائه أما بأن يكون الأول قد استهدم فهدمه وأعاد بناءه، أو بنىٰ سوراً آخر أوسع من الأول وهدم الأول، هذا مالم يذكر لنا التاريخ أو لم يعثر عليه.

السور الثالث

بناه بعض ملوك الهند كما عن، «بستان السياحة»، ويقال انه أوسع من السور الثاني، ويقال ان نادر شاه حين مجيئه إلىٰ النجف أمر بتسويرها وكان مجيئه

إليها سنة ١١٥٦ هـ، ولعله أصلح السور السابق ورممه.

السور الرابع

بناه نظام الدولة محمد حسين خان العلاف الاصفهاني، وزير فتحعلي شاه القاجاري، وهو أعلىٰ الاسوار التي بنيت وأحكمها، وفي هذه السنين هدم كثير منه لعدم الحاجة إليه، وكان بعض آثاره لحد سنة ١٣٥٠ هـ أما الآن فلا يوجد منه أي أثر.

نقل العلّامة النوري[1] عن كتاب حبل المتين[2] في مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه لما هجم الأعراب علىٰ النجف ودخلوا فيها كانوا يؤذون الناس كثيراً وكان أحد مشايخهم مشلولا وكانوا في خارج البلدة فرأىٰ أمير المؤمنين (عليه السلام) في النوم وقال له اذهب إلىٰ الاعراب وأخرجهم عن البلد وإلا لأرسل إليهم البلايا فقال اني مشلول لا أقدر أن أقوم فقال (عليه السلام) أنا أقول قم فامتثل أمري فانتبه من نومه فرأىٰ رجله صحيحة فأتىٰ إلىٰ النجف وحكىٰ لهم القصة ولما كان عهدهم به مشلولا ورأوا تلك المعجزة الباهرة خرجوا من البلدة خوفاً. فهذا مثال لما كانت عليه من الانحلال والضعف والفوضىٰ ـ ومن ذلك ـ:

حادثة مرة بن قيس [3]

كان هذا رجلا فاسقاً يتدين ببغض علي (عليه السلام) وله أموال كثيرة

---

(١) في دار السلام ص١٨٤.

(٢) تأليف العالم الفاضل شمس الدين محمد الرضوي من علماء الدولة الصفويه المعاصر للشاه طهماسب (روىٰ) هذه الحادثة عن الشيخ أحمد العاملي الساكن في المشهد الغروي.

(٣) هذه الحادثة ذكرت في أكثر كتب المناقب ونحن نقلناها عن دار السلام ص١٨٢ وكان حدوثها ←

وخدم وحشم فتذاكر يوماً مع قومه آباءه وأجداده وأكابر قومه فقيل له أن علي ابن أبي طالب قتل منهم ألوفاً فسأل عن مدفنه فدلوه علىٰ النجف فأخذ معه ألفي فارس ومن الرجال ألوفاً فلما وصل إلىٰ نواحيه إطلّع أهل النجف فتحصنوا منه وقامت الحرب بينهم علىٰ قدم وساق استمرت ستة أيام فهدموا موضعاً من حصار (سور) النجف ففر أهلها ودخل الخبيث الروضة المقدسة وقال ـ يا علي أنت قتلت آبائي وأجدادي ـ وأراد أن ينبش القبر المطهر فخرج منها أصبعان[1] كأنهما سيف فضرب علىٰ وسطه فقطع نصفين وصارا من حينه حجرين أسودين فنبذا بالطريق، وكانا مبولة للحمير حتىٰ القرن العاشر فسرقهما بعض المعاندين.

حادثة المشعشعي

في تحفة الازهار للسيد ضامن بن شدقم الحسيني (ما نصه): أن علي بن محمد المهدي المولود سنة ٨٤١ والمتوفى قتلاً سنة ٨٦١ في حياة والده[2]، حكم بعد أبيه واستولىٰ علىٰ جميع الأهواز مع شاطئ الفرات إلىٰ الحلة الفيحاء، وكانت جنوده خمسمائة نفر لا يعمل بهم السلاح ولا غيره لاستعمالهم بعض الاسماء وكان مغالياً في المذهب سافر إلىٰ العراق وأحرق المحجر الذي علىٰ قبة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وجعل القبة المعظمة مطبخاً للطعام إلىٰ مضي ستة أشهر لقوله انه رب والرب لا يموت. وربما تنسب هذه

→

في القرن الرابع ويقال ان (مرة) كان من الخوارج.

(١) في الضريح المقدس من جهة الامام (عليه السلام) مكان يعرف بموضع الاصبعين ولعله رمز لهذه الحادثة، وفي كشكول الفتوني ذكر هذه الحادثة وأن الحجر كان موجوداً بباب القلعة إلىٰ عصره سنة ١٢٠٠.

(٢) ننقل ما وجدنا في الكتاب نصاً وأمانة إذ كيف يمكن لشاب ولد وقتل وعمره عشرون سنة، في حياة والده، ويحكم بعد أبيه، وفعل الافاعيل؟

الحادثة لأبيه محمد، وفي روضات الجنات في ترجمة السيد خلف المشعشعي بعد أن ساق نسبه إلىٰ السيد محمد الملقب بالمهدي بن فلاح الموسوي الحويزي المشعشعي (قال) قيل ان المشعشعي هو من ألقاب علي بن محمد بن فلاح الذي كان حاكماً بالجزائر والبصرة ونهب المشهدين المقدسين وقتل أهلهما قتلا ذريعاً وأسر من بقي منهم إلىٰ دار ملكه البصرة والجزائر في صفر سنة ثمان وخمسمائة. صدق رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حينما قال في عليّ (عليه السلام): «هلك فيك اثنان محب غالي ومبغض قالي».

وقد فَصّل هذه الحادثة الغبائي ـ المحفوظ في خزانة الاب انستاس الكرملي بالمتحف العراقي ـ في تأريخه فقال: إن مير علي كيوان خرج بالحجاج يوم السبت غرة ذي القعدة سنة ٨٥٧ فخرج عليهم المولىٰ علي المشعشع ونهب أموالهم ودوابهم وجمالهم وأخذ المحمل والآية المذهبة وقماش المحمل ونجىٰ أناس قلائل. كانوا قد دخلوا المشهد [العلوي] وحاصروا السادة في حطيم المشهد فارسلوا يتضرعون إليه فطلب منهم القناديل والسيوف وكانت خزانة الحضرة منذ سبعمائة سنة تجمع فيها سيوف الصحابة والسلاطين فكلما مات سلطان أو خليفة بالعراق يحمل سيفه إليها، فأرسلوا إليه مائة وخمسين سيفاً واثني عشر قنديلاً ستة منها ذهباً وستة منها فضة ـ إلىٰ أن قال ـ ودخل يوم الأحد في الثالث والعشرين من ذي القعدة إلىٰ المشهد الغروي والحائري ففتحوا له الأبواب ودخل فأخذ ما تبقىٰ من القناديل والسيوف ورونق المشاهد جميعها من الطوس والاعتاب الفضية والستور والزوالي وغير ذلك، ودخل بالفرس إلىٰ داخل الضريح وأمر بكسر الصندوق وإحراقه فكسر وأحرق. وذكر هذه الحادثة أيضاً صاحب مجالس المؤمنين ص٤٠٥ وإنها حدثت سنة ٨٥٨، وفي سنة ٩٩٧ سار ملك الأزبك عبد المؤمن خان بالعساكر ونزل علىٰ مشهد الامام علي رضي الله عنه وقتل الرفضة وجعلها دار إسلام ـ عن غاية المراد (مخطوط).

محاصرة الروم

في البحار، ودار السلام ص١٠١ (ما نصه): حاصر الروم أرض النجف في المشهد الغروي أيام السلطان سليم سنة ١٠٣٢ وتحصن أهلها داخل البلد وأغلقوا الأبواب عليهم وقاوموا الروم مع قلة عددهم وعدتهم وكثرة المحاصرين لهم وقوتهم وشوكتهم واستمر الحصار زمناً طويلاً ولم يظفروا بهم وكانوا يرمونهم بالبنادق الصغار والكبار وهي شبه الامطار وهناك بدت المعاجز لأمير المؤمنين (عليه السلام) فجعلت النار برداً وسلاماً حتىٰ أن الصبيان كانت تتسابق لأخذ قذائفهم ولم يصب منهم أحد. وفي هذا الحصار طم النهر والقناة اللذين عملهما الشاه إسماعيل الصفوي وأفسدوا الآبار التي تجري إلىٰ النجف.

وهناك حوادث كثيرة وقعت في هذه الفترة قبل سنة ١٠٤٠ هـ وبعدها. بين القبائل العربية في العراق والجزيرة العربية ومنطقة الاهواز وغيرها، بين بني الجراح، وبني ربيعة رهط سعيد بن المفضل، ومانع بن حديثة، ومسعود بن بريك بن السمط. ودهمش بن سندر سيد غزة، وقبائل طي، وزبيدة وغيرهم، ومن جهة اخرىٰ تجدالصراع الدائر بين الدولتين الصفوية في إيران، والدولة العثمانية في الاستانة، علىٰ استعمار العراق والاستيلاء عليه، لاسباب سياسية ودينية والحرب بينهم سجال والغلبة يوم لهذا ويوم لذاك، نطوي عن هذه الاحداث كشحاً روماً للاختصار، ومن يرد التفاصيل فليراجع المصادر مثل كتاب ماضي النجف وحاضره للشيخ محبوبه وموسوعة العتبات المقدسة للاستاذ جعفر الخليلي رحمهما الله.

حادثة الوهابي[1]

بعد ظهور بدعة محمد بن عبد الوهاب وانتشار مذهب الوهابية في طائفة (عنزة) اعتنق هذا المذهب سعود بن عبد العزيز. وبه عظمت شوكة الوهابيين وكانت له عدة هجمات علىٰ الحرم الغروي وكان في كل دفعة يقتل الرجل والاثنين والثلاث ممن يظفر بهم خارج البلدة ولم يتمكن من دخلوها. وكان يفاجئهم بجنده الفينة بعد الفينة لأن مركزه كان (الرحبة) وهي قريبة من النجف فاذا سمعوا به أغلقوا الأبواب فيطوف حول السور وكلما وجد أحداً قتله ورمىٰ برأسه داخل البلدة وكان يأتي من أصحابه العشرة والاكثر فيدخلون البلدة علىٰ حين غفلة من أهلها فيقتلون وينهبون.

قدمت قافلة من نجد إلىٰ العراق ومعها فوارس من عرب الوهابي سنة ١٢١٤ فباعت القافلة ما عندها في بغداد وحملت ما أرادت وعزمت علىٰ المسير إلىٰ بلادها فلما وصلت القافلة إلىٰ النجف شاهد أصحابها أمير الخزاعل ومن معه يقبّلون عتبة الامام علي (عليه السلام) عند زيارتهم فحملوا عليه وقتلوه ودام القتال ثلاث ساعات وقتل وجرح من رجال الوهابي مائة رجل ومثلهم من عرب الخزاعل ونهبت أموال وجمال الوهابيين وخيلهم وهرب إلىٰ نجد من سلم منهم.

---

(١) هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي المولود سنة ١١١١ نشأ في نجد وقرأ الفقه على مذهب أحمد بن حنبل وتجرأ علىٰ العلماء وسفك الدماء وهتك المعابد المقدسة والمشاهد المشرفة وتبعه علىٰ مذهبه هذا محمد بن سعود من قبيلة عُنيزة وبعد وفاة محمد بن عبد الوهاب سنة ١٢٠٦ قام بنصرة هذا المذهب عبد العزيز بن محمد بن سعود ثم ولده سعود ابن عبد العزيز، وفي أيامه كانت الهجمات علىٰ النجف وكربلاء ولم تزل رياسة الوهابية في بيتهم حتىٰ اليوم، وقد ألف الأعلام في ترجمة الوهابيين وأفعالهم الوحشية البربرية مؤلفات عديدة طبع أكثرها.

هذه الحادثة هي التي غرست بذور الشحناء بين الوهابيين والنجفيين زيادة علىٰ ما عليه الوهابيون من النصب والبغضاء لكل مسلم موال ويرونه خارجاً عن الدين نازحاً عن الاسلام.

وأول حادثة للوهابي كانت سنة ١٢١٦ وهي سنة هجومه علىٰ كربلاء وقتله أهلها فانه بعد ما أباحها وهتك حرمة الحرم الحسيني توجه بجنده إلىٰ النجف ونازلها.

ذكر هذه الحادثة البحاثة البراقي (فقال) بعد أن ساق سنداً إلىٰ من شاهد الواقعة (مانصه): لما جاء سعود إلىٰ النجف وأحاط بها واشتغل الرمي بالرصاص من الطرفين قتل من أهل النجف خمسة أحدهم عمي السيد علي الحسني الشهير بالبراقي وكانت شدة عظيمة علىٰ أهل النجف لعلمهم بما صنع بأهالي كربلاء من القتل والنهب وما فعل بمكة والمدينة ولذا برزت المخدرات من خدورها ومعهن العجائز يشجعن المقاتلين ويقفن علىٰ كل فرقة فرقة ويقلن: أما تستحون علىٰ نسائكم أن تهتك وأموالكم أن تنهب وتذهب غيرتكم واستغاثوا كلهم بأمير المؤمنين (عليه السلام) وعجوا إلىٰ الله بالبكاء والعويل واستجاروا بحامي الجار فأجارهم فهزم المنافقين وشتت شملهم وشوهدت ضرباته المعلومة[1]. وفي غرائب الأثر ص٥٦ قال: وفي سنة ١٢١٥ أرسل الوهابي سرية إلىٰ العراق لنهب مشهد الامام علي (عليه السلام) وهدم قبته وأخذ ما فيها من الاموال فالتقىٰ بها أعراب البصرة وقاتلوها وكسروها أشد كسرة وقتل من عرب الوهابي جماعة وأخذ منهم ستمائة جمل وقيل ألف وستمائة جمل. وفي المنتظم

(١) وقد أوشك الوهابيون أن ينجحوا بغاراتهم المفاجئة للنجف غير أن النجفيين عاجلوهم من السور فكسروهم شر كسرة ـ القرون الأربع ص٢٤٧، وذكر فيه غزوة ثانية للوهابيين سنة ١٢١٨.

الناصري ج٣ ص٧٨ ما ترجمته: في سنة ١٢١٧ غار عبد العزيز الوهابي علىٰ الحرمين النجف وكربلاء وجاء لأطراف العراق في عيد الغدير في آخر تلك السنة وقتل جملة من العلماء والمجاورين ومن جملة من قتل العالم الفاضل الكامل العارف ملا عبد الصمد الهمداني صاحب (بحر المعارف) وكان مقيماً في كربلاء أكثر من أربع وأربعين سنة.

حادثة ثانية للوهابي

لما بلغ أهالي النجف نبأ توجهه إلىٰ البلدة وإنه قاصد مهاجمتها علىٰ كل حال فأول ما فعلوه أنهم نقلوا خزانة الأمير (عليه السلام) إلىٰ بغداد خوفاً عليها من النهب كما نهبت خزانة الحرم النبوي ثم أخذوا بالاستعداد له والدفاع عن وطنهم وحياتهم وكان القائم بهذا العبء والمتكفل لشؤون الدفاع هو العلّامة الزعيم الشيخ جعفر صاحب كتاب كشف الغطاء (رحمه الله) وساعده بعض العلماء فأخذ يجمع السلاح ويجلب ما يحتاج إليه في الدفاع فما كانت إلّا أيام حتىٰ ورد الوهابي بجنوده ونازل النجف ليلاً فبات تلك الليلة وعزم علىٰ أن يهجم علىٰ البلدة نهاراً ويوسع أهلها قتلاً ونهباً، وكان الشيخ (رحمه الله) قد أغلق الأبواب وجعل خلفها الصخور والاحجار وكانت الأبواب يومئذ صغيرة وعيّن لكل باب عدة من المقاتلين وأحاط باقي المقاتلين بالسور من داخل البلدة، وكان السور يومئذ واهي الدعائم بين كل أربعين أو خمسين ذراعاً منه قولة (حصار) وكان قد وضع في كل قولة ثلة من أهل العلم شاكين بالسلاح فكان جميع ما في البلدة من المقاتلة لا يزيدون علىٰ المائتين لأن أغلب الأهالي خرجوا هاربين حينما بلغ سمعهم توجه العدو واستجاروا بعشائر العراق فلم يبق مع الشيخ إلا ثلة من مشاهير العلماء كالشيخ حسين نجف. والشيخ خضر شلال. والسيد جواد صاحب مفتاح الكرامة والشيخ مهدي ملا كتاب. وغيرهم من المشايخ الأخيار،

ثم أن الشيخ وأصحابه وطنوا أنفسهم علىٰ الموت لقلّتهم وكثرة عدوهم ـ وأما ابن سعود فانه بات تلك الليلة بجنده خارج البلدة وما أصبح الصباح إلّا وهم قد انجلوا عن البلدة المشرّفة وتفرقوا أيدي سبأ[1] وذكر هذه الحادثة العلّامة السيد جواد صاحب مفتاح الكرامة (رحمه الله) في آخر المجلد الخامس من كتابه المذكور ـ فقال ـ ثم هذا المجلد في أول شهر ربيع الأول سنة ١٢٢١ مع تشتت الأحوال واشتغال البال بما نابنا من الخارجي الملعون في أرض نجد فانه اخترع ما اخترع في الدين وأباح دماء المسلمين وتخريب قبور الأئمة المعصومين ـ إلىٰ أن ذكر هجومه علىٰ كربلاء واستيلاءه علىٰ مكّة المشرفة والمدينة المنورة ـ (ثم قال) وفي سنة ١٢٢١ في الليلة التاسعة من شهر صفر قبل الصبح بساعة هجم علينا في النجف الاشرف ونحن في غفلة حتىٰ أن بعض أصحابه صعدوا السور وكادوا يأخذون البلد فظهرت لأمير المؤمنين (عليه السلام) المعجزات الظاهرة والكرامات الباهرة فقتل من جيشه كثيراً ورجع خائباً وله الحمد علىٰ كل حال.

وذكرها أيضاً صاحب كتاب صدق ص١١٢، وكان هو ممن شاهد الحادثة وذكر عدد جند الوهابي وانهم خمسة عشر ألف رجل وقُتلَ منهم سبعمائة رجل. وذكر السيد صاحب مفتاح الكرامة في كتابه هذه حادثة أُخرىٰ للوهابي (قال) في آخر المجلد السابع منه بعد تمامه سنة ١٢٢٥: وقد أحاطت الأعراب من (عنزة) القائلين بمقالة الوهابي الخارجي بالنجف الأشرف ومشهد الحسين (عليه السلام) وقد قطعوا الطريق ونهبوا زوار الحسين (عليه السلام) بعد منصرفهم من زيارة نصف شعبان وقتلوا منهم جمعاً غفيراً وأكثر القتلىٰ من العجم و(ربما قيل) انهم مائة وخمسون (وقيل) أقل، وبقي جملة من زوار العرب في الحلة ما قدروا

(١) ملخص عن «العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية» تأليف العلّامة الحجة الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء رحمه الله.

علىٰ أن يأتوا إلىٰ النجف الاشرف فبعضهم صام في الحلة وبعضهم مشىٰ إلىٰ (الحسكة) ونحن الآن كأنا في حصار والأعراب إلىٰ الآن ما انصرفوا وهم من الكوفة إلىٰ مشهد الحسين (عليه السلام) بفرسخين أو أكثر علىٰ ما قيل، والخزاعل متخاذلون مختلفون كما ان آل بعيج وآل جشعم يتقاتلون كما أن والي بغداد جاءه وال آخر وانه معزول وهما الآن يتقاتلان وقد عمت علينا أخبارهما لانقطاع الطرق وبذلك طمعت (عنزة) في الاقامة في هذه الاطراف ولا قوة إلّا بالله. والخلاصة ان حادثة الوهابي سلسلة حوادث متتابعة علىٰ النجف وفي كل هذه الحوادث كانوا يرجعون ناكصين علىٰ أعقابهم مدبرين ويكفي الله العباد والبلاد شرهم.

وكان النجفيون إذا دهمهم الوهابي يلتجئون إلىٰ الله وينقطعون إليه ويتوسلون بصاحب المرقد الطاهر (عليه السلام) ويلوذون بجنابه فيحميهم ويجيرهم، ولهم في ذلك شعر كثير منه باللغة الفصحىٰ ومنه باللغة العامية الدارجة. وقفت علىٰ قصيدة للسيد أبي الحسن ابن الشاه كوثر النجفي في واقعة الوهابيين سنة ١٢٢١ كما في مجموعة الشبيبي يقول فيها:

بشرىٰ لمن سكنوا كوفان والنجفا
وجاوروا المرتضىٰ أعلا الورىٰ شرفا

مولىٰ مناقبه عن عدها قصرت
كل البرايا ولم تعلم لها طرفا

منها (سعود) كساه الذل خالقه
ولم يزل بنكال دائم وجفا

أراد تهديم ما الباري يشيده
من قبة لسقام العالمين شفا

وجمّع الجيش من أهل الحجاز ومن
سكان نجد ومن للمؤمنين قفا

وقد أتىٰ الناس قبل الفجر في صفر
بتاسع الشهر نحو السور قد زحفا

مقسما جيشه أقسام أربعة
كل له سائق يعييه أن وقفا

حتىٰ أتىٰ السور قوم منهم فرقوا
ففاجأوا حتفهم في الحال قد صدفا

وصف بالباب قوماً مكثرين لها
من المعاول في حزب قد ارتدفا

والناس في غفلة حتىٰ إذا انتبهوا
أعطوا الثبات وباريهم بهم رؤفا

فهزموا الجند نصراً من إلههم
والسوء عنهم بعون الله قد صرفا

ورد سلطان نجد ملء أعينه
حزنا وقد باء بالخسران وانصرفا

فلا السلالم والأدراج نافعة
بل ربنا قد كفانا شرها وكفىٰ

وقد طوىٰ الله وقت الحرب في عجل
لأنه لم يكن ما كان قد وصفا

ولم ينل غير قتل في جماعته
والكل في عدد القتلىٰ قد اختلفا

وكان مذ بان نجم الصبح أوله
ومنتهاه طلوع الفجر حين صفا

وثم معجزة اخرىٰ لسيدنا
في ذلك اليوم من بعض الذي سلفا

قد كان في حجرة في الصحن ما ادخروا
وجعوه من البارود وقد جرفا

أصابه بعض نار ثم بردها
مبرد نار إبراهيم إذ قذفا

فلا تخف بعدما عاينت من عجب
ولا تكونن ممن قلبه رجفا

وقرّ عيناً وطب نفساً فإنك في
جوار حامي الحمىٰ قد صرت مكتنفا

وقال في خبر كوفان في حرم
ما أمها من بغىٰ إلا وقد قصفا

ومذ تقطع قلب الجور[1] أرخه
(نحس بدا لسعود إذ دنىٰ النجفا)

سنة ١٢٢٥هـ

وقال الأديب الشيخ علي زيني عند وقوع الحادثة المذكورة باللغة العامية (موالياً):

---

(١) فيه إشارة إلىٰ تقطيع الواو قطعتين، وهو قلب الجور والقاء قطعة منه فان في التاريخ زيادة ثلاث ـ وفي هذا التاريخ مخالفة لقواعد الرسم فان (دنا) تكتب عمودية لا بشكل الياء والتاريخ لا يتم بكتابتها عمودية.

يا ميمرٍ دوم غوجك علىٰ العدا حماي ... وأنت لنار الحرايب لو خبت حماي
أبات خايف بقلبي موجد وحماي ... من حيث سيف العدا لقلوبنا ورب
والصمت منا تخردل يا (علي) ورب ... من شيعتك بيش عنك نعتذر والرب
سماك حامي الحمىٰ وتريد الك حماي

وهذا الحسين بن الحجاج في نَظمِه

يا صاحِبَ القُبة البَيضا على النجف ... من زار قبرك واستشفى لديك شُفي
زوروا أبا الحسن الهادي لعلكم ... تحظون بالأجر والإقبال والزُلَفِ
زوروا لمن تسمع النجوى لديه فمن ... يزره بالقبر ملهوفاً لديه كُفي
إذا وصلت فأحرم قبل تدخله ... ملبياً واسع سعياً حوله وَطُفِ
حتى إذا طفت سبعاً حول قُبَتِهِ ... تأمل الباب تِلقا وجهه فَقِفِ
وقل سلام من الله السلام على ... أهل السلام وأهل العلم والشَرفِ
إني أتيتك يا مولاي من بلدي ... مستمسكاً من حبال الحق بالطَرفِ
راجٍ بأنك يا مولاي تشفع لي ... وتسقيَنّي رحيقاً شافي اللّهَفِ
لأنك العروفة الوثقى فمن عَلِقَت ... بها يداه فلن يشقى ولم يَخفِ
وإن اسماءك الحسنى إذا تليت ... على مريض شفي من سقمه الدَنفِ
لأن شأنك شأن غير منتقص ... وأن نورك نور غير منكسف
وإنك الآية الكبرى التي ظَهرت ... للعارفين بأنواع من الطُرَفِ
هذي ملائكة الرحمن دائمة ... يهبطن نحوك بالألطاف والتُحَفِ

أسماء النجف

وردت لبقعة النجف أسماء عديدة منها ما كان واقعاً في أخبار أئمة أهل البيت عليهم السلام خاصة هي، الطور، الظهور، الجودي، الربوة، وادي السلام،

بانقبا، اللسان، والاكثر استعمالاً واشهرها اشاعة، النجف، الغري، المشهد، ولكلٍ من هذه التسميات مناسبات.

أولاً النجف:

ذكر العلّامة الشيخ الصدوق (قدس سره)، في علل الشرائع، ط إيران ص٢٢ باب ٢٦ علّة تسمية هذه البقعة بالنجف قال: عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: «إن النجف كان جبلاً عظيماً وهو الذي قال ابن نوح ﴿سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ ولم يكن علىٰ وجه الأرض جبل أعظم منه فأوحىٰ الله عز وجل إليه يا جبل ايعتصم بك مني فتقطع قطعاً إلىٰ بلاد الشام وصار رملاً دقيقاً، وصار بعد ذلك بحراً عظيماً وكان يسمىٰ ذلك البحر بـ(في) ثم جف بعد ذلك فقيل (في جف) فسمي بـ(نيجف) ثم صار يسمونه (نجف) لأنه كان أخف علىٰ ألسنتهم.

ومع ذلك فإن هذه الرواية ليست دقيقة والأقرب إلىٰ الصواب منها أن في اللغة كل مرتفع يسمىٰ (نجف).

والنجف: ـ هو مرتفع من الأرض يقع علىٰ ضفاف منخفض هو بحر النجف.

ثانياً الغري:

في تاج العروس: الغراء الحسن ومنه الغري الجميل.

وفي معجم البلدان: الغريان تثنية الغري هو المطلي بالغراء، وهو الحسن المليح كما اسلفت، يقال رجل غري الوجه، أي حسن الصورة جميل، والغري نصب يذبح عليه العتاير[1] والغريان نصبان بظاهر الكوفة بالقرب من مرقد أمير

(١) العتاير: ذبائح الاصنام.

المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، بناها المنذر ابن امرئ القيس بن ماء السماء، وكان السبب في تسمية ذلك إنه كان للمنذر نديمان من بني أسد يقال لأحدهما خالد ابن نضلة، والآخر عمر بن مسعود، فثملا [سكرا] فراجعا الملك ليلة في بعض كلامه فأمر وهو سكران فحفر لهما حفيرتان في ظهر الكوفة ودفنهما حيين، فلما اصبح استدعاهما فأخبر بالذي امضاه فيهما فغمه ذلك وقصد حفرتهما وأمر ببناء طربالين عليهما وهما صومعتان، وقال المنذر: ما أنا بملك ان خالف الناس أمري، لا يمر أحد من وفود العرب إلاّ بينهما، وجعل لهما في السنة يوم بؤس، ويوم نعيم، يذبح في يوم بؤسه كل من يلقاه ويغري بدمه الطربالين [النصبين] فإن رفعت له الوحش طلبها الخيل. وان رفع طائر ارسل عليه الجوارح (من الطيور أي النسور والصقور) حتىٰ يذبح ويطلبان بدمه «القبرين» ولبث ذلك برهة من الزمن.

وهناك قصة ظريفة حصلت له مع أحد ضيوفه الذين لهم الفضل عليه في يوم بؤسه اضطر بسببه إلىٰ رفع هذه السنة الشاذة أطوي عنها كشحاً روماً للاختصار.

وقد ذكرتها في كشكول الشاكري فراجع.

ثالثاً: «المشهد».

هو مجمع ومكان يشهده الناس ويحتشدون به وحيث انّ المراقد المقدسة يشهدها جمع عظيم من الزوار من النقاط الشاسعة والقريبة لذلك عرفت بالمشاهد، بيد ان استعمال المشهد في الحرم العلوي أكثر إطلاقاً عليه حتىٰ كاد أن يختص به ولهذا يقال في النسبة إلىٰ الساكن في هذه البقعة (مشهدي) كما يقال نجفي، وهذا الاسم شائع في العراق، كما هو شائع في إيران بالنسبة إلىٰ البقعة الساكن فيها الثامن من الأئمة (عليهم السلام) في خراسان، فيطلق مشهدي

أي مشهد الإمام الرضا (عليه السلام).

هذه نبذة مختصرة عن ثلاث أسماء من خصوصيات هذه البقعة، وكانت أرض النجف مقدسة منذ العهود السالفة، وقد سكن فيها عدد من الأنبياء ودفنوا فيها وقبورهم شاخصة ليومنا مثل قبر هود وصالح، أما قبرا آدم ونوح فيحدثنا التأريخ أن الامام أمير المؤمنين دفن بتربتهما، والله العالم.

ولا غرو فإن أرض النجف كانت مهبط الاولياء ودار هجرة الأنبياء وعليها استوت سفينة نوح (عليه السلام)، كما حدثنا القرآن الكريم حيث قال عز من قائل ﴿واستوت علىٰ الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾ والجودي هو أحد أسماء هذه البقعة الطاهرة، ومنها تفرق أولاد نوح (عليه السلام) إلىٰ العالم كافة كما في الاعلاق النفسية ص١٠٨.

وبها كان منزل إبراهيم الخليل (عليه السلام) وإليها كانت هجرته، ومنها إنطلاقه إلىٰ أرض الشام.

وفي أيام وعهود التنوخيين، واللخميين، والمناذرة يوم كانت الحيرة عاصمة ملكهم قد أخذت النجف بنصيب وافر من الحضارة والعمران، ومن بعدهم شيدت كنائس، ومعابد، وبيع، وأديرة كثيرة في المنطقة مثل «دير مارت مريم» وهو دير قديم يشرف علىٰ أرض النجف.

وازدادت هذه البقعة شرفاً وعلواً بعد دفن الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وتشرفت بشرفه فسميت «النجف الأشرف».

هذه نبذة مختصرة من تاريخ النجف الأشرف قديماً وحديثاً، وللمزيد من التفاصيل يمكنك عزيزي القارئ مراجعة المصادر المعنية، قديماً وحديثاً منها المتداول في الاسواق، ماضي النجف وحاضره، للمرحوم الشيخ جعفر محبوبة، وموسوعة العتبات المقدسة للمرحوم الاستاذ جعفر الخليلي.

خاتمة الكتاب

إلىٰ هنا أقف مختتماً القسم الثاني والأخير من البحث التاريخي القيم عن حياة الإمام أمير المؤمنين ، وقائد الغر المحجلين ، وبطل المسلمين ، علي بن أبي طالب صلوات الله عليه من سلسلة «موسوعة المصطفىٰ والعترة» .

سائلاً المولى القدير ان يتقبل مني هذا اليسير ، ويعفو عني الكثير . وان يثبّتهُ في صحيفة ولائي ، فانه أرحم الراحمين .

ولا يسعني في هذا المقام إلّا أن اهدي ثوابه إلىٰ روح وَالِدَيَّ الذين الهماني وغذياني الحب والولاء لعلي وأهل بيته صلوات الله عليهم .

لا عـــذب الله أُمـــي إنهـــا شربت حب الوَصِيّ وغـــذتنيه بـــاللَّبَنِ
وكـــان لي والدٌ يهـــوىٰ أبـــا حســـنٍ فصرت من ذي وذا أهوىٰ أبا حسنِ

كما واقدم شكري وتقديري لكل الذين آزروني في اخـراج هـذا السفر الجليل المبارك ، من تقويم النص ، وإخراج المصادر ، وتتبع مراحـله ، وأخـص منهم ولدي البار الحاج عارف الشاكري ، سائلاً المولىٰ القدير أن يتقبل مني ومن الجميع وأن يجزينا أجر المحسنين ، ويجعله ذخراً لنا في يوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم . وأن يسقينا من حوض الكوثر ، يوم الضمأ الأكبر .

هَـــل يَمـــنَعني وَهـــو الســـاقي أن أشرَب مِن حَوضِ الكَوثر
أم يَـــطرُدَني عَـــن مَـــائِدةٍ وُضِـــعَت لِلـــقَانِع وَالمُـــعتَر

حاشاه وهو أكرم على الله .

وسيليه : الجزء الرابع عن حياة السيدة فاطمة الزهراء (ع) إن شـاء الله .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

حسين الشاكري

غرة شهر رجب الأصم / قم المقدسة سنة ١٤١٢ هـ

وردنا من سماحة الخطيب ، خادم المنبر الحسيني الشيخ حمزة الخويلدي ، هذا التقريض ـ لكتابنا ـ «علي في الكتاب والسنة » في الوقت الذي نحرز إيمانه واخلاصه وتفانيه في حب النبي وأهل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين .

نسأله تعالى ان يرزقه العافية ويوفقه لما يحبه ويرضاه .

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله علىٰ عظيم آلائه والشكر له على مزيد نعمائه والصلاة والسلام علىٰ خيرة أصفيائه محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين .

حضرة الوجيه الفاضل الحاج حسين الشاكري شكر الله سعيكم وأحسن عاقبتكم ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

لقد وفقني الله تعالىٰ في شهر رمضان المبارك لهذا العام للتبليغ وخدمة المنبر الحسيني الشريف ، وذلك في الحسينية المسقطية في مدينة ـ مشهد ـ المقدسة ، مثوىٰ ثامن أئمة أهل البيت عليهم السلام الإمام علي بن موسىٰ الرضا عليه السلام . وكنت أرتاد المكتبة الرضوية ومكتبة الإمام الخوئي رحمه الله للمطالعة والتأليف ... وفي أيام ذكرىٰ إستشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كنت اتصفح بعض الكتب التي ألّفت في حياته وسيرته عليه السلام فوقعت عيناني علىٰ كتابٍ كتبتموه حديثاً تحت عنوان « علي في الكتاب والسنة » ولم اكن مطّلعاً عليه من قبل الا عنواناً فطالعت بعض فصوله فاستهوتني كتابته واعجبني أسلوب طرحه وما تضمنه من ذكر لفضائل مولىٰ المتقين عليه السلام إستدلالاً بالآيات الكريمة والاحاديث الشريفة والتي ذكرها العامة في كتبهم وصحاحهم أكثر من الشيعة وبما يكون حجة على قارئه في وجوب إتباع هذا الإمام العظيم عليه السلام والسير علىٰ نهجه .

وأنني لأُبارك لكم إنجازكم هذا الكتاب القيم ولا شك إنه لحصيلة تربية

ونشأة في مدينة الولاء والتضحية وحاضرة العلم والفكر علىٰ مدىٰ ألف عام من الزمن ـ مدينة النجف الأشرف ـ ونتيجة اتصالكم بعلمائها وادبائها ومجالسها الواعية مما كان له الاثر في توجهاتكم الخيرة ومشاريعكم الخيرية ومبرّاتكم المتواصلة .

ولم يشغلكم الكسب والتجارة عن التوجه إلى خدمة أهل البيت عليهم السلام بالقلم والكتابة فهنيئاً لكم وفخراً فانه حري بمن أنعم الله عليه بنعمة البيان والكتابة والخطابة أن ينشر فضائل أهل البيت عليهم السلام ما استطاع الى ذلك سبيلا .. وان يجدّ ويجتهد في نشر أحاديث سيرتهم واخلاقهم فانّ الناس لو اطلعوا عليها لاتبعوا أهل البيت عليهم السلام كما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام .

فقد روي عن أبي الصلت الهروي قال : « سمعت الإمام الرضا عليه السلام يقول : رحم الله عبداً أحيا أمرنا . فقلت له وكيف يحيى أمركم ؟ قال : يتعلم علومنا ويعلمها الناس فإنّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا»[1] .

وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وآله في فضائل علي عليه السلام ما نصه :

« إن الله جعل لأخي عليّ فضائل لا تحصىٰ كثرةً فمن ذكر فضيلةً من فضائله مقراً بها غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ومن كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لذلك المكتوب رسم ، ومن إستمع الى فضيلة من فضائله غفر الله ذنوبه التي اكتسبها بالاستماع ، ومن نظر الى كتاب في فضائله غفر الله ذنوبه التي اكتسبها بالنظر »[2] .

ونحن إذ نحمد الله عزَّ وجلَّ على النعمة الكبرىٰ ، نعمة الإسلام والتوحيد والتي أتمها جلَّ شأنه بولاية مولىٰ المتقين وإمام الثقلين علي بن أبي طالب عليه السلام بقوله تعالىٰ ﴿ اَلْيَومَ اَكْمَلتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَاَتْمَمتُ عَلَيكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيت لَكُمْ اَلإِسْلَامَ دِيناً ﴾ .

نسأله سبحانه أن يجعلنا من المحدّثين بتلك النعمة ومن المستمسكين بولاية

(١) البحار ٢/٣٠ ـ ميزان الحكمة ٦/٤٦٩ .

(٢) كفاية الطالب ٢٥٢ .

علي وأبنائه البررة عليهم السلام .. راجياً منه تعالىٰ أن يأخذ بيدك أيها الحاج الكريم لما فيه الفلاح والنجاح وان يكون لك المقام الاسمىٰ عند الله وعند أمير المؤمنين عليه السلام لأنك نصرته بقلبك ولسانك وقلمك فضلاً عن مالك .. وأن يجعل ما كتبت نوراً لك وذخراً تراه يوم يقوم الناس لرب العالمين يوم يدعىٰ كل أناس بإمامهم .

وقد أجاد من قال :

وما من كاتب إلَّا وتبقىٰ ... كتابته وان فنيت يداه
فلا تكتب بخطك غير شيء ... يسرك في القيامة أن تراه

وفي بعض أسحار الليالي العشر الاواخر من شهر الله تعالىٰ وأنا في حرم مولاي الإمام الرضا عليه السلام تذكرتكم فدعوت لكم عند الرأس الشريف ورأيت أن أنظم أبياتاً ، مباركاً لكم فيها اقامكم هذا السِفر المبارك وهي كما ترى محاولة في الشعر لا أستحق أن أدعىٰ فيها شاعراً ولكنني شاعر ولله الحمد وبه أعوذ من أن أكون من الذين لا يشعرون :

طوبىٰ لمن سَخّر الدنيا لآخرة ... ولم يزل نهج أهل البيت متبعا
من ينفق المال في الخيرات محتسباً ... وراغباً بمزيد البر قد طمعا
كالشاكري ونعم الحاج من مثلٍ ... ذاك التقي الذي ثدي الولا رضعا
ففي الغري له الآثار شاخصةً ... تومىء الى الخير مما قد بنىٰ وسعىٰ
بالعلم قد نور المولى بصيرته ... فقلبه صار للعلم الغزير وِعا
وسَفْره في علي حسبُه شرفاً ... دنيا واخرةً إذ فيه قد برعا

* * *

لم أمتدح قبله شخصاً بقافية ... الا بني المصطفىٰ الاطهار والشفعا
كأنه قد عناه قول حيدرة ... «ما أحسن الدين والدنيا إذ اجتمعا»

أخوكم في الله

أقل خدمة المنبر الحسيني حمزة الخويلدي

في اليوم الأول من شوال « عيد الفطر المبارك » ١٤١٤ هـ

في حرم سيدي ومولاي علي بن موسىٰ الرضا عليه السلام ـ مشهد المقدسة

٤١٤ ..... علي المرتضى (ع)

محتويات الكتاب

الاهداء ٥
تقريض السيد أحمد الاشكوري ٧
تقريض الشيخ محمد باقر الناصري ١٠

الفصل الأول

كلام حول ازواج الإمام وأولاده ١٣
علي (ع) جليس الدار ١٦
بعض عوامل الثورة علىٰ عثمان ٢٤
الحصار الثاني ٣٧
ومما نُقم علىٰ عثمان ٤٥
تجهيز الخليفة ودفنه ٤٧

الفصل الثاني

موقف الإمام من تولي الحكم ٤٩
المبايعة بالخلافة ٥١
المتخلفون عن البيعة ٥٤
حرب الجمل ٥٦
معركة صفين ٩١
واقعة النهروان ١٠٣
استشهاد الإمام (ع) ١١٣

الفصل الثالث

وصاياه وعهوده وكتبه(ع) ١٣٥
من وصية له (ع) لولده الحسن(ع) ١٣٦
من كتاب له (ع) إلىٰ أهل مصر ١٥٠
من وصية له (ع) لولديه الحسن والحسين (ع) ١٥١
من عهد له (ع) كتبه للأشتر النخعي ١٥٣
من كتابه (ع) إلىٰ شيعته ١٧٠
من كتاب له (ع) إلىٰ معاوية ١٨١
خاتمة الكتاب ٤١٥
من كتاب له (ع) إلىٰ أكابر أصحابه (خطبة المخزون) ١٩٤
من كتاب له (ع) إلىٰ حذيفة بن اليمان ١٩٧
من كتاب له (ع) إلىٰ عبدالله بن العباس ٢٠٢
من عهد له (ع) إلىٰ محمد بن أبي بكر ٢٠٤
من كتاب له (ع) إلىٰ طلحة والزبير ٢٠٦
من كتاب له (ع) إلىٰ شريح بن الحارث ٢٠٨
من وصية له (ع) كتبها لمن يستعمله على الصدقات ٢١٥
الكلام في نهج البلاغة ٢١٩
من قصار حكم الإمام (ع) ٢٢١

الفصل الرابع

الحواريون خريجوا مدرسة الإمام (ع) ٢٢٩
عمار بن ياسر ٢٣١
مالك الأشتر ٢٤٨
ميثم التمّار ٢٥٧
كميل بن زياد ٢٦٥
حجر بن عدي الكندي ٢٧٢
محمد بن ابي بكر ٢٨١
عمر بن الحمق الخزاعي ٢٨٥
صعصعة بن صوحان العبدي ٢٩٢
رُشيد الهجري ٢٩٩
هاشم المرقال ٣٠٧
عبدالله بن هاشم المرقال ٣١٦

الفصل الخامس

كلمات الصحابة والتابعين في الإمام (ع) ٣١٩

الفصل السادس

شذرات من النظم ٣٣٣
قصيدة المرحوم الشيخ محمد كاظم الازري ٣٣٤

٤١٦ ..... علي المرتضى (ع)

العلويات السبع لابن أبي الحديد المعتزلي ٣٣٥
الهاشميات للكميت ٣٣٨
قصيدة الشافعي ٣٤٢
موشحة ميرزا اسماعيل الشيرازي ٣٤٣

الفصل السابع

ما قيل في النجف قديماً وحديثاً ٣٤٦
سبب اخفاؤه قبره ٣٤٨
ظهور القبر الشريف ٣٥٠
العمارة الأولى ٣٥٢
العمارة الثانية ٣٥٤
العمارة الثالثة ٣٥٦
العمارة الرابعة ٣٥٨
العمارة الخامسة ٣٥٩
الحضرة العلوية ٣٦٠
وصف المرقد ٣٦١
أبواب الصحن الشريف ٣٦٧
تذهيب القبة والإيوان ٣٧٥
إصلاح القبة المطهرة ٣٧٩
إصلاح المأذنتين ٣٨٠
إصلاح الروضة المقدسة ٣٨٢
وضع الشباك ٣٨٦
أبواب الفضة ٣٨٩
تاريخ بناء اسوار النجف ٣٩٤
حادثة المشعشعي ٣٩٧
محاصرة الروم ٣٩٨
حادثة الوهابي ٣٩٩
حادثة ثانية للوهابي ٤٠١
اسماء النجف ٤٠٦
خاتمة الكتاب ٤١٠

العتبة الحيدرية
٤١٩٤
٢٠٠٥

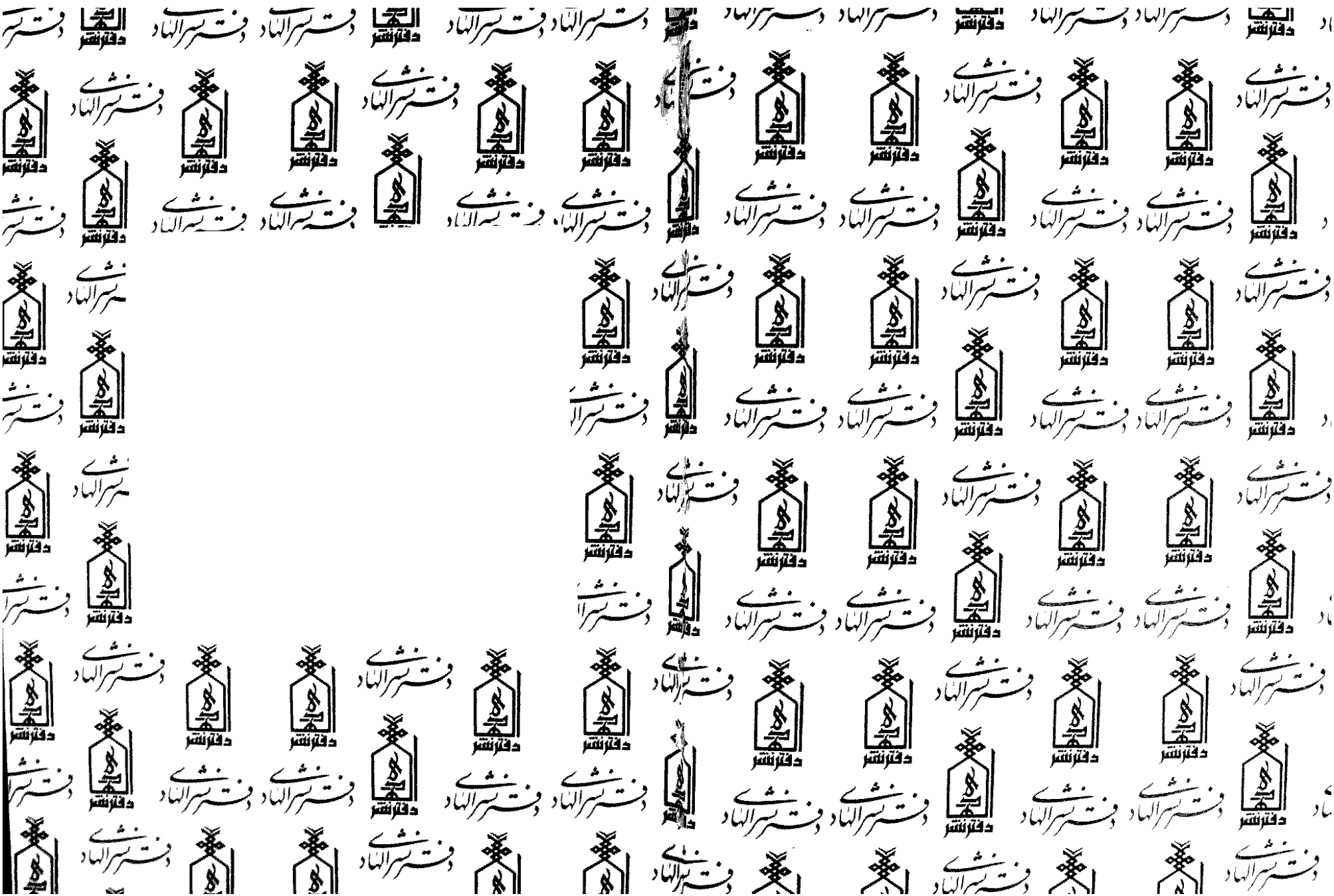
دفتر نشر الهاد